



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

تفسير القرآن الكريم

من

الموسم السنوي

الذي يصدره

المعهد الإسلامي

بجامعة القاهرة

المجلد ٢

١٩٧٩

دار النشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استخراج المرام من استقصاء الافحام

كاتب:

السيد على الحسينى الميلانى

نشرت فى الطباعة:

الحقايق

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

- ٥ الفهرس
- ١٨ استخراج المرام من استقصاء الافحام المجلد ٢
- ١٨ اشارة
- ١٨ الباب الثاني: التفسير والمفسرون عند أهل السنة ... ص: ٥
- ١٨ اشارة
- ١٨ المدخل: بحث حول تفسير على بن إبراهيم القمي ... ص: ٧
- ١٩ اشارة
- ١٩ كلام صاحب منتهى الكلام في تفسير القمي ... ص: ٧
- ١٩ اشارة
- ١٩ الجواب ... ص: ٨
- ١٩ اشارة
- ٢٠ ١- كان أبو الجارود في أول الأمر مستقيماً ... ص: ٩
- ٢٠ اشارة
- ٢٠ المعتبر في قبول الرواية حال الأداء ... ص: ٩
- ٢١ ٢- أبو الجارود من رجال الترمذي ... ص: ١١
- ٢١ ٣- صحح البيهقي روايته ... ص: ١٢
- ٢٢ ٤- رواياته في تفسير شاهی ... ص: ١٢
- ٢٢ ٥- رواياته في تفسير ابن شاهين ... ص: ١٣
- ٢٣ من غرائب أوهام صاحب منتهى الكلام ... ص: ١٤
- ٢٣ وصف بعض الأعظم ب «الشیطان ...» ص: ١٥
- ٢٤ قول بعض عرفائهم: أشهد أن لا إله لكم إلا إبليس ... ص: ١٦
- ٢٤ نقوداً أخرى لكلام الفيض آبادی ... ص: ١٦
- ٢٤ مقدّمة: كلمات في دمّ كتبهم التفسيريّة ... ص: ١٩

- ٢٧ طبقة الصحابة ... ص: ٢٧
- ٢٧ اشارة
- ٢٧ الخلفاء والتفسير ... ص: ٢٧
- ٢٧ اشارة
- ٢٩ عبدالله بن مسعود ... ص: ٣١
- ٢٩ اشارة
- ٢٩ بين عثمان وابن مسعود ... ص: ٣١
- ٣٠ مشكلة الفاتحة والمعوذتين وطرق حلها ... ص: ٣٤
- ٣٠ اشارة
- ٣١ ١- تكذيب الأخبار ... ص: ٣٥
- ٣٢ ٢- الإبهام ... ص: ٣٧
- ٣٢ ٣- التأويل والحمل ... ص: ٣٧
- ٣٥ عبدالله بن العباس ... ص: ٤٣
- ٣٥ اشارة
- ٣٥ قوله بالمتعة وهي عند جمهورهم حرام ... ص: ٤٣
- ٣٦ قوله بروية النبي ربه ... ص: ٤٤
- ٣٦ إنكار عائشة ذلك ... ص: ٤٥
- ٣٧ تأويل إنكار عائشة ... ص: ٤٦
- ٣٨ إنكار الصحابة ... ص: ٤٨
- ٣٨ محاولة الجمع ... ص: ٤٨
- ٤٠ إنكار عائشة على ابن عباس في مسائل اخرى ... ص: ٥٢
- ٤٠ قول ابن عباس بوقوع الغلط في القرآن ... ص: ٥٢
- ٤١ ابي بن كعب ... ص: ٥٥
- ٤١ اشارة

- ٤١ إنكاره المعوذتين ... ص: ٥٥
- ٤٢ من كفر بأية من القرآن كفر بكّله ... ص: ٥٧
- ٤٣ زيد بن ثابت ... ص: ٥٩
- ٤٣ اشارة
- ٤٣ توصيفه بالضللال والإضلال ... ص: ٥٩
- ٤٤ توصيفه بالجور فى الحكم ... ص: ٦٠
- ٤٥ أحاديث فى ذم القاضى الجائر ... ص: ٦٢
- ٤٦ إنه زاد فى القرآن ونقص منه ... ص: ٦٥
- ٤٦ ردّه عمر بن الخطاب فى آية مع قبوله خزيمة فى اخرى ... ص: ٦٦
- ٤٧ أبو موسى الأشعري ... ص: ٦٧
- ٤٧ اشارة
- ٤٧ إنحرافه عن أمير المؤمنين ... ص: ٦٧
- ٤٧ ترجمة ابن عبدالبر ... ص: ٦٧
- ٤٨ كلام حذيفة بن اليمان فى أبى موسى لانحرافه ... ص: ٦٨
- ٤٨ على باب حطّة من خرج منه كان كافرا ... ص: ٦٩
- ٤٩ كتّم كلام حذيفة فى أبى موسى ... ص: ٧٠
- ٤٩ من مشاهد انحراف أبى موسى عن على ... ص: ٧١
- ٥٦ حديث خاصف النعل ... ص: ٨٤
- ٦٤ قصّة التحكيم ... ص: ٩٨
- ٦٦ كلام الإمام فى أبى موسى بعد التحكيم ... ص: ١٠٣
- ٦٧ لعن النبى أبا موسى الأشعري ... ص: ١٠٤
- ٦٨ ترجمة ابن عساكر ... ص: ١٠٥
- ٦٩ قنوت على بالدعاء على أبى موسى فى جماعة ... ص: ١٠٧
- ٦٩ توقف عمر عن قبول خبر أبى موسى ... ص: ١٠٧

- ٦٩ تنبيه حول كتاب الإمامة والسياسة « ١... » ص: ١٠٩
- ٦٩ اشارة
- ٧٠ ترجمة ابن قتيبة « ٢... » ص: ١٠٩
- ٧٠ كتاب الإمامة والسياسة ... ص: ١١٠
- ٧٢ عبدالله بن الزبير ... ص: ١١٤
- ٧٢ اشارة
- ٧٢ أول شهادة زور في الإسلام ... ص: ١١٤
- ٧٤ قبائح ابن الزبير في هذه القصة ... ص: ١١٧
- ٧٤ خروجه لقتال الإمام عليه السلام ... ص: ١١٨
- ٧٦ ترجمة ابن عبد ربه ... ص: ١٢٢
- ٧٧ كان عمر يرى الزبير وأصحابه مفسدين ... ص: ١٢٣
- ٧٧ كلام لابن طلحة الشافعي ... ص: ١٢٤
- ٨١ عبدالله بن الزبير يحاول إقناع أبيه ... ص: ١٣٢
- ٨٣ كلام الإمام في عبدالله بن الزبير ... ص: ١٣٥
- ٨٣ بين عبدالله بن الزبير والإمام الحسين عليه السلام ... ص: ١٣٦
- ٨٦ أحاديث في ذم بعض على وأهل البيت عليهم السلام ... ص: ١٤١
- ٨٨ ومن مساوئه في كتب التاريخ والحديث ... ص: ١٤٥
- ٨٩ رواية موضوعة عن ابن عباس في مدح ابن الزبير ... ص: ١٤٨
- ٩٠ بين عائشة وابن الزبير ... ص: ١٥٠
- ٩١ محاولة التأويل ... ص: ١٥٢
- ٩٢ قول معاوية لابن الزبير: إنك لمخالف ... ص: ١٥٤
- ٩٣ لعن أمير المؤمنين عليه السلام ابن الزبير ... ص: ١٥٥
- ٩٤ تحريف الرواية ... ص: ١٥٧
- ٩٥ قول النبي لابن الزبير: ويل للناس منك ... ص: ١٥٨

- ٩٥ كلام أبي برزة في ابن الزبير ... ص: ١٥٩
- ٩٧ كلمات الحفظ بشرح كلام أبي برزة ... ص: ١٦٣
- ٩٨ تكلم ابن عمر في ابن الزبير ... ص: ١٦٥
- ١٠٢ ثم قال السيوطي في (الإتقان ...): ص: ١٧٣
- ١٠٢ أنس بن مالك ... ص: ١٧٤
- ١٠٢ اشارة
- ١٠٢ كتمان الشهادة ... ص: ١٧٤
- ١٠٣ تحريف الحديث ... ص: ١٧٥
- ١٠٣ الكذب ... ص: ١٧٦
- ١٠٤ حضوره عند ابن زياد وهو ينكت ثانياً أبي عبدالله ... ص: ١٧٦
- ١٠٤ طعن أبي حنيفة فيه ... ص: ١٧٧
- ١٠٥ كان يلبس الحرير ... ص: ١٧٩
- ١٠٦ تقصيره الصلاة وتركه الضيام مدة سنتين ... ص: ١٨٠
- ١٠٦ أبو هريرة ... ص: ١٨١
- ١٠٦ اشارة
- ١٠٧ موالاته عدو على ... ص: ١٨١
- ١٠٧ لعب القمار والشطرنج ... ص: ١٨٢
- ١٠٨ أبو هريرة في نظر الصحابة ... ص: ١٨٣
- ١٠٩ تكذيب عائشة أبا هريرة ... ص: ١٨٥
- ١١١ تحريف معنى الحديث ... ص: ١٨٩
- ١١١ تكذيب عمر أبا هريرة ... ص: ١٩٠
- ١١٢ عزله عن البحرين وهتكه ... ص: ١٩٠
- ١١٢ أبو هريرة عند أبي حنيفة ... ص: ١٩١
- ١١٢ أبو هريرة عند عيسى بن أبان ... ص: ١٩٢

- ١١٣ أبو هريرة عند محمد بن الحسن ... ص: ١٩٤
- ١١٤ عبدالله بن عمر ... ص: ١٩٥
- ١١٤ اشارة
- ١١٤ إياؤه عن البيعة لأمير المؤمنين ... ص: ١٩٥
- ١١٤ بيعته ليزيد بن معاوية ... ص: ١٩٦
- ١١٦ ابن عمر في نظر عائشة ... ص: ٢٠٠
- ١١٩ ابن عمر عند سائر الصحابة ... ص: ٢٠٤
- ١١٩ عبدالله بن عمرو بن العاص ... ص: ٢٠٥
- ١١٩ اشارة
- ١٢٠ خروجه لقتال الإمام في صفين ... ص: ٢٠٦
- ١٢١ تكذيب معاوية روايته ... ص: ٢٠٧
- ١٢١ طبقة التابعين ... ص: ٢١١
- ١٢١ اشارة
- ١٢٢ مجاهد ... ص: ٢١٣
- ١٢٢ اشارة
- ١٢٢ تفسيره من أهل الكتاب ... ص: ٢١٣
- ١٢٣ اشماله على المنكرات الشديدة ... ص: ٢١٣
- ١٢٣ نسبته المعصية إلى يوسف عليه السلام ... ص: ٢١٤
- ١٢٤ عكرمة مولى ابن عباس ... ص: ٢١٦
- ١٢٤ اشارة
- ١٢٤ هو من أعلام الخوارج ... ص: ٢١٦
- ١٢٤ قوادحه كما في ميزان الاعتدال ... ص: ٢١٧
- ١٢٤ قوادحه كما في معجم الادباء ... ص: ٢٢٠
- ١٢٧ الحسنُ البصرى ... ص: ٢٢٣

- ١٢٧ اشارة
- ١٢٧ هو من القدرية ... ص: ٢٢٣
- ١٢٧ ذم القدرية في روايات القوم ... ص: ٢٢٣
- ١٢٩ دفاع الذهبي عن الحسن البصرى ... ص: ٢٢٦
- ١٣٠ كان الحسن مدلسا ... ص: ٢٢٨
- ١٣١ لعبه بالشطرنج ... ص: ٢٢٩
- ١٣١ نسبته المعصية إلى يوسف عليه السلام ... ص: ٢٣٠
- ١٣١ فساد مذهبه يوجب الحكم بكفره ... ص: ٢٣٠
- ١٣١ عطاء بن أبي رباح ... ص: ٢٣١
- ١٣١ اشارة
- ١٣٢ لعبه بالشطرنج ... ص: ٢٣١
- ١٣٣ تركه النهى عن المنكر ... ص: ٢٣٣
- ١٣٤ كان يأخذ من كل أحد ويروى المرسلات ... ص: ٢٣٥
- ١٣٤ عطاء بن أبي سلمة الخراساني ... ص: ٢٣٧
- ١٣٥ أبو العالية ... ص: ٢٣٩
- ١٣٦ الضحاک بن مزاحم ... ص: ٢٤١
- ١٣٧ عطية بن سعد العوفى ... ص: ٢٤٢
- ١٣٧ قتاده ... ص: ٢٤٣
- ١٣٧ اشارة
- ١٣٧ كان يتهم بالقدر ... ص: ٢٤٣
- ١٣٨ كان كحاطب ليل ... ص: ٢٤٤
- ١٣٨ كان يدلس ... ص: ٢٤٤
- ١٣٨ قصة أبي حنيفة معه ... ص: ٢٤٥
- ١٣٩ زيد بن أسلم ... ص: ٢٤٧

- ١٤٠ مَرَّة بن شراحيل ... ص: ٢٤٩
- ١٤١ عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ... ص: ٢٥٠
- ١٤١ الطبقة الثالثة ... ص: ٢٥٣
- ١٤١ اشارة
- ١٤٢ سفيان بن عيينة ... ص: ٢٥٤
- ١٤٢ اشارة
- ١٤٢ كان يدلّس ... ص: ٢٥٤
- ١٤٢ من كلماتهم في ذمّ التدليس ... ص: ٢٥٥
- ١٤٣ اختلط في آخر عمره ... ص: ٢٥٦
- ١٤٤ وكيع بن الجراح ... ص: ٢٥٨
- ١٤٤ اشارة
- ١٤٤ له قوادح ... ص: ٢٥٨
- ١٤٤ عبدالرزاق بن همام ... ص: ٢٦٠
- ١٤٥ إسحاق بن راهويه ... ص: ٢٦٢
- ١٤٥ روح بن عبادة ... ص: ٢٦٣
- ١٤٧ عبد بن حميد ... ص: ٢٦٦
- ١٤٨ سُنيِد بن داود ... ص: ٢٦٨
- ١٤٨ ابن أبي شيبة ... ص: ٢٧٠
- ١٤٩ ابن شهاب الزّهرى ... ص: ٢٧١
- ١٥١ جويبر بن سعيد ... ص: ٢٧٦
- ١٥٢ أبو صالح باذام ... ص: ٢٧٨
- ١٥٣ ليث بن أبي سليم ... ص: ٢٨٠
- ١٥٤ عبدالله بن أبي نجيح ... ص: ٢٨٣
- ١٥٥ عيسى بن ميمون ... ص: ٢٨٥

- ١٥٥ مقاتل بن حيان ... ص: ٢٨٦
- ١٥٦ مقاتل بن سليمان ... ص: ٢٨٨
- ١٥٧ السدى الكبير ... ص: ٢٩٠
- ١٥٩ محمّد بن السائب الكلبي ... ص: ٢٩٤
- ١٦١ على بن أبي طلحة ... ص: ٢٩٨
- ١٦٣ سعيد بن بشير ... ص: ٣٠٤
- ١٦٤ الفريابي ... ص: ٣٠٦
- ١٦٥ عثمان بن أبي شيبة ... ص: ٣٠٧
- ١٦٧ الطبقة الرابعة ... ص: ٣١٣
- ١٦٧ اشارة
- ١٦٧ تفسير ابن جرير الطبرى ... ص: ٣١٤
- ١٧٠ تفسير ابن أبي حاتم ... ص: ٣٢٠
- ١٧٢ تفسير الحاكم التيسابورى ... ص: ٣٢٤
- ١٧٢ تفسير ابن ماجه ... ص: ٣٢٦
- ١٧٣ تفسير ابن مردويه ... ص: ٣٢٨
- ١٧٣ تفسير ابن المنذر ... ص: ٣٢٩
- ١٧٤ تفسير ابن ابي داود السجستاني ... ص: ٣٣٠
- ١٧٦ تفسير ابي بكر النقاش ... ص: ٣٣٤
- ١٧٧ طبقة المتأخرين ... ص: ٣٣٩
- ١٧٧ اشارة
- ١٧٨ الزجاج ... ص: ٣٤١
- ١٧٨ أبو حيان الأندلسى ... ص: ٣٤٢
- ١٧٩ الفخر الرازى ... ص: ٣٤٤
- ١٨١ أبو عبدالرحمن السلمى ... ص: ٣٤٩

- ١٨٢ الباب الثالث: الصّاح السنّة ... ص: ٣٥٥
- ١٨٢ مقدّمة- الصّاح عند أهل السنّة ... ص: ٣٥٥
- ١٨٢ اشارة
- ١٨٣ قدح الفيض آبادى فى الصحيحين ... ص: ٣٥٥
- ١٨٥ صحيح البخارى ... ص: ٣٦٣
- ١٨٥ اشارة
- ١٨٥ ترك أبى زرعّة وأبى حاتم البخارى ... ص: ٣٦٣
- ١٨٦ ترجمة أبى زرعّة الرازى ... ص: ٣٦٥
- ١٨٩ ترجمة أبى حاتم الرازى ... ص: ٣٧٣
- ١٩٠ تكلمّ الذهلى فى البخارى ... ص: ٣٧٤
- ١٩١ نقد دفاع القوم عن البخارى ... ص: ٣٧٥
- ١٩٣ ترجمة الذهلى ... ص: ٣٨٠
- ١٩٦ قول البخارى بخلق الإيمان ... ص: ٣٨٧
- ١٩٧ ترجمة صاحب الفصول ... ص: ٣٨٧
- ١٩٧ تصريح ابن دحية بانحراف البخارى عن أهل البيت ... ص: ٣٨٨
- ١٩٨ ترجمة أبى الخطّاب ابن دحية ... ص: ٣٩١
- ١٩٩ موقف البخارى من حديث الغدير وكلمات الأعلام فيه ... ص: ٣٩٣
- ٢٠٠ ترجمة ابن الجزرى ... ص: ٣٩٤
- ٢٠٠ إستراية البخارى فى بعض حديث الإمام الصادق عليه السلام ...!! ص: ٣٩٥
- ٢٠٢ طعن القطن فى الإمام الصادق ...!! ص: ٣٩٨
- ٢٠٢ ترجمة مجالد بن سعيد ... ص: ٣٩٩
- ٢٠٣ موقف الذهبي ... ص: ٤٠٠
- ٢٠٤ ترجمة القطن ... ص: ٤٠٢
- ٢٠٧ قصّة كتاب العلل لابن المدينى ... ص: ٤٠٧

- ٢٠٧ طعن مسلم فيمن قال بمقالة البخارى ... ص: ٤٠٩
- ٢٠٩ أحاديث باطلة في كتاب البخارى ... ص: ٤١٢
- ٢٠٩ اشارة
- ٢٠٩ حديث خطبة عائشة ... ص: ٤١٢
- ٢٠٩ حديث شفاعة إبراهيم لأزر ... ص: ٤١٣
- ٢١٣ حديث الصلاة على ابن أبي سلول ... ص: ٤٢٠
- ٢١٤ حديث: كذب إبراهيم ثلاث كذبات ... ص: ٤٢٢
- ٢١٤ حديث: أن نبياً أحرق بيت النمل ... ص: ٤٢٣
- ٢١٥ حديث أمر النبي بالأكل ممّا لم يذكر اسم الله عليه ... ص: ٤٢٤
- ٢١٥ تصرف بعضهم في لفظ الحديث ... ص: ٤٢٥
- ٢١٧ توجيه البعض معنى الحديث ... ص: ٤٢٨
- ٢١٨ إلتزام بعضهم بمفاده الباطل ... ص: ٤٣٠
- ٢١٨ تكلفات الآخرين في حلّ العقدة ... ص: ٤٣١
- ٢٢١ حديث نفى توريث الأنبياء ... ص: ٤٣٦
- ٢٢١ حديث مجادلة الإمام مع النبي في صلاة الليل ... ص: ٤٣٧
- ٢٢٧ حديث خطبة بنت أبي جهل ... ص: ٤٤٨
- ٢٢٧ حديث شأن نزول «وإن طائفتان من المؤمنين ...» ... ص: ٤٤٩
- ٢٢٨ خبر عدم تفضيل الإمام على الصحابة بعد الخلفاء ... ص: ٤٥١
- ٢٢٩ حديث أخذ الأجر على كتاب الله ... ص: ٤٥٣
- ٢٣٠ حديث أسباط في الاستسقاء ... ص: ٤٥٤
- ٢٣٠ حديث تكثر لكم الأحاديث من بعدى ... ص: ٤٥٥
- ٢٣١ حديث تحريم المعازف ... ص: ٤٥٦
- ٢٣١ حديث المؤمن لا يزني حين يزني ... ص: ٤٥٧
- ٢٣٢ حديث شريك في الإسراء ... ص: ٤٥٩

- ٢٣٤ صحيح مسلم ... ص: ٤٦٥
- ٢٣٤ اشارة
- ٢٣٤ أبو زرعۀ الرازى وصحيح مسلم ... ص: ٤٦٥
- ٢٣٥ الموضوعات فى صحيح مسلم ... ص: ٤٦٧
- ٢٣٥ اشارة
- ٢٣٥ حديث الضحاح ... ص: ٤٦٧
- ٢٣٦ الحديث الدالّ على تعيين أبى بكر للخلافه ... ص: ٤٦٩
- ٢٣٧ حديث أن عمر أول من أمر بالأذان ... ص: ٤٧١
- ٢٣٨ حديثان متناقضان فى موضع صلاة النبى الظهر فى حجة الوداع ... ص: ٤٧٢
- ٢٣٩ حديث فى أول ما نزل من القرآن ... ص: ٤٧٦
- ٢٣٩ حديث فى فضائل أبى سفيان ... ص: ٤٧٦
- ٢٤٠ من كلمات الأئمة فى الكتابين ... ص: ٤٧٨
- ٢٤٠ اشارة
- ٢٤١ وقال ابن تيمية ... ص: ٤٨٠
- ٢٤٢ وقال كمال الدين أبوالفضل الأذفوى فى (الإمتاع فى أحكام السماع ...): ص: ٤٨٠
- ٢٤٣ وقال الشيخ عبدالقادر القرشى ... ص: ٤٨٣
- ٢٤٤ صحيح الترمذى ... ص: ٤٨٩
- ٢٤٥ الموضوعات فى صحيح الترمذى ... ص: ٤٩٠
- ٢٤٥ اشارة
- ٢٤٦ حديث فيه بعث أبى بكر بلاً مع النبى إلى الشام ... ص: ٤٩١
- ٢٤٨ حديث الإهتمام بأبى بكر ... ص: ٤٩٥
- ٢٤٨ حديث إعزاز الله الإسلام بعمر بن الخطّاب ... ص: ٤٩٦
- ٢٤٩ حديث عدم صلاة النبى على من مات مبغضاً لعثمان ... ص: ٤٩٧
- ٢٥٠ حديث نزول «لا تقربوا الصلاة» ... الآية ... ص: ٤٩٨

تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية ----- ٢٥٧

استخراج المرام من استقصاء الافحام المجلد ٢

إشارة

سرشناسه: حسینی میلانی، علی، ۱۳۲۶ -

عنوان قرار دادی: منتهی الکلام. شرح

استقصاء الافحام. عربی. شرح

عنوان و نام پدید آور: استخراج المرام من استقصاء الافحام للعلم الحجة آية الله السيد حامد حسين اللكهنوی بحوث و ردود تالیف علی الحسینی الميلانی.

مشخصات نشر: قم مركز الحقایق الاسلامیة ۱۴۳۲ ق. -۱۳۹۰-

مشخصات ظاهری: ج.

شابک: دوره ۷-۵۰-۵۳۴۸-۶۰۰-۹۷۸؛ ۲۰۰۰۰۰ ریال ج. ۴۱-۵۱-۵۳۴۸-۶۰۰-۹۷۸؛ ۲۰۰۰۰۰ ریال ج. ۲-۵۲-۵۳۴۸-۶۰۰-۹۷۸

۱؛ ۲۰۰۰۰۰ ریال ج. ۸۳-۵۳-۵۳۴۸-۶۰۰-۹۷۸؛

یادداشت: عربی.

یادداشت: کتابنامه.

یادداشت: نمایه.

مندرجات: ج. ۱. العقائد - ج. ۲. التفسیر والمفسرون والصحاح الستة و اصحابها - ج. ۳. ائمة المذاهب

موضوع: فیض آبادی، حیدر علی. منتهی الکلام -- نقد و تفسیر

موضوع: کتوری، میرحامد حسین ۱۸۳۰ - ۱۸۸۸ م.. استقصاء الافحام -- نقد و تفسیر

موضوع: شیعه -- عقاید

موضوع: شیعه -- دفاعیه ها و ردیه ها

موضوع: اهل سنت -- دفاعیه ها و ردیه ها

شناسه افزوده: فیض آبادی، حیدر علی. منتهی الکلام. شرح

شناسه افزوده: کتوری، میرحامد حسین ۱۸۳۰ - ۱۸۸۸ م.. استقصاء الافحام. عربی. شرح

شناسه افزوده: مرکز الحقائق الاسلامیه

رده بندی کنگره: BP۲۱۱/۵ ف/۹۴ م ۸۰۲۱۳ ۱۳۹۰

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۱۷۲

شماره کتابشناسی ملی: ۲۳۷۵۸۱۶

الباب الثاني: التفسیر والمفسرون عند أهل السنّة ... ص: ۵

إشارة

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ۲، ص: ۷

المدخل: بحث حول تفسیر علی بن ابراهیم القمی ... ص: ۷

إشارة

إعلم:

إنَّ صاحب (منتهى الكلام) بعد أن تكلم على (كتاب سليم بن قيس الهلالي) تعرّض - بنفس الاسلوب - لكتاب (تفسير علي بن إبراهيم القمّي).

كلام صاحب منتهى الكلام في تفسير القمّي ... ص: ٧

إشارة

فزعم أن هذا التفسير هو في الحقيقة تفسير أهل البيت عليهم السلام، وكأنه كلام الإمام الباقر والإمام الصادق...، وذكر أن جامع هذا التفسير هو علي بن إبراهيم القمّي، وأنَّ أبا جعفر الكليني من تلامذته - كما ذكر علماء الإمامية في كتبهم الرجالية ويشهد به كتاب الكافي - وهو من أصحاب الإمام بخلاف تلميذه الكليني، فقد كان في أيام الغيبة كما في كتب الرجال. ثم جعل يطعن في الكتاب ومؤلفه... فقال بأنَّ جلَّ الروايات فيه هي عن (أبي الجارود)، وهو - بلا ريب - ملحدٌ زنديق ملعون على السنة أئمّة الهدى، بل لقد لقبه الإمام المعصوم بـ «الشیطان...» كما لا يخفى على من لاحظ كتب القوم، مثل: (تبصرة العوام) و (تذكرة الأئمّة عليهم السلام) و (منهج المقال)

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٨

و (خلاصة الأقوال) وأمثالها من كتب الرجال.

ذكر الفاضل الإسترابادي نقلًا عن الكشي: «الأعمى السرحوب - بالسين المهملة المضمومة، والراء والحاء المهملتين والباء المنقطة تحتها نقطة واحدة بعد الواو - مذموم لا شبهة في ذمه، سمى سرحوباً باسم الشيطان الأعمى يسكن البحر. (قال): له تفسير ينسبه إلى الإمام محمد الباقر، وعن أبي بصير قال أبو عبد الله عليه السلام: كثير النوا وسالم بن أبي حفصة وأبو الجارود كذابون مكذبون كفار، عليهم لعنة الله. قال قلت: جعلت فداك، كذابون قد عرفتهم، فما معنى مكذبون؟ قال: كذابون، يأتوننا فيخبروننا أنهم يصدقوننا وليس كذلك، ويسمعون حديثنا فيكذبون به» (١).

قالوا: وقد كان يقول بإمامة زيد وينكر إمامة جعفر الصادق عليه السلام، وهو المؤسس لفرقة الجارودية من الزيدية... والشيخ محمد باقر صاحب البحار - وبالرغم من الاستدلال والاستشهاد بروايات تفسير هذا الزنديق، والأخ الأكبر لشیطان الطاق - قد ذكر ما تقدّم في كتابه (تذكرة الأئمّة) وأضاف أنه قد ارتدّ في آخر عمره وعمى، فلّقه الإمام الباقر بـ «سرحوب» وهو اسم شيطان يسكن البحر، ومذهب أصحابه أن الرسول صلّى الله عليه وآله قد نصّ بالخلافه على علي بالصفة لا بالتسمية. وإذا كان هذا حال علماء الشيعة وكتبهم، فكيف يجوز لهم الطعن في علماء أهل السنة والجماعة والتكلم في مؤلفاتهم؟

الجواب ... ص: ٨

إشارة

إنَّ أساس الطعن في (تفسير القمّي) هو الطعن في (زياد بن المنذر أبي

(١) رجال الكشي: ٢٠٠.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٩
الجارود)، لكن ما ذكره في هذا الرجل مندفع بوجوه:

١- كان أبو الجارود في أول الأمر مستقيماً ... ص: ٩

إشارة

لقد كان أبو الجارود مستقيماً الأمر، صحيح العقيدة، ثم تغير وضلّ، فمن أين يثبت أنّ رواياته في هذا التفسير كانت في حال التغير؟ بل إنّ كلام الفاضل المجلسي في (اللوامع) صريح في أنّ روايات الأصحاب عنه كانت في حال استقامته، وكذا في رجال (روضه المتقين)، فإنه قال ما نصّه: «صنّف الأصل في حال الاستقامة، وروى أصحابنا عنه، ثمّ ضلّ، فاعتبروا أصله كما في غيره من الكفرة» (١).

هذا، وقد ناقش بعض علمائنا في خبر تسمية الإمام الباقر عليه السلام له بـ «السرّحوب»، أما سنداً فلأنّه مرسل، وأما دلالة فلأنّ زياداً كان مستقيماً على عهد الإمام عليه السلام، وإنّما تغيّر بعد وفاته بعدة سنين. فراجع.

المعتبر في قبول الرواية حال الأداء ... ص: ٩

ثم إنّه قد تقرّر لدى علماء الفريقين، أنّ المعتبر في قبول الرواية حال الراوي في وقت الأداء، فإذا كان حاله سليماً في وقت الأداء تقبل روايته ولو كان قبل ذلك مقدوحاً أو خرج بعد ذلك عن الإستقامة ... ولأجل التيقن من هذا الذي ذكرته أنقل كلاماً لأحد أكابر أصحابنا، وكلاماً لأحد أكابر الأئمة عند أهل السنّة.

أما من أصحابنا، فالشيخ بهاء الدين العاملي المتوفى سنة ١٠٣١ وهو

(١) روضه المتقين للشيخ محمّد تقي المجلسي ١٤: ٣١٤.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ١٠

العالم التحرير الذي جاء مدحه في (ريحانة الألباء) لشهاب الدين الخفاجي - وهو شيخ مشايخ ولي الله والد صاحب التحفة - قائلاً: «لا يدرك بحر وصفه الإغراق، ولا- تلحقه حركات الأفكار ولو كان في مضمّار الدهر لها السباق، زين عبائره العلوم النقلية والعقلية، وملك بنقد ذهنه الجواهر السنية» (١ ...).

لقد قال شيخنا البهائي في كتاب (مشرق الشمسيين) ما نصّه: «المعتبر حال الراوي وقت الأداء لا وقت التحمّل، فلو تحمّل الحديث طفلاً أو غير إمامي أو فاسقاً، ثمّ أذاه في وقت يظنّ أنّه كان مستجمعاً فيه لشرائط القبول قبل ...

(قال): المستفاد من تصفّح كتب علمائنا المؤلّفة في السير والجرح والتعديل: إنّ أصحابنا الإمامية - رحمهم الله - كان اجتنابهم عن مخالطة من كان من الشيعة على الحقّ أولّماً، ثمّ أنكر إمامه بعض الأئمة عليهم السّلام في أقصى المراتب، وكانوا يحترزون عن مجالستهم والتكلّم معهم، فضلاً عن أخذ الحديث عنهم، بل كان تظاهرهم بالعداوة لهم أشدّ من تظاهرهم بها للعامّة ...

(قال): فإذا قبل علماءنا - سيّما المتأخرون منهم - رواية رواها رجل من ثقات أصحابنا عن أحد هؤلاء، وعوّلوا عليها ومالوا إليها وقالوا بصحّتها، مع علمهم بحاله، فقبولهم لها وقولهم بصحّتها لا بدّ من ابتنائها على وجه صحيح لا يتطرّق به القدح إليهم، ولا إلى ذلك الرجل الثقة الراوي عمّن هذا حاله، كأنّ يكون سماعه منه قبل عدوله عن الحقّ وقوله بالوقف، أو بعد توبته ورجوعه إلى الحقّ، أو أنّ

النقل إنما وقع من أصله الذي ألفه واشتهر عنه قبل الوقف، أو من كتابه الذي ألفه بعد الوقف، ولكنه أخذ ذلك الكتاب عن شيوخ أصحابنا

(١) وتوجد ترجمته في: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر ٣: ٤٤٠-٤٤٥.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١١

الذين عليهم الإعتماد ... ثم ذكر أمثلة لذلك واستشهد بكلمات أعلام الطائفة «١».

وأما من أئمة السنيّة، فقال النووى فى (شرح صحيح مسلم) «فصل- فى حكم المختلط: إذا خلط الثقة- لاختلال ضبطه بخرف أو هرم أو لذهاب بصره أو نحو ذلك- قبل حديث من أخذ عنه قبل الإختلاط، ولا يقبل حديث من أخذ بعد الإختلاط، أو شككنا فى وقت أخذه» ثم ذكر بعض المختلطين ... ثم قال: «واعلم: أن ما كان من هذا القبيل محتجاً به فى الصحيحين، فهو ممّا علم أنه اخذ قبل الإختلاط» «... ٢».

وعلى الجملة، فقد عرفت أن رواية أصحابنا عن أبى الجارود كانت قبل ضلالته، وأنّ المعتمد فى قبول الرواية هو حال وقت الأداء ... فسقط الطعن فى تفسير القمى، لكون أبى الجارود فى أسانيده.

٢- أبو الجارود من رجال الترمذى ... ص: ١١

ثم إنّ الطعن فى (أبى الجارود) يوجب الطعن فى (صحيح الترمذى) الذى هو أحد الصحاح الستة عند القوم، والذى قال مؤلفه عنه «من كان فى بيته هذا الكتاب فكأنما فى بيته نبى يتكلم» «٣» كما لا يخفى على من راجع كتب الرجال «٤»، وإليك طرفاً من كلماتهم فى ذمّه:

«قال ابن معين: كذاب. وقال النسائى: متروك، وقال ابن حبان: رافضى»

(١) مشرق الشمسيين: ٧-٨ ط مع الجبل المتين له- حجرى.

(٢) المنهاج- شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١: ٣٤ وانظر: تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ٢: ٣٢٣-٣٣١.

(٣) تهذيب التهذيب ٩: ٣٨٩.

(٤) الكاشف عن أسماء رجال الكتب الستة ١: ٢٨٧ رقم ١٧٢٤، تقريب التهذيب ١: ٢٧٠.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٢

يضع الحديث فى المثالب والفضائل، وقال الحسين بن موسى النوبختى فى كتاب مقالات الشيعة: قال الجاروديّه- وهم أصحاب أبى الجارود زياد بن المنذر- إنّ عليّاً أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلّم وتبرّوا من أبى بكر وعمر، وزعموا أنّ الإمامة مقصورة فى ولد فاطمة، وبعضهم يرى الرجعة ويحلّ المتعة «١».

وقال الشهرستانى فى (الملل والنحل): «وأما أبو الجارود، فكان يسمّى سرحوباً، سمّاه بذلك أبو جعفر محمّد بن على الباقر رضى الله عنه، وسرحوب شيطان أعمى يسكن البحر» «٢».

٣- صحح البيهقى روايته ... ص: ١٢

وقد صحح الحافظ البيهقي حديث أبي الجارود كما جاء في (السيرة الحلبية): «قال ابن كثير في بعض الأحاديث الواردة أنه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم سمع الأذان في السماء ليلة المعراج: هذا الحديث ليس كما زعم البيهقي إنه صحح بل هو منكر، تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذي تنسب إليه الفرقة الجارودية، وهو من المتهمين» (٣).

٤- رواياته في تفسير شاهي ... ص: ١٢

وقد وردت روايات أبي الجارود في (تفسير شاهي)، كالرواية بتفسير

- (١) تهذيب الكمال ٩: ٥١٧-٥٢٠.
 - (٢) الملل والنحل ١: ١٠٩.
 - (٣) السيرة الحلبية ٢: ٣٠٢ باب بدء الأذان ومشروعيتها.
- استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ١٣
- قوله تعالى «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» (١)
- نقلًا عن بعض التفاسير: «في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر رضى الله عنه، في قوله تعالى: «قل هذه سبيلي» ... يعنى نفسه، ومن تبعه على بن أبى طالب كرم الله وجهه».
- وهذا التفسير من التفاسير المشهورة المعروفة عند أهل السنة، وقد ذكره صاحب (التحفة) وغيره في عداد تفاسير أهل السنة المعتمدة.

٥- رواياته في تفسير ابن شاهين ... ص: ١٣

وللحافظ أبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين تفسير كبير، أكثر فيه من الرواية عن أبى الجارود في تفسير الآيات، بل أورد فيه كل تفسيره ...

وابن شاهين، حافظ، واعظ، مفسر، ثقة، صدوق، مكثر من الحديث ...

كما بتراجمه «... ٢»

قال ابن حجر العسقلاني: «عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن ازداد بن سراح، الواعظ، أبو حفص ابن شاهين. وشاهين أحد أجداد جدّه لأمّه. ولد سنة ٢٩٧ ... روى عنه: ابنه عبدالله وابن أبى الفوارس وهلال الحفّار والبرقاني والأزهري والخلال والتنوخي والعتيقي والجوهري وآخرون.

قال الخطيب: أنا أبو الحسن الهاشمي القاضي قال قال لنا ابن شاهين:

صنفت ثلاثمائة وثلاثين مصنفًا، منها: التفسير الكبير ألف جزء، والمسند ...

(١)

سورة يوسف: ١٠٨.

(٢) مرآة الجنان ٢: ٣٢٠ سنة ٣٨٥، الأنساب- الشاهيني ٣: ٤١٢.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ١٤

قال: وسمعت محمد بن عمر الداودي يقول: كان ابن شاهين شيخاً ثقةً يشبه الشيوخ، إلا أنه كان لحناً، وكان لا يعرف من الفقه قليلاً ولا كثيراً... قال الداودي: وقال لي الدارقطني يوماً: ما أعمى قلب ابن شاهين! حمل إلي كتابه الذي صنّفه في التفسير، وسألني أن أصلح ما أجد فيه من الخطأ، فرأيت أنه وقد نقل تفسير أبي الجارود وفرّقه في الكتاب وجعله عن أبي الجارود عن زياد بن المنذر، وإنما هو عن أبي الجارود زياد بن المنذر.

وقال حمزة السهمي: سمعت الدارقطني يقول: ابن شاهين يخطئ ويلج على الخطأ وهو ثقة» (١).

من غرائب أوهام صاحب منتهى الكلام ... ص: ١٤

ومن غرائب أوهام صاحب كتاب منتهى الكلام أنه لما كان - في كتاب آخر له - بصدد الطعن في علي بن إبراهيم وتفسيره، بسبب الرواية عن أبي الجارود فيه، استند إلى كلام العلامة الحلّي في (خلاصة الأقوال) وقوله فيه «أضّر في وسط عمره»، فتوهم أن هذه الكلمة جرح من العلامة لأبي الجارود، ولم يفهم أن معنى الكلمة: كونه ضريراً - أي أعمى - في وسط عمره ... وهذا ليس بجرح وقدح، كما هو واضح.

وقد ذكر هذا الوصف بترجمه كثير من العلماء:

كحماد بن زيد، أحد الأعلام، المتوفى سنة ١٧٩.

وأحمد بن يوسف الكواشي المفسر الفقيه الشافعي، المتوفى سنة ٦٨٠.

وابن كثير الدمشقي صاحب التاريخ والتفسير، المتوفى سنة ٧٧٤.

(١) لسان الميزان ٤: ٣٢٧.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ١٥.

وصف بعض الأعظم ب «الشیطان ...» ص: ١٥

وأما التشنيع على تفسير القمّي: بإخراج روايات مؤمن الطاق فيه، فتلك شكاه ظاهر عنك عارها ... فإن الإمامية يفتخرون بالرواية عن هذه الشخصية العظيمة ... كيف؟ وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن الإمام الصادق عليه السلام كان يقدمه ويثنى عليه «١».

وليس وصفه ب «الشیطان» بضائره أبداً ... فلقد وصف غير واحد من الأعلام بهذا الوصف ...

فقد ذكروا بترجمه محمد بن سعد بن أبي وقاص: «كان يلقب ظلّ الشيطان، لقصره» (٢).

وبترجمه عمرو بن سعيد العاص: «سمي لطيم الشيطان» (٣).

بل ذكر الراغب الإصفهاني في (محاضرات الادباء): أنه قد مرّ عمر بصبيان - وفيهم عبدالله بن الزبير - فعدا الصبيان ووقف عبدالله بن الزبير، فقال عمر: ولم لم تذهب مع الصبيان؟ فقال: يا أمير المؤمنين لم أجن عليك فأخافك، ولم يكن للطريق ضيق فأوسع عليك.

فقال: أي شيطان يكون هذا؟

(١) لسان الميزان ٦: ٣٧٩ / ضمن (٧٨٧٢).

(٢) تقريب التهذيب ٢: ١٦٣.

(٣) فوات الوفيات ٣: ١٦١.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ١٦.

قول بعض عرفائهم: أشهد أن لا إله لكم إلا إبليس ... ص: ١٦

وأى قبج في أن يلقب أحد باسم الشيطان، وهم يتقلون عن بعض كبار عرفائهم ما تقشعر منه الجلود؟ لقد ذكر الشيخ العارف الكبير عبد الوهاب الشعراني بترجمة أحد كبار عرفائهم الأخيار، أنه جاء يوم الجمعة فسأله الخطبة فقال: بسم الله، فطلع المنبر، وحمد الله وأثنى عليه ومجده، ثم قال: «وأشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه السلام». فقال الناس: كفر. فسل سيف ونزل، فهرب الناس كلهم. فجلس عند المنبر إلى أذان العصر، وما يجرء أحد يدخل الجامع «... ١».

نقود أخرى لكلام الفيض آبادي ... ص: ١٦

وبقيت نقاط أخرى نتبه عليها: أولاً: إن إسناد الروايات إلى أئمة الهدى عليهم السلام في (تفسير القمى) لا يدل بالضرورة على ثبوت صدور تلك الأخبار عنهم، وإلا لزم أن يلتزم أهل السنة بقطعيه صدور كل ما اسند إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في كتبهم... فلا صاحب (البحار) ولا صاحب كتاب (الفوائد المدنيّة) ولا غيرهما من علماء الإمامية يرى صحته جميع ما جاء في هذا التفسير.

(١) لوائح الأنوار في طبقات الأخيار- ترجمة الشيخ محمد الحضرمي.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٧

وثانياً: دعوى أن (علّي بن إبراهيم القمى) من أصحاب الإمام عليه السلام لا دليل عليها في كتب أصحابنا الإمامية أصلاً. وثالثاً: دعوى أن جلّ روايات هذا التفسير عن أبي الجارود، مخالفة للواقع، إذ أكثر رواياته هي عن غيره من الرواة، كما لا يخفى على من لاحظته بالتفصيل.

ورابعاً: إنه لا ملازمة بين فساد العقيدة والكذب في الحديث، وكم من محدث تكلموا في عقيدته، ثم نصّوا على كونه ثقة في الرواية ...

وخامساً: انتساب كتاب (تذكرة الأئمة) غير ثابت.

وسادساً: دعوى أن الشيخ المجلسي قد استدللّ أو استشهد بروايات تفسير أبي الجارود، عهدتها على مدعيها.

وبعد

فكأن هذا الرجل الذي يحاول الطعن في (تفسير القمى) وسنده، في غفلة عن حال كتب أصحابه في التفسير ورواة أخبارها، فإليكم بعض الكلام في ذلك، تحت عنوان (التفسير والمفسرون) عند أهل السنة:

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٩

مقدمة: كلمات في دم كتبهم التفسيرية ... ص: ١٩

روى عن أحمد بن حنبل كلمة موجزة في التفسير والمفسرين عند القوم تدلّ على معنى عظيم، فقد جاء في (تذكرة الموضوعات): «قال أحمد بن حنبل: ثلاث كتب ليس لها أصول: المغازي والملاحم والتفسير» «١». وقد ثقل هذا الكلام على القوم، وجعلوا يذكرون له المحامل والتأويلات ...

«قال الخطيب: هذا محمول على كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها، لعدم عدالة ناقلها وزيادة القصاص فيها» (٢).

لكن لا يخفى عدم صحته هذا الحمل ... على أن في كتب الحديث أيضاً كتباً غير معتمد عليها لعدم عدالة ناقلها، فكان عليه أن يذكر كتب الحديث كذلك ...

وقال السيوطي في (الإتقان) ناقلاً عن ابن تيمية في أقسام التفسير: «وأما القسم الذي يمكن معرفته الصحيح منه، فهذا موجود كثيراً ولله

(١) تذكرة الموضوعات: ٨٢.

(٢) تذكرة الموضوعات: ٨٢.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢٠

الحمد، وإن قال الإمام أحمد: ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمغازي، وذلك لأن الغالب عليها المراسيل» (١).

لكن إذا كان الغالب عليها المراسيل، فما معنى حمد الله على وجودها؟! وكون الغالب عليها المراسيل وجه آخر من وجوه الطعن في تفاسيرهم ...

لكن بعض الأئمة يصرحون بأن كتب التفسير عندهم مشحونة بالموضوعات، فقد قال المناوي في (فيض القدير): «اجتهدت في تهذيب عزو الأحاديث إلى مخرجها من أئمة الحديث من الجوامع والسنن والمسانيد، فلا أعزو إلى شيء منها إلا بعد التفتيش عن حاله وحال مخرجه، ولا أكتفي بعزوه إلى من ليس من أهله وإن جلّ، كعظماء المفسرين، قال ابن الكمال: كتب التفسير مشحونة بالأحاديث الموضوعة» (٢).

بل لقد نصّ المحدّث شاه ولي الله الدهلوي، في تفسيره (الفوز الكبير)، بأن الأخبار المطوّلة المرويّة في كتب التفسير في قصص الأنبياء السابقين، كلّها منقولة عن علماء أهل الكتاب، وفي البخاري مرفوعاً: لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم».

وقال شيخهم الأعظم ابن عربي، في الباب الثاني والسبعين بعد الثلاثمائة، من (الفتوحات المكية):

«وفيه علم تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم المفسرون من الطامات مما لم يجيء في كتاب الله، وهم يزعمون أنهم قد فسروا كلام الله فيما أخبر به

(١) الإتقان في علوم القرآن ٤: ٢٠٥.

(٢) فيض القدير في شرح الجامع الصغير ١: ٢٠.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢١

عنهم، نسأل الله العصمة في القول والعمل، فلقد جاؤوا في ذلك بأكبر الكبائر، كمسألة إبراهيم الخليل عليه السلام وما نسبوا إليه من الشك، وما نظروا في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن أولى بالشك من إبراهيم، فإن إبراهيم ما شك في إحياء الموتى، ولكن لما علم أن إحياء الموتى وجوهاً مختلفة، لم يدر بأي وجه منها يكون إحياء الموتى، وهو مجبول على طلب العلم، فعين الله له وجهاً من تلك الوجوه حتى سكن الله قلبه فعلم كيف يحيى الله الموتى.

وكذلك قصة يوسف ولوط وموسى وداود ومحمد، على جميعهم أفضل الصلاة والسلام.

وكذلك ما نسبوه في قصة سليمان عليه السلام إلى الملكين.

وكل ذلك نقلوه عن اليهود، واستحلوا عرض الأنبياء والملائكة بما ذكرته اليهود الذين جرحهم الله تعالى، وملأوا كتبهم في تفسير

القرآن العزيز بذلك، وما في ذلك نصٌّ في كتاب الله ولا في سنّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله يعصمنا من غلطات الأفكار والأقوال والأفعال».

وأورد الشيخ عبد الوهاب الشعراني كلام الشيخ ابن عربي المتقدم، حيث قال ما نصّه:

«قال الشيخ في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة من الفتوحات المكيّة:

يجب قطعاً تنزيه الأنبياء ممّا نسب إليهم بعض المفسّرين من الطامات، ممّا لم يجيء في كتاب الله ولا سنّة صحيحة، وهم يزعمون أنّهم قد فسّروا قصصهم التي قصّها الله تعالى علينا.

وكذبوا والله في ذلك، وجاؤوا فيه بأكبر الكبائر.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٢

وذلك كمسألة إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وما نسبوه إليه من وقوع الشكّ بحسب ما يتبادر إلى الأذهان، وما نظروا في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نحن أولى بالشكّ من إبراهيم، وذلك أنّ إبراهيم عليه السلام لم يشكّ في إحياء الله تعالى الموتى معاذ الله أن يشكّ نبيّ في مثل ذلك، وإنّما كان يعلم أنّ لإحياء الموتى طرقاً ووجوهاً متعدّدة، لم يدر بأيّ وجه منها يكون إحياء الله تعالى للموتى، وهو مجبول على طلب الزيادة من العلم، فعين الله تعالى وجهاً من تلك الوجوه فسكّن ما كان عنده، وعلم حينئذٍ كيف يحيى الموتى، فما كان السؤال إلّا عن معرفة كيف لا غير.

وكذلك القول في قصّة سليمان وما نسبوه إلى الملكين هاروت وماروت.

كلّ ذلك لم يرد في كتاب ولا سنّة، وإنّما ذلك نقل عن اليهود، فاستحلّوا أعراض الأنبياء والملائكة بما ذكروه لهم من جرحهم أنبياء الله تعالى، وملأوا تفاسيرهم للقرآن من ذلك، فالله يحفظنا وإخواننا من غلطات الأفكار والأفعال والأقوال، آمين، إنتهى.

وأيضاً، قال في الباب الرابع والخمسين ومائة: ينبغى للواعظ أن يراقب الله تعالى، في أنبيائه وملائكته ويستحى من الله عزّ وجلّ، ويتجنّب الطامات في وعظه، كالقول في ذات الله بالفكر، والكلام على مقامات الأنبياء عليهم الصلوة والسلام، من غير أن يكون وارثاً لهم، فلا يتكلّم قطّ على زلّاتهم بحسب ما يتبادر إلى أذهان الناس بالقياس إلى غيرهم؛ فإنّ الله تعالى قد أثنى على الأنبياء حسن الثناء بعد أن اصطفاهم من جميع خلقه، فكيف يستحلّ أعراضهم بما ذكره المؤرّخون عن اليهود.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٣

قال: ثمّ إنّ الداهية العظمى جعلهم ذلك تفسيراً لكلام الله تعالى.

وفى تفسيرهم: قال المفسّرون في قصّة داود أنّه نظر إلى امرأة اوريا، فأعجبه فأرسله في غزاة ليموت فيأخذها.

وكقولهم في يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أنّه همّ بالمعصية، وأنّ الأنبياء لم يُعصموا عن مثل ذلك.

وكقولهم في قصّة لوط «لو أنّ لى بكم قوّة أو آوى إلى ركنٍ شديدٍ العجز والبحر ونحو ذلك.

ويعتمدون على تأويلات فاسدة وأحاديث واهية نقلت عن قوم قالوا في الله ما قالوا من البهتان والزّور.

فمن أورد مثل ذلك في مجلسه من الوعظ، مقتله الله والأنبياء والملائكة، لكونه جعل دهلزاً ومهاداً لمن في قلبه زيغ يدخل منه إلى ارتكاب المعاصي، ويحتجّ بما سمعه منه في حقّ الأنبياء ويقول: إذا كان الأنبياء وقعوا في مثل ذلك فمن أكون أنا، وحاشى الأنبياء كلّهم عن ذلك الذي فهمه هذا الواعظ، فوالله، لقد أفسد الواعظ الاميّة، وعليه وزر كلّ من كان سبباً لاستهاتته بما وقع فيه من المعاصي، ولكنّه قد ورد أنّه لا تقوم الساعة حتّى يصعد الشيطان على كرسي الوعظ ويعظ الناس وهؤلاء من جنوده الذين يتقدّمونه».

«١».

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٧

طبقة الصحابة ... ص: ٢٧

إشارة

وطبقات المفسرين عند علمائهم المعتمدين ست.

فالتبقة الاولى: الخلفاء والصحابة.

قال الحافظ جلال الدين السيوطي:

«النوع الثمانون- في طبقات المفسرين:

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود وابن عباس وابي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبدالله بن الزبير» (١).

الخلفاء والتفسير ... ص: ٢٧

إشارة

والظاهر أن إدخال الخلفاء الثلاثة في زمرة المفسرين من الصحابة، ليس إلا من باب التأدب تجاههم والتبرك بأسمائهم! لتصريحهم بندرة رواية التفسير عن الثلاثة، والنادر كالمعدوم، ففي (الإتقان) مثلاً: «فأما الخلفاء، فأكثر من روى عنه منهم: علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزره جداً» ثم قال:

«ولا أحفظ عن أبي بكر في التفسير إلا آثاراً قليلة جداً، لا تكاد تتجاوز العشرة» (٢).

هذا، وسيأتي عن بعضهم التصريح بقله الرواية في التفسير عن

(١) الإتقان في علوم القرآن ٤: ٢٣٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٤: ٢٣٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٨

أمير المؤمنين أيضاً، حتى كادت تكون معدومة عندهم، وإذا كان هذا حال الروايات عن «أكثر من روى عنه منهم» فما ظنك بروايات البقية؟

والسبب في قلّة رواية التفسير عن الثلاثة: جهلهم بذلك وعدم تعلّم شيء منه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... جاء ذلك في (صحيح البخاري) عن أبي هريرة، فإنه قال في مقام تبرئه نفسه عن الكذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشعب بطنه، ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون» (١).

وقد أسمع ذلك ابى بن كعب عمر، حينما اعترض عليه في بعض الآيات، فاعترف عمر بن الخطاب بجهله واعتذر إليه:

في (كنز العمال): «عن ابن جريج عن عمرو بن دينار قال: سمعت بجالة التميمي قال: وجد عمر بن الخطاب مصحفاً في حجر غلام،

فيه: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبوهم. فقال: احككها يا غلام. فقال: والله لا أحككها وهي في مصحف ابى بن كعب،

فانطلقوا إلى ابى، فقال له ابى: شغلنى القرآن وشغلك الصفق بالأسواق، إذ تعرض رداءك على عنقك بباب ابن العجماء» (٢).

وفى (كنز العمال) أيضاً: «عن الحسن: إنَّ عمر بن الخطاب ردَّ على ابى

(١) صحيح البخارى ١: ٤٠ كتاب العلم، باب حفظ العلم.

(٢) كنز العمال ١٣: ٢٥٩ / ٣٦٧٤٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٩

ابن كعب قراءة آية، فقال له ابى: لقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت يلهيك - يا عمر - الصفق بالبيع. فقال عمر: صدقت «١».

بل لقد اعترف بذلك عمر نفسه فى بعض الموارد، كالحديث فى (البخارى)، فى قضية خبر أبى موسى فى حكم الاستيذان وشهادة أبى سعيد الخدرى له، قال عمر: «خفى علىَّ هذا من أمر النبى صلى الله عليه وسلم، ألهانى الصفق بالأسواق» «٢».

وفى (حياة الحيوان): «كان أبو بكر الصديق بزّازاً، وكذلك عثمان وطلحة وعبدالرحمن بن عوف. وكان عمر دلالاً يسعى بين البائع والمشتري» «٣».

وأما على عليه السلام، فإنه وإن نصَّ السيوطى على أنه أكثر من روى عند التفسير من الخلفاء، لكنَّ بعض المتعصّبين منهم ينفى ذلك، ويحمّله على الأكثرية الإضافية، ألا ترى المتكلمين منهم - حينما يريدون الرد على استدلال أهل الحق على أعلمية الإمام بالقرآن والتفسير، بانتشار هذا العلم عنه بين المسلمين - يبادرون إلى القول بأن ما روى عن على ليس إلا أخباراً آحاداً، حتى أن ابن تيمية يقول بأن رواية ابن عباس فى التفسير عن على «قليلة جداً، ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئاً من حديثه عن على» «٤» ويقول: «وما يعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت عن على» «٥».

بل لقد قال غير واحدٍ منهم بأنَّ كل ما روى عنه عليه السلام فهو

(١) كنز العمال ١٣: ٢٦١ / ٣٦٧٤٦.

(٢) صحيح البخارى ٣: ٧٢ كتاب البيوع، باب الخروج فى التجارة.

(٣) حياة الحيوان ١: ٢٧٥ «الجزور».

(٤) منهاج السنة ٤: ٢٤٢.

(٥) منهاج السنة ٤: ٢٤٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٠

مكذوب عليه:

قال الذهبى فى (ميزان الاعتدال): «حصين، عن الشعبى: ما كذب على أحدٍ من هذه الامة ما كذب على على رضى الله عنه. وقال أيوب: كان ابن سيرين يرى أنَّ عامة ما يروى عن على باطل» «١».

وفى (البخارى): «وكان ابن سيرين يرى أنَّ عامة ما يروى عن على الكذب» «٢».

وعلى هذا ... فلنعطف عنان البحث والكلام نحو سائر الصحابة الأعلام، الذين ذكرهم السيوطى فى الطبقة الاولى:

(١) ميزان الاعتدال ١: ٤٣٦ / ١٦٢٧.

(٢) صحيح البخارى ٥: ٢٤ باب مناقب المهاجرين - باب مناقب على بن أبى طالب القرشى الهاشمى أبى الحسن رضى الله عنه.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣١

عبدالله بن مسعود ... ص: ٣١

إشارة

فأما ابن مسعود، فهذا ما رووه أو ذكروه في كتبهم، مما هو من القوادح على اصولهم، فيه وفي مصحفه، وما أخرجوا عنه في التفسير:

بين عثمان وابن مسعود ... ص: ٣١

إن من ضروريات التاريخ أن عثمان بن عفان قد أحرق مصحف ابن مسعود، فقال علماءهم دفاعاً عنه وتبريراً لما فعل: «إنه لو بقي مصحفه في أيدي الناس لأدى ذلك إلى فتنه كبيرة في الدين» ثم عللوا ذلك بقولهم: «لكثرة ما فيه من الشذوذ المنكرة عند أهل العلم بالقرآن» (١).

وقال الراغب الإصفهاني في (المحاضرات):

«أثبت ابن مسعود في مصحفه: ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب» (٢).

وقال:

(١) تاريخ الخميس ٢: ٢٧٣. وغيرهما.

(٢) محاضرات الادباء ٤: ٤٣٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٢

«أثبت ابن مسعود بسم الله في سورة البراءة» (١).

ومن المعلوم الواضح لدى كل أحد: أن من أدرج في القرآن أدعية القنوت وغيرها مما ليس من القرآن، وكان قرآنه يشتمل على الشذوذ المنكرة عند أهل العلم بالقرآن، بحيث لو بقي في أيدي الناس لأدى إلى فتنه كبيرة في الدين، ولانجر إلى قبائح كثيرة، وصار المسلمون مختلفين في كتابهم كاختلاف اليهود والنصارى في كتابهم، ولم يرفع اليد عن كل ذلك إلا بالسب والشتم ... كان من المقدوحين والمجروحين ...

بل الاستفادة من تتبع كلمات القوم في المقام أن ليس لابن مسعود على اصولهم من الإيمان والإسلام نصيب، فضلاً عن الجلالة والسيادة والفضل والسعادة، لأنه كان من المخالفين لعثمان والمنكرين عليه، حتى أنه كان يدعو عليه على رؤوس الأشهاد: قال الحلبي في (السيرة):

«وكان الوليد شاعراً ظريفاً حليماً شجاعاً كريماً، يشرب الخمر كل ليلة من أول الليل إلى الفجر، فلما أذن المؤذن لصلاة الفجر، خرج إلى المسجد وصلى بأهل الكوفة الصبح أربع ركعات، وصار يقول في ركوعه وسجوده:

إشرب واسقني، ثم قاء في المحراب ثم سلم وقال: هل أزيدكم؟

فقال له ابن مسعود: لا زادك الله خيراً ولا من بعثك إلينا» (٢).

هذا، وقد نصّ صاحب (التحفة) على أن من يطعن في الصهرين - يعني: علياً وعثماناً - فهو ليس من أهل الإيمان.

(١) محاضرات الادباء ٤: ٤٣٤.

(٢) إنسان العيون/ السيرة الحلبيّة ٢: ٢٨٤، وفيه: شرب الخمر ليلة...

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٣

وقال ابن حجر في (الصواعق) في مطاعن عثمان:

«ومنها: أنه حبس عطاء ابن مسعود وابي بن كعب، ونفى أباذر إلى الربدّة، وأشخص عبادة بن الصّامت من الشام إلى المدينة لما اشتكاه معاوية، وهجر ابن مسعود، وقال لابن عوف: إنك منافق، وضرب عمار بن ياسر، وانتهك حرمة كعب بن عجرة، فضربه عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال، وكذلك حرمة الأشر النخعي.

وجواب ذلك: أما حبسه لعطاء ابن مسعود وهجره له، فلما بلغه ممّا يوجب ذلك، إلقاء ج إبقاء ج لُبّهة الولاية» (١).

فكان قد وقع من ابن مسعود ما استحقّ به حبس العطاء والهجر، بل يظهر من ذلك أنه ما كان يعتقد بولاية عثمان وخلافته، فلو كان يعتقد لما ألقى ابتهتها!

وقال الفخر الرازي في (نهاية العقول):

«قوله: سادساً: ضرب ابن مسعود وعمّاراً وسيّر أباذر إلى الربدّة.

قلنا: كما فعل ذلك، فقد قيل عن هؤلاء أنهم أقدموا على أفعال استوجبوا ذلك» (٢).

ومن الضروري: إنّ الأفعال المستوجبة لضرب أعيان الصحابة وهتك عدولهم، ليست إلّا الكبائر الموبقة والمعاصي المهلكة...

(١) الصواعق المحرقة ١: ٣٣٤.

(٢) نهاية العقول - مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٤

مشكلة الفاتحة والمعوذتين وطرق حلّها ... ص: ٣٤

إشارة

ثم إن ابن مسعود كان لا يرى الفاتحة والمعوذتين قرآناً، وهذا ممّا يحزّ في قلوب القوم، ويجعلهم يضطربون في حلّه:

قال الراغب في فصل بيان ما ادّعى أنه من القرآن ممّا ليس في المصحف وما ادّعى أنه ليس منه وهو فيه: «وأسقط ابن مسعود من مصحفه ام القرآن والمعوذتين» (١).

وفي (المسند): «عن عبدالرحمن بن يزيد قال: كان عبدالله يحكّ المعوذتين من مصاحفه ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله تبارك وتعالى» (٢).

وفي (الدرّ المنتور): «أخرج عبد بن حميد ومحمّد بن نصر المروزي في كتاب الصّلاة وابن الأنباري في المصاحف عن محمّد بن سيرين: إنّ ابى ابن كعب كان يكتب فاتحة الكتاب والمعوذتين، واللّهمّ إياك نعبد واللّهمّ إنا نستعينك. ولم يكتب ابن مسعود شيئاً منهنّ. وكتب عثمان بن عفّان فاتحة الكتاب والمعوذتين» (٣).

وفي (الدرّ المنتور) أيضاً: «أخرج عبد بن حميد عن إبراهيم قال: كان عبدالله لا يكتب فاتحة الكتاب في المصحف وقال: لو كتبها لكتبت في أوّل كلّ شيء» (٤).

وفي (تاريخ الخميس) بعد العبارة المنقولة آنفاً: «ولحذفه المعوذتين من

(١) محاضرات الادباء ٤: ٤٣٤.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٦: ١٥٤ / ٢٠٦٨٣.

(٣) الدر المنثور ١: ١٠. وفيه: إياك نستعين، بدل: اللهم إنا نستعينك.

(٤) الدر المنثور ١: ١٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٥

مصحفه، مع الشهرة عند الصحابة أنهما من القرآن «١».

هذا، وقد قالوا بأن إنكار الفاتحة والمعوذتين كفر، فقد جاء في (الإتقان):

«قال النووي في شرح المهذب: أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد منها شيئاً كفر» (٢).
وإذا كان «من أنكر شيئاً منها كفر» فقد أنكر ابن مسعود كلها!!

ومن هنا وقعوا في المشكلة:

قال السيوطي في (الإتقان): «ومن المشكل على هذا الأصل: ما ذكره الإمام فخرالدين الرازي قال: نقل في بعض الكتب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن، وهو في غاية الصعوبة، لأننا إن قلنا: إن النقل المتواتر كان حاصلًا في عصر الصحابة بكون ذلك من القرآن، فإنكاره يوجب الكفر، وإن قلنا: لم يكن حاصلًا في ذلك الزمان، فيلزم أن ج يكون ج القرآن ليس بمتواتر في الأصل» (٣).

وتحيروا كيف يخرجون من هذه العويصة:

١- تكذيب الأخبار ... ص: ٣٥

قال في (الإتقان) نقلًا عن الرازي بعد ما تقدم: «والأغلب على الظن أن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل، وبه يحصل الخلاص عن هذه

(١) تاريخ الخميس ٢: ٢٧٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١: ٢٧١.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١: ٢٧٠ - ٢٧١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٦

العقدة» (١).

وهكذا أجاب القاضي أبو بكر والنووي وابن حزم ... وزعموا أن به يحصل الخلاص عن هذه العقدة، ولكن لات حين مناص، فقد تعقب المحققون ذلك وتتبعوا الأخبار به، ووجدوها صحيحة، ولا مجال لتكذيب الأخبار الصحيحة أبدًا..

ففي (الإتقان): «قال ابن حجر في شرح البخاري: قد صح عن ابن مسعود إنكار ذلك، فأخرج أحمد وابن حبان عنه أنه كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه. وأخرج عبدالله بن أحمد في زيادات المسند، والطبراني وابن مردويه من طريق الأعمش، عن أبي إسحاق، عن عبدالرحمن بن يزيد النخعي قال: كان ابن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله.

وأخرج البزار والطبراني من وجه آخر عنه أنه كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول: إنما أمر النبي أن يتعوذ بهما، وكان ج عبدالله ج لا يقرأ بهما.

أسانيدھا صحيحة.

قال البزار: لم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة. وقد صحَّ أنه صَلَّى الله عليه وسلَّم قرأ بهما في الصلاة.
قال ابن حجر: فقول من قال إنَّه كذب عليه، مردود، والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل، بل الروايات صحيحة «٢».
فهذا الطريق - طريق الطعن في هذه الروايات - لا يفيد.

(١) الإتيان في علوم القرآن ١: ٢٧١.

(٢) الإتيان في علوم القرآن ١: ٢٧١ - ٢٧٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٧

٢- الإبهام ... ص: ٣٧

ومنهم من سلك طريق الإبهام، فوضع بدل كلمة حكَّ ابن مسعود وإنكاره الفاتحة والمعوذتين، كلمة «كذا وكذا» وتخيَّل أنه بذلك يمكن إخفاء الحقيقة والخروج عن العقدة ... وقد جاء ذلك في (صحيح البخاري) حيث قال:
«حدَّثنا علي بن عبد الله، حدَّثنا سفيان، حدَّثنا عبدة بن أبي لبابة، عن زر ابن حبيش. وحدَّثنا عاصم عن زر قال: سألت ابي بن كعب: يا أبا المنذر إنَّ أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا. فقال ابي: سألت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فقال لي: قل، فقلت: ج قال ج فنحن نقول كما قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم «١».
على أن في هذا النقل مزيداً من الطعن والجرح على ابن مسعود...
وقال ابن حجر في (فتح الباري):

«هكذا وقع هذا اللفظ مبهماً، وكان بعض الرواة أبهمه استعظماً، وأظنَّ ذلك من سفيان، فإنَّ الإسماعيلي أخرجه من طريق عبد الجبار بن العلاء عن سفيان كذلك على الإبهام، وكنت أظنُّ أوَّلًا أن الذي أبهمه البخاري «... ٢».

٣- التأويل والحمل ... ص: ٣٧

ومنهم من سلك طريق التأويل للأخبار المنقولة عن ابن مسعود:

(١) صحيح البخاري ٦: ٢٢٣ كتاب التفسير - سورة قل أعوذ بربِّ الناس.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٨: ٦٠٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٨

قال ابن حجر في (فتح الباري):

«وقد تأوَّل القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب الانتصار، وتبعه عياض وغيره ما حكى عن ابن مسعود فقال: لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن، وإنَّما أنكر إثباتهما في المصحف، فإنَّه كان يرى أن لا يكتب في المصحف شيئاً، إلَّا إنَّ كان النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم أذن في كتابته فيه، وكأنَّه لم يبلغه الإذن في ذلك. قال: فهذا تأويل منه وليس جحداً لكونهما قرآناً. وهو تأويل حسن».
لكنَّه تأويل عجيب وتوجيه غريب، فأى مانع من درج ما هو قرآن في القرآن حتَّى لا يجوز ابن مسعود ذلك، ويهتم بمحوه من المصحف؟ إنَّ مثل هذا التأويل غير مجدٍ للدفاع عن حرمة ابن مسعود والمحافظة على مقامه...
إنَّ هذا التأويل لا يمكن قبوله أصلاً، ولذا قال ابن حجر بعد العبارة المتقدِّمة:

«إلا أن الرواية الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها: ويقول:

إنهما ليستا من كتاب الله» إلا أنه حاول التأويل لهذه الرواية فقال: «نعم، يمكن حمل لفظ «كتاب الله» على «المصحف» فيتم التأويل المذكور.

وقال غير القاضي: لم يكن اختلاف ابن مسعود مع غيره في قرآنيتهما، وإنما كان في صفة من صفاتهما، إنتهى. وغاية ما في هذا أنه أبهم ما بينه القاضي «١».

لكن هذا التأويل باطل أيضاً، إذ لا يساعده لفظ الرواية عند البرار والطبراني التي أوردها ابن حجر أيضاً، فإنها صريحة في أن ابن مسعود كان

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخارى ٨: ٦٠٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٩

يقول بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما عوذ بالمعوذتين، ولم يكن يقرأ بهما، وهذا يدل بكل وضوح على أن ابن مسعود ما كان يرى المعوذتين قرآناً، اللهم إلا أن يزعموا أن عدم القراءة بالمعوذتين لا يثبت عدم كونهما قرآناً، وحينئذ، فما هو الكلام المعبر عن ذلك؟!!

ومن هنا نرى أن بعض المتكلمين منهم لما لم يتمكنوا من توجيه رأى ابن مسعود، ولا من إنكار ما لاقاه من عثمان، اضطروا إلى هتك حرمة ابن مسعود وتوهينه... ولم يتعرض لشيء من هذه التأويلات...

وكيف يمكن تأويل ما اخرج في (المسند) من أنه «لقد كان ابن مسعود يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ بهما الحسن والحسين، ولم يسمعه يقرؤهما في شيء من صلواته، فظن أنهما معوذتان، وأصرَّ على ظنه، وبالغ في إنكار كونهما من القرآن» «١»؟ ولذا نرى الحافظ ابن حجر يتراجع عن كل التأويلات، وقد قال في آخر كلامه السابق:

«ومن تأمل سياق الطرق التي أوردتها للحديث استبعد هذا الجمع».

واختار بالأخرة الحمل على عدم تواتر المعوذتين عند ابن مسعود، قال:

«قد قال ابن الصبان في الكلام على مانعي الزكاة: وإنما قاتلهم أبو بكر على منع الزكاة، ولم يقل إنهم كفروا بذلك، وإنما لم يكفروا، لأن الإجماع لم يكن استقر، قال: ونحن الآن نكفر من جحدها، وكذلك ما نقل عن ابن مسعود في المعوذتين، يعنى: إنه لم يثبت عنده القطع بذلك، ثم حصل الإتفاق بعد ذلك.

(١) مسند أحمد بن حنبل ٦: ١٥٤/٢٠٦٨٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٠

وقد استشكل هذا الموضوع الفخر الرازي فقال: إن قلنا: إن كونهما من القرآن كان متواتراً في عصر ابن مسعود، لزم تكفير من أنكرهما. وإن قلنا: إنه لم يكن متواتراً، لزم أن بعض القرآن لم يتواتر. قال: وهذه عقدة صعبة.

واجيب: باحتمال أنه كان متواتراً في عصر ابن مسعود، ولكن لم يتواتر عند ابن مسعود، فانحلت العقدة بعون الله تعالى «١».

إلا أن هذا الحمل أضعف وأفسد من الكل، وذلك:

أولاً: إنه ينافي ما رواه القوم - كما في (الإستيعاب) وغيره - من أن ابن مسعود حضر العرض الأخير للقرآن الكريم، وعلم ما نسخ منه وما بدّل، وهذا نص ما رواه ابن عبد البر حيث قال:

«روى وكيع وجماعه معه، عن الأعمش، عن أبي ظبيان قال: قال لى عبدالله بن عباس: أى القراءتين تقرأ؟ قلت: القراءة الاولى قراءة

ابن ام عبد.

فقال لى: بل هى الآخرة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبرئيل فى كل عام مرّة، فلما كان العام الذى قبض فيه، عرضه عليه مرتين، فحضر ذلك عبدالله، فعلم ما نسخ من ذلك وما بدّل «٢».

وهل من الجائر أن يقال بأنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يعرض المعوذتين، وجبريل أيضاً لم يتبّه على ذلك؟! وثانياً: إذا كان تواتر المعوذتين ثابتاً عند الصحابة وغير ثابت عند ابن مسعود فقط، نقول: إن كان سائر الصحابة قد أخبروه بكون المعوذتين من القرآن فلم يقبل منهم ولم يصدّقهم، أو لم يثبت بخبرهم تواترهما عنده، لزم

(١) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ٨: ٦٠٤.

(٢) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٣: ١٦٥٩/٩٩٢.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤١

فسق الصحابة، بل دلّ ذلك على كونهم أسوء حالاً من الكفار والفساق، لأنّ التواتر يحصل بإخبار الكفار أيضاً كما بيّن فى محلّه. وإن كان سائر الصحابة لم يخبروه بكون المعوذتين قرآناً، مع علمهم بأنّه كان يحكّهما من المصاحف - كما فى (المسند): «عن زر قال: قلت لأبى: إن أخاك يحكّهما من المصحف»، وكما فى (الرياض النضرة) فى مطاعن عثمان: «وأما الخامسة عشر، وهى إحراق مصحف ابن مسعود، فليس ذلك ممّا يعتذر عنه، بل هو من أكبر المصالح، فإنّه لو بقى فى أيدى الناس أدّى ذلك إلى فتنه كبيرة فى الدين، لكثرة ما فيه من الشذوذ المنكرة عند أهل العلم بالقرآن، ولحذفه المعوذتين من مصحفه مع الشهرة عند الصحابة أنّهما من القرآن. وقال عثمان لما عوتب فى ذلك: خشيت الفتنة فى القرآن» (١) - فالصحابة - وعلى رأسهم عثمان - كلهم فساق!!

وبعد، فإذا كان ابن مسعود منكرًا للمعوذتين، فإنّ جميع ما يشنّع به المخالفون على أهل الحق - لوجود بعض الأخبار الظاهرة فى تحريف القرآن - القابلة للحمل على المحامل الصحيحة فى كتبنا - يتوجّه على ابن مسعود بالأولوية القطعية، فإنّه ينكر بصراحة سورتين كاملتين، بل ثلاث سور، هى المعوذتان وام الكتاب، وهو فى نفس الوقت من أعلام الصحابة وأجلّائهم، ومن أئمّة القرآن والتفسير وأكابرهم!! بل هو محكوم عليه بالكفر والخروج عن زمرة المسلمين، وقد جاء فى كتاب (فصول الأحكام) لعماد الدين حفيد برهان الدين صاحب الهداية «٢»:

(١) الرياض النضرة فى مناقب العشرة ٣: ٩٩.

(٢) المعروف بكتاب (فصول العمادى) كما فى (كشف الظنون ٢: ١٢٧٠) وهو فى فروع الحنفية. وصاحب الهداية هو: برهان الدين المرغينانى المتوفى سنة ٥٩٣.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٢

«وبعض المشايخ على أنّه - أى من زعم أنّ المعوذتين ليستا من القرآن - يكفر. وحكى عن خاله الإمام جلال الدين أنّه قد ذكر فى آخر تفسير أبى الليث حديثاً: من زعم أنّ المعوذتين ليستا من القرآن فأولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. ومثل هذا الوعيد إنّما ورد فى حقّ الكفار دون المؤمنين».

وتلخص:

سقوط جميع التأويلات، وبقاء العقدة العويصة على حالها.

فهذا حال ابن مسعود عند القوم على اصولهم.

ولعلّ هذا هو السبب فى توقّف عبدالله بن عمر عن قبول خبر ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما فى (صحيح

مسلم):

«عن أبي رافع عن عبد الله بن مسعود: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من نبي بعثه الله في أمية قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن... وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.

قال أبو رافع: فحدثت عبد الله بن عمر، فأنكره عليّ، فقدم ابن مسعود فنزل بقناه، فاستتبعني إليه عبد الله بن عمر يعود، فانطلقت معه، فلما جلسنا سألت ابن مسعود عن هذا الحديث، فحدثني كما حدثت ابن عمر» (١).

(١) صحيح مسلم ١: ٧٠ / ٨٠ كتاب الإيمان الباب ٢٠.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٤٣

عبد الله بن العباس ... ص: ٤٣

إشارة

وأما الحبر الجليل والمفسر النبيل عبد الله بن العباس، الذين لقبوه ب «ترجمان القرآن»، وقالوا بأنه علم تأويل القرآن بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما قال ابن القيم في (زاد المعاد) في الاستدلال على أن الخلع ليس بطلاق بقوله تعالى: «الطلاق مرتان» الآية: «وهذا فهم ترجمان القرآن، الذي دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه الله تأويل القرآن، وهي دعوة مستجابة بلا شك» (١).

قوله بالمتعة وهي عند جمهورهم حرام ... ص: ٤٣

فهو - بمقتضى هفواتهم الشنيعة وخرافاتهم القبيحة - من المجوزين للحرام، لأنه كان يقول بحلّية المتعة وهي عندهم من السفاح والزنا، فاستحق بذلك أشد التشنيعات واتصف بأقبح العيوب.

هذا، مضافاً إلى روايتهم في الصحيح - وهي مكذوبة يقيناً - عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قد زجره عن هذا القول، وحكم عليه بأنه رجل تائه (٢).

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد ٤: ٣٧.

(٢) صحيح مسلم ٢: ١٠٢٧ / ١٤٠٧ كتاب النكاح الباب ٣، المعجم الأوسط للطبراني ٣: ١٢٧ / ٢٢٤٥، سنن البيهقي ٧: ٢٠١ كتاب النكاح، باب نكاح المتعة، الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٩٩.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٤٤

وعن عبد الله بن الزبير أنه وصفه بالفاجر، كما روى القارى في (المرقاة): «عن عروة بن الزبير: إن عبد الله بن الزبير قام بمكة فقال: إن اناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة، - يعرض برجل - فناده فقال: إنك لجلف جاف، فلعمري لقد كانت المتعة تفعل في عهد إمام المتقين - يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال له ابن الزبير: فجرت بنفسك، فوالله لئن فعلتها لأرجمك

بأحجارك. الحديث. رواه النسائي.

ولا- تردّد في أنّ ابن عباس هو الرجل المعرّض به وكان قد كفّ بصره، فلذا قال ابن الزبير: كما أعمى أبصارهم، وهذا إنّما كان في حال خلافة ابن الزبير، وذلك بعد وفاة علي، وقد ثبت أنّه كان مستمرّ القول على جوازها «١».

قوله برؤية النبي ربه ... ص: ٤٤

وأيضاً، فإنّ ابن عباس - بحسب روايات القوم المكذوبة عليه قطعاً - كان من المفترين على الله والرسول، إذ كان يقول بأنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قد رأى الله - سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً - كما جاء في (صحيح الترمذى): «عن عكرمة عن ابن عباس قال: رأى محمّد صلّى الله عليه وسلّم ربه. قلت: أليس الله يقول: «لا تدركه الأبصار» وهو يُدرك الأبصار؟ قال: ويحك، ذاك إذا تجلّى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى محمّد ربه مرّتين. هذا حديث حسن غريب» «٢».

(١) المرقاة في شرح المشكاة ٦: ٣١٨ / ٣١٥٨ كتاب النكاح الباب ٣.

(٢) صحيح الترمذى ٥: ٣٩٥ / ٣٢٧٩ كتاب تفسير القرآن، الباب ٥٤.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٥

بل إنّ كان يبالغ في هذا الاعتقاد ويصرّ عليه، حتّى أنّه لما سئل عنه مرّة جعل يكرّر ذلك ويؤكّده، ففي (عيون الأثر): «في تفسير النقاش: عن ابن عباس أنّه سئل هل رأى محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - ربه؟ فقال: رآه رآه رآه، حتّى انقطع صوته» «١».

إنكار عائشة ذلك ... ص: ٤٥

وقد أخرجوا أنّ عائشة قد بالغت في الإنكار على ابن عباس، فقد جاء في (صحيح الترمذى): «حدّثنا ابن أبي عمير، نا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي قال: لقي ابن عباس كعباً بعرفة، فسأله عن شيء، فكبر حتّى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنّنا بنو هاشم، فقال كعب: إنّ الله قسم رؤيته وكلامه بين محمّد وموسى، فكلم موسى مرّتين، ورآه محمّد مرّتين.

قال مسروق: فدخلت على عائشة فقلت: هل رأى محمّد ربه؟ فقال:

لقد تكلمت بشيء قفّ له شعري. قلت: رويداً، ثمّ قرأت «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» قالت: أين يذهب بك، إنّما هو جبرئيل. من أخبرك أنّ محمّداً رأى ربه أو كتم شيئاً ممّا امر به، أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى «إنّ الله عنده علم الساعة وينزل الغيث» ... فقد أعظم الفرية، ولكنّه رأى جبرئيل، ولم يره في صورته إلّا مرّتين: مرّة عند سدره المنتهى، ومرّة في جياذ، له ست مائة جناح، قد سدّ الافق» «٢».

(١) عيون الأثر في المغازي والسير ١: ٢٥٠.

(٢) صحيح الترمذى ٥: ٣٩٤ / ٣٢٧٨ كتاب تفسير القرآن ٥٤٥.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٦

وقد أخرج البخاري ومسلم إنكار عائشة وتكذيبها رؤية النبي ربه «١».

وفى (عيون الأثر):

«وقد تكلم العلماء فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربّه ليلة الإسراء، فروى عن مسروق عن عائشة أنّها أنكرت أن يكون رآه. قالت: ومن زعم أن محمداً رأى ربّه فقد أعظم الفرية على الله، واحتجّت بقوله سبحانه: «لا تدركه الأبصارُ وهو يُدرك الأبصارَ» (٢). وإذا كان ابن عباس قد أعظم الفرية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد سقطت رواياته كلّها عن الإعتبار، سواء ما كان منها فى الصحاح وفى غيرها من الكتب، لما قرروا فى محلّه من أن من كذب فى خبرٍ وجب إسقاط جميع أخباره: قال النووى فى (التقريب): «قال السمعاني: من كذب فى خبرٍ واحدٍ وجب إسقاط ما تقدّم من حديثه». وكذا قال شارحه السيوطى: «من كذب فى حديثٍ واحدٍ رُدّ جميع حديثه السابق» (٣).

تأويل إنكار عائشة ... ص: ٤٦

ومن القوم من تجاسر على عائشة، فزعم أن تكذيبها رؤية النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان رأياً منها لا رواية عنه صلى الله عليه وآله وسلم، ومن

(١) صحيح البخارى ٦: ١٧٥ كتاب التفسير - سورة والنجم، صحيح مسلم ١/ ١٥٩ / ١٧٧ كتاب الإيمان الباب ٧٧.

(٢) عيون الأثر فى المغازى والسير ١: ٢٥٠.

(٣) تدريب الراوى - شرح تقريب النووى ١: ٣٣٠ و ٣٣٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٧

العجائب ذهاب النووى إلى ذلك، كما فى (المواهب اللدنية) حيث قال:

«قال النووى - تبعاً لغيره - لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع، ولو كان معها لذكرته، وإنما اعتمدت الإستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآيه، وقد خالفها غيرها من الصحابة، والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجّة اتفاقاً» (١). لكن يبطله أن الحديث موجود فى صحيح مسلم الذى شرحه النووى، وقد نبه على ذلك الحافظ ابن حجر أيضاً، حيث قال فى (فتح البارى):

«وجزمه بأنّ عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع، تبع فيه ابن خزيمة، فإنه قال فى كتاب التوحيد من صحيحه: النفى لا يوجب علماً، ولم تحك عائشة أنّ النبى صلى الله عليه وسلم أخبرها أنّه لم ير ربّه، وإنما تأوّلت الآيه. إنتهى.

وهو عجب، فقد ثبت ذلك عنها فى صحيح مسلم الذى شرحه الشيخ، فعنده من طريق داود بن أبى هند عن الشعبى عن مسروق فى الطريق المذكور قال مسروق: وكنت متكياً فجلست فقلت: ألم يقل الله تعالى: «ولقد رآه نزلاً اخرى»؟ فقالت: أنا أول هذه الامّة سأل رسول الله عن ذلك، فقال: إنّما هو جبرئيل.

وأخرجه ابن مردويه من طريق اخرى عن داود بهذا الإسناد: فقالت: أنا أول من سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا، فقلت: يا رسول الله، هل رأيت ربك؟ فقال: لا، إنّما رأيت جبرئيل منهبطاً» (٢).

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمديّة ٢: ٣٨٩.

(٢) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ٨: ٤٩٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٨

أقول:

وإذا كان هذا في صحيح مسلم، فكيف يقول القائلون منهم برؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ؟ نعوذ بالله من استيلاء الجهالة والإنهماك في الضلالة!

إنكار الصحابة ... ص: ٤٨

وأنكر غير عائشة من الصحابة رؤية النبي رَبَّهُ، قال في (تاريخ الخميس):

«واختلف أيضاً في رؤية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ، فأنكرت عائشة رضي الله عنها ... وقال جماعة بقول عائشة، وهو المشهور عن ابن مسعود، ومثله عن أبي هريرة في قوله «ما كذب الفؤاد ما رأى» أنه رأى جبرئيل له ستمائة جناح. ويؤيد ذلك ما قال أبوذر: سألت رسول الله: هل رأيت ربك؟

قال: هو نورٌ أنى أراه. وفي العروة الوثقى: قال أبو ذر: سألته عن رؤية رَبِّهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، قال: لا، بل نوراً أرى» (١).

وفي (سبل الهدى والرشاد):

«روى النسائي وابن خزيمة عن أبي ذر في الآية، - يعنى الآية «ما كذب الفؤاد ما رأى» - قال: رآه بقلبه ولم يره بعينه» (٢).

محاولة الجمع ... ص: ٤٨

وقد تكلف بعض أكابر القوم الجمع بين إثبات ابن عباس - حسبما

(١) تاريخ الخميس ١: ٣١٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣: ٦٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٩

يروون - وبين إنكار عائشة، كقول القسطلاني تبعاً لابن حجر:

«وعلى هذا، فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس، ونفى عائشة، بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب» (١).

ولا يخفى بطلانه، لأن في حديث الترمذي عن عكرمة أنه اعترض على ابن عباس قوله بالمنافاة لقوله تعالى: «لا تدركه الأبصار»، فلو

كان ابن عباس يريد الرؤية بالقلب لأجابه بذلك، لا بما جاء في الحديث، لأن رؤية القلب لا تختص بوقت دون وقت.

على أن هناك حديثاً صريحاً في إرادته الرؤية بالبصر، ولأجله استدرك القسطلاني الكلام قائلاً:

«لكن روى الطبراني في الأوسط بإسناد رجاله رجال الصحيح خلا جهور بن منصور الكوفي - وجهور بن منصور قد ذكره ابن حبان في

الثقات - عن ابن عباس أنه كان يقول: إن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً ببصره ومَرَّةً بفؤاده» (٢).

وذكر أيضاً: «جنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد إلى ترجيح الإثبات، وأطنب في الاستدلال بما يطول ذكره، وحمل ما ورد عن ابن

عباس على أن الرؤية وقعت مَرَّتَيْنِ مَرَّةً بقلبه ومَرَّةً بعينه» (٣).

وكذلك محمد بن يوسف الشامي، فإنه ذكر الجمع المزبور في الثالث من التنبيهات، ثم عدل عنه في الخامس منها حيث قال:

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٢: ٣٩٣.

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٢: ٣٩٣.

(٣) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٢: ٣٩٣.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٥٠

«قال ابن كثير: من روى عن ابن عباس أنه رآه ببصره، فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة، وقول البغوي: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه - وهو قول أنس والحسن وعكرمة - فيه نظر.

قلت: سبق البغوي إلى ذلك الإمام أبو الحسن الواحدى. وقول ابن كثير:

إنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة، ليس بجيد، فقد روى الطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس أنه كان يقول: نظر محمد إلى ربه مرتين، مرة ببصره ومرة بفؤاده» (١).

وتلخص: إن الجمع المذكور ساقط، والأحاديث على خلافه.

ومما يشهد بسقوطه: كلام الزهرى، فإنه رد على عائشة إنكارها على ابن عباس، كما فى (عيون الأثر) قال:

«وفى تفسير عبدالرزاق: عن معمر، عن الزهرى، وذكر إنكار عائشة أنه رآه فقال الزهرى: ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس. وفى تفسير ابن سلام عن عروة أنه كان إذا ذكر إنكار عائشة يشتد ذلك عليه» (٢).

فلو كان للجمع المذكور أو غيره وجه لما اتخذ الزهرى هذا الموقف.

هذا، على أنه لا فرق بين رؤية القلب ورؤية البصر، إذ ليس المراد من «رؤية القلب» هو «العلم بالله»، لأن هذا يحصل فى كل وقت، وليس له وقت مخصوص، بل المراد هو حصول خلق له فى قلبه كما تخلق الرؤية بالعين، وهذا ما نص عليه الشهاب القسطلانى حيث قال:

«ثم إن المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب، لا مجرد حصول العلم، لأنه كان

(١) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ٣: ٦٣.

(٢) عيون الأثر فى المغازى والسير ١: ٢٥٠ - ٢٥١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٥١

عالمًا بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التى حصلت له خلقت له فى قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره، والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلاً، ولو جرت العادة بخلقها فى العين» (١).

ومحمد بن يوسف الشامى قال:

«قال الحافظ: المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم، لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالمًا بالله تعالى على الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه: إن الرؤية التى حصلت له خلقت فى قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره.

وزاد صاحب السراج: بخلاف غيره من الأولياء، فإنهم إذا أطلقوا الرؤية والمشاهدة لأنفسهم، فإنهم إنما يريدون المعرفة، فاعلمه فإنه من الامور المهمة التى يغلط فيها كثير من الناس. إنتهى.

والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلاً، ولو جرت العادة بخلقها فى العين. قال الواحدى: وعلى القول بأنه رأى بقلبه جعل الله تعالى بصره فى فؤاده، أو خلق لفؤاده بصرًا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين» (٢).

والحاصل: إنه لا يبقى - على هذا - فرق بين رؤية القلب ورؤية البصر، وبأى وجه تكون دعوى الرؤية بالبصر فريضة عظيمة، كذلك دعوى الرؤية بالقلب.

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٢: ٣٩٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣: ٦٣.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٥٢

إنكار عائشة على ابن عباس في مسائل اخرى ... ص: ٥٢

هذا، وقد أنكرت عائشة على ابن عباس في مسائل اخرى أيضاً، ففي (الصحيحين): «عن عمر بنت عبد الرحمن: إن زياد بن أبي سفيان كتب إلى عائشة إنَّ عبدالله بن عباس قال: من أهدى هدياً حرم عليه ما يحرم على الحاج، حتى ينحر هديه، وقد بعثت بهدى فاكتبي إليّ بأمرك. قالت عمره: قالت عائشة: ليس كما قال ابن عباس «... ١».

قول ابن عباس بوقوع الغلط في القرآن ... ص: ٥٢

واشتهر عن ابن عباس القول بوقوع الخطأ والغلط في القرآن العظيم، الذي عليه مدار الإيمان وهو أصل الإسلام... قال السيوطي - بعد ذكر بعض الأحاديث الدالة على وقوع اللحن في القرآن: «ويقرب ممّا تقدّم عن عائشة: ما أخرجه ابن جرير وسعيد بن منصور في سننه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، في قوله «حتى تستأنسوا وتسلموا» قال: إنّما هي خطأ من الكاتب، حتى تستأذنوا وتسلموا. أخرجه ابن أبي حاتم بلفظ: هو - فيما أحسب - ممّا أخطأ به الكتاب. وما أخرجه ابن الأنباري من طريق عكرمة عن ابن عباس أنّه قرأ: أفلم

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب من قلّد القلائد بيده. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب بعث الهدى إلى الحرم... استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٥٣ يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً. فقبل له: إنّها في المصحف: «أفلم يئأس الذين آمنوا». قال: أظنّ الكاتب كتبها وهو ناعس. وما أخرجه سعيد بن منصور، من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنّه كان يقول في قوله «وقضى ربك» إنّما هي: ووصى ربك، الترتق الواو بالصاد. وأخرجه ابن أشته بلفظ: استمدّ الكاتب مداداً كثيراً، فالترتق الواو بالصاد. وأخرج هو من طريق الضحاك عن ابن عباس أنّه كان يقرأ: ووصى ربك ويقول: أمر ربك، إنّهما واوان التصقت إحداهما بالصاد. وأخرج من طريق اخرى عن الضحاك أنّه قال: كيف تقرأ هذا الحرف؟ قال: «وقضى ربك» قال: ليس كذلك نقرأها نحن ولا ابن عباس، إنّما هي: ووصى ربك، كذلك كانت تقرأ وتكتب، فاستمدّ كاتبكم فاحتمل القلم مداداً كثيراً فالترتق الواو بالصاد، ثم قرأ: «ولقد وصينا الذين

أوتوا الكتاب»، ولو كانت قضاء من ربك لم يستطع أحد ردّ قضاء الرب، ولكنه وصية أوصى بها العباد. وما أخرجه سعيد بن منصور وغيره، من طريق عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء، ويقول: خذوا هذه الواو واجعلوها هاهنا «والذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم» الآية. وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق الزبير بن خزيم، عن عكرمة، عن ابن عباس: إنزعا هذه الواو فاجعلوها في: الذين يحملون العرش ومن حوله.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٥٤
وما أخرجه ابن أشتة وابن أبي حاتم من طريق عطا، عن ابن عباس، في قوله تعالى: «مثل نوره كمشكاة» قال: هي خطأ من الكاتب، هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة، إنما هي مثل نور المؤمن من المشكاة» (١).

(١) الدر المنثور ٥: ٦٣٤، ٦: ١٩٧.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٥٥

ابن بن كعب ... ص: ٥٥

إشارة

وأما ابن بن كعب، فقد زاد في القرآن الكريم، وأدخل فيه ما ليس منه، كما تقدّم سابقاً. كما أنه نقص منه، إذ وافق ابن مسعود في إنكار المعوذتين، كما جاء في كتاب (فصول الأحكام) حيث قال:

إنكاره المعوذتين ... ص: ٥٥

«ومن زعم أن المعوذتين ليستا من القرآن، فقد ذكر في فتاوى أبي الليث أنه لا يكفر، فإنه روى عن ابن مسعود وابي بن كعب رضى الله عنهما أنهما ليستا من القرآن».

فابن علي هذا القول أيضاً، وأبو الليث وإن كان قد أفتى بعدم الكفر، فقد سبق أن جماعة من الأكابر يكفرون المنكر، بل تقدّم عن النووي أنه إجماع المسلمين ...

بل إن القوم يرون بأن أدنى المخالفة لمصحف عثمان تستوجب الهتك والتفسيق، والتضليل والتعزير، كما وقع بحق ابن شنبوذ:

قال ياقوت الحموي في (معجم الادباء) بترجمة محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ:

«حدث إسماعيل بن علي الخطيب في كتاب التاريخ قال: واشتهر ببغداد أمر رجل يعرف بابن شنبوذ، يقرئ الناس، ويقرأ في المحراب بحروف

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٥٦

يخالف فيها المصحف، فيما يروى عن عبدالله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما، مما كان يقرأ به قبل المصحف الذي جمعه عثمان، ويتتبع الشواذ فيقرأ بها ويجادل، حتى عظم أمره وفحش وأنكره الناس، فوجه السلطان وقبض عليه في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وحمل إلى دار الوزير محمد بن مقله، واحضر القضاة والفقهاء والقراء، وناظره الوزير بحضرة، فأقام على ما ذكر عنه ونصره، واستنزله

الوزير عن ذلك فأبى أن ينزل عنه، أو يرجع عمياً يقرأ به من هذه الشواذ المنكرة التي تزيد على المصحف العثماني، فأنكر ذلك جميع من حضر المجلس وأشاروا بعقوبته ومعاملته بما يضطره إلى الرجوع، فأمر بتجريدته وإقامته بين الخبازين، وأمر بضربه بالدرّة على قفاه، فضرب نحو العشرة ضرباً شديداً، فلم يصبر واستغاث وأذعن بالرجوع والتوبة، فخلّى عنه.»

«قرأت في كتاب ألفه القاضي أبو يوسف عبدالسلام القزويني، سمّاه:

أفواج القراء، قال: كان ابن شنبوذ أحد القراء المنتسبين، وكان يرجع إلى ورع، ولكنّه كان يميل إلى الشواذ ويقرأ بها، وربما أعلن ببعضها في بعض صلواته التي يجهر فيها بالقراءة، وسمع ذلك منه، وأنكر عليه فلم ينته للإنكار.

فقام أبو بكر ابن مجاهد فيه حقّ القيام وأشهر أمره، ورفع حديثه إلى الوزير في ذلك الوقت، وهو أبو علي ابن مقلّة، فأخذ وضرب أسواطاً زادت على العشرة ولم تبلغ العشرين، وحبس واستتيب فتاب وقال: إنّي قد رجعت عمياً كنت أقرأ به، ولا اخالف مصحف عثمان، ولا أقرأ إلّابما فيه من القراءة المشهورة.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٥٧

وكتب عليه بذلك الوزير أبو علي محضراً بما سمع من لفظه، وأمره أن يكتب في آخره بخطه، وكان المحضر بخط أبي الحسين أحمد بن محمّد بن ميمون، وكان أبو بكر ابن مجاهد تجرّد في كشفه ومناظرته فانتهى أمره إلى أن خاف على نفسه من القتل.

وقام أبو أيوب السمسار في إصلاح أمره، وسأل الوزير أبا علي أن يطلقه وأن ينفذه إلى داره مع أعوانه بالليل خيفةً عليه لئلا يقتله العامة، ففعل ذلك، ووجه إلى المدائن سرّاً مدّة شهرين، ثم دخل بيته ببغداد مستخفياً من العامة» (١).

من كفر بآية من القرآن كفر بكله ... ص: ٥٧

هذا، ومقتضى نصوص عبارات القوم وفتاواهم، وهو كفر من كفر بآية أو بحرفٍ من القرآن الكريم:

قال القاضي عياض في (الشفاء):

«قال أبو عثمان ابن الحدّاد: جميع من ينتحل التوحيد متفقون على أنّ الجحد لحرفٍ من التنزيل كفر. وكان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت، ويقول: أمّا أنا فأقرأ كذا، فبلغ ذلك إبراهيم، فقال: أراه سمع أنّه من كفر بحرفٍ منه فقد كفر به كلياً» (٢).

قال: «وقال محمّد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله:

(١) معجم الادباء ١٧: ١٦٨-١٧١ / ٥٧.

(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٦٤٨-٦٤٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٥٨

يضرب عنقه إلّا أن يتوب» (١).

وقال الشهاب الخفاجي في (نسيم الرياض):

«وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه- فيما رواه عبدالرزاق عنه- من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كلّ، لأنّه تكذيب لقائلها عزّ وجلّ. وقال أصبغ ابن الفرج- بالجيم- المصرى- من كذب- بالتشديد- ببعض القرآن فقد كذب به كلّ، ومن كذبه كلّ فقد كفر به، ومن كفر به فقد كفر بالله سبحانه» (٢).

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٦٤٨.

(٢) نسيم الرياض بشرح الشفا للقاضي عياض ٤: ٥٥٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٥٩

زيد بن ثابت ... ص: ٥٩

إشارة

وأما زيد بن ثابت ... فقد قدح فيه الصحابي أبو حسن المازني الأنصاري بدعوته الأنصار يوم الدار لنصرة عثمان بن عفان، فخاطبه أبو حسن بآية من القرآن الكريم مفادها الضلال والإضلال ...
وقد ترجم الحافظ ابن حجر أباحسن المازني قائلاً:

«أبو حسن الأنصاري ثم المازني، جدّ يحيى بن عماره بن أبي حسن، مشهور بكنيته، واسمه تميم بن عمرو، وقيل: ابن عبد عمرو، وقيل: ابن عبد قيس بن مخرمه بن الحارث بن ثعلبه بن مازن. قال ابن السكن: بدرى، له صحبه، وساق من طريق حسين بن عبد الله الهاشمي، ثنا عمرو بن يحيى بن عماره بن أبي حسن، عن أبيه، عن جدّه أبي حسن - وكان عقيباً بدرياً - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً ومعه نفر من أصحابه، فقام رجل ونسى نعليه، فأخذهما آخر فوضعهما تحته، فجاء الرجل فقال: نعلي، فقال القوم: ما رأيناها. فقال الرجل: أنا أخذتهما وكنت أعب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فكيف بروعة المؤمن. قالها ثلاثاً» (١).

توصيفه بالضلال والإضلال ... ص: ٥٩

وأما قضيته مع زيد بن ثابت، فقد ذكرها الحافظ ابن عبد البر بترجمته إذ

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ٧: ٤٣ / ٢٧٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٦٠

قال:

«له صحبه، يقال: إنه ممن شهد العقبة وبدراً. وأبو حسن المازني هو القائل لزيد بن ثابت حين قال يوم الدار: يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله - مرتين - فقال له أبو حسن: لا والله، لا نطيعك فنكون كما قال الله تعالى:
«أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل» ويقال: بل قال له ذلك: النعمان الزرقى» (١).

فكان زيد ودعوته لنصرة عثمان - عند هذا الصحابي - مصداقاً للآية المباركة: «إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً يوم تقلّب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول - وقالوا ربنا إننا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً» (٢).

هذا، ولا يخفى أن القول بكون القائل هو النعمان الزرقى لا - يضرّ باستدلالنا لأنه أيضاً من معارف الصحابة، وقد ترجم له في (الإستيعاب) وقال بأنه: «كان لسان الأنصار وشاعرهم» ووصفه بأنه «كان سيّداً» (٣).

توصيفه بالجور في الحكم ... ص: ٦٠

وعن عمر بن الخطاب- وهو خليفتهم الثاني، المدعى له العصمة كما نقل الشيخ عبدالعلى الأنصارى فى (شرح المشوى) عن بعضهم- أنه وصف

(١) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٤: ١٦٣٢ / ٢٩١٥.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣: ٦٤-٦٨.

(٣) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٤: ١٥٠١ / ٢٦١٩.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٦١

زيد بن ثابت بالجور فى الحكم، فى خصومه كانت بينه وبين ابى بن كعب فتحكما إليه:

«عن الشعبى قال: كان بين عمر وبين ابى بن كعب خصومة، فقال عمر:

إجعل بينى وبينك رجلاً، فجعل بينهما زيد بن ثابت، فأتيه، فقال عمر: أتيناك لتحكم بيننا، وفى بيته يؤتى الحكم.

فلما دخلا عليه وسع له زيد عن صدر فراشه، فقال: هاهنا يا أمير المؤمنين، فقال له عمر: هذا أول جور جرت فى حكمك، ولكن أجلس مع خصمى، فجلسا بين يديه، فادعى ابى وأنكر عمر، فقال زيد لأبى: اعف أمير المؤمنين من اليمين، وما كنت لأسألها لأحد غيره، فحلف عمر، ثم أقسم لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عنده سواء.

«أى رواه سعيد بن منصور فى سننه، والبيهقى فى سننه، وابن عساكر فى تاريخه.

«عن الشعبى قال: تنازع فى جداد نخل ابى بن كعب وعمر بن الخطاب، فبكى ابى ثم قال: أفى سلطانك يا عمر؟! فقال عمر: إجعل بينى وبينك رجلاً من المسلمين، قال ابى: زيد، قال: رضيت.

فانطلقا حتى دخلا على زيد، فلما رأى زيد عمر تنحى عن فراشه، فقال عمر: فى بيته يؤتى الحكم. فعرف زيد أنهما جاءا ليتحاكما إليه، فقال لأبى: تقص، فقص، فقال له عمر: تذكر لعلك نسيت شيئاً، فتذكر ثم قص، حتى قال: ما أذكر شيئاً. فقص عمر، قال زيد: بيتك يا ابى، فقال: مالى بينه، قال: فاعف ج عن ج أمير المؤمنين من اليمين، فقال عمر: لا تعف أمير المؤمنين

(١) كنز العمال ٥: ٨٠٨ / ١٤٤٥.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٦٢

عن اليمين إن رأيتها عليه. كر «١».

أقول:

لم يشأ الرواة أن ينقلوا الواقعة على ما وقعت عليه كاملةً، وحاولوا التكتّم على بعض جزئياتها المهمّة.. لكنّ الباحث المحقق قد يعثر على طرفٍ من ذلك فى سائر الكتب:

قال الراغب فى (المحاضرات):

«وكان زيد بن ثابت يقضى لعمر بالمدينة، وتقدّم إليه عمر مع ابى فى جداد تنازعا، فخرج إليهما فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، هاهنا هاهنا.

ثم توجهت اليمين على عمر، فقال زيد لأبى: اعف أمير المؤمنين من اليمين.

فقال له عمر: ما زلت جائراً منذ اليوم! السلام عليك يا أمير المؤمنين، وهاهنا هاهنا، واعف أمير المؤمنين!! «٢».

ففى هذه الرواية: «فقال عمر: ما زلت جائراً منذ اليوم»، وهذه الجملة مما تكتّم عليه القوم...

أحاديث فى ذم القاضى الجائر ... ص: ٦٢

فكان «زيد بن ثابت» قاضياً بالمدينة، وكان «جائراً» كما ذكر عمر، والأحاديث فى ذم القاضى الجائر مستفيضة فى كتب المسلمين: روى الحافظ المنذرى فى (الترغيب والترهيب) عن أبى سعيد الخدرى

(١) كنز العمال ٥: ٨٣٩ / ١٤٥٢٥.

(٢) المحاضرات للراغب الأصفهاني ١: ١٩٤. وجداد النخل: صرامه، وقد جدّه يَجُدّه. كتاب العين ٦: ١٠ (جد).

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٦٣

رضى الله عنه: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحبّ الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر. رواه الترمذى والطبرانى فى الأوسط مختصراً إلّا أنّه قال:

أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر. وقال الترمذى: حديث حسن غريب.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال:

أفضل الناس عند الله منزلة يوم القيامة إمام عادل رفيق، وشّرّ عباد الله عند الله منزلة يوم القيامة إمام جائر خرق. رواه الطبرانى فى الأوسط، من رواية ابن لهيعة، وحديثه حسن فى المتابعات.

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ أشدّ أهل النار عذاباً يوم القيامة، من قتل نبياً أو قتله نبي وإمام جائر.

رواه الطبرانى، ورواه ثقات، إلّا لىث بن أبى سليم، وفى الصحيح بعضه، ورواه البزار بإسناد جيد إلّا أنّه قال: وإمام ضلالة.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أربعة يبغضهم الله: البياع الحلاف، والفتى المختال، والشيخ الزانى، والإمام الجائر. رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه، وهو فى مسلم بنحوه إلّا أنّه قال: وملك كذاب وعائل مستكبر.

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاثة لا يقبل الله لهم شهادة أن لا إله إلّا الله، فذكر منهم: الإمام الجائر.

رواه الطبرانى فى الأوسط.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال:

السلطان ظلّ الله فى الأرض يأوى إليه كلّ مظلوم من عباده؛ فإن عدل كان له

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٦٤

الأجر، وكان على الرعيّة الشكر، وإن جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر، وعلى الرعيّة الصبر، وإذا جارت الولاية قحطت السماء، وإذا منعت الزكاة هلكت المواشى، وإذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة، وإذا أخفرت الذمة ادبل الكفار أو كلمة نحوها.

عن أبى هريرة رضى الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره، فله النار ج وإن غلب جوره عدله فله النار ج. رواه أبو داود.

وعن ابن بريده، عن أبيه رضى الله عنهما: أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: القضاء ثلاثة؛ قاضيان فى النار وقاض فى الجنة: رجل

قضى بغير الحق يعلم بذلك فذلك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى بالحق فذلك في الجنة. رواه أبو داود- وتقدم لفظه- وابن ماجه والترمذى واللفظ له، وقال: حديث حسن غريب. وعن ابن أبي أوفى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله مع القاضى ما لم يجز، فإذا جار تخلى عنه ولزمه الشيطان. رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه، والحاكم إلاً أنه قال: فإذا جار تبرأ الله منه. روه كلهم من حديث عمران القطان ج وقال الترمذى حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمران القطان ج وقال الحاكم: صحيح الإسناد. قال الحافظ: وعمران يأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى «١».

(١) الترغيب والترهيب ٣: ١٦٧- ١٧٢/٧ و ٨ و ١٠ و ١١ و ١٣ و ١٤ و ١٩ و ٢٠ و ٢١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٦٥

إنه زاد فى القرآن ونقص منه ... ص: ٦٥

وهذا ممّا ذكر عمر بن الخطّاب مخاطباً به زيد بن ثابت، وأخرجه القوم فى كتب الحديث: «عن زيد بن ثابت: إن عمر بن الخطّاب استأذن عليه يوماً، فأذن له ورأسه فى يد جارية له ترجله، فنزع رأسه، فقال له عمر: دعها ترجلك؟ قال:

يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إلى جنتك. فقال عمر: ليس هو بوحى حتى نزيد فيه أو نقص، إنما هو شيء نراه، فإن رأيت ووافقتى تبعته، وإلا لم يكن عليك فيه شيء. فأبى زيد، فخرج عمر مغضباً» «١».

فصريح هذا الكلام أن زيد بن ثابت زاد فى القرآن ونقص منه، وقد ذكر القاضى عياض فى (الشفاء) ما نصّه:

«قد أجمع المسلمون على أن القرآن المتلوّ فى جميع أقطار الأرض، المكتوب فى المصحف بأيدى المسلمين، ممّا جمعه الدفتان، من أوّل الحمد لله ربّ العالمين، إلى آخر: قل أعوذ بربّ الناس: إنّه كلام الله و وحيه المنزل على نبيّه محمّد صلى الله عليه وسلم، وإنّ جميع ما فيه حق، وأنّ من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك أو بدله بحرفٍ آخر مكانه، أو زاد فيه حرفاً ممّا لم يشتمل عليه المصحف الذى وقع الإجماع عليه، وأجمع على أنّه ليس من القرآن، عامداً لكلّ هذا، إنّه كافر» «٢».

(١) كنز العمال ١١: ٦٣ / ٣٠٦٣١.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٦٤٧.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٦٦

ردّه عمر بن الخطّاب فى آية مع قوله خزيمه فى اخرى ... ص: ٦٦

وكما كان عمر لا يعتمد على زيد ويتكلّم فيه، كذلك زيد لم يعتمد على عمر وردّه لما كان يجمع القرآن، حيث جاء عمر بآية ليكتبها فلم يقبل منه، مع أنّه قبل خزيمه بن ثابت فى آية اخرى وكتبها، هذا، وعمر أفضل - عندهم - من خزيمه مائة مرّة، ومع أنّهم يقولون بأنّ خبر مثل عمر بن الخطّاب بوحده مفيدٌ لليقين، كما ذكر عبدالعزيز الدهلوى، وقد ذكر القصّة الحافظ جلال الدين السيوطى حيث قال:

«قد أخرج ابن أشتة في المصاحف عن الليث بن سعد قال: أول من جمع القرآن أبو بكر، وكتبه زيد، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل، وإن آخر سورة براءة لم يوجد إلا مع خزيمه بن ثابت فقال: اكتبوها، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجلين، فكتب. وإن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها، لأنه كان وحده» (١).

فكيف قبل شهادة خزيمه ولم يقبل شهادة عمر؟

وإذا كان خبر عمر مفيداً لليقين، فالقرآن ناقص.

(١) الإتيان في علوم القرآن ١: ٢٠٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٦٧

أبو موسى الأشعري ... ص: ٦٧

إشارة

وأما أبو موسى الأشعري، فهذا طرف من حالاته وأخباره المسقطه له عن الإعتبار والاعتماد:

إنحرافه عن أمير المؤمنين ... ص: ٦٧

لقد كان أبو موسى الأشعري من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا من الامور الثابتة، وقد ذكر بترجمته من الكتب المعروفة:

قال ابن عبد البر:

«ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان، ثم لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى، وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليّه، فأقره، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان، ثم كان منه بصفين وفي التحكيم ما كان، وكان منحرفاً عن علي، لأنه عزله ولم يستعمله، وغلبه أهل اليمن في إرساله في التحكيم» (١).

ترجمة ابن عبد البر ... ص: ٦٧

وابن عبد البر، المتوفى سنة ٤٦٣، من أكابر الحفاظ المعتمدين، وتراجمه في كتب القدماء والمتأخرين تنبىء عن جلاله شأنه وعظمه قدره بين العلماء المشهورين:

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤: ١٧٦٣ - ١٧٦٤ / ٣١٩٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٦٨

ترجم له ابن خلكان ووصفه ب «إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما» ثم أورد عن أبي الوليد الباجي: «لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر ابن عبد البر في الحديث» وأنه «أحفظ أهل المغرب» وعن أبي علي الغساني «ابن عبد البر شيخنا ... برع براعة فاق فيها من

تقدّمه من رجال الأندلس» ثم ذكر بعض تواليفه. وعن ابن حزم: «لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه (...)»^١ وقال الذهبي بترجمته ما ملّخصه:

«ابن عبدالبر، الإمام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبو عمر، يوسف بن عبدالله، صاحب التصانيف الفائقة، طلب العلم وأدرك الكبار وطال عمره وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، فكان فقيهاً عابداً مجتهداً.

قال الحميري: أبو عمر فقيه حافظ مكثّر... وقال أبو علي الغساني...

قلت: كان إماماً ديناً، ثقة، متقناً، علامة، متبحراً، صاحب سنّة وأتباع، ممّن بلغ رتبة الأئمة المجتهدين.

قال أبو القاسم ابن بشكوال: ابن عبدالبر إمام عصره وواحد دهره، يكنّى أبا عمر.

قال أبو علي ابن سكرة: سمعت أبا الوليد الباجي يقول «... ٢».

كلام حذيفة بن اليمان في أبي موسى لانحرافه ... ص: ٦٨

وذكر ابن عبدالبر بترجمته أبي موسى في موضع آخر من كتابه:

(١) وفيات الأعيان ٧: ٦٦-٦٧ / ٨٣٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨: ١٥٣ / ٨٥.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٦٩

«ولاه عمر البصرة في حين عزل المغيرة عنها ج فلم يزل عليها ج إلى صدر من خلافة عثمان، فعزله عثمان عنها وولّاهها عبدالله بن عامر بن كريز، فنزل أبو موسى حينئذ الكوفة وسكنها، فلما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص وولّوا أبا موسى، وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليّه، فأقره عثمان على الكوفة، إلى أن مات، وعزله على رضى الله عنه عنها، فلم يزل واجداً على علي حتى جاء منه ما قال حذيفة، فقد روى فيه لحذيفة كلام كرهت ذكره، والله يغفر له.

ثم كان من أمره يوم الحكمين ما كان»^١.

إذن، فقد كان أبو موسى «منحرفاً» عن علي ... و «لم يزل واجداً» على الإمام عليه السلام ... لكن ما هو كلام حذيفة فيه الذي «كره» ابن عبدالبر ذكره؟! وحذيفة صاحب سرّ رسول الله، وهو الذي كان يعرف المنافقين من الصحابة، لاسيّما الذين أرادوا اغتيال النبي في العقبة...

على باب حطة من خرج منه كان كافراً ... ص: ٦٩

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «على باب حطة، من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً» أخرجه الدارقطني عن ابن عباس، وعنه ابن حجر المكي في (الصواعق) والسيوطي في (الجامع الصغير) «٢».

وكذا أخرجه الديلمي عن ابن عمر «٣».

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣: ٩٨٠ / ١٦٣٩.

(٢) الصواعق المحرقة ٢: ٣٦٥-٣٦٦، الجامع الصغير ٢: ١٧٧ / ٥٥٩٢.

(٣) فردوس الأخبار ٣: ٩٠ / ٣٩٩٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٧٠

كتم كلام حذيفة في أبي موسى ... ص: ٧٠

ثم إنَّ عبدالبر كره أن يذكر كلام حذيفة بن اليمان في أبي موسى الأشعري، تستراً عليه، إلّا أن ما صرَّح به من كونه «منحرفاً عن علي» وأنه «لم يزل واجداً» على الإمام عليه السلام يكفي للتوضيح إلى كلام حذيفة، فإنَّ الباحث اللبيب والمحقق الخبير يفهم - من تلك القرائن، وبالنظر إلى كون حذيفة عارفاً بالمنافقين، وأنَّ كلامه مقبولٌ في التعريف بهم - أنَّ كلام حذيفة ليس إلّا الإعلان عن كون أبي موسى من المنافقين ... وهذا ما كره ابن عبدالبر التصريح به مخالفاً منه لقوله تعالى: «ولا تلبسوا الحقَّ بالباطل وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمون».

مع أنَّ كتابه (الاستيعاب) مشتمل على فضائح كثير من الأصحاب، وتكلم بعضهم في البعض الآخر، والإفصاح عن مثالبه:

وكروايته خطبة عبداللّه بن بديل في ذمّ معاوية وهجوه وتضليله «... ١»

وكروايته خطبة أمير المؤمنين عليه السلام، وفيها التصريح بأنَّ عائشة وطلحة والزبير هم الذين ألّبوها على عثمان وقتلوه «... ٢»

وكروايته أنَّ معاوية هو الذي دسَّ السمَّ إلى الإمام الحسن السبط عليه السلام «... ٣».

وكروايته قتل معاوية حجر بن عدى «... ٤»

إلى غير ذلك من مخازي الصحابة التي تظهر لمن تتبع كتاب (الاستيعاب).

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣: ٨٧٣ / ١٤٨١.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب - ترجمة طلحة - ٢: ٧٦٧ / ١٢٨٠.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١: ٣٨٩ / ٥٥٥.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١: ٣٢٩ / ٤٨٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٧١

وإذا كان ابن عبدالبر يروي تلك الأخبار ويكره روايتها ككلام حذيفة في أبي موسى الأشعري ... فلا بدَّ وأنَّ يكون كلامه فيه أعظم من تلك الكلمات، التي رواها بتراجم الصحابة عن بعضهم في البعض الآخر...

هذا كلّه، وقد اشتهر الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كتب الفريقين في أنَّ بغض علي نفاق، وعن غير واحدٍ من صحابته: «ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغضهم علي بن أبي طالب» وقد رواه ابن عبدالبر أيضاً بترجمة الإمام عليه السلام ... وبعد ثبوت انحراف أبي موسى عنه وبغضه له، لم يبقَ أي ريب وشك في كون أبي موسى من المنافقين ... ولا تبقى حاجة إلى ذكر الشواهد على ذلك من كتب الحديث والتاريخ.

وإذا كان ابن عبدالبر يكره رواية الخبر، فقد رواه غير واحدٍ من الأعلام، منهم ابن عساكر في (تاريخه) «١» بإسناده عن الأعمش عن شقيق قال: «كنا مع حذيفة جلوساً، فدخل عبداللّه وأبو موسى المسجد، فقال: أحدهما منافق. ثم قال: إن أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبداللّه».

من مشاهد انحراف أبي موسى عن علي ... ص: ٧١

ومع ذلك نتعرض لبعض الأخبار الشاهدة بانحراف الرجل عن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام:
قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري):

«قوله: بعث عليّ عمّار بن ياسر وحسن بن عليّ قدما علينا الكوفة، ذكر عمر بن شبة والطبري سبب ذلك بسندهما إلى ابن أبي ليلى
قال: كان عليّ

(١) تاريخ دمشق ٣٢: ٩٣ ترجمه عبدالله بن قيس وهو أبو موسى الأشعري.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٧٢

أقرّ أبا موسى عليّ إمرة الكوفة، فلما خرج من المدينة أرسل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إليه أن أنهض من قبلك من المسلمين،
وكن من أعوانى إلى الحق، فاستشار أبو موسى السائب بن مالك الأشعري فقال: أتبع ما أمرك به. قال: إننى لا أرى ذلك، وأخذ في
تخذيل الناس عن النهوض، فكتب هاشم إلى عليّ بذلك وبعث بكتابه مع حجل بن خليفة الطائي، فبعث عليّ عمّار بن ياسر والحسن
بن عليّ يستفزّان الناس، وأمّر قرظة بن كعب عليّ الكوفة» (١).

وقال ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة):

«وذكروا أنّ عليّاً لما نزل قريبا من الكوفة، بعث عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر إلى أبي موسى الأشعري، وكان أبو موسى عاملاً
لعثمان عليّ الكوفة، فبعثهما عليّ إليه وإلى أهل الكوفة يستفزّهم، فلما قدما عليه، قام عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر فدعوا الناس
إلى النصره لعليّ، فلما أمسوا، دخل رجال من أهل الكوفة عليّ أبي موسى فقالوا: ما ترى؟ أنخرج مع هذين الرجلين إلى صاحبهما أم
لا؟ فقال أبو موسى: أمّا سبيل الآخرة ففي أن تلموا بيوتكم، وأمّا سبيل الدنيا وسبيل النار، فالخروج مع من أتاكم، فأطاعوه، فتبطأ
الناس عليّ عليّ، وبلغ عمّاراً ومحمّداً ما أشار به أبو موسى عليّ أولئك الرهط، فأتياه فأغلظا له في القول، فقال أبو موسى: واللّه إن
بيعه عثمان في عنقي وعنق صاحبكما، ولئن أردنا للقتال مالنا إلى قتال أحد من سبيل حتّى نفرغ من قتله عثمان.

ثمّ خرج أبو موسى وصعد المنبر ثمّ قال: أيّها الناس! إنّ أصحاب رسول الله الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله وبرسوله ممّن لم
يصحبه، وإنّ لكم حقّاً عليّ أوّديه إليكم، إنّ هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان، والقاعد

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخارى ١٣: ٤٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٧٣

خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعي، والساعي خير من الراكب، فاغمدوا سيوفكم حتّى تنجلي هذه الفتنة» (١).
وأخرج البخارى:

«حدّثنا بدل المحجّر قال حدّثنا شعبة قال: أخبرني عمرو قال: سمعت أبا وائل يقول: دخل أبو موسى وأبو مسعود عليّ عمّار- حيث بعثه
عليّ إلى أهل الكوفة يستنزفهم- فقالا: ما رأيناك أتيت أمراً أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمّار: ما رأيت
منكما منذ أسلمتما أمراً أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر، وكساهما حلّة حلّة، ثمّ راحوا إلى المسجد.

حدّثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة: كنت جالساً مع أبي مسعود وأبي موسى وعمّار، فقال أبو مسعود: ما
من أصحابك أحدٌ إلّما لو شئت لقلت فيه، غيرك، وما رأيت منك شيئاً منذ صيحت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أعيب عندي من
استسراعك في هذا الأمر. قال عمّار: يا أبا مسعود! وما رأيت منك ولا من صاحبك هذا شيئاً، منذ صحبتما النبيّ صلّى الله عليه وسلّم
أعيب عندي من إبطائكما في هذا الأمر. فقال أبو مسعود- وكان موسراً-: يا غلام! هات حلّتين، فأعطى إحداهما أبا موسى والاخرى

عمّاراً وقال: روحا فيه إلى الجمعة» (٢).

وقال الحاكم:

«أخبرنا عبدالرحمن بن الحسن القاضي بهمدان، حدّثنا إبراهيم بن الحسين، حدّثنا آدم بن أبي أياس، حدّثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن أبي

(١) الامامة والسياسة ١: ٦٥-٦٦.

(٢) صحيح البخارى ٩: ٧٠-٧١ كتاب الفتن.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٧٤

وائل قال: دخل أبو موسى الأشعري وأبو مسعود البدرى على عمّار وهو يستنفر الناس، فقالا له: ما رأينا منك أمراً منذ أسلمت أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر. فقال عمّار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمراً أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر» (١). وأخرج أيضاً:

«عن الشعبي قال: لما قتل عثمان وبويع لعلى رضى الله عنهما، خطب أبو موسى وهو على الكوفة، فنهى الناس عن القتال والدخول في الفتنة، فعزله عليّ عن الكوفة من ذى قار، وبعث إليه عمّار بن ياسر والحسن بن عليّ فعزلاه» (٢).

وفيما فعل أبو موسى من الوقاحة والتجاسر والإفتراء والكذب، ما لا يخفى، ولا بأس لتوضيح شناعة موقفه بأن نقول:

أولاً: ذكر المسعودى - وعنه سبط ابن الجوزى - أنه لما خذّل أبو موسى الناس، كتب الإمام عليه السلام إليه:

«إنعزل عن هذا الأمر مذموماً مدحوراً، فإن لم تفعل، فقد أمرت من يقطعك إرباً إرباً، يا ابن الحائك، ما هذا أول هناتك، وإن لك لهنات وهنات.

ثم بعث عليّ الحسن وعمّاراً إلى الكوفة، فالتقاهما أبو موسى، فقال له الحسن: لم تُبسط القوم عنّا؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح. فقال: صدقت، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ستكون فتنة، يكون القاعد فيها خيراً من القائم، والماشى خيراً من الراكب. فغضب عمّار

(١) المستدرک على الصحيحين ٣: ١١٧.

(٢) المستدرک على الصحيحين ٣: ١١٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٧٥

وسبّه» (١).

فلقد وصفه الإمام عليه السلام بوصف أهل النار، قال تعالى: «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً» (٢).

وقال: «لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً» (٣).

وقال:

«ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً» (٤).

قال فى (تفسير الجلالين): «ج مذموماً ج ملوماً ج مدحوراً ج مطروداً عن الرحمة» (٥).

وفى كتاب (النهاية فى غريب الحديث): «فى حديث عرفة: ما من يوم إبليس فيه أدر ولا أدحق منه فى يوم عرفة، الدر: الدفع بعنف على سبيل الإهانة والإذلال، والدحق: الطرد والإبعاد» (٦).

وفيه:

«وأصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله» (٧).

وقال الفخر الرازي بتفسير الآية: «من كان يريد العاجلة»:

«قال القفال رحمه الله: هذه الآية داخله في معنى قوله «وكل إنسان أزرناه طائره في عنقه» ومعناه، أن الكمال في الدنيا قسمان، فمنهم من يريد

(١) مروج الذهب ٣: ١٠٤ / ١٦٣٠ (بنحوه) تذكرة خواص الامة: ٧٠.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ١٨.

(٣) سورة الإسراء ١٧: ٢٢.

(٤) سورة الإسراء ١٧: ٣٩.

(٥) تفسير الجلالين ط ذيل تفسير البيضاوي ١: ٥٨١.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ١٠٣ «دحر».

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ٢٥٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٧٦

بالذي يعملها الدنيا ومنافعها والرياسة فيها، فهذا يأنف من الإنقياد للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والدخول في طاعتهم والإجابة لدعوتهم، إشفافاً من زوال الرياسة عنه، فهذا قد جعل طائر نفسه شؤماً، لأنه في قبضة الله تعالى، فيؤتبه الله في الدنيا منها قدرًا لا كما يشاء ذلك الإنسان، بل كما يشاء الله، إلا أن عاقبته جهنم يدخله فيها فيصلها مدموماً ملوماً مدحوراً منفياً مطروداً من رحمته الله تعالى. وفي لفظ هذه الآية فوائد:

الفائدة الاولى: إن العقاب عبارة عن مضرّة مقرونة بالإهانة والذم، بشرط أن تكون دائمة وخالية عن شوب المنفعة. فقوله: «ثم جعلنا له جهنم يصلها» إشارة إلى المضرّة العظيمة، وقوله: «مدموماً» إشارة إلى الإهانة والذم، وقوله: «مدحوراً» إشارة إلى البعد والطرده عن رحمته الله، وهي تفيد كون تلك المضرّة خالية عن شوب النفع والرحمة، وتفيد كونها دائمة وخالية عن التبدل بالراحة والخلص» (١).

وقال أبو البركات النسفي بتفسيرها:

«من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء» لا ما يشاء «لمن نريد» بدل من له بإعادة الجار، وهو بدل البعض من الكل، إذ الضمير يرجع إلى من، أي من كانت العاجلة همّه ولم يرد غيرها كالكفرة، تفضّلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد، فقيد المعجل بمشيئته والمعجل له بإرادته، وهكذا الحال، ترى كثيراً من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون إلا بعضاً منه، وكثيراً منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه، فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة، وأما

(١) تفسير الرازي ٢٠: ١٧٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٧٧

المؤمن التقى، فقد اختار غنى الآخرة، فإن أوتي حظاً من الدنيا فيها، وإلّا فربما كان الفقر خيراً له «ثم جعلنا له جهنم» في الآخرة «يصلها» يدخلها «مدموماً» ممقوتاً «مدحوراً» (١).

وقال البغوي:

«ولا- تجعل مع الله إلهاً آخر» خاطب النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات، والمراد منه الامة «فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً»

مطروداً مبعداً من كل خير» (٢).

وقال الرازي بتفسير الآية: «ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً»:

«ثم إنَّ تعالى ذكر في الآية الأولى: أنَّ الشرك يوجب أن يكون صاحبه مذموماً مخذولاً، وذكر في الآية الأخيرة: أنَّ الشرك يوجب أن يلقى صاحبه في جهنم ملوماً مدحوراً، فاللوم والخذلان يحصل في الدنيا، وإلقاؤه في جهنم يحصل يوم القيامة. ويجب علينا أن نذكر الفرق بين المذموم المخذول، وبين الملوم المدحور فنقول: أمَّا الفرق بين المذموم وبين الملوم، فهو أن كونه مذموماً معناه أن يذكر له أن الفعل الذي أقدم عليه قبيح ومنكر، فهذا معنى كونه مذموماً، وإذا ذكر له ذلك فبعد ذلك يقال له: لم فعلت مثل هذا الفعل؟ وما الذي حملك عليه؟ وما استفدت من هذا العمل إلَّا إلحاق الضرر بنفسك، وهذا هو اللوم، فثبت أن أول الأمر هو أن يصير مذموماً، وآخره أن يصير

(١) تفسير النسفي / مدارك التنزيل ١: ٧٠٩.

(٢) تفسير البغوي / معالم التنزيل ٣: ٤٩٧.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٧٨

ملوماً، وأمَّا الفرق بين المخذول وبين المدحور، فهو أنَّ المخذول عبارة عن الضعيف، يقال: تخذلت أعضاؤه أي ضعفت، وأمَّا المدحور فهو المطرود، والطرْد عبارة عن الإستخفاف والإهانة، قال تعالى: «ويخلد فيه مهاناً» فكونه مخذولاً عبارة عن ترك إعانته وتفويضه إلى نفسه، وكونه مدحوراً عبارة عن إهانته والإستخفاف به» (١).

وأيضاً: فقد ورد أنَّ الإمام عليه السلام قال عن أبي موسى: «هو عندي غير مأمون، وقد هرب مني» قال سبط ابن الجوزي في خبر قضية التحكيم:

«ولمّا فعل معاوية ما فعل قال: نبعث حكماً نرضى به، وابعثوا أنتم حكماً ترضون به، فاختار أهل الشام عمرو بن العاص، واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، فقال علي عليه السلام: لا أرضى به، وهو عندي غير مأمون، وقد هرب مني، وخذّل الناس عني، ولكن هذا ابن عباس» (٢).

وكما تكلم الإمام عليه السلام في أبي موسى بما تقدّم ونحوه، كذلك تكلم في سعد بن أبي وقاص، لتخلّفه عنه وتركه نصرته، قال الحاكم:

«وأما ما ذكر من اعتزال سعد بن أبي وقاص عن القتال، فحدّثناه أبو زكريا يحيى بن محمّد العنبري، ثنا إبراهيم بن أبي طالب، ثنا علي بن المنذر، ثنا ابن فضيل، ثنا مسلم الملائني، عن خيثمة بن عبد الرحمن قال: سمعت سعد بن مالك، وقال له رجل: إنَّ علياً يقع فيك أنك تخلّف عنه، فقال سعد:

والله إنّه لرأى رأيتيه وأخطأ رأيي، إنَّ علي بن أبي طالب اعطى ثلاثاً، لأنَّ أكون اعطيت إحداهنَّ أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها:

(١) تفسير الرازي ٢٠: ٢١٤.

(٢) تذكرة خواص الامّة: ٩٣.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٧٩

لقد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم غدِير خم بعد حمد الله والثناء عليه: هل تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين؟ قلنا: نعم. قال: اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه، وال من والاه وعاد من عاداه.

وجيء به يوم خيبر وهو أرمد ما يبصر، فقال: يا رسول الله، إنّي أرمد، فتفل في عيني ودعا له، فلم يرمد حتّى قتل، وفتح عليه خيبر.

وأخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَمَهُ الْعَيَّاسَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ لَهُ الْعَيَّاسُ: تَخْرُجْنَا وَنَحْنُ عَصَبَتُكَ وَعَمُومَتُكَ وَتَسْكُنُ عَلَيْنَا؟! فَقَالَ: مَا أَنَا أَخْرَجْتُكُمْ وَأَسْكَنْتَهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَخْرَجَكُمْ وَأَسْكَنْهُ» (١).

ثانياً: إِنَّ سَبَّ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ دَلِيلٌ آخِرٌ عَلَى كُفْرِ أَبِي مُوسَى، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ - كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ - «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فَسُوقٌ» (٢)، فَلَا يَجُوزُ سَبُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَكَيْفَ بِالصَّيْحَابِيِّ، فَلَوْ كَانَ لِأَبِي مُوسَى حِظٌّ مِنَ الْإِسْلَامِ لَمَا جَازَ سَبُّهُ أَصْلًا.

ثالثاً: إِنَّ تَرْكَ أَبِي مُوسَى نَصْرَةَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَخْذِيلَهُ النَّاسَ عَنِ الْقِتَالِ مَعَهُ وَنَصْرَتِهِ، يُشْمَلُهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ: «اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالِيهِ وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ، وَانصَرَ مِنْ نَصْرِهِ وَاخْذَلَ مِنْ خِذْلِهِ»، أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْزُوقِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ وَحَبِشِيِّ بْنِ جِنَادَةَ مَرْفُوعاً بِلَفْظٍ:

«اللَّهُمَّ مِنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالِيهِ وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ، وَانصَرَ

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١١٦-١١٧ کتاب معرفة الصحابة.

(٢) جامع الاصول ١٠: ٦٧ و ٧٥٣٥ / ٧٦٠ و ٨٤٣٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٨٠.

من نصره، وأعن من أعانه» (١).

وأخرجه الحاكم بإسناده عن جابر بن عبد الله يقول: «سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ج يقول يوم الحديبية ج - وهو أخذ بضبع علي بن أبي طالب رضي الله عنه - وهو يقول: هذا أمير البررة ج و ج قاتل الفجرة، منصور من نصره ج و ج مخذول من خذله. ثم مدّ بها صوته. هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» (٢).

رابعاً: لقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، كِتَابُ اللَّهِ وَعِترَتِي أَهْلُ بَيْتِي» وهو حديث صادر عنه قطعاً... وقد اعترف بذلك كبار أهل السنة من القدماء والمتأخرين، وحتى الدهلوي صاحب (التحفة الإثني عشرية)، وأضاف أن كل عقيدة أو عمل مخالف للثقلين فهو باطل، ومن أنكرهما فهو ضالٌّ خارج من الدين، وهذه ترجمة كلامه في الباب الرابع من كتابه:

«واعلم أنه قد ثبت باتفاق الفريقين أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، كِتَابُ اللَّهِ وَعِترَتِي أَهْلُ بَيْتِي. وقد أفاد أن النبي قد دلنا في معالم الدين وأحكام الشرع على هذين الأمرين العظيمين، فكل مذهب خالفهما في الأمور الشرعية سواء في العقيدة أو العمل فهو باطل ولا اعتبار به، وكل من أنكرهما

(١) المعجم الكبير ٤: ٣٥١٤ / ١٧ و ٥: ٤٩٨٥ / ١٧١.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٢٩ کتاب معرفة الصحابة.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٨١.

فهو ضالٌّ وخارج من الدين» (١).

ولا شك أن أباموسى الأشعري قد خالف الثقلين، فكان من الخارجين عن الدين والداخلين في زمرة الضالين الهالكين.

خامساً: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» وهو كذلك من الأحاديث الثابتة الصدور عنه عند الفريقين، وقد قال الدهلوي في (التحفة) في مقام الرد على استدلال أصحابنا

بهذا الحديث على الإمامة العامة والولاية المطلقة - لأمير المؤمنين عليه السلام - ما تعريبه:

«إن هذا الحديث لا يدلّ إلّا على إناطة الفلاح والهداية بحبهم واتباعهم، وأنّ التخلّف عن ذلك موجب للهلاك» (٢).

ومن الواضح: أنّ حال أبي موسى الأشعري ليس إلّا التخلّف عن أهل البيت والمخالفة لهم، فيكون من الضالّين الهالكين.

سادساً: إنّ لم يكن تخلف أبي موسى عن أهل البيت عليهم السلام ومخالفته لهم في ترك النصره وتخذيل الناس فقط، بل تكلم بكلمات كشف فيها عن نضبه وعناده لأهل البيت، بما لا يقبل الحمل والتأويل، فكان من الهالكين والخاسرين، وقد اعترف بذلك سائر العلماء من أهل السنّة حتّى المتعصبون منهم...

سابعاً: لقد عصى أبو موسى أمير المؤمنين عليه السلام، ومن عصاه فقد عصى رسول الله، ومن عصى رسول الله فقد عصى الله تعالى... وفي ذلك

(١) التحفة الإثنا عشرية، الباب الرابع: ١٣٠.

(٢) التحفة الإثنا عشرية، الباب السابع: ٢١٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٨٢

أحاديث صحيحة عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقد أخرج الحاكم بإسناده عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن عصى عليّاً فقد عصاني» قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» (١).

ثامناً: إنّ قد فارق أبو موسى أمير المؤمنين عليه السلام بتركه نصرته والتخلّف عنه، وقد نصّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على أنّ من فارق عليّاً فقد فارق الله ورسوله:

أخرج الحاكم بإسناده عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلي: من فارقت فقد فارق الله ومن فارقك فقد فارقت» (٢).

تاسعاً: إنّ من الواضح أنّ أبا موسى قد آذى بأفعاله وأقواله عليّاً أمير المؤمنين، وهذا ممّا لا يرتاب فيه مرتاب ولا يشكّ فيه أحد من اولي الألباب، وإيذاء عليّ إيذاء رسول الله، وإيذاؤه يوجب الدخول في النار.

أخرج الحاكم بإسناده عن عمرو بن شاس الأسلمي، قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم - في حديث -: «يا عمرو، أما والله لقد آذيتني.

فقلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله! قال: بلى، من آذى عليّاً فقد آذاني» قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» (٣).

(١) المستدرک على الصحيحين ٣: ١٢١ كتاب معرفة الصحابة.

(٢) المستدرک على الصحيحين ٣: ١٤٦ كتاب معرفة الصحابة.

(٣) المستدرک على الصحيحين ٣: ١٢٢ كتاب معرفة الصحابة.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٨٣

العاشر: لقد خالف أبو موسى رسول الله، وعصى أوامره صلّى الله عليه وآله وسلّم بالقتال مع أمير المؤمنين، في حروبه مع الناكثين والقاسطين والمارقين:

أخرج الحاكم بإسناده أنّ أبا أيوب الأنصاري قال في زمان عمر بن الخطّاب: «أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على بن أبي

طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين» (١).

وأخرج عنه أنه قال: «سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول لعلي بن أبي طالب: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، بالطرقات والنهروانات وبالسعفات، قال أبو أيوب: قلت: يا رسول الله، مع من نقاتل هؤلاء الأقبام؟ قال: مع علي بن أبي طالب» (٢).

وأخرج البغوي عن ابن مسعود قال: «خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأتى منزلاً أم سلمة، فجاء علي، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يا أم سلمة، هذا - والله - قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدى» (٣).

وروى المتقي حديث ابن مسعود المذكور عن الحاكم في الأربعين وابن عساكر (٤).

وروى عن ابن عساكر عن زيد بن علي بن الحسين بن علي، عن أبيه، عن جدّه عن علي قال: «أمرني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتال الناكثين

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٣٩ كتاب معرفة الصحابة.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٤٠ كتاب معرفة الصحابة.

(٣) شرح السنّة ٦: ١٦٨ / ٢٠٠٩ كتاب قتال أهل البغي الباب ١.

(٤) كنز العمال ١٣: ١١٠ / ٣٦٣٦١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٨٤

والمارقين والقاسطين» (١).

وأوضح ابن طلحة الشافعي معنى الحديث - بعد أن رواه عن البغوي عن ابن مسعود - بقوله:

«ذكر في هذا الحديث فرقاً ثلاثه، صرح بأنّ علياً عليه السلام يقاتلهم من بعده، وهم الناكثون والقاسطون والمارقون، وهذه الصفات التي ذكرها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد سمّاهم بها، مشيراً إلى أن وجود كلّ صفةٍ منها في الفرقة المختصّة بها علةٌ لقتالهم مسلّطه عليه، وهؤلاء الناكثون هم الناقضون عقد بيعتهم الموجبة عليهم الطاعة والمتابعة لإمامهم الذي بايعوه حقاً، فإذا نقضوا ذلك وصدفوا عن طاعة إمامهم، وخرجوا عن حكمه، وأخذوا في قتاله بغياً وعناداً، كانوا ناكثين باغين، فتعيّن قتالهم، كما اعتمده طائفة. فمن تابع علياً عليه السلام وبايعه ثم نقض عهده وخرج عليه - وهم أصحاب واقعة الجمل - فقاتلهم على عليه السلام، فهم الناكثون...» (٢).

حديث خاصف النعل ... ص: ٨٤

هذا، وقد وردت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أحاديث كثيرة - غير ما ذكر - في كون علي عليه السلام مأموراً بالقتال مع هؤلاء ومصيباً في حروبه ...

منها: حديث خاصف النعل ... وقد أخرجه من كبار الأئمة والحفاظ:

الحاكم في (المستدرک).

(١) كنز العمال ١٣: ١١٢ - ١١٣ / ٣٦٣٦٧.

(٢) مطالب السؤل: ١٠٤ - ١٠٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٨٥

والنسائي في (الخصائص).

وابن أبي شيبه في (المصنف).

وأحمد بن حنبل في (المسند).

وأبو يعلى في (المسند).

وابن حبان في (الصحيح).

وأبو نعيم في (حلية الأولياء).

والضياء المقدسي في (المختارة).

والذهبي في (المعجم المختص).

والمحب الطبري في (الرياض النضرة) و (ذخائر العقبي).

وابن منده في (كتاب الصحابة).

وابن الأثير في (اسد الغابة).

والزرندی في (نظم درر السمطين).

والبغوي في (شرح السنة).

والسيوطي في (جمع الجوامع).

والمتقي في (كنز العمال).

ومحمد بن معتمد خان البدخشاني في (مفتاح النجا).

وابن طلحة الشافعي في (مطالب السؤل).

ولنذكر نصوص رواياتهم مع الإختصار:

أخرج الحاكم: «عن أبي سعيد الخدري قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانقطعت نعله، فتخلف عليّ يصلحها، فمشى قليلاً ثم قال:

إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيهه، فاستشرف لها

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٨٦

القوم- وفيهم أبو بكر وعمر- قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو؟

قال: لا، ولكن خاصف النعل- يعني عليّاً- فأتيناه فبشّرنا، فلم يرفع به رأسه، كأنه قد كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» (١).

وترجم ابن الأثير «عبدالرحمن بن بشير» فأسند عنه قال: «كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال: ليضربنكم رجل على تأويل

القرآن كما ضربتكم على تنزيهه، فقال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو؟ قال:

لا، ولكن خاصف النعل، وكان عليّ يخصف نعل النبي صلى الله عليه وسلم.

أخرجه الثلاثة» (٢).

وأخرج النسائي بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: «كنا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إلينا وقد انقطع شسع

نعله، فرمى بها إلى عليّ فقال: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيهه، فقال أبو بكر: أنا؟ فقال: لا، فقال عمر: أنا؟

فقال: لا. ولكن خاصف النعل» (٣).

وفى (المسند): «عن أبي سعيد الخدرى: كنا جلوساً فى المسجد، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى فى بيت فاطمة، فانقطع شمع نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاه علياً يصلحها، ثم جاء فقام علينا فقال «... (٤)».

(١) المستدرک على الصحيحین ٣: ١٢٣ كتاب معرفة الصحابة.

(٢) اسد الغابة فى معرفة الصحابة ٣: ٣٢٥ / ٣٢٧١.

(٣) خصائص على: ١٥٦ / ٢١٩.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٥٠١ / ١١٣٦٤ بنحوه.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٨٧

وأورد العلامة الحلى هذا الحديث فى (نهج الحق) محتجاً به، فقال ابن روزهان عند الجواب: «قد صحَّ هذا الحديث» (١).

ورواه الذهبى فى (المعجم المختص) بترجمه «عبدالله بن محمد بن أحمد ابن المطرى» بإسناد فيه جماعة من الأعلام الحفاظ «... عن أبى سعيد الخدرى قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن فى المسجد فى نحو سبعين من أصحابه كأنَّ على رؤوسنا الطير فقال: إنَّ رجلاً منكم يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلتهم على تنزيله، فقال أبو بكر: أنا؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم: هو خاصف النعل بالحجرة. فخرج علينا على من الحجرة وفى يده نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلحها أو يخصفها» (٢).

وهو فى (كنز العمال) عن أبى سعيد باللفظ المذكور عن: ابن أبى شيبه فى المصنّف، وأحمد فى المسند، وأبى يعلى فى المسند، وابن حبان فى الصحيح، والحاكم فى المستدرک، وأبى نعيم فى الحلية، والضياء فى المختارة (٣).

وكذلك البدخشى، رواه عن الجماعة والبغوى فى شرح السنّة، عن أبى سعيد الخدرى، وأضاف: «وأخرج الحفاظ أبو على سعيد بن عثمان ابن السكن البغدادى فى صحاحه، عن الأخضر الأنصارى رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم: أنا اقاتل على تنزيل القرآن وعلى يقاتل على تأويله» (٤).

دلّ هذا الحديث على أنّ قتال أمير المؤمنين عليه السلام على تأويل

(١) انظر: دلائل الصدق لنهج الحق ٢: ٤٢٩ - ٤٣٠ / ١٧.

(٢) المعجم المختص: ١٤٣ / ٩١.

(٣) كنز العمال ١٣: ١٠٧ - ١٠٨ / ٣٦٣٥١.

(٤) مفتاح النجاء فى مناقب آل العباء. مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٨٨

القرآن بعد حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنّما يعدّ من المناقب المختصّة به، ومن خصائصه الجليلة التى قد تمنّاها أبو بكر وعمر وغيرهما من الصحابة... فكيف يجوز لأبى موسى الأشعري أو غيره أن يطعن فى قتاله عليه السلام، وحرابه التى خاضها ضدّ الناكثين والقاسطين والمارقين؟ وكيف يجوز لأحد أن يسعى فى حطّ مرتبة هذه الفضيلة والشرف العظيم الذى بشرّ به رسول الله؟ وكيف يجوز التعبير عن هذا القتال بأنّه كان للدنيا؟

هذا، ولا يخفى أنّ صاحب (التحفة) قد روى هذا الحديث، وأورده فى باب الإمامة، مع إسقاط تمنّى أبى بكر وعمر، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لهما: لا «١»!

الحادى عشر: لقد خالف أبو موسى الأشعري النصوص الصريحة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى أنّ الحقّ مع على

وأنه لا يفارقه أبداً.

وقد أخرج هذه الأحاديث كبار الأئمة الحقاظ بأسانيدهم، وقد ذكر البدخشي طرفاً منها في كتابه (مفتاح النجا في مناقب آل العباء) حيث قال:

«الفصل الثامن عشر- في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحق معه.

أخرج الترمذى عن على كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار. وأخرج أبو يعلى والضياء عن أبي سعيد رضى الله عنه: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: الحق مع ذا، الحق مع ذا؛ يعنى علياً. وأخرج ابن مردويه عن عائشة رضى الله عنها، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

(١) التحفة الاثني عشرية: ٢١٩، الباب السابع.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٨٩

وسلم قال: الحق مع على، يزول معه حيث ما زال.

وفى رواية اخرى عنها: عليّ مع الحقّ والحقّ معه.

وأخرج الطبراني في الكبير، عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يكون بين الناس فرقة واختلاف، فيكون هذا وأصحابه على الحق؛ يعنى علياً.

وأخرج أبو نعيم، عن أبي ليلي الغفاري رضى الله عنه، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: سيكون من بعدى فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب، فإنه الفاروق بين الحقّ والباطل.

وأخرج ابن مردويه، عن عائشة رضى الله عنها: أنها لما عقر جملها ودخلت داراً بالبصرة، فقال لها أخوها محمد: انشدك الله أتذكرين يوم حدثتني عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: الحقّ لن يزال مع على وعليّ مع الحقّ لن يختلفا ولن يتفرقا؟ قالت: نعم.

وأخرج عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: أشهد أن الحقّ مع عليّ ولكن مالت الدنيا بأهلها، ولقد سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول له: يا على أنت مع الحق والحق بعدى معك.

وأخرج عن ام سلمة رضى الله عنها قالت: كان عليّ على الحق، من اتبعه اتبع الحق ومن تركه ترك الحق، عهداً معهوداً قبل يومه هذا.

وأخرج عن شهر بن حوشب قال: كنت عند ام سلمة رضى الله عنها فسلم رجل، فقيل: من أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى أبي ذر. قالت: مرحباً بأبي ثابت ادخل، فدخل، فرحبت به وقالت: أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها؟ قال: مع على بن أبي طالب. قالت: وفقت، والذي نفس ام

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٩٠

سلمة بيده لسمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: على مع القرآن والقرآن مع على، لن يفترقا حتى يردا على الحوض، ولقد بعثت ابني عمر وابن أخي عبدالله بن أبي امية، وأمرتهما أن يقاتلا مع عليّ من قاتله، ولولا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرنا أن نقرّ في حجالنا وفي بيوتنا، لخرجت حتى أقف في صفّ عليّ.

وأخرج عن عليّ كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا على! إن الحقّ معك والحقّ على لسانك وفي قلبك وبين عينيك.

وأخرج عن عبيدالله بن عبدالله الكندي قال: حجّ معاوية، فأتى المدينة وأصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متوافرون، فجلس في حلقة بين عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر، فضرب بيده على فخذه ابن عباس ثم قال:

أما كنت أحقّ وأولى بالأمر من ابن عمّك؟

قال ابن عباس: وبم؟

قال: لأنني ابن عم الخليفة المقتول ظلماً.

قال: هذا- يعني ابن عمر- أولى بالأمر منك، لأن أبا هذا قتل قبل ابن عمك.

قال: فانصاع عن ابن عباس وأقبل على سعد، قال:

وأنت يا سعد الذي لم تعرف حقنا من باطل غيرنا فتكون معنا أو علينا؟

قال سعد: إنني لما رأيت الظلمة قد غشيت الأرض، قلت لبعيري هخ، فأنخته حتى إذا أسفرت مضيت.

قال: والله لقد قرأت المصحف يوماً بين الدفتين ما وجدت فيه هخ.

فقال: أما إذا أبيت، فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٩١

لعلي: أنت مع الحق والحق معك.

قال: لتجيئني بمن معك أو لأفعلن؟

قال: ام سلمة.

قال: فقام وقاموا معه حتى دخل على ام سلمة.

قال: فبدأ معاوية فتكلم فقال: يا ام المؤمنين، إن الكذابة قد كثرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده، فلا يزال قائل قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل، وإن سعداً روى حديثاً زعم أنك سمعته معه.

قالت: ما هو؟

قال: زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي: أنت مع الحق والحق معك.

قالت: صدق، في بيتي قاله.

فأقبل على سعد وقال: الآن ما ألوم ما كنت عندي، والله لو سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زلت خادماً لعلي حتى

أموت.

وأخرج الطبراني- في الأوسط والصغير- عن ام سلمة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: علي مع

القرآن والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض.

وأخرج ابن مردويه عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الحق مع علي وعلي مع الحق، لن يفترقا حتى

يردا علي الحوض.

وأخرج الديلمي عن عمار بن ياسر وأبي أيوب رضى الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمار: يا عمار! إن رأيت علياً قد

سلك وادياً

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٩٢

وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي ودع الناس، إنه لن يدلّك على الردى ولن يخرجك من الهدى.

وأخرج الحاكم عن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أطاعني فقد أطاع الله عز وجل، ومن عصاني

فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني.

وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من فارق علياً فارقني، ومن فارقني

فارق الله.

وفي رواية الحاكم عن أبي ذر رضى الله عنه مرفوعاً بلفظ: من فارقك يا علي فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق الله «١».

وقال الشيخ عبدالحق الدهلوى فى (رجال المشكاة):

«وورد أحاديث كثيرة فى حَقَائِيتِهِ وعدم مفارقتِهِ للحق قطعاً.

أخرج الحاكم- وصححه- عن عليّ رضى الله عنه قال: بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله بعثتنى رسولاً وأنا شابُّ أفضى بينهم ولا- أدرى ما القضاء؟ فضرب فى صدرى ثم قال: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه. فوالذى فلق الحية ما شككت فى قضاء بين اثنين.

وأخرج الحاكم- بسند صحيح- عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعليّ: إنك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.

وأخرج الطبرانى- فى الأوسط والصغير- عن ام سلمة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: عليّ مع القرآن والقرآن

(١) مفتاح النجا فى مناقب آل العباء، الفصل ١٨- مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٩٣

مع عليّ، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض.

وأورد السيوطى فى جمع الجوامع من رواية الحديث عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا وهذا حجّة يوم القيامة. يعنى عليّاً.

وأورد الطبرانى عن سلمان وأبى ذر معاً والعقيليّ فى الضعفاء وابن عدى فى الكامل عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا أول من آمن بى، وهو أول من يصفحنى يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الامّة يفرق بين الحقّ والباطل، وهذا يعسوب المسلمين والمال يعسوب الظالمين؛ قاله لعليّ.

إلى غير ذلك من الأحاديث.

وقال الدهلوى فى (إزالة الخفاء):

«أخرج الحاكم عن أبى ذر قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: يا على من فارقتى فقد فارقت الله، ومن فارقتك يا على فقد فارقتى.

وأخرج الحاكم عن ام سلمة رضى الله عنها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

وأخرج الحاكم عن عليّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رحم الله عليّاً، اللهم أدر الحقّ معه حيث دار» (١).

وفى (كنز العمال):

«تكون بين الناس فرقة واختلاف، فيكون هذا وأصحابه على الحقّ.

(١) إزالة الخفاء فى تاريخ الخلفاء، عن المستدرک على الصحيحين ٣: ١٢٤.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٩٤

يعنى عليّاً. طب. عن كعب بن عجرة» (١).

وفى (موادّ القربى):

«عن النبى: أول ثلثة فى الإسلام مخالفة عليّ» (٢).

وفى (الإكتفاء) لليمنى الوصابى الشافعى:

«فصل فيما جاء من الأخبار أنّ عليّ بن أبي طالب على الحق:

عن ام المؤمنين ام سلمة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ. أخرجه أبو يعلى فى المسند، والضياء فى المختارة.

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحق مع ذا الحق مع ذا، مشيراً إلى علي بن أبي طالب. أخرجه أبو يعلى فى المسند، والضياء فى المختارة.

وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه أنّ رسول الله قال: سيكون بين يدي الساعة فرقة واختلاف، فيكون هذا- مشيراً إلى عليّ بن أبي طالب- وأصحابه على الحق. أخرجه الطبرانى فى الكبير.

وعن أبى ليلى الغفارى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

سيكون بعدى فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب، فإنه الفارق بين الحق والباطل. أخرجه أبو نعيم فى المعرفة.

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ بن أبي طالب: أما إنك ستلقى بعدى جهداً. قال: فى سلامة من ديني؟

(١) كنز العمال ١١: ٦٢١/١٦٠٣٣.

(٢) مودة القربى: ٢٨ عنه ينابيع المودة ٢: ٣١٣.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٩٥

قال: نعم. أخرجه الحاكم فى المستدرک.

وعنه- يعنى أنّ علي رضى الله عنه قال:- قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: لولا- أن تقول فيك طوائف من امتى ما قالت النصرى فى المسيح، لقلت فيك قولاً، ثم لا تمرّ بملأ إلا أخذوا من تراب رجلك وفضل طهورك أو يستشفون بك، وحسبك أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلهائه لا- نبى بعدى، وإنك تبرىء ذمتى وتقاتل على سنتى، إنك فى الآخرة معى، وإنك على الحوض خليفتى، وإنك أول من يكسى معى، وإنك أول من يدخل الجنة من امتى، وإن محبيك على منابر من نور مبيضة وجوههم، أشفع لهم ويكونوا غداً جيرانى، وإن حربك حربى وسلمك سلمى، وسرك سرى وعلايتك علانيتى، وأمرك أمرى وسريرة صدرك كسريرة صدرى، وإن ولدك ولدى، وأنت منجز عدايتى، وإن الحق معك وعلى لسانك وفى قلبك وبين عينيك، والإيمان مخالط بلحمك ودمك كما خالط لحمى ودمى، وإنه لن يرد على الحوض مبغض لك، ولا- يغيب عنك محب لك حتى ترد الحوض معى.

قال: فخرّ عليّ رضى الله عنه ساجداً ثم قال: الحمد لله الذى أنعم عليّ بالإسلام، وعلمنى القرآن، وحببني إلى خير البرية خاتم النبیین وسيد المرسلين، إحساناً منه وتفضلاً. أخرجه ابن اسبوع الأندلسى فى كتابه الشفاء «١».

وقال البدخشى فى (نزل الأبرار) وقد التزم فيه بالصحة:

«أخرج أبو على والضياء عن أبى سعيد رضى الله عنه، أنّ النبى صلى الله

(١) الاكتفاء فى مناقب الخلفاء- مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٩٦

عليه وسلم قال: الحق مع ذا الحق مع ذا، يعنى على بن أبي طالب «١».

وفى (كنز العمال):

«الحق مع ذا، الحق مع ذا، يعنى علياً. ع ص عن أبي سعيد» (٢).

وفى (مودة القربى):

«عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يا ابن عباس عليك بعلى فإن الحق على لسانه وإن النفاق بجانبه، إن هذا قفل الجنة ومفتاحها، وقفل النار ومفتاحها، به يدخلون الجنة وبه يدخلون النار» (٣).

وقال الراغب الإصفهاني فى (كتاب المحاضرات) فى فضائل سيدنا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام:

«وقال صلى الله عليه وسلم: الحق مع على وعلى مع الحق، لن يزولا حتى يردا على الحوض» (٤).

وفى (الصواعق المحرقة):

«الحديث الحادى والعشرون: أخرج الطبرانى فى الأوسط والصغير، عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

على مع القرآن والقرآن مع على، لا يفترقان حتى يردا على الحوض» (٥).

وقال الحاكم النيسابورى:

«أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله الحفيد، حدثنا أحمد بن محمد بن

(١) نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل البيت الأطهار: ٢٤.

(٢) كنز العمال ١١: ٦٢١ / ٣٣٠١٨.

(٣) مودة القربى: ٢٧، عنه ينابيع المودة ٢: ٣١١.

(٤) محاضرات الادباء ٤: ٤٧٨.

(٥) الصواعق المحرقة ٢: ٣٦١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٩٧

نصر، حدثنا عمرو بن طلحة القناد الثقة المأمون، حدثنا على بن هاشم بن البريد، عن أبيه قال: حدثني أبو سعيد التيمى، عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: كنت مع على رضى الله عنه يوم الجمل، فلما رأيت عائشة واقفة دخلنى بعض ما يدخل الناس، فكشف الله عنى ذلك عند صلاة الظهر، فقاتلت مع أمير المؤمنين، فلما فرغ ذهبت إلى المدينة فأتيت أم سلمة فقلت: إني والله ما جئت أسأل طعاماً ولا شرباً ولكنى مولى لأبى ذر، فقالت: مرحباً، فقصصت عليها قصتى. فقالت: أين كنت حين طارت القلوب مطائرها؟ قلت: إلى حيث كشف الله ذلك عنى عند زوال الشمس. قالت: أحسنت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: على مع القرآن والقرآن مع على لن يتفرقا حتى يردا على الحوض. هذا حديث صحيح الإسناد، وأبو سعيد التيمى هو عقيصاء، ثقة مأمون ولم يخرجاه.

أخبرنا أحمد بن كامل القاضى، حدثنا أبو قلابة، حدثنا أبو عتاب سهل ابن حماد، حدثنا المختار بن نافع التميمى، حدثنا أبو حيان التيمى، عن أبيه عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» (١).

دلّت هذه الأحاديث المتكثرة على أن الحق ما فارق علياً عليه السلام ولا لحظة من حياته المباركة، وأن حروبه كلها كانت على الحق، وأن من تخلف عنه فقد فارق الحق وكان على الباطل...

وقد خالف أبو موسى مقتضى هذه الأحاديث طلباً للحطام ومخالفة

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٩٨

للإمام عليه السلام، ومن العجب أن أبا موسى نفسه أيضاً من رواه هذا المعنى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما تقدم... فما عذره عند الله ورسوله مما صنع؟ بل الأشنع من ذلك تخذيله الناس عن الإمام ومنعه إياهم من نصرته؟! وأما ما اعتذر به من أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ستكون فتنة... فيبطله الأحاديث المتقدمة، لاسيما وأنه من الرواة فيها...

وأيضاً، فقد أبطله وردّ عليه الصحابي العظيم عمّار بن ياسر، فيما أخرجه أبو يعلى وابن عساكر، والمتقى الهندي عنهما: «عن أبي مريم قال: سمعت عمّار بن ياسر يقول: يا أبا موسى، انشدك الله، ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار؟ وأنا سائلك عن حديث، فإن صدقت وإلا بعثت عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقرر ك به، انشدك الله، أليس إنما عناك رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت نفسك فقال: إنها ستكون فتنة بين امتي، أنت- يا أبا موسى- فيها نائماً خير منك قاعداً، وقاعداً خير منك قائماً، وقائماً خير منك ماشياً، فخصك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعمّ الناس؟ فخرج أبو موسى ولم يرد عليه شيئاً. ع، ك» أي: رواه أبو يعلى وابن عساكر (١).

قصة التحكيم ... ص: ٩٨

وذاك موقف آخر من مواقف بغضه وعناده لأبي المؤمنين عليه السلام

(١) كنز العمال ١١: ٢٧٣ / ٣١٤٩٨.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٩٩

وتخلّفه عن الحق وسقوطه في دركات الجحيم:

روى سبط ابن الجوزي في قضية التحكيم:

«فقال عمرو- يعنى لأبي موسى-: قد أردت أن تباع معاوية فأبيت، فهلم بنا نخلع علياً ومعاوية، ونجعل الأمر شورى يختار المسلمون من شاؤوا.

وقيل: إن الذي ابتداءً بذلك أبو موسى، فقال عمرو: نعم ما رأيت، فأخبر الناس إننا قد اتفقنا على أمر فيه صلاح هذه الأمة. ثم قال: يا أبا موسى، قم فتكلم.

فقال أبو موسى: قم أنت. فقال: أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا- يسعني الكلام قبلك. فقال عبدالله بن عباس: ويحك يا عبدالله بن قيس، والله إنني لأظن ابن النابغة قد خدعك- وكان أبو موسى رجلاً مغفلاً- فقال: إننا قد اتفقنا، فقال: أيها الناس إننا نظرنا في هذا الأمر، فلم نر أصلح للأمة من خلع عليّ ومعاوية، ونستقبل الأمة بهذا الأمر فيولّوا عليهم من أحبوا، وإنني قد خلعتهما، ثم تنحى» (١).

وفي (مفتاح النجا):

«واتفق الحكمان على أن يخلعا علياً، ويختارا للمسلمين خليفه رضوا به، وتفرّق الناس على هذا» (٢).

وقال الياضي في (مرآة الجنان) في وقائع سنة سبع وثلاثين:

«روى أنه اجتمع في رمضان أبو موسى الأشعري ومن معه من الوجوه وعمرو بن العاص ومن معه كذلك بدومة الجندل للتحكيم، فخلا عمرو بأبي موسى وخذعه وقال له: تكلم قبلي، فأنت أفضل وأكبر سنّاً مني، وأرى أن

(١) تذكرة خواص الائمة: ٩٧.

(٢) مفتاح النجا في مناقب آل العبا- مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٠٠

تخلع علياً ومعاوية، ويختار المسلمون لهم رجلاً يجتمعون عليه، فوافقه على هذا ولم يشعر بخدعه، فلما خرجا وتكلم أبو موسى وحكم بخلعهما، قام عمرو بن العاص وقال: أما بعد؛ فإنّ أبا موسى قد خلع علياً كما سمعتم، وقد وافقته على خلعه، ووليت معاوية. وقيل: إنهما اتفقا على أن يصعد أبو موسى على المنبر وينادي: يا معشر المسلمين، اشهدوا عليّ أنّي قد خلعت علياً من الخلافة كما خلعت خاتمي هذا، ففعل ذلك، وأخرج خاتمه من أصبعه ورمى به إليهم» (١).

وقال عبدالله بن مسلم بن قتيبة في كتاب (الإمامة والسياسة):

«ثم إنّ عمراً غدا على أبي موسى بالغد وجماعة الشهداء فقال: يا أبا موسى، ناشدتك الله تعالى من أحقّ بهذا الأمر، من وفي أو من غدر؟

قال أبو موسى: من وفي.

قال: ناشدتك بالله، ما تقول في عثمان؟

قال أبو موسى: قتل ج عثمان ج مظلوماً.

قال عمرو: فما الحكم فيمن قتله؟

قال أبو موسى: يقتل بكتاب الله.

قال: فمن يقتله؟

قال: أولياء عثمان.

قال: فإنّ الله يقول في كتابه العزيز: «ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لولّيه سلطاناً».

قال: فهل تعلم أنّ معاوية من أولياء عثمان؟

(١) مرآة الجنان ١: ٨٦-٨٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٠١

قال: نعم.

قال عمرو للقوم: إشهدوا.

قال أبو موسى للقوم: اشهدوا على ما يقول عمرو.

ثمّ قال أبو موسى لعمرو: قم يا عمرو، فقل وصرّح بما أجمع عليه رأيي ورأيك وما اتفقنا عليه.

فقال عمرو: سبحان الله! أقوم بقلبك، وقد قدّمك الله قبلي في الإيمان والهجرة، وأنت وافد أهل اليمن إلى رسول الله، ووافد رسول

الله إليهم، وبك هداهم الله وعزّفهم شرائع دينه وسنّته نبيّه، وصاحب مغانم أبي بكر وعمرو؟

ولكن أنت قم فقل، ثمّ أقوم فأقول.

فقام أبو موسى، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ خير الناس للناس خيرهم لنفسه، وإنّي لا أهلك ديني بصلاح غيري، إنّ هذه الفتنة قد أكلت العرب، وإنّي ج قد ج رأيت وعمرو أن تخلع علياً ومعاوية، ونجعلها لعبدالله بن عمر، فإنّه لم يبسط في هذه

الحرب يداً ولا لساناً» (١).

وقال نور الدين علي بن محمد الصباغ الفقيه المالكي - وترجمته في كتاب الضوء اللامع «٢» :-
 «ولمّا راود عمرو بن العاص أبا موسى على معاوية وعلى ابنه عبدالله فأبى أبو موسى منه، راود أبو موسى عمراً على تولية الخلافة
 لعبدالله بن عمر رضى الله عنهما، فأبى عمرو منه، ثم قال له: هات رأياً غير هذا.
 فقال أبو موسى: أرى أن نخلع هذين الرجلين - يعنى علياً ومعاوية -

(١) الإمامة والسياسة: ١٣٦-١٣٧.

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المجلد ٣: ٢٨٣/٩٥٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٠٢

ونجعل الأمر شورى، فيختار المسلمون من أحبوه.

فقال عمرو: الرأى ما رأيت.

فأقبلا على الناس بوجههما، وهم مجتمعون ينظرون ما يتفقان عليه.

فقال عمرو: تكلم يا أبا موسى، وأخبرهم أن رأينا اتفق.

فقال أبو موسى: أيها الناس، إن رأينا قد اتفق على أمر، نرجو أن يصلح الله تعالى به أمر هذه الامة ويلم شعثها ويجمع كلمتها.

فقال عمرو: صدق أبو موسى وبرّ فيما قال، فتقدّم يا أبا موسى فتكلم.

فقام إليه عبدالله بن عباس وقال له: يا أبا موسى، إن كنت وافقته على أمر فقدّمه يتكلم به قبلك، فإنى أخشى من خديعته لك، وإنى

لا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمت فى الناس خالفك.

فقال أبو موسى: قد توافقتنا وتراضينا، وما ثم مخالفة أبداً.

وكان أبو موسى رجلاً سليم القلب، فتقدّم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس! إننا قد نظرنا فى أمر هذه الامة، فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد اجتمع رأى ورأى عمرو عليه، وهو أن نخلع

علياً ومعاوية، وتستقبل هذه الامة هذا الأمر بأنفسها، فيولّوا عليهم من أحبوا واختاروا، وإنى قد خلعت علياً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم،

وولّوا عليكم من رأيتموه أهلاً لذلك» «١».

وفى (تاريخ الخميس):

«ولمّا سئم الفريقان القتال تداعيا إلى الحكومة، فرضى على أهل الكوفة بأبى موسى الأشعري، ورضى معاوية وأهل الشام بعمرو بن

العاص، فاجتمع الحكمان بدومة الجندل، واتفقا على أن يخلعا معا، ويختارا

(١) الفصول المهمة فى معرفة الأئمة: ٩٩-١٠٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٠٣

للمسلمين خليفة رضوا به، وقد عيّن للخلافة الحكمان يومئذ عبدالله بن عمر ابن الخطاب، كذا فى دول الإسلام، ثم اجتمعا بالناس،

وحضر معاوية ولم يحضر على، فبدأ أبو موسى وخلع علياً، ثم قام عمرو وقال: قد خلعت علياً كما خلعه، وأثبت خلافة معاوية» «١».

كلام الإمام فى أبى موسى بعد التحكيم ... ص: ١٠٣

أمّا الإمام عليه السلام، فلمّا بلغه ما صنعه أبو موسى خطب قائلاً:

«الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. أما بعد، فإن المعصية تورث الحسرة وتعقب الندامة، وكنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمرى فأبئتم، ونحلتكم رأيى فما ألويتم، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم تبيّنوا الرشد إلاضحى الغد

أما بعد، فإن هذين الرجلين الذين قد اخترتموهما حكيمين، قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحيا ما أمات القرآن، وأتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله، فحكما بغير حجة ولا سنة مضيئة، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشدا، استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام» (٢).

وفي رواية عن الشعبي ... « وكلاهما لم يرشدا، فبرثنا من الله ورسوله وصالح المؤمنين، فاستعدوا للجهاد » ... (٣).

وكفى بهذا شرفاً وفخاراً لأهل السنة، حيث جعلوا هذا المعلوم المذموم،

(١) تاريخ الخميس ٢: ٢٧٧.

(٢) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ١٠١.

(٣) تذكرة خواص الأئمة في معرفة الأئمة: ٩٩.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٠٤

الخائن الفاسق، النابذ لحكم القرآن، المحيى ما أماته والمميت ما أحياه، والتابع لهواه المردى والتارك لهده المنجى، والحاكم بغير حجة، والقاضى بغير سنة، والبرىء من الله ورسوله وصالح المؤمنين، والتابع لإغواء الشيطان الرجيم اللعين، إماماً وملجأً وسنداً وكهفياً ومرجعاً ومعتمداً!!

وفي كلام له عليه السلام مخاطباً الخوارج:

«أيها العصابة التي أخرجها عداوة المراء والحجاج، وصدّهم عن الحقّ أتباع الهوى واللجاج، إنّ أنفسكم الأمانة بالسوء سوّلت لكم فراقى لهذه الحكومة التي أنتم بدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره، وأنبأتكم أنّ القوم إنّما فعلوه مكيدة، فأبئتم على إباء المخالفين، وعندتم على عناد العاصين، حتّى صرفت رأيى إلى رأيكم، وإنى معاشرهم -والله- صغار الهام سفهاء الأحلام، فأجمع رؤسائكم وكبرائكم أنّ اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يحكما بالقرآن ولا يتعدّيانه، فتاها وتركا الحق وهما يبصرانه، فبينوا لنا بم تستحلون قتالنا والخروج عن جماعتنا، ثمّ تستعرضون الناس تضربون أعناقهم، إنّ هذا لهو الخسران المبين» (١).

وروى أبو الفرج ابن الجوزى فى (تلييس إبليس) كتاب الإمام إلى الخوارج:

«أما بعد، فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكيمين، قد خالفا كتاب الله وأتبعوا أهواءهما، ونحن على الأمر الأوّل» (٢).

لعن النبي أبا موسى الأشعري ... ص: ١٠٤

وفي حديث أخرجه ابن عساكر بتاريخه:

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ١٠٣.

(٢) تلييس إبليس: ١٠٨.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٠٥

«عن أبي يحيى حكيم قال: كنت جالساً مع عمّار، فجاء أبو موسى، فقال: مالي ولك! قال: أأست أخاك؟ قال: ما أدري، إلّا أنّي سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلعنك ليلة الجمل. قال: إنّه قد استغفر لي.»

قال عمّار: قد شهدت اللّعن ولم أشهد الإستغفار» (١).

أقول: ومراده من «ليلة الجمل» هي ليلة «العقبة» حيث أراد أبو موسى وأبو بكر وعمر وجماعة معهم اغتيال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله بتنفيذ ناقته، فعرفهم عمّار وحذيفه، فقال عمّار في أبي موسى هذه الكلمة، وقال حذيفه كلمته التي كره ابن عبد البرّ ذكرها، وقد أوردناها هنا.

ترجمة ابن عساكر ... ص: ١٠٥

وابن عساكر صاحب (تاريخ دمشق) المتوفى سنة ٥٧١ ووصفه الذهبي ب «الإمام العلامة الحافظ الكبير المجود، محدث الشام، ثقة الدين» ثم قال: «كان فهماً حافظاً متقناً ذكياً بصيراً بهذا الشأن، لا يلحق شأوه، ولا يشقّ غباره، ولا كان له نظير في زمانه» ثم أطل الكلام في ترجمته، وذكر كلمات الأعلام في مدحه وثقته (٢). ثم إن هذا الحديث، وإن كذّبه ابن عدى وتبعه ابن الجوزي فأدرجه في

(١) تاريخ دمشق ٣٢: ٩٣ / ٣٤٦١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٠: ٥٥٤-٥٧١، تذكرة الحفاظ ٤: ١٣٢٨-١٣٣٤، وتوجد ترجمته في سائر كتب التاريخ والرجال.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٠٦

(الموضوعات)، إلّا أنّ السيوطي ردّ عليهما القول بوضعه، وأثبت وثاقه راويه، حيث قال في (اللاكي المصنوعة):

«ابن عدى، ثنا أحمد بن الحسين الصوفي، ثنا محمد بن علي بن خلف العطار، ثنا حسين الأشقر، عن قيس بن الربيع، عن عمران بن ظبيان، عن حكيم أبي يحيى قال: كنت جالساً مع عمّار، فجاء أبو موسى، فقال له عمّار: إنّي سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلعنك ليلة الجمل. قال: إنّه استغفر لي. قال عمّار: قد شهدت اللّعن ولم أشهد الإستغفار. موضوع. قال ابن عدى: والبلاء من العطار لا من حسين.

قلت: العطار وثقه الخطيب في تاريخه» (١).

وقال ابن حجر في (لسان الميزان) بترجمة محمّد بن عليّ العطار: «قال الخطيب: قال محمّد بن المنصور: كان ثقة مأموناً حسن العقل» (٢).

فثبت كفر أبي موسى الأشعري على لسان النبيّ الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ.

وفي حديث آخر أورده الدهلوي في (إزالة الخفا عن سيرة الخلفاء) قال:

أخرجه البيهقي:

«عن عليّ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن بني إسرائيل اختلفوا، لم يزل اختلفهم بينهم حتى بعثوا حكيمين فضلاً وأضلاً. وإن هذه الأئمة مختلفة، فلا يزال اختلفهم بينهم حتى يبعثوا حكيمين ضلاً وضلّ من اتبعهما.»

(١) اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ١: ٤٢٨.

(٢) لسان الميزان ٦: ٣٥٨ / ٧٨٤٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٠٧

قنوت على بالدعاء على أبى موسى فى جماعة ... ص: ١٠٧

هذا، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يقنت فى صلاته بالدعاء على جماعة فىهم أبو موسى الأشعري ... روى ذلك ابن أبى شيبة، كما فى (كنز العمال):

«عن عبدالرحمن بن معقل قال: صلّيت مع على صلاة الغداة، فقنت فقال فى قنوته: اللهم عليك بمعاوية وأشياعه، وعمرو بن العاص وأشياعه...
وعبداللّه بن قيس وأشياعه. ش» (١).

توقف عمر عن قبول خبر أبى موسى ... ص: ١٠٧

وقد اشتهر أنّ عمر بن الخطاب توقّف عن قبول خبر أبى موسى فى الاستيذان، وقد استدللّ به العلماء فى مبحث خبر الواحد، ونكتفى هنا بكلام ابن حجر فى (فتح البارى) إذ قال:

«احتجّ من ردّ خبر الواحد بتوقفه صلى الله عليه وسلم فى قبول خبر ذى اليمين، ولا حجّة فيه، لأنه عارض علمه، وكلّ خبر واحد إذا عارض العلم لم يقبل، وتوقف أبى بكر وعمر فى حديثى المغيرة فى الجدة وفى ميراث الجنين، حتّى شهد بهما محمّد بن مسلمة، وتوقف عمر فى خبر أبى موسى فى الاستيذان حتّى شهد له أبو سعيد، وتوقف عائشة فى خبر ابن عمر فى تعذيب الميت ببكاء الحى. واجيب: بأنّ ذلك إنّما وقع منهم، إنّما عند الإرتياب كما فى قصّة أبى

(١) كنز العمال ٨: ٨٢ / ٢١٩٨٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٠٨

موسى، فإنّه أورد الخبر عند إنكار عمر عليه ورجوعه بعد الثلاث وتوعده، فأراد عمر الإستثبات، خشية أن يكون دفع بذلك عن نفسه» (١).

(١) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ١٣: ١٩٧-١٩٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٠٩

تنبيه حول كتاب الإمامة والسياسة ١ ... ص: ١٠٩

إشارة

قد يحاول بعض المكابرين التشكيك فى نسبة كتاب (الإمامة والسياسة) إلى ابن قتيبة، بغية التخلّص من استدلال الإمامية بأخبار هذا

الكتاب واحتجاجهم بما روى فيه من الحقائق التاريخية، التي طالما حاول المؤرخون والمحدثون من كتبتها وعدم نقلها. فكان من اللازم علينا التأكيد على أن الكتاب المذكور هو من تأليف ابن قتيبة المؤرخ المعروف والأديب الشهير...

ترجمة ابن قتيبة «٢...» ص: ١٠٩

وهو: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، النحوي اللغوي المؤرخ، صاحب التصانيف الكثيرة المتنوعة، والمتوفى سنة ٢٧٦ عند الأكثر. قال ابن خلكان: كان فاضلاً ثقةً. وكذا قال الياضي. وقال الخطيب: كان ثقةً ديناً فاضلاً.

(١) موضوع هذا التنبيه موجود في (عبارات الأنوار) وفي (استقصاء الإفحام) وقد أضفنا إلى ما ذكره السيد رحمه الله مطالب أخرى. (٢) وفيات الأعيان ١: ٣١٤، مرآة الجنان والعبر - سنة ٢٧٦ - لسان الميزان ٣: ٣٥٨، سير أعلام النبلاء ١٠: ٦٢٥، الأنساب: القتيبي، جامع الاصول.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١١٠

وكذا قال ابن الأثير.

وقال الذهبي: صدوق، ووصفه في موضع آخر ب «الإمام الورع».

وكذا قال ابن حجر.

كتاب الإمامة والسياسة ... ص: ١١٠

وهذا الكتاب لابن قتيبة المذكور قطعاً، فلقد نقل عنه غير واحد من أعلام أهل السنّة في مختلف القرون في كتبهم نصوصاً في موضوعات مختلفة هي موجودة في كتاب (الإمامة والسياسة):

١- يقول ابن العربي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣ في كتابه (العواصم من القواصم) الذي شحنه بغضاً وحقداً لأهل البيت عليهم السلام وعناداً للحق وأهله:

«ومن أشدّ شيء على الناس جاهل عاقل أو مبتدع محتال. فأما الجاهل فهو ابن قتيبة، فلم يبق ولم يذر للصحابه رسماً في كتاب الإمامة والسياسة، إن صحّ جميع ما فيه» (١).

٢- ويقول أبو الحجاج يوسف بن محمّد البلوي الأندلسي المالكي المتوفى سنة ٦٠٤ «٢» في كتابه (ألف باء): «ذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة:

أنّه لما قدم على الحجاج سعيد بن جبير قال له: ما اسمك؟ قال: أنا سعيد بن جبير. فقال الحجاج: أنت شقي بن كسير. قال سعيد: أمي أعلم باسمي» «... ٣».

(١) العواصم من القواصم: ٢٤٨.

(٢) توجد ترجمته في معجم المؤلفين ١٣: ٣٣٠ وذكر كتابه في كشف الظنون ١/ ١٥٠.

(٣) كتاب الألف باء في المحاضرات: ٤٧٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١١١

٣- ويقول تقى الدين الفاسى المكى المتوفى سنة ٨٣٢، فى ذكر الولاة على مكة المكرمة: «٢٤٥٨- مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص الاموى. أمير مكة. ذكر ولايته عليها ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة، لأنه قال: ذكروا أن مسلمة بن عبد الملك كان والياً على أهل مكة، فبينا هو يخطب على المنبر، إذ أقبل خالد بن عبد الله القسرى «... ١».

٤- وكذا يقول عمر بن فهد المكى المتوفى سنة ٨٨٥ فى ذكر الولاة على مكة كذلك، لأنه لم يذكر ولاية مسلمة بن عبد الملك عليها غير ابن قتيبة فى كتابه، كما هو ظاهر عبارة التقى الفاسى المتقدمه، فقد اعتمد ابن فهد أيضاً على نقل ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة فقال: «وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فى كتاب الإمامة والسياسة: كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان والياً على أهل مكة «... ٢».

٥- ويقول ابن حجر المكى صاحب (الصواعق) متضجراً من نقل ابن قتيبة فى كتاب الإمامة والسياسة ما شجر بين الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، ويعترض عليه- تبعاً لابن العربى المالكى- روايته لمثل هذه الامور: «مع تأليف صدرت من بعض المحدثين كابن قتيبة، مع جلالته القاضية بأنه كان ينبغى له أن لا يذكر تلك الظواهر، فإن أبى إلأن يذكرها، فليبين جريانها على قواعد أهل السنة «... ٣».

(١) العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ٦: ٧٢.

(٢) إتحاف الورى بأخبار أم القرى. حوادث سنة ٩٣.

(٣) تطهير الجنان واللسان: ٧٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١١٢

هذا، وقد نقل عن كتاب (الإمامة والسياسة) مع نسبه إلى ابن قتيبة، جماعة آخرون من أعلام القوم:

كابن خلدون فى: تاريخه المعروف ... ٢: ١٦٦.

وأبى عبد الله محمد بن على التوزرى المصرى فى كتابه: صلوة السمط وسمه المرط فى الأدب والتاريخ «١»، فى الفصل الثانى من الباب ٣٤.

وشاه سلامة الله البديونى- أحد علماء الهند- فى كتابه: معركة الآراء:

١٢٦.

وذكر حيدر على الفيض آبادى فى كتابه: منتهى الكلام فى الرد على الشيعة: أنهم- أى الشيعة- يعتمدون على كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة إعتمادهم على القرآن الكريم!! ...

فنقول: والعياذ بالله من هذا الكلام... فالإمامية إنما تستند إلى هذا الكتاب لكونه من مؤلفات أحد أعلام أهل السنة المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام، ومن باب الإلزام والإحتجاج، ولا تقول الشيعة بصحة كل ما فيه من الأخبار، بل شأنه شأن سائر الكتب، فيه الحق والباطل، فكيف يقاس بالقرآن الكريم الذى «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» «٢».

هذا، وقد نسب كتاب (الإمامة والسياسة) إلى ابن قتيبة، جل المؤلفين المعاصرين أمثال:

فريد وجدى فى: دائرة المعارف.

وعمر رضا كحالة فى: معجم المؤلفين.

(١) انظر: معجم المؤلفين ١١: ٥٧.

(٢) سورة فصلت: ٤٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١١٣

وإلياس سر كيس في: معجم المطبوعات العربية.

وجرجى زيدان في: تاريخ آداب اللغة العربية.

وهاهو كتاب (الإمامة والسياسة) مطبوع - بتحقيق غير واحد من المحققين - طبعت عديدة في بلاد مختلفة، قال جرجى زيدان: ومنه نسخ خطية في مكتبات باريس ولندن.

قلت: ومنه نسخة نفيسة جداً، ترجع إلى القرن الثالث أو الرابع في مكتبة المجلس بطهران.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١١٤

عبدالله بن الزبير ... ص: ١١٤

إشارة

وأما عبدالله بن الزبير، فقوادحه تفوق الحصر والعد، ونحن نتعرض لبعضها مع الإختصار...

أول شهادة زور في الإسلام ... ص: ١١٤

إنّ أول ما نذكره من مطاعن الرجل وقبائحه: كذبه وإقامته شهادة زور في قضية كلاب الحوآب، وذلك أنه لما وصلت عائشة - في مسيرها إلى البصرة تقود الجيوش من أجل قتال على عليه السلام - إلى منطقة الحوآب ونبحتها كلابها، تذكّرت قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأرادت الرجوع إلى الحجاز، فرأى ابن الزبير أنها إن رجعت انكسر جيشهم وخسروا المعركة، فجاء وحلف بأنّ هذا المكان ليس الحوآب، وأقام شهوداً على ذلك أيضاً، فكانت أول شهادة زور في الإسلام، وقد قال رسول الله: من سنّ سنّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ... وهكذا انخدعت عائشة وواصلت سيرها، ووقعت الحرب واريقت الدماء وهتكت الأعراس ... كما هو مثبت في كتب التاريخ ...

ونحن نكتفي هنا بإيراد بعض الأخبار في كذب ابن الزبير وشهادته الكاذبة:

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١١٥

قال السمعاني (١):

«ورود في حديث عصام بن قدامة، عن عكرمة، عن ابن عباس: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لنساءه: ليت شعري أيتكّن صاحبة الجمل الأدب، وقيل: الأحمر، تنبّحها كلاب الحوآب.

وروى إسماعيل بن أبي خالد كذلك، عن قيس بن أبي حازم عن عائشة: أنّها مرّت بماء، فنبّحتها كلاب الحوآب، فسألته عن الماء، فقالوا: هذا ماء الحوآب، والفصة في ذلك:

أنّ طلحة والزبير بعد قتل عثمان وبيعة على، خرجا إلى مكة، وكانت عائشة حاجّة تلك السنة، بسبب اجتماع أهل الفساد والعيث من البلاد بالمدينة لقتل عثمان، خرجت عائشة هاربة من الفتنة، فلما لحقها طلحة والزبير حملها إلى البصرة في طلب دم عثمان من على

رضى الله عنه، وكان ابن الزبير عبدالله ابن اختها أسماء ذات النطاقين، فلما وصلت عائشة رضى الله عنها معهم إلى هذا الماء نبحت الكلاب عليها، فسألت عن الماء واسمه، فقيل لها: الحوآب، فتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم: أَيْتَكُنَّ يَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوَآبِ، فتوقفت وعزمت على الرجوع، فدخل عليها ابن اختها ابن الزبير وقال: ليس هذا ماء الحوآب، حتى قيل أنه حلف على ذلك وكفر عن يمينه والله أعلم، ويّممت عائشة إلى البصرة وكانت وقعة الجمل المعروفة» (٢).

وقال قاضى القضاء محبّ الدين أبو الوليد محمد بن محمد بن الشحنة

(١) قال الذهبي: «الإمام الحافظ الكبير الأوحى الثقة، محدث خراسان، أبو سعد عبدالكريم ... السمعاني» ... وأرخ وفاته بسنة ٥٦٢. سير أعلام النبلاء ٢٠: ٤٥٦.

(٢) الأنساب ٢: ٢٨٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١١٦
الحنفى الحلبي «١»:

«فى سنة ست وثلاثين: أرسل على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى البلاد عمّاله، فبعث عمارة بن شهاب إلى الكوفة، وكان من المهاجرين، وولى عثمان بن حنيف الأنصارى البصرة، وعبيدالله بن عباس اليمن، وقيس بن سعد الأنصارى مصر، وسهل بن حنيف الأنصارى الشام، فرجع من الطريق لما سمع بعضيان معاوية، وكذلك عمارة لقيه طلحة بن خويلد الذى كان ادعى النبوة فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه فقال له: إن أهل الكوفة لا يستبدلون بأبى موسى الأشعري، فرجع، ولما وصل عبيدالله إلى اليمن خرج الذى كان بها من قبل عثمان - وهو يعلى بن مته - بما بها من الأموال إلى مكّة، وصار مع عائشة وطلحة والزبير، وجمعوا جمعاً عظيماً وقصدوا البصرة، ولم يوافقهم عبدالله بن عمر، وأعطى يعلى بن مته لعائشة رضى الله عنها جملاً كان اشتراه بمائة دينار اسمه عسكر، وقيل بثمانين، وركبته، ومروا بمكان اسمه الحوآب، فنبحتهم كلابه.

فقال عائشة: أى ماء هذا؟

فقيل لها: هذا ماء الحوآب، فصرخت وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - وعنده نساؤه - ليت شعري أيتكنّ تنبّحها كلاب الحوآب، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت: ردوني، فأقاموا يوماً وليلاً.

فقال لها عبدالله بن الزبير: إنّه كذب، ليس هذا ماء الحوآب.

ولم يزل بها وهى تمتنع، فقال: النجا النجا، فقد أدر ككم على.

(١) المتوفى سنة ٨١٥ توجد ترجمته فى: الضوء اللامع ١٠: ٣ وشذرات الذهب ٧: ١١٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١١٧

فارتحلوا فوصلوا البصرة» (١).

وقال ابن قتيبة فى كتاب (الإمامة والسياسة):

«فلما انتهوا إلى ماء الحوآب فى بعض الطريق ومعهم عائشة، نبّحها كلاب الحوآب، فقالت لمحمد بن طلحة: أى ماء هذا؟ قال: هذا ماء الحوآب.

فقال: ما أرانى إلّاراجعة. قال: ولم؟ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنسائه: كأنى يا حداكنّ قد نبّحها كلاب الحوآب، وإياك أن تكونى هى أنت يا حميراء، فقال لها محمد بن طلحة: تقدّمى - رحمك الله - ودعى هذا القول.

وأتى عبدالله بن الزبير، فحلف لها بالله لقد خلفته أول الليل، وأتاها بيئته زور من الأعراب، فشهدوا بذلك» (٢).

قبائح ابن الزبير في هذه القصة ... ص: ١١٧

وقد ارتكب ابن الزبير في هذه القصة قبائح عديدة، تكفى الواحدة منها للتعن واللعن فيه، فكيف إذا اجتمع الجميع في الواقع واتسع الفتق على الراقع؟:

١- إنه ارتكب الكذب، إذ قال لعائشة: إن هذا المكان ليس «الحوأب».

٢- وقد حلف على ذلك كاذباً.

٣- وأقام شهود الزور على كذبه.

٤- وجعل يقول: النجاء النجاء، فقد أدر ككم على.

(١) روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر، حوادث السنة ٣٦.

(٢) الإمامة والسياسة: ٦٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١١٨

٥- وكان السبب في تلك المفسدة الكبيرة التي قاموا بها وأراقوا الدماء فيها.

هذا، وقد جاء في بعض الأخبار مشاركة طلحة والزبير في إقامة تلك الشهادة الكاذبة والآثمة:

قال سبط ابن الجوزي: قال ابن جرير في تاريخه:

«... فمرت على ماء يقال له الحوأب، فنبحتها كلابه، فقالت: ما هذا المكان؟ فقال لها سائق الجمل العرنى: هذا الحوأب، فاسترجعت وصرخت بأعلى صوتها، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته، ثم قالت: أنا- والله- صاحبة كلاب الحوأب، ردوني إلى حرم الله ورسوله- قالتها ثلاثاً-».

قال ابن سعد- فيما حكاه عن هشام بن محمد الكلبي- استرجعت وذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف بك إذا نبحتك كلاب الحوأب؟

فقال لها طلحة والزبير: ما هذا الحوأب، وقد غلط العرنى. ثم أحضروا خمسين رجلاً فشهدوا معهما على ذلك وحلفوا.

قال الشعبي: فهي أول شهادة زور اقيمت في الإسلام» (١).

خروجه لقتال الإمام عليه السلام ... ص: ١١٨

ولا خلاف في أن عبدالله بن الزبير من الخارجين على الإمام، والمبادرين لمحاربة أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا من أعظم معاصيه وأقبح مخازيه، وقد أفادت الأحاديث النبوية الثابتة بأن قتال الإمام عليه السلام كفر،

(١) تذكرة خواص الائمة: ٦٨. وانظر: تاريخ الطبري ٤: ٤٦٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١١٩

لأن قتال المسلم أشنع وأقبح من سبابه، وإذا كان سب أمير المؤمنين كفراً، فمحاربه وقاتله كفر، بالأولوية القطعية.

أما الدليل على أن المحاربة والقتال أشد من السب، فقد أخرج البخارى فى كتاب الإيمان بإسناده عن عبد الله: «إن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» (١).

وفى كتاب الفتن بإسناده: «قال عبد الله: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» (٢).

وفى كتاب الأدب، بإسناده عن عبد الله قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» (٣).

وقال المنذرى فى (الترغيب والترهيب): «عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.

رواه البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه» (٤).

فقال ابن حجر فى شرحه:

«لما كان القتال أشد من السباب، لأنه مفض إلى إزهاق الروح، عبّر عنه بلفظ أشد من لفظ الفسوق، وهو الكفر» (٥).

وأما الدليل على أن سب على عليه السلام كفر، فالأحاديث الصحيحة

(١) صحيح البخارى ١: ١٩ كتاب الإيمان - باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله ...

(٢) صحيح البخارى ٩: ٦٣ كتاب الفتن - باب قول النبي صلى الله عليه وآله: لا ترجعوا بعدى كفاراً ...

(٣) صحيح البخارى ٨: ١٨ كتاب الأدب باب ما يُنهى من السباب واللعن.

(٤) الترغيب والترهيب ٣: ٢/٤٦٦.

(٥) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ١: ٩٣.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٢٠

الثابتة:

أخرج الحاكم:

«أخبرنا أحمد بن كامل القاضى، حدّثنا محمّد بن سعد العوفى، حدّثنا يحيى بن أبى بكر، حدّثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن أبى عبد الله الجدلى قال: دخلت على ام سلمة رضى الله عنها فقالت لى: أيسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم؟ فقلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها. فقالت:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سب علياً فقد سبني. هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

وقد رواه بكير بن عثمان البجلي، عن أبى إسحاق بزيادة ألفاظ: حدّثنا أبو جعفر أحمد بن عبيد الحافظ بهمدان، حدّثنا أحمد بن

موسى بن إسحاق التميمى، حدّثنا جندل بن والى، حدّثنا بكير بن عثمان البجلي قال: سمعت أبى إسحاق التميمى يقول: سمعت أبى

عبد الله الجدلى يقول: حججت - وأنا غلام - فمررت بالمدينة، وإذا الناس عنق واحد فأتبعتهم، فدخلوا على ام سلمة زوج النبي صلى

الله عليه وسلم، فسمعتها تقول: يا شيب بن ربيعى، فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا امه. قالت: يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى نادىكم؟! قال: وأنى ذلك. قالت: فعلى بن أبى طالب. قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فإنى سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقول: من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله تعالى» (١).

وأخرج الحاكم:

«أخبرنى محمّد بن أحمد بن تميم القنطرى، حدّثنا أبو قلابه الرقاشى،

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٢١ کتاب معرفة الصحابة.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٢١

حدَّثنا أبو عاصم، عن عبد الله بن مؤمل، حدَّثني أبو بكر بن عبيد الله بن أبي مليكة عن أبيه قال: جاء رجل من أهل الشام، فسب علياً عند ابن عباس، فحصبه ابن عباس فقال: يا عدو الله، آذيت رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً» لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيّاً لأذيته. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» (١).

وما ذكره بعض المتكلمين المتعصبين في الدفاع عن أصحاب الجمل الناكثين، من أنهم ما كانوا يقصدون المحاربة، ووقوع الحرب كان بلا إرادة من الطرفين، فإنكار للبداهة، وتخديع للعوام، ويكفي في هذا المقام كلام ابن عباس في جواب ابن الزبير، وإفحامه له، وذلك ما رواه ابن عبد ربّه في كتابه (العقد) حيث قال:

«قال ابن الزبير لعبد الله بن عباس: قاتلت أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأفتيت بتزويج المتعة. فقال: أمّا أم المؤمنين، فأنت أخرجتها وأبوك وخالك، وبنا سميت أم المؤمنين، فكنت لها خير بنين، فتجاوز الله عنها. وقاتلت أنت وأبوك عليّاً، فإن كان عليّ مؤمناً، فقد ضللتكم بقتالكم المؤمنين، وإن كان علي كافرًا فقد بؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف. وأمّا المتعة فإنّي سمعت علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فيها، فأفتيت بها، ثم عمر نهى عنها. وأول مجرم سطع في المتعة مجرم آل الزبير» (٢).

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٢١-١٢٢ کتاب معرفة الصحابة.

(٢) العقد الفريد ٤: ٤١٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٢٢

ترجمة ابن عبد ربّه ... ص: ١٢٢

وقد ترجم كبار العلماء لابن عبد ربّه الأندلسي، وأثنوا عليه الثناء الجميل:

قال ابن ماكولا: «أحمد بن محمد بن عبد ربّه ... أندلسي مشهور بالعلم والأدب والشعر، وهو صاحب كتاب العقد في الأخبار، وشعره كثير جداً، وهو مجيد» (١).

وقال الياضي: «كان رأس العلماء المكثرين ج من المحفوظات ج والإطلاع على أخبار الناس» (٢).

وقال ابن خلكان: «كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والإطلاع على أخبار الناس، وصنّف كتابه العقد، وهو من الكتب الممتعة، حوى من كلّ شيء» (٣).

وقال السيوطي: «قال ابن الفرضي: عالم الأندلس بالأخبار والأشعار وأديبها وشاعرها، كتب الناس تصنيفه وشعره، سمع من بقى بن مخلد وابن وضاح والخشني. مات يوم الأحد لثنتي عشرة بقية من جمادى الاولى، سنة ٣٢٨ وهو ابن ٨١ سنة وثمانية أشهر» (٤).

وقال الذهبي: «الأديب الأخباري العلامة، مصنّف العقد» (٥ ...).

(٢) مرآة الجنان ٢: ٢٢٢ حوادث سنة ٣٢٨.

(٣) وفيات الأعيان ١: ١١٠ / ٤٦.

(٤) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١: ٣٧١ / ٧٢٧.

(٥) العبر في خبر من غير ٢: ٢٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٢٣

بل إن فساد التأويل المذكور يتضح من كلام ابن الزبير أيضاً، إذ لو كان وقوع الحرب غير مقصود من الطرفين، لما سأل ابن عباس عن السبب لحربه عائشة وأشياها...

على أن هذا السؤال من أحسن الشواهد على أن لحياء لابن الزبير، إذ يسأل ابن عباس عن الدليل على كونه مع أمير المؤمنين الذي يدور معه الحقّ حيثما دار!!

كان عمر يرى الزبير وأصحابه مفسدين ... ص: ١٢٣

ومن كلام لعمر بن الخطاب مع الزبير أيضاً يتضح منه أن أهل الجمل إنما خرجوا للإفساد، وأنه لا يوجد أيّ محملٍ صحيح لخروجهم إلى البصرة ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام:

أخرج الحاكم في (المستدرک): «حدّثنا أبو علي الحافظ، حدّثنا الهيثم ابن خلف الدوري، حدّثنا إسماعيل بن موسى السدي، حدّثنا عبدالسلام بن حرب، حدّثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: جاء الزبير إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في الغزو، فقال عمر: إجلس في بيتك، فقد غزوت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. قال: فردّد ذلك عليه، فقال له عمر في الثالثة - أو التي تليها - اقعّد في بيتك، فوالله إنني لأجد بطرف المدينة منك ومن أصحابك أن تخرجوا فتفسدوا على أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم» (١).

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١١٩ - ١٢٠ کتاب معرفة الصحابة.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٢٤

كلام لابن طلحة الشافعي ... ص: ١٢٤

وهكذا يبطل الاعتذار لأهل الجمل بوجه من الوجوه، بما ذكره الفقيه محمد بن طلحة الشافعي، في هذا المقام، وهذا نصّ كلامه بطوله ضمن بيان وقائع شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام:

«فمنها: وقعة الجمل، فإنّ المجتمعين لها رفضوا عليّاً عليه السلام ونقضوا بيعته ونكثوا عهده وغدروا به، وخرجوا عليه، وجمعوا الناس لقتاله، مستخفين بعقد بيعته التي لزمهم فرض حكمها، مسفين إلى إثارة فتنة عامية باؤوا بإثمها، لم ير إلّا مقاتلتهم على إسراع نكثهم لبيعتهم، ومقابلتهم على الإقلاع عن مكثهم على الوفاء لله تعالى بطاعته.

وكان من الدّاخلين في البيعة أوّلًا، الملتزمين بها، ثم من المحرّضين ثانياً على نكثها ونقضها، طلحة والزبير، فأخرجوا عائشة وجمعها ممن استجاب لهما، وخرجوا إلى البصرة، ونصبوا لعلّي حبال الغوائل وألبوا عليه مطيعيهم، من الرامح والنابل، مظهرين المطالبة بدم عثمان رضی الله عنه، مع علمهما في الباطن أنّ عليّاً ليس بالقاتل، فلمّا رحل من المدينة طالباً إلى البصرة وقرب منها، كتب إلى طلحة والزبير

يقول:

أما بعد؛ فقد علمت ما أنى لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم ابايعهم حتى أكرهوني، وأنتما ممن أرادوا بيعتى وبايعوا، ولم تبايعا لسلطان غالب ولا لغرض حاضر، فإن كنتما بايعتما طائعين، فتوبا إلى الله عز وجل عما أنتما عليه، وإن كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما السبيل عليكما بإظهاركما الطاعة وكتمانكما المعصية. وأنت - يا زبير - فارس قريش، وأنت - يا طلحة - شيخ

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٢٥

المهاجرين، ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخل فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد إقراركما به. وأما قولكما إننى قتلت عثمان بن عفان، فبينى وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة، ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل، وهؤلاء بنو عثمان - إن قُتل مظلوماً كما تقولان - أولياؤه، وأنتما رجلان من المهاجرين، وقد بايعتmani ونقضتبا بيعتى، وأخرجتبا أمكما من بيتها الذى أمرها الله عز وجل أن تقر فيه، والله حسبكما، والسلام.

وكتب إلى عائشة:

أما بعد، فإنك خرجت من بيتك عاصية لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثم تزعمين أنك تريد الإصلاح بين الناس، فخبيريني ما للنساء وقود العساكر؟ وزعمت أنك طالبة بدم عثمان، وعثمان رجل من بنى امية، وأنت امرأة من بنى تميم بن مرة، ولعمري، إن الذى عرضك للبلاء وحملك على المعصية لأعظم إليك ذنباً من قتله عثمان، وما غضبت حتى أغضبت، ولا هجت حتى هيجت، فاتقى الله يا عائشة، وارجعي إلى منزلك، واسبلي عليك سترك، والسلام.

فجاء الجواب إليه:

يا ابن أبى طالب، جل الأمر عن العتاب، ولن ندخل فى طاعتك، فاقض ما أنت قاض، والسلام.

ثم تراءى الجمعان، وقرب كل من الآخر، ورأى على عليه السلام تصميم عزم أولئك على قتاله، فجمع أصحابه ولم يترك منهم أحداً، وخطبهم خطبةً بليغة منها:

واعلموا أيها الناس، أنى قد تأنيت هؤلاء القوم وراقبتهم وناشدتهم،

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٢٦

كيما يرجعوا ويرتدعوا، فلم يفعلوا ولم يستجيبوا، وقد بعثوا إلى أن أثبت للجلاد وأبرز للطعان، وقد كنت وما اهدد بالحرب ولا أدعى إليها، وقد أنصف القارة من راماها، ولعمري، لئن أبرقوا وأرعدوا ورأوا نكائتي، فأنا أبو الحسن الذى فلتت حدّهم وفرقت جماعتهم، فبذلك القلب ألقى عدوى وأنا على بينة من ربي لما وعدنى من النصر والظفر، وإنى لعلى غير شبهة من أمرى، ألا، وإن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ومن لم يقتل يمت، وإن أفضل الموت القتل، والذى نفس على بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من ميتة على الفراش.

ثم رفع يده إلى السماء وهو يقول:

اللهم، إن طلحة بن عبيدالله أعطاني صفقة يمينه طائعاً ثم نكث بيعتى، اللهم فعاجله ولا تمهله، اللهم وإن الزبير بن العوام قطع قرابتي، ونكث عهدي، وظاهر عدوى، ونصب الحرب لى وهو يعلم أنه ظالم، اللهم فاكفنيه كيف شئت وأنى شئت.

ثم تقارب الناس للقتال، وتعجبوا متسلحين لابسين دروعهم، متأهبين لذلك، هذا كله، وعلى بين الصفين عليه قميص ورداء، وعلى رأسه عمامة سوداء، وهو راكب على بغلة رسول الله الشهباء، فلما رأى أنه لم يبق إلا التصافح بالصّ فاح والتناطح بالرماح، صاح بأعلى

صوته: أين الزبير بن العوام، فليخرج إلى؟

فقال الناس: يا أمير المؤمنين! أخرج إلى الزبير وأنت حاسر، وهو مدجج فى الحديد؟!!

فقال على: ليس على منه بأس.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٢٧

ثم نادى الثانية: أين الزبير بن العوام، فليخرج إليّ.

فخرج إليه الزبير ج وقال: يا علي، أنا آمن من سيفك؟

فقال عليّ: أنت آمن ج.

فدنا منه حتى واقفه، فقال له عليّ: يا أبا عبد الله! ما حملك على ما صنعت؟

فقال الزبير: حملني على ذلك الطلب بدم عثمان.

فقال له علي: أنت وأصحابك قتلتموه، فيجب عليك أن تقيّد من نفسك.

ولكن انشدك الله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل الفرقان على نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم، أما تذكر يوم قال لك رسول الله صلّى

الله عليه وسلّم: يا زبير أتحبّ عليّاً؟ قلت: وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي. فقال لك: أما أنت فستخرج عليه يوماً وأنت ظالم له؟

فقال الزبير: اللهمّ بلى قد كان ذلك.

فقال عليّ: فانشدك بالله الذي أنزل الفرقان على نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، أما تذكر يوم جاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من عند

ابن عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك، فاستقبلته أنا فسلمت عليه، فضحك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في وجهي وضحكت أنا

إليه، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً، فقال لك النبي صلّى الله عليه وسلّم: مهلاً يا زبير، فليس به زهو، ولتخرجنّ عليه يوماً

وأنت ظالم له.

فقال الزبير: اللهمّ بلى، ولكن أنسيت، فأما إذ ذكّرتني ذلك لأنصرفنّ عنك، ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٢٨

ثمّ رجع الزبير إلى عائشة فقالت: ما ورائك يا أبا عبد الله؟

فقال الزبير: ج والله ج ورائي أنني ما وقفت موقفاً قطّ، ولا شهدت مشهداً في شرك ولا إسلام إلّأولى فيه بصيرة، وإني اليوم لعلّي

شكّ من أمرى، وما أكاد أبصر موضع قدمي.

ثمّ شقّ الصفوف وخرج من بينهم، فنزل على قوم من بني تميم، فقام إليه عمرو بن جرموز المجاشعي وضيّفه، فلما نام قام إليه، فقتله،

فنفذت دعوة عليّ فيه في عاجلته.

وأما طلحة، فجاءه سهم - وهو قائم للقتال - من مروان، فقتله.

ثمّ التحم القتال، واتّصلت الحرب وكثر القتل والجرح، ثمّ تقدّم رجل من أصحاب الجمل يقال له عبد الله، فجعل يجول بين الصفوف

وهو يقول:

أين أبو الحسن؟ ويرتجز، فخرج إليه عليّ عليه السلام، وشدّ عليه بالسيف وضربه ضربة أسقط بها عاتقه، فسقط قتيلًا، فوقف عليه عليّ

وقال: قد رأيت أبا الحسن فكيف وجدته؟ ثمّ لم يزل القتل يؤخّج ناره والجمل يفنى أنصاره، حتى خرج رجل مدخّج في السلاح،

يظهر بأساً ويروم مراساً، ويعرض بعليّ عليه السلام حتى قال:

أضربكم ولو أرى عليّاً عمّمته أبيض مشرفياً

فخرج إليه عليّ عليه السلام متنكراً وحمل عليه، فضربه ضربة على وجهه، فرمى بنصف قحف رأسه، ثمّ انصرف.

فسمع صائحاً من ورائه، فالتفت فرأى ابن خلف الخزاعي من أصحاب الجمل، فقال: هل لك يا علي في المبارزة؟ فقال علي: ما أكره

ذلك، ولكن ويحك يا ابن خلف، ما راحتك في القتل وقد علمت من أنا؟ فقال له ابن

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٢٩

خلف: ذرني يا ابن أبي طالب من مدحك نفسك، وادن منّي لثرى أيتنا يقتل صاحبه، فثنى عليّ عنان فرسه إليه، فبدره ابن خلف

بضربة فأخذها عليّ في جحظته، ثم عطف عليه بضربة أطار بها يمينه، ثم ثنى باخرى أطار بها قحف رأسه. ثم استعرت الحرب حتى عقر الجمل فسقط، وقد احمرت البيداء بالدماء وخذل الجمل وحزبه، وقامت النوادب بالبصرة على القتلى، وكان عدّة من قُتل من جند الجمل ستّة عشر ألفاً وسبعمائة وتسعين إنساناً، وكان جملتهم ثلاثين ألفاً، فأتى القتل على أكثر من نصفهم، وقُتل من أصحاب عليّ ألف رجل وسبعون رجلاً، وكان عدّتهم عشرين ألفاً، وفي مقابلة عليّ عليه السلام ثلاثين ألفاً بعشرين ومقاتلتهم، حتى يقتل منهم أكثر من نصفهم ولم يقتل من أصحابه غير عشرهم، حجة واضحة تشهد بشجاعته وتسجل بشهامته. وإذا تأمّل الناظر البصير، ونظر المتأمّل الخبير فيما صدر من عليّ من أقواله وأفعاله، علم علماً لا يرتاب فيه: أنه عليه السلام يخوض لجج الحروب، وينغمس في غمرات الموت، ويصادم طباء الصوارم، ويغمد مصلت سيفه في لباب الكماة ونحور الأبطال، ولا يحمل لذلك عبأً ولا يبالى به.

ولما انقضت وقعة الجمل، وندمت عائشة على ما كان، ورحلت إلى المدينة وسكنت النائرة، ورحل عليّ إلى الكوفة، قام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي فقال: يا أمير المؤمنين أرايت القتلى الذين قتلوا حول الجمل، بماذا قتلوا؟

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٣٠

فقال عليّ: قتلوا بما قتلوا من شيعتي وعمالي بلا ذنب كان منهم إليهم، ثم صرت إليهم وأمرتهم أن يدفعوا إليّ قتل أصحابي، فأبوا عليّ وقاتلوني، وفي أعناقهم بيعتي ودماء قريب من ألف رجل من أصحابي من المسلمين، أفي شك أنت من ذلك يا أخا الأزدي؟ فقال: الآن استبان لي خطاؤهم وأنك أنت المحقّ المصيب «١». والنقاط المستفادة من هذا الكلام:

١- قوله: «فإنّ المجتمعين» ظاهر الدلالة في أنّ أصحاب الجمل قد رفضوا اتباع الإمام عليه السلام ونكثوا العهد ونقضوا البيعة معه وغدروه.

٢- كتابه عليه السلام، إلى طلحة والزبير، فيه دلالة على أنّ طاعته كانت واجبة في أعناق القوم.

٣- إنهما كانا يتهمان عليّاً عليه السلام بقتل عثمان ... وهذا كذب عليه.

٤- قول الإمام: «وهؤلاء بنوا عثمان» ... يفيد أولاً: أنّ الإمام كان لا يرى عثمان مظلوماً، وأن طلحة والزبير وأمثالهما ليس لهم أن يطلبوا بدم عثمان ثانياً.

٥- إنّه قد أتب الرجلين على إخراجهما عائشة من بيتها، لأنّه منافٍ لما أمر به الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلّم.

٦- وقد دعا عليهما بقوله: «الله حسبكما» وحسبهما دعاء الإمام عليهما.

٧- وكذا في كتابه إلى عائشة، فقد دلّ على أنّ خروجها من بيتها كان معصيةً لله ورسوله، وأنّه لا مجوّز له أصلاً، ولا وجه لطلبها بدم عثمان أبداً.

٨- وقد ذكر أنّ ذنب المخرجين لها من بيتها أكبر من ذنب قتل عثمان،

(١) مطالب السؤل في مناقب آل الرسول: ١٥٤-١٥٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٣١

وإذا كان قتله عثمان كفره- كما في (التحفة الإثني عشرية) وغيرها- فالمخرجون لها كفّار بالأولوية.

٩- وأشار بقوله: «وما غضبت حتى أغضبت» ... إلى أنّها قد أغضبت بفعلها رسول الله، ومن أغضب رسول الله فقد أغضب الله، كما في الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وآله عند الفريقين.

١٠- وقوله: «فاتقى الله يا عائشة» ظاهر في ارتكابها أمراً محرماً ومعصية واضحة.

١١- وقوله لها: «وارجعي إلى منزلك» ... دليل صريح على أنها هاتكة لسترها.

١٢- وما كتبه إلى الإمام عليه السلام خروج عن حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوجوب إطاعة أمير المؤمنين والكون معه، بالأحاديث الصحيحة الثابتة المتفق عليها، من حديث الثقلين وغيره ... فتكون بمخالفتها لذلك من الضالين الهالكين ...

١٣- وصريح كلام ابن طلحة أن أهل الجمل جاءوا مصممين على قتال الإمام ومحاربتة، فبطل ما تفوه به صاحب (التحفة) وغيره من أنه لم يقصد الطرفان تسعير نار هذه الحرب.

١٤- والإمام عليه السلام خطب القوم ووعظهم، لعلمهم يرجعون عن ضلالتهم ويقلعون من كفرهم وعنادهم ... لكنهم تبادوا في غيهم، وأصرّوا على باطلهم، فدعا الإمام عليه السلام على طلحة والزبير، وكان دعاؤه عند الله مستجاباً، فأعقبهما في الدنيا خسراً وفي الآخرة عذاباً.

١٥- وقد تبين ممّا دار بين الإمام والزبير بن العوام، أن الزبير كان يتعلّل

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٣٢

بالطلب بدم عثمان، ويتذرع بذلك كاذباً، إذ ذكره عليه السلام بكلام رسول الله، ولم يجد مناصاً من الإذعان والرجوع ... وبعد هذا التتبع يأتي هذا السؤال:

هل أعلم عائشة وسائر أهل الجمل بما تبّه الإمام عليه السلام به أو لا؟ فإن كان قد أعلمهم بذلك فلم ينفعهم النصح، كان ذلك دليلاً آخر على كفرهم، لمحاربتهم الإمام مع العلم بكونهم ظالمين له، وإن لم يكن أعلمهم بالحق الذي ذكره الإمام به، كان من الكاتمين للحقّ المخفين له.

عبدالله بن الزبير يحاول إقناع أبيه ... ص: ١٣٢

ولكن عبدالله بن الزبير حاول إقناع أبيه بالبقاء في المعركة واستمرار المحاربة والمشاركة في البغي والعدوان، قال سبط ابن الجوزي: «ثم التقوا منتصف جمادى الاولى من هذه السنة - یعنی سنة ست وثلاثين - فلما تراءى الجمعان، خرج الزبير على فرس وعليه سلاحه، وخرج طلحة، فخرج إليهما عليّ ودنا منهما وعليه قبا طاق، حتى اختلفت أعنته خيلهم، فقال لهما عليّ: لعمري لقد أعددتما خيلاً وسلاحاً، فهل أعددتما عند الله عذراً؟ فاتقيا الله ولا- تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، ألم أكن أخاكما في دينكما تحزّمان دمي وأحرّم دمكما؟

فقال طلحة: ألبت الناس على عثمان.

فقال: لعن الله من ألب الناس على عثمان، وأين أنت يا طلحة ودم عثمان؟

وأنت يا زبير، أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني غنم، فنظر إليّ فضحك صلى الله عليه وسلم وضحكت إليه صلى الله عليه

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٣٣

وسلم، فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه ليس بمزهو، ولتقاتلته وأنت ظالم له.

وفي رواية: أتذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني بياضه وهو راكب على حمار، وذكره.

فقال الزبير: اللهم نعم، ولو ذكرت هذا ما خرجت من المدينة، ووالله لا اقاتلك أبداً.

وفي رواية: فقال الزبير: فما الذى أصنع وقد التقتا حلقتا البطان، ورجوعي عليّ عار؟

فقال له عليّ: إرجع بالعار ولا تجمع بين العار والتّار.

فرجع الزبير وهو يقول:

اخترت عاراً على نار مؤججة أنى يقوم لها خلق من الطين
نادى عليّ بأمر لست أجهله عار لعمر ك في الدنيا وفي الدين
فقلت حسبك من لوم أبا حسن فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني
وهذا من جملة أبيات الزبير قالها لما خرج من العسكر، وأولها:
ترك الامور التي يخشى عواقبها لله أجمل في الدنيا وفي الدين
أخال طلحة وسط القوم منجداً ركن الضعيف ومأوى كل مسكين
قد كنت أنصره حيناً وينصرني في النائبات ويرمي من يراميني
حتى ابتليت بأمر ضاق مصدره فأصبح اليوم ما يعنيه يعينني

ثم انصرف طلحة والزبير، فقال عليّ لأصحابه: أما الزبير فقد أعطى الله عهداً أن لا يقاتلكم، ثم عاد الزبير إلى عائشة وقال لها: ما كنت في موطن منذ عقلت عقلي إلا وأنا أعرف أمرى، إلا هذا.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٣٤

قالت له: فما تريد أن تصنع؟

قال: أذهب وأدعهم.

فقال له عبدالله ولده: جمعت هذين الفريقين، حتى إذا جد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب، أحسست برايات ابن أبي طالب فرأيت الموت الأحمر منها أو من تحتها، تحملها فتية أنجاد سيوفهم حداد.

فغضب الزبير وقال: ويحك قد حلفت أن لا اقاتله.

فقال: كفر عنيمينك.

فدعا غلاماً له يقال له مكحول فأعتقه.

فقال عبدالرحمن بن سليمان التميمي:

لم أر كاليوم أخوا خوان أعجب من مكفر الأيمان

بالعتق في معصية الرحمن

وقال آخر:

يعتق مكحولاً لصون دينه كفارة لله عن يمينه

والنكث قد لاح على جبينه

وفي رواية: إن الزبير - لما قال له ابنه ذلك - غضب، فقال له ابنه: والله لقد فضحتنا فضيحة لا نغسل منها رؤوسنا أبداً. فحمل الزبير حملة منكراً» (١) انتهى بقدر الضرورة.

وفي هذه العبارة أيضاً فوائد كثيرة لا تخفى على من تأمل فيها، فلا الاعتذار بأن الطرفين ما كانا قاصدين لاشتعال الحرب ينفع، ولا الاعتذار للزبير بنسيان ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له من قبل ...

(١)

تذكرة خواص الامة في معرفة الأئمة: ٧١-٧٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٣٥

لكن العجيب جداً: إصرار عبدالله على الحرب، فإنه لم يرتدع عنها بما ارتدع به أبوه، وهو كلام رسول الله الذي ذكره الإمام به، بل جعل يؤنب أباه ويحاول أن يعيده إلى القتال ويغريه إلى الحرب.

كلام الإمام في عبدالله بن الزبير ... ص: ١٣٥

وهكذا كان عبدالله يسعى في البغض والعداء لأمير المؤمنين عليه السلام، حتى أنه حاول جاهداً لأن يورط أباه بعد أن اختار الإنعزال، واعترض عليه قائلاً: «لقد فضحتنا فضيحةً لا نغسل منها رؤوسنا أبداً...»
والذي يظهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام - المروى في كتب الفريقين - أن عبدالله هو السبب في مفارقة الزبير لأهل البيت عليهم السلام...

روى سبط ابن الجوزي قال:

«وفي رواية: إن علياً رضي الله عنه لَمَّا التقى بالزبير قال له: كُنَّا نعدُّك من خيار بني عبدالمطلب، حتى بلغ ابنك السوء ففرَّق بيننا وبينك، أليس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لك كذا وكذا. وذكر الحديث» (١).
وروى ابن الأثير:

«وكان عليٌّ - رضي الله عنه - يقول: ما زال الزبير من أهل البيت حتى نشأ له عبدالله» (٢).
وروى ابن عبد البر:

«قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: ما زال الزبير يعدُّ من أهل

(١) تذكرة خواص الامة: ٧٢.

(٢) اسد الغابة في معرفة الصحابة ٣: ١٣٩ / ٢٩٤٧.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٣٦
البيت حتى نشأ عبدالله» (١).

بين عبدالله بن الزبير والإمام الحسين عليه السلام ... ص: ١٣٦

ومن دلائل حبه للعالم وللديار وشدة عداوته لأهل البيت الأطهار عليهم الصلاة والسلام: موقفه مع الإمام السبط الشهيد الحسين بن علي في مكة المكرمة، وهذا من القضايا التاريخية الثابتة:

قال ابن فهد المكي في (إتحاف الوري بأخبار أم القرى):

«وفيها خرج الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من المدينة إلى مكة، فلقيه عبدالله بن مطيع فقال: جعلت فداك أين تريد؟ فقال: فأما الآن فمكة وأما بعد، فأني أستخير الله تعالى، قال: خار الله لك وجعلنا فداك، فإذا أتيت مكة فأياك أن تقرب الكوفة فإنها بلدة مشومة، بها قتال أبوك وخذل أخوك واغتيل بطعنه كادت تأتي على نفسه، ألزم الحرم فإنك سيّد العرب لا يعدل بك أهل الحجاز أحداً، ويتدأما إليك الناس من كل جانب، لا تفارق الحرم فداك عمى وخالى، فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك.

فأقبل حتى نزل مكة وأهلها يختلفون إليه ويأتونه ومن بها من المعتمرين وأهل الآفاق، وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة، فهو قائم يصلّي عندها عامة النهار ويطوف، ويأتي الحسين فيمن يأتيه، ولا يزال يشير عليه بالرأى وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير، لأن أهل

الحجاز لا يبايعونه مادام الحسين بالبلد.

وأرسل أهل الكوفة الحسين في المسير إليهم، فلما أراد المسير إلى

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣: ٩٠٦/١٥٣٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٣٧

الكوفة أتاه عمر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام فقال له: إنني أتيتك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك، فإن كنت ترى أنك مستنصح قلتها وأذيت ما علي من الحق فيها، وإن ظننت أنك لا تستنصحنى كفتت عما أريد. فقال: قل، فوالله ما أستغشك وما أحملنك بشيء من الهوى.

قال له: قد بلغني أنك تريد العراق، وإنني مشفق عليك أن تأتي بلداً فيها عماله وامراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد الدنيا والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه. فقال له الحسين: جزاك الله خيراً يا ابن عم، قد علمت أنك مشيت بنصح وتكلمت بعقل، ومهما يقضى من أمر يكن، أخذت برأيك أو تركت، فأنت عندي أحمد مشير وأنصح ناصح.

وأتاه عبدالله بن عباس فقال: قد ارجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع؟

فقال له: قد أجمعت السير في أحد يومى هذين، إن شاء الله تعالى.

فقال له ابن عباس: فإنني أعيذك بالله من ذلك، أخبرني أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم، فإن كانوا فعلوا فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم، وأميرهم عليهم قاهر عليهم وعماله تجبى بلاده، فإنما دعوك إلى الحرب، ولا آمن عليك أن يغزوك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك، ويستنفروا إليك ويكونوا أشد الناس عليك. فقال الحسين: إنني أستخير الله وأنظر ما يكون.

فخرج ابن عباس.

وأتاه ابن الزبير، فحدثه ساعة ثم قال: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٣٨

وكفنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين وولاء هذا الأمر دونهم، خبر ما تريد أن تصنع؟

فقال الحسين: لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إلي شيعتي بها وأشراف الناس، وأستخير الله تعالى.

فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك لما عدلت عنها.

ثم خشى أن يتهمه فقال: أما إنك لو أقيمت بالحجاز، ثم أردت هذا الأمر هاهنا، حالفنا عليك وساعدناك وبايعنا لك ونصحنا لك.

فقال له الحسين: إن أبي حدثني أن بها كيشاً يستحل حرمتها، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكيش.

قال: فأقم إن شئت، ولك الأمن تطاع ولا تعصى

قال: ولا أريد هذا أيضاً.

ثم إنهما أخفيا كلامهما، فالتفت الحسين إلى من هناك وقال: أتدرون ما يقول؟

قالوا: لا ندري جعلنا الله فداك.

قال: إنه يقول: أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس.

ثم قال له الحسين: والله لأن اقتل خارجاً منها بشير أحب إلي من أن اقتل فيها، ولأن اقتل خارجاً منها بشيرين أحب إلي من أن اقتل خارجاً منها بشير، وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم، والله ليعتدن علي كما اعتدت يهود

فى السبت.

فقام ابن الزبير، فخرج من عنده.

فقال الحسين: إن هذا ليس شىء من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٣٩

الحجاز، وقد علم أن الناس لا يعدلونه بى، فودّ أنى خرجت حتى يخلو له.

فلما كان من العشى أو من الغداة أتاه ابن عباس فقال: يا ابن عمّ، إنى أتصبر ولا- أصبر، إنى أتخوف عليك وهذا اليوم الهلاك والإستيصال، إن أهل العراق قوم غدر ولا تقرّبهم، أقم بهذا البلد فإنك سيّد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا، فاكتب إليهم فلينفوا عاملهم وعدوهم ثم أقدم عليهم، وإن أبيت إلّا أن تخرج فسر إلى اليمن، فإن فيها حصوناً وشعباً، وهى أرض طويلة عريضة، ولأبيك بها شيعه، وأنت عن الناس فى عزله، فتكتب إلى الناس، وبثّ دعائك، فإنى أرجو أن يأتيك عند ذلك الذى تحبّ فى عافيه.

فقال الحسين: يا ابن عمّ، إنى أعلم- والله- أنك ناصح مشفق، وقد أزمعت وأجمعت السير.

فقال له ابن عباس: فإن كنت سائراً، فلا تسر بنسائك وصيبتك، فإنى خائف أن تقتل، كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه. ثم قال له ابن عباس: لقد أقررت عين ابن الزبير بالخروج من الحجاز، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك، والله الذى لا إله إلّا هو، لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرى وأخذت بناصيتك حتى يجتمع علينا الناس أطعتنى وأقمت، لفعلت ذلك، ثم خرج ابن عباس من عنده، فمرّ بابن الزبير، فقال: قرّت عينك يا ابن الزبير، ثم قال:

يا لك من قنبره بمعمر خلا لك الجوّ فيضى واصفرى

ونقرى ما شئت أن تنقرى

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٤٠

هذا حسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز» (١).

فمن هذا يظهر خبث باطن ابن الزبير، وشدة عدائه لأهل البيت عليهم السلام، وإلّا لكان الإمام الحسين عليه السلام أحبّ الناس إليه، وبقاؤه فى مكّة أقرّ لعينه، لكنّه كان بالعكس، فقد كان الإمام الحسين فى مكّة أثقل الناس إليه، وكان يقول له بلسانه غير ما كان بقلبه، ويبدى له خلاف ما يخفى عليه...

والإمام عليه السلام عارف بواقع أمره وحقيقه سرّه، وكذلك فهم ابن عباس، حتى قال للإمام الحسين لما عزم على الخروج: لقد أقررت عين ابن الزبير...

فلو كان له أدنى حظّ من الإيمان وأقلّ قسط من الإيقان، لما صار قرير العين بمسير الحسين، بل بكى دماً وذاب ألماً، وصار قلبه مجروحاً وعينه مقروحاً، وأطال الحزن والكآبه ومنى بالشجى والسامة، وهل يسرّ بالفراق إلّا الشامت الكاشح والمبغض غير الناصح... وكذا الخبر فى رواية الجلال السيوطى فى كتاب (تاريخ الخلفاء) حيث قال:

«فلما مات معاوية بايعه- يعنى يزيد- أهل الشام، ثم بعث إلى أهل المدينة من يأخذ له البيعة، فأبى الحسين وابن الزبير أن يبايعاه، وخرجا من ليلتهما إلى مكّة؛ فأمرّ ابن الزبير فلم يبايع ولا- دعا إلى نفسه، وأمّا الحسين فكان أهل الكوفة يكتبون إليه، يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية وهو أبى، فلما بوع يزيد أقام على ما هو مهموماً، يجمع الإقامة مرّة ويريد المسير إليهم اخرى. فأشار عليه ابن الزبير بالخروج.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٤١

وكان ابن عباس يقول له: لا تفعل.

وقال له ابن عمر: لا- تخرج، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيره الله بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة وإنك بضعة منه، ولا تنالها- يعنى الدنيا- واعتنقه وبكى وودعه، فكان ابن عمر يقول: غلبنا حسين بالخروج، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة. وكلمه في ذلك أيضاً جابر بن عبدالله وأبو سعيد وأبو واقد الليثي وغيرهم فلم يطع أحداً منهم.

وصم على المسير إلى العراق، فقال له ابن عباس: والله إنى لأظنك ستقتل بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان، فلم يقبل منه، فبكى ابن عباس وقال: أقررت عين ابن الزبير.

ولما رأى ابن عباس عبدالله بن الزبير قال له: قد أتى ما أحببت، هذا الحسين يخرج ويتركك والحجاز، ثم تمثل:

يا لك من قنبرة بمعمر خلا لك الجؤ فيضى واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري» (١)

أحاديث في ذم بغض على وأهل البيت عليهم السلام ... ص: ١٤١

وإذ ظهر بغض عبدالله بن الزبير وعداؤه لأمير المؤمنين وأهل البيت الطاهرين، كان من المناسب إيراد نصوص روايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذم بغض على أمير المؤمنين وأبنائه وأهل البيت، والمبغض لهم ... عن كتب أهل السنة وبأسانيدهم:

(١) تاريخ الخلفاء: ١٦٤-١٦٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٤٢

«أخرج الطبراني عن علي كرم الله وجهه قال: إن خليلي صلى الله عليه وسلم قال: يا على، إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين، ثم جمع علي يده إلى عنقه يريهم الإقماح. وأخرج الديلمي عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: على بن أبي طالب باب حطه فمن دخل منه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً.

وأخرج مسلم والترمذي والنسائي عن زر بن حبیش قال: قال علي كرم الله وجهه: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الامي صلى الله عليه وسلم إلى أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق.

وأخرج أحمد والترمذي - وحسنه - عن ام سلمة رضى الله عنها قالت:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن.

وفي رواية ابن أبي شيبه عنها بلفظ: لا يبغض علياً مؤمن ولا يحبه منافق.

وعند الطبراني في الكبير عنها: لا يحب علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق.

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري والبرار والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قالاً: كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً.

وأخرج الطبراني في الكبير عن سلمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: محبك محبي ومبغضك مبغضى. وأخرج عبدالرزاق الرسعي عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٤٣

وأخرج الطبراني في الكبير عن ام سلمة رضى الله عنها، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أحبّ عليّاً فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله.

وأخرج ابن عدى عن سلمان رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب فخذ علي بن أبي طالب وصدره، وسمعتة يقول: محبّك محبّي ومبغضك مبغضى ومبغضى مبغض الله.

وأخرج الحاكم والخطيب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب فقال: أنت سيّد في الدنيا والآخرة، من أحبّك فقد أحبّني، وحببي حبيب الله، وعدوك عدوى، وعدوى عدوّ الله؛ فالويل لمن أبغضك بعدى.

وأخرج الطبراني في الكبير والحاكم والخطيب عن عمّار بن ياسر رضى الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يا علي، طوبى لمن أحبّك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك.

وأخرج ابن مردويه عن أنس رضى الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من حسد عليّاً فقد حسدني، ومن حسدني فقد كفر.

وأخرج أبو يعلى والبرّار عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من آذى عليّاً فقد آذاني «(١)».

وفي (مفتاح النجا) أيضاً:

«وأخرج الحاكم عن جابر رضى الله عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: عليّ إمام البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله.»

(١) مفتاح النجا في مناقب آل العبا - مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٤٤

وأخرج الطبراني في الكبير عن عمرو بن شراحيل رضى الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم انصر من نصر عليّاً، اللهم أكرم من أكرم عليّاً، اللهم اخذل من خذل عليّاً.

وأخرج عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أعنه وأعني به، وارحمه وارحم به، وانصره وانصر به، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه - يعنى عليّاً.

وأخرج عبدالرزاق الرسعني عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال:

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بيد علي وهو يقول: الله وليي وأنا وليك ومعادي من عاداك ومسالم لمن سالمك.

وأخرج الحافظ أبو بكر أحمد بن عبدالرحمن الجوال الشيرازي في كتاب ألقاب الرجال وابن النجار في تاريخه عن ابن عمر رضى الله عنهما: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم اشهد لهم، اللهم قد بلغت، هذا أخي وابن عمّي وصهرى وأبو ولدى، اللهم كبّ من عاداه في النار.

وأخرج ابن عدى عن جابر رضى الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي: يا علي لو أنّ أمّتي أبغضوك، لكبهم الله على مناخرهم في النار.

وأخرج الديلمي عن الحسين رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو أنّ عبداً عبّد الله مثل ما أقام نوح في قومه، وكان له مثل احد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، ومُدّ في عمره حتّى يحجّ ألف عام على قدميه، ثمّ قُتل مظلوماً بين الصّيفاء والمروءة، ثمّ لم يوالك يا

علي، لم يشم رائحة الجنّة ولم يدخلها.

وأخرج ابن مردويه عن عطية بن سعد قال: دخلنا على جابر بن عبد الله

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٤٥

رضى الله عنه وهو شيخ كبير، فقلنا: أخبرنا عن هذا الرجل على بن أبي طالب. فرجع حاجبيه ثم قال: ذاك من خير البشر. فقيل له: ما تقول في رجل يبغض علياً؟ فقال: ما يبغض علياً إلا كافر.

وأخرج عن سالم بن أبي الجعد قال: تذاكروا فضل عليّ عند جابر بن عبد الله رضى الله عنه، فقال: وتشكون فيه؟ فقال بعض القوم: إنه أحدث.

قال: وما يشك فيه إلا كافر أو منافق.

وأخرج عن عطا قال: سألت عائشة عن عليّ رضى الله عنهما، فقالت:

ذاك من خير البرية، ولا يشك فيه إلا كافر.

وأخرج أحمد والبزار وأبو يعلى وابن عدى والحاكم وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن علي كرم الله وجهه قال: دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن فيك مثلاً من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذى ليس به، ألا وإنه يهلك في اثنان: محب مفرط يقرظنى بما ليس فيّ، ومبغض يحمل شنائى على أن يبهتنى» (١).

ومن مساوئه فى كتب التاريخ والحديث ... ص: ١٤٥

وقد ذكر القوم مساوئ اخرى له، فى كتبهم التاريخية والحديثية، نوردتها باختصار:

قال ابن عبد البر فى (الإستيعاب):

«قال على بن زيد الجعدانى: كان عبد الله بن الزبير كثير الصلوة، كثير الصيام، شديد البأس، كريم الجدات والامهات والخالات، إلا أنه كانت فيه

(١) مفتاح النجا فى مناقب آل العبا- مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٤٦

خلال لا- تصلح معها الخلافة، لأنه كان بخيلاً، ضيق العطاء، سيء الخلق، حسوداً، كثير الخلاف، أخرج محمد بن الحنفية، ونفى عبد الله بن عباس إلى الطائف» (١).

وقال ابن خلكان فى (وفيات الأعيان):

«ولما دعا ابن الزبير إلى نفسه وبايعه أهل الحجاز بالخلافة، دعا عبد الله ابن عباس ومحمد بن الحنفية- رضى الله عنهما- إلى البيعة، فأبيا ذلك وقالوا:

لا نبايعك حتى تجتمع لك البلاد ويتفق الناس، فأساء جوارهم وحصرهم وآذاهم وقال لهما: والله لئن لم تبايعا أحرقتكما بالنار» (٢).

وذكر التنوخى فى كتاب (الفرج بعد الشدة):

«كتب محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنه، حين سيره عبد الله بن الزبير من مكة إلى الطائف كتاباً نسخته:

أما بعد؛ فقد بلغنى أن عبد الله بن الزبير سيرك إلى الطائف، فأحدث الله لك بذلك أجراً وحطّ به عنك وزراً، يا ابن عم، إنما يتلى الصالحون، وتعدّ الكرامة للأخيار، ولو لم تؤجر إلفيما تحب لقل الأجر، وقد قال الله تعالى:

«وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم» الآية، عزم الله لنا ولك بالصبر على البلاء والشكر على النعماء، ولا- أشمت بنا الأعداء،

والسلام» (٣).

وقال ابن حجر العسقلاني في كتاب التفسير من (فتح الباري في شرح صحيح البخاري):

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣: ٩٠٦/١٥٣٥.

(٢) وفيات الأعيان ٤: ١٧٢/٥٥٩.

(٣) الفرج بعد الشدة: ٤٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٤٧

«وكان محمّد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية وعبدالله بن عباس مقيمين بمكة، مذ قتل الحسين، فدعاهما ابن الزبير إلى البيعة له فامتنعا وقالوا: لا- نبايع حتى يجتمع الناس على خليفته، وتبعهما على ذلك جماعة، فشدد عليهم ابن الزبير وحصرهم، فبلغ المختار، فجهّز إليهم جيشاً، فأخرجوهما واستأذنوهما في قتال ابن الزبير، فامتنعا وخرجا إلى الطائف فأقاما بها، حتى مات ابن عباس سنة ثمان وستين، ورحل ابن الحنفية بعده إلى جهة رضوى- جبل بينج- فأقام هناك، ثم أراد دخول الشام فتوجه إلى نحو أيلة، فمات في آخر سنة ثلاث أو أول سنة أربع وسبعين، وذلك عقب قتل ابن الزبير، على الصحيح، وقيل: عاش إلى سنة ثمانين أو بعد ذلك، وعند الواقدي أنه مات بالمدينة سنة إحدى وثمانين، وزعمت الكيسانية أنه حتى لم يموت، وأنه المهدي، وأنه لا يموت حتى يملك الأرض، في خرافات لهم كثيرة ليس هذا موضعها، وأنا لخصت ما ذكرته من طبقات ابن سعد وتاريخ الطبري وغيرهما لبيان المراد. وروى الفاكهي من طريق سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كان ابن عباس وابن الحنفية بالمدينة، ثم سكنا مكة، فطلب منهما ابن الزبير البيعة فأبيا حتى يجتمع الناس على رجل، فضيق عليهما، فبعثا رسولا إلى العراق، فخرج إليهما جيش في أربعة آلاف، فوجدوهما محصورين وقد احضر الحطب فجعل على الباب يخوفهما بذلك، فأخرجوهما إلى الطائف، وذكر ابن سعد أن هذه القصة وقعت بين ابن الزبير وابن عباس في سنة ست وستين» (١).

(١) فتح الباري في شرح البخاري ٨: ٢٦٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٤٨

رواية موضوعة عن ابن عباس في مدح ابن الزبير ... ص: ١٤٨

هذا، والعجب أنهم قد وضعوا عن ابن عباس كلاماً في مدح عبدالله بن الزبير، ورواه البخاري في كتابه المشهور (الصحيح) حيث قال: «حدّثني عبدالله بن محمّد، قال: حدّثني يحيى بن معين قال: حدّثنا حجاج قال ابن جريج: قال ابن أبي مليكة- وكان بينهما شيء- فغدوت على ابن عباس فقلت: أتريد أن تقاتل ابن الزبير فتحلّ حرم الله؟ فقال: معاذ الله، إنّ الله كتب ابن الزبير وبنى امية محلين، وإني والله لا احله أبداً. قال: قال الناس بايع لابن الزبير فقلت: وأين بهذا الأمر عنه، أمّا أبوه فحواري النبي صلى الله عليه وسلّم- يريد الزبير- وأمّا جدّه فصاحب الغار- يريد أبا بكر- وأمّه فذات النطاق، يريد أسماء، وأمّا خالته فأم المؤمنين، يريد عائشة، وأمّا عمته فزوج النبي صلى الله عليه وسلّم، يريد خديجة، وأمّا عمّة النبي صلى الله عليه وسلّم فجدّته، يريد صفية، ثمّ عفيف في الإسلام، قارئ للقرآن، والله إن وصلوني وصلوني من قريب، وإن ربوني ربوني أكفاء كرام، فأثر التوتيات والآسامات والحميدات، يريد: أبطناً من بني أسد بنى تويت وبنى اسامة وبنى أسد، إنّ ابن أبي العاص برز يمشى القديمة يعني عبدالملك بن مروان، وإنّه لوى ذنبه يعني ابن الزبير» (١).

وفى (فتح الباري):

«قوله: قال ابن أبي مليكة: وكان بينهما شيء، كذا أعاد الضمير بالثنية على غير مذكور اختصاراً، ومراده ابن عباس وابن الزبير، وهو صريح في

(١) صحيح البخارى ٦: ٨٣ كتاب التفسير - سورة براءة.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٤٩

الرواية الاولى.

قوله: محلين، أى إنهم كانوا يبيحون القتال فى الحرم، وإنما نسب ابن الزبير إلى ذلك - وإن كان بنو امية هم الذين ابتدؤوه بالقتال وحصروه، وإنما بدا منه أولاً دفعهم عن نفسه - لأنه بعد أن ردهم الله عنه حصر بنى هاشم ليبياعوه، فشرع فيما يؤذن بإباحته القتال فى الحرم، وكان بعض الناس يسمي ابن الزبير المحل لذلك...

قوله: لا أحله أبداً، أى لا أبيع القتال فيه، وهذا مذهب ابن عباس أنه لا يقاتل فى الحرم ولو قوتل فيه.

قوله قال: قال الناس: القائل هو ابن عباس، وناقل ذلك عنه ابن أبي مليكة فهو متصل، والمراد بالناس من كان من جهة ابن الزبير.

وقوله: بايع، بصيغة الأمر.

وقوله: وأين بهذا الأمر عنه، أى الخلافة، أى ليست بعيدة عنه، لماله من الشرف بأسلافه الذين ذكرهم، ثم صفته التى أشار إليها بقوله: عفيف فى الإسلام قارئ القرآن.

قوله: وإنه لوى ذنبه، يعنى ابن الزبير، لوى بتشديد الواو وبتخفيفها أى ثناه، وكنى بذلك عن تأخره وتخلفه عن معالى الامور، وقيل:

كنى به عن الجبن وإيثار الدعء، كما تفعل السباع إذا أرادت النوم، والأول أولى

قال الداودى: المعنى أنه وقف فلم يتقدم ولم يتأخر، ولا وضع الأشياء مواضعها، فأدنى الناصح وأقصى الكاشح «١».

وكأن واضح هذا الكلام قصد أداء شيء من حقوق ابن الزبير عليه من

(١) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ٨: ٢٦٣ - ٢٦٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٥٠

أجل عدائه لأهل البيت عليهم السلام، وإلّا، فإن من وصفه العلماء بأوصافٍ قالوا إنها لا تصلح للخلافة، كيف يصح لمثل ابن عباس أن يراه أهلاً للخلافة ويمدحه بمثل هذا الكلام؟

لكن واضعه لم يحسن الوضع، فإن ما جاء فى أول العبارة من «إن الله كتب..» يدل على كون ابن الزبير وبنى امية سلكوا طريق إحلال

الحرم وهتكوا حرمة البيت الحرام، وأيضاً: فما جاء فى آخرها من قوله «لوى ذنبه» تهجين لابن الزبير، إذ شبهه بالبهايم، وهو كناية عن

الجبن وإيثار الدعء، أو كما قال بعض الشراح: يريد أنه لم يتزن لاكتساب المجد وطلب الحمد ولكنه زاغ وتنحى، أو كما قال غيره:

إنه مثل لترك المكارم والإعراض عن المعروف وإيلاء الجميل، ويجوز أن يكون كناية عن التخلّف.

بين عائشة وابن الزبير ... ص: ١٥٠

وقد أساء ابن الزبير الأدب مع عائشة وتناول عليها، حتى نذرت أن تهجره ولا تكلمه أبداً، وقد أخرج البخارى الخبر فى كتاب الأدب

من (الصحيح) «١».

وقال الحافظ السمهودي في (جواهر العقدين):

«وفي الصحيح أيضاً: قول عائشة: عليّ نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً.

قال ابن عبد البر: التقدير عليّ نذر إن كلمته. إنتهى. وهو موافق للرواية الأخرى: لله عليّ نذر إن كلمته، فالنذر معلق على كلامها له، لأنها نذرت ترك كلامه، وجعلت الترك قرينةً تلزم بالنذر. وقصتها في ذلك أنها رأت أن ابن

(١) صحيح البخارى ٨: ٢٥ كتاب الأدب - باب الهجرة...

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ١٥١

الزبير قد ارتكب أمراً عظيماً حيث قال: أما والله لنتهين عائشة عن بيع رباعها أو لأحجرن عليها، وكانت لا تمسك شيئاً مما جاءها من رزق بل تتصدق به، فرأت أن قوله ذلك جرأه عليها وتنقيصاً لقدرها، بنسبتها إلى ارتكاب التبذير الموجب لمنعها من التصرف، مع كونها أم المؤمنين وخالته اخت أمه، ولم يكن أحد عندها في منزلته، فرأت ذلك منه نوع عقوق، فجعلت مجازاته ترك مكالمته «(١)». ومن الغرائب: احتجاج بعض فقهاء القوم بهذه الزلمة الكبيرة الصادرة من ابن الزبير، ولذا بادر ابن حزم إلى التشنيع عليه، فقال في (المحلى):

«وأما الرواية عن ابن الزبير فطامة الأبد، لا ندري كيف استحلّ مسلم أن يحتجّ بخطيئة ووهله وزلّه كانت من ابن الزبير، والله تعالى يغفر له، إذ أراد مثله مع كونه من أصاغر الصحابة أن يحجر على مثل أم المؤمنين، التي أثنى الله تعالى عليها أعظم الثناء في نص القرآن، وهو لا يكاد يتجزى منها في الفضل عند الله تعالى، وهذا خبر رويناها من طريق عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عوف بن الحارث ابن أخي عائشة أم المؤمنين لأمها: إن عائشة أم المؤمنين حدثت أن عبدالله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته: لنتهين عائشة أو لأحجرن عليها. فقالت عائشة: أو قال هذا؟ قالوا: نعم، فقالت عائشة: هو لله عليّ نذر أن لا أكلم ابن الزبير كلمة أبداً. ثم ذكر الحديث بطوله وتشفعه إليها وبكاؤه لعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث والمسور بن مخرمة الزهريين، حتى كلمته، وأعتقت في نذرها أن لا تكلمه أربعين رقبه.

قال أبو محمد: قد بلغت به عائشة رضى الله عنها ج من ج الإنكار حيث

(١) جواهر العقدين: ٢١٥-٢١٦.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ١٥٢

بلغته، فلا يخلو الأمر من أن يكون ابن الزبير أخطأ وأصابت هي وهو كذلك بلا شك، فلا يحتجّ بقول أخطأ فيه صاحبه، أو يكون ابن الزبير أصاب وأخطأت هي، ومعاذ الله من هذا ومن أن تكون أم المؤمنين توصف بسفه وتستحق أن يحجر عليها، نعوذ بالله من هذا القول. فصح أن ابن الزبير أخطأ في قوله «(١)».

فمن كلام ابن حزم والسمهودي يفهم أن ما صدر من ابن الزبير بحق عائشة كان طعناً عظيماً وقدحاً جسيماً، يمنع منه الكتاب والسنة، ويقبحه العقل ويذم عليه العقلاء... فكيف يجوز هذا عندهم وهم لا يجوزون صدور معشاره من أحد من الشيعة بالنسبة إلى عائشة؟

محاولة التأويل ... ص: ١٥٢

ولشدة قبح ما كان بين ابن الزبير وعائشة، وأنه يستوجب الطعن في كليهما أو أحدهما في الأقل، وهو ما لا يتحمل ... حاول بعضهم تأويل الخبر، ففي (الكواكب الدراري) بشرحه:

«قال ابن بطال: فإن قلت: لِمَ هجرت عائشة ابن الزبير أكثر من ثلاثة أيام؟ قلت: معنى الهجرة ترك الكلام عند التلاقي، وعائشة رضى الله عنها لم تكن تلقاه فتعرض عن السلام عليه، وإنما كانت من وراء الحجاب، ولا يدخل عليها أحد إلا بالإذن، فلم يكن ذلك من الهجرة، ويدل عليه لفظ «يلتقيان فيعرض» إذ لم يكن بينهما لقاء فإعراض».

(١) المحلّى فى الفقه ٨: ٢٩٢-٢٩٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٥٣

ووجه آخر، وهو: إنه إنما ساغ لعائشة ذلك لأنها ام المؤمنين، لاسيما بالنسبة إلى ابن الزبير، لأنها خالته، وذلك الكلام الذى قال فى حقها كان كالعقوق لها، فهجرتها منه كانت تأديباً له، وهذا من باب إباحة الهجران لمن عصى «١».

لكن لا يخفى وهن التوجيه الأول وسخافته، وتفوّه هذا العالم التحرير به عجيب، ولكن العصبية والمرء عضال داء ليس له دواء، وذلك، لأنّ الهجران ترك الملاقاة، وقد خصّه ابن بطال بترك السلام عند الملاقاة، وهذا تأويل عليل وليس عليه دليل، وكلمة «يلتقيان فيعرض» لا دلالة فيها عليه، لأنها تفرّغ على الهجران وليست نفس الهجران، لأنّ اللفظ فى (البخارى) هكذا: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يحلّ لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال فيلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام» «٢».

فالصحيح هو الوجه الثانى فقط.

بل إنّ ألفاظ الخبر عند البخارى شاهدة على بطلان التأويل الأول، فقد جاء فيه، فى قضية شفاعه المسور وعبدالرحمن لابن الزبير عند عائشة:

«وطفق المسور وعبدالرحمن يناشداً إلهما كلمته وقبلت منه، ويقولان: إنّ النبى صلى الله عليه وسلم نهى عمّا قد علمت من الهجرة، فإنه لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فلما أكثرا على عائشة من التذكرة والتحريج، طفقت تذكرهما وتبكي وتقول: إنى نذرت والنذر شديد، فلم يزل بها حتّى

(١) الكواكب الدرارى فى شرح البخارى ٢١: ٢٠٨، شرح صحيح البخارى لابن بطال ٩: ٢٧٠.

(٢) صحيح البخارى ٨: ٢٦ كتاب الأدب - باب الهجرة.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٥٤

كلمت ابن الزبير «١».

فلو لم تكن بينهما هجرة لم يكن لهذه التفاصيل معنى.

قول معاوية لابن الزبير: إنك لمخالف ... ص: ١٥٤

وتكلّم معاوية فى عبد الله بن الزبير فى حديث كان بينهما، فقد جاء فى (المسند):

«حدّثنا عبد الله، حدّثنى أبى، ثنا محمد بن جعفر قال: ثنا شعبه عن يزيد ابن أبى زياد قال: سألت عبد الله بن الحارث عن الركتين بعد العصر، فقال:

كنا عند معاوية، فحدّث ابن الزبير عن عائشة رضى الله عنها: إنّ النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلّيهما، فأرسل معاوية إلى عائشة -

وأنا فيهم - فسألناها فقالت: لم أسمع من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكنْ حَدَّثْتَنِي أُمُّ سَلْمَةَ، فَسَأَلْنَاهَا فَحَدَّثَتْ أُمَّ سَلْمَةَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ أَتَى بِشَيْءٍ فَجَعَلَ يَقْسِمُهُ حَتَّى حَضَرَتْ صَلَاةَ الْعَصْرِ، فَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ، فَلَمَّا صَلَّاهَا قَالَ: هَاتَانِ الرَّكْعَتَانِ كُنْتُ أَصَلِيَهُمَا بَعْدَ الظُّهْرِ.

فقالت أم سلمة: ولقد حَدَّثْتَهَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْهُمَا.
قال: فَأَتَيْتُ مَعَاوِيَةَ فَأَخْبَرْتَهُ بِذَلِكَ.

فقال ابن الزبير: أليس قد صَلَّاهُما؟ لا أزال أَصَلِيَهُمَا.

فقال له معاوية: إِنَّكَ لِمُخَالَفٍ، لا تَزَالُ تَحِبُّ الخِلافَ ما بَقِيَتْ «٢».

(١) صحيح البخارى ٨: ٢٥ كتاب الأدب - باب الهجرة.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٧: ٤٣٩ / ٢٦١١١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٥٥

لعن أمير المؤمنين عليه السلام ابن الزبير ... ص: ١٥٥

ومن الطرائف: رواية القوم إن علياً عليه السلام لعن عبدالله بن الزبير، فقد رواه ابن السمان في كتاب (الموافقة) وعنه المحب الطبري في (الرياض النضرة).

ولا يخفى أن المحب الطبري من كبار الأئمة الحفاظ، كما ترجم له الأسنوى في (طبقات الشافعية) «١» وقال الذهبي في (المعجم المختص):

«أحمد بن عبدالله بن محمد، الإمام الحافظ المفتي، شيخ الحرم، ومحب الدين أبو العباس، الطبري، ثم المكي، الشافعي، مصنف الأحكام الكبرى، كان عالماً عاملاً جليل القدر، عارفاً بالآثار، ومن نظر في أحكامه عرف محله من العلم والفقهاء. عاش ثمانين سنة، وكتب إلى مروياته في سنة ثلاث وسبعين وستمئة» «٢».

وهذا نص ما رواه المحب الطبري في خبر قتل عثمان:

«فبلغ علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة، فخرجوا، وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان، فوجدوه مقتولاً، فاسترجعوا، وقال علي لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ ورفع يده فطم الحسن، وضرب صدر الحسين، وشتم محمد بن طلحة، ولعن عبدالله بن الزبير، وخرج علي وهو غضبان» «٣».

(١) طبقات الشافعية للأسنوى ٢: ٧٢ / ٧٩٦.

(٢) المعجم المختص للذهبي: ٢٤ / ٢٠.

(٣) الرياض النضرة ٣: ٦٥ - ٦٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٥٦

وإذا كان في هذا الخبر فضيلة لعثمان، فهو يشتمل على لعن الإمام عليه السلام عبدالله بن الزبير ... وقد صرحوا بأن اللعن دليل الكفر، لأن مرتكب الكبيرة لا يجوز لعنه عندهم كما في (التحفة الاثني عشرية) بل في (الصواعق): «لا يجوز أن يلعن شخص بخصوصه، إلا إن علم موته على الكفر، كأبي جهل وأبي لهب. وأما من لم يعلم فيه ذلك فلا يجوز لعنه، حتى أن الكافر الحي المعين لا يجوز لعنه» «١».

فإذا كان أمير المؤمنين قد لعن ابن الزبير، فلا ريب في أنه قد مات على الكفر، وإلا لم يلعنه الإمام عليه السلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - كما في (صحيح البخارى) -: «لعن المؤمن كقتله» (٢) فيشملة الوعيد في الآية: «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً» (٣).

وأيضاً: ففي الحديث ما معناه: إن اللعن غير السائغ يعود على صاحبه، روى المتقى الهندي: «إذا خرجت اللعنة من فم صاحبها نظرت، فإن وجدت مسلماً في الذي وجهت إليه وإلا عادت إلى الذي خرجت منه. هب عن عبد الله.

إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساعاً رجعت إلى الذي لعن، إن كان لذلك أهلاً، وإلا رجعت إلى

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٦٣٧.

(٢) صحيح البخارى ٨: ١٩ كتاب الأدب - باب ما يُنهى من السباب واللعن.

(٣) سورة النساء ٤: ٩٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٥٧

قائلها. د عن أبي الدرداء» (١).

تحريف الرواية ... ص: ١٥٧

ومن هنا، فقد عمد غير واحدٍ من أئمة القوم إلى تحريف الخبر، بحذف لفظ «اللعن»:

قال ابن حبان في (كتاب الثقات):

«وبلغ الخبر على بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعداً، فخرجوا مذهلين كادت عقولهم تذهب، لعظم الخبر الذي أتاهم، حتى دخلوا على عثمان، فوجدوه مقتولاً واسترجعوا، وقال على لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ قالوا: لم نعلم. قال: فرفع يده ولطم الحسن، وضرب صدر الحسين، وشم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير» (٢).

وقال السيوطي في (تاريخ الخلفاء) نقلًا عن ابن عساكر:

«وقال على لابنيه: كيف قتل عثمان أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟

ورفع يده، فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير» (٣).

ومنهم من روى الخبر بزيادة لعن الإمام أمير المؤمنين ولديه - والعياذ بالله!! - ففي كتاب (الإعلام بسيرة النبي عليه السلام) للحافظ الزرندی:

«وخرج على وهو غضبان يسترجع، يرى أن طلحة قد أعان على قتله،

(١) كنز العمال ٣: ٦١٤ / ٨١٦٩ و ٨١٧٠.

(٢) كتاب الثقات ٢: ٢٦٥.

(٣) تاريخ الخلفاء: ١٢٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٥٨

فلقية طلحة فقال له: مالك يا أبا الحسن، ضربت الحسن والحسين؟ قال:

عليك وعليهم لعنة الله، ألا- يسؤني ذلك! يقتل أمير المؤمنين، رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يقم عليه بينة ولا حجة؟! فقال طلحة:

لو دفع مروان إليهم لم يقتل. فقال علي: لو خرج مروان إليكم لقتل قبل أن يثبت عليه حكومة» (١).

لكنه يشتمل على لعن طلحة أيضاً...

ثم عمد بعضهم إلى تحريف هذا اللفظ، فوضع كلمة «عليك كذا وكذا» بدلاً من كلمة «لعن» طلحة!.. (٢)

قول النبي لابن الزبير: ويل للناس منك ... ص: ١٥٨

ومن الدلائل على سوء حال عبد الله بن الزبير: قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم له- في قضية-: «ويل للناس منك وويل لك من الناس» وذاك ما أخرجه الحكيم الترمذي في كتاب (نوادير الاصول) قال:

«حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا الهندي بن القاسم بن عبد الرحمن ابن ماعز قال: سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير: إن أباه حدثه أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم، فلما فرغ قال: يا عبد الله، إذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد، فلما برز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمد إلى الدم فشربه، فلما رجع قال: يا عبد الله، ما صنعت بها؟ قال: جعلتها في أخفى مكان- ظننت أنه خاف على الناس- قال: لعلك شربته؟ قال: نعم،

(١) الإعلام بسيرة النبي عليه السلام- مخطوط.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرة ٣: ٦٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٥٩

قال: لم شربت الدم؟ ويل للناس منك وويل لك من الناس».

وأخرجه الحاكم في (المستدرک) بالسند واللفظ وفي آخره: «ومن أمرک أن تشرب الدم؟ ويل لك من الناس وويل للناس منك» (١).

فأشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى الفتن التي أثارها ابن الزبير في حرب الجمل، والفتن التي أثارها في أيام حكمته بمكة، وقد ذهبت آلاف النفوس ضحية لطلب ابن الزبير الدنيا والرئاسة، كما صرح بذلك الصحابي الجليل أبو برزة الأنصاري فيما أخرجه عنه:

كلام أبي برزة في ابن الزبير ... ص: ١٥٩

قال الحاكم في (المستدرک):

«أخبرني الحسن بن حكيم المروزي، ثنا أبوالموجه، أنبا عبدان، أنبا عبد الله، أنبا عوف، عن أبي المنهال، عن أبي برزة الأسلمي رضى الله تعالى عنه قال: إن ذلك الذي بالشام- يعني مروان- والله إن يقاتل إلا على الدنيا، وإن ذلك الذي بمكة- يعني ابن الزبير- والله إن يقاتل إلا على الدنيا، وإن الذين تدعونهم قراء كم والله إن يقاتلون إلا على الدنيا. فقال له أبي: فما تأمرنا إذا؟ قال: لا أرى خير الناس إلا ... خماص البطون من أموال الناس، خفاف الظهور من دماءهم» (٢).

وأبو برزة الأسلمي من الصحابة الذين يذكرونهم بالجهاد وبالورع والديانة، قال ابن حجر بترجمته في (الإصابة):

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣: ٥٥٤ کتاب معرفة الصحابة.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٤: ٤٧٠ کتاب الفتن والملاحم.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٦٠

«قال أبو عمرو: كان إسلامه قديماً، وشهد فتح خيبر وفتح مكةً وحينئذٍ...»

وقال ابن سعد: كان من ساكني المدينة ثم نزل البصرة وغزا خراسان. وقال غيره: شهد مع علي قتال الخوارج بالنهروان وغزا خراسان بعد ذلك، ويقال:

إنه شهد صفين والنهروان مع علي. روى ذلك من طريق ثعلبة بن أبي برزة عن أبيه.

وذكر ابن حجر كلام أبي برزة في ابن الزبير وغيره عن البخاري قال:

«وقد أخرج البخاري في صحيحه: إنه عاب علي مروان وابن الزبير والقراء بالبصرة، لما وقع الاختلاف بعد موت يزيد بن معاوية فقال في قصة ذكرها حاصلها: إن الجميع إنما يقاتلون على الدنيا» (١).

وهذا نص الخبر في (صحيح البخاري):

«حدثنا أحمد بن يونس قال: حدثنا أبو شهاب، عن عوف، عن أبي المنهال قال: لما كان ابن زياد و مروان بالشام، ووثب ابن الزبير بمكة، ووثب القراء بالبصرة، فانطلقت مع أبي إلى أبي برزة الأسلمي، حتى دخلنا عليه في داره وهو جالس في ظل عتيقه له من قصب، فجلسنا إليه، فأنشأ أبي يستطعمه بالحديث، فقال: يا أبا برزة، ألا ترى ما وقع فيه الناس، فأول شيء سمعته تكلم به: إنني احتسبت عند الله أنني أصبحت ساخطاً على أحياء قريش، إنكم - يا معشر العرب - كنتم على الحال الذي علمتم من الذلة والقلة والضلالة، وإن الله أنقذكم بالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم، حتى بلغ بكم ما ترون، وهذه الدنيا التي أفسدت بينكم، إن ذاك الذي بالشام - والله - إن يقاتل إلأعلى الدنيا، وإن ذاك الذي بمكة - والله - إن يقاتل إلأعلى الدنيا، وإن هؤلاء الذين

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ٦: ٢٣٧ - ٢٣٨ / ٨٧١٠

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٦١

بين أظهركم - والله - إن يقاتلون إلأعلى الدنيا» (١).

وفي (فتح الباري) لابن حجر العسقلاني:

«قوله: إن ذاك الذي بالشام، زاد يزيد بن زريع: يعني مروان. وفي رواية سكين: عبد الملك بن مروان، والأول أولى.

قوله: وإن ذاك الذي بمكة. زاد يزيد بن زريع: يعني ابن الزبير.

قوله: وإن هؤلاء الذين بين أظهركم، في رواية يزيد بن زريع وابن المبارك نحوه: إن الذين حولكم الذين تزعمون أنهم قرآؤكم، وفي رواية سكين وذكر نافع ابن الأزرق وزاد في آخره: فقال أبي: فما تأمرني إذا، فأني لا أراك تركت أحداً؟ قال: لا أرى خير الناس اليوم إلأعصابة خماص البطون من أموال الناس، خفاف الظهور من دمائهم» (٢).

وفي هذا الحديث دلالة على القدح والذم لابن الزبير من وجوه:

١- قوله: «إنني احتسبت عند الله» يدل على شدة قبح أفعال ابن الزبير، بحيث كانت سبباً لسخط أبي برزة وغضبه عليه، وأنه كان يطلب بذلك الأجر من الله تعالى... قال ابن حجر بشرحه: «قوله: إنني احتسبت عند الله، في رواية الكشميهني: احتسب، وكذا في رواية يزيد بن زريع. ومعناه: إنه يطلب بسخطه على الطوائف المذكورين من الله الأجر على ذلك، لأن الحب في الله والبغض في الله من الإيمان» (٣).

وعليه، فإن بغض ابن الزبير من الإيمان، وموالاته توجب الخروج عنه،

(١) صحيح البخارى ٩: ٧٢ كتاب الفتن - باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه.

(٢) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ١٣: ٦٢.

(٣) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ١٣: ٦٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٦٢

لكون الغضب عليه موجباً للأجر والثواب، وكذلك بين ابن الملقن الكلمة المذكورة فى (شرح البخارى) فقال: «وأما قول أبى برزة واحتسابه سخطه على أحياء قريش عند الله تعالى، فكأنه قال: اللهم لا أرضى ما صنع قريش من التقاتل على الخلافة فاعلم ذلك من نيتي، وأنى أسخط أفعالهم واستباحتهم للدماء والأموال، فأراد أن يحتسب ما يعتقد من إنكار القتال فى الإسلام عند الله أجراً وذخراً، فإنه لم يقدر من التغيير عليهم إلا بالقول والنية التى بها يؤجر الله عباده».

٢- قوله: «وإنكم يا معشر العرب ... ظاهر فى أن ما صنعه ابن الزبير كان محض الضلال ...»

٣- قوله: «والله إن يقاتل إلا على الدنيا» نص لا يقبل أى تأويل أو حمل.

ومن الواضح أن التقاتل على الدنيا من أقبح الفواحش وأفظع المثالب.

وقد ذكر المؤرخون أن أمه قالت له: «إن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك ومن قتل معك».

قال ابن فهد فى (إتحاف الورى):

«فدخل - أى ابن الزبير - على أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال: يا أمه، قد خذلى الناس حتى ولدى وأهل بيتي، ولم يبق معي إلا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة، وإن خصومى قالوا لى إن شئت سلم نفسك لعبد الملك بن مروان، يرى فيك رأيه ولك الأمان، فما رأيك؟»

فقال له: يا ولدى! أنت أعلم بنفسك، إن كنت قاتلت لغير الله، فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قاتلت لله وتعلم أنك على حق وإليه تدعو، فامض

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٦٣

له، فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتهك يتلعب بها غلمان بنى امية، وإن كنت إنما أردت الدنيا، فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك ومن قتل معك، وإن قلت: كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين، كم خلودك فى الدنيا؟ القتل أحسن، وإن قلت: لم يبق معي معين على القتل، فلعمري إنك مغدور، ولكن شأن الكرام أن يموتوا على ما عاشوا عليه. فقال: يا أمه! أخاف إن قتلنى أهل الشام أن يمتلوا بى ويصلبوني.

فقال: أى بنى، إن الشاة لا تبالى بالسليخ، فامض على بصيرتك واستعن بالله تعالى.

فقبل رأسها وقال: هذا رأيي».

٤- قوله: «لا أرى خير الناس اليوم» ... مفهومه أن ابن الزبير وأمثاله قد ملأوا بطونهم من أموال الناس، وباؤوا بغضب من الله ومأواهم جهنم وبئس المصير.

كلمات الحفاظ بشرح كلام أبى برزة ... ص: ١٦٣

ثم إن علماء القوم - بالرغم من تأويلهم للأحاديث القادحة فى الصيحية دفاعاً عنهم - لم يتمكنوا من تأويل كلام أبى برزة ولو بالتمحل، بل أيدوا بشرحه دلالة على الذم والقبح لابن الزبير، كما عرفت من كلمات ابن حجر والملقن.

وقال ابن حجر بشرحه:

«وفيه: استشارة أهل العلم والدين عند نزول الفتن، وبذل العالم

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٦٤

النصيحة لمن يستشير. وفيه: الإكتفاء في إنكار المنكر بالقول ولو في غيبه من ينكر عليه، ليتعظ من يسمعه فيحذر من الوقوع فيه» (١).

وقال ابن الملقن بشرحه:

«وأما يمينه: أن الذي بالشام ما يقاتل إلأعلى الدنيا، وهو عبد الملك، فوجهه أنه كان يريد أن يأخذ بسيرة عثمان والحسن. وأما يمينه على الذي بمكة، يعني ابن الزبير، فإنه لما وثب بمكة - بعد أن دخل فيما دخل فيه المسلمون - جعله نكثاً وحرصاً على الدنيا، وهو في هذه أقوى رأياً منه في الاولى، وكذا القراء بالبصرة، لأنه كان لا يرى الفتنة في الإسلام أصلاً، وكان يرى أن يترك صاحب الأمر حقه لمن نازعه فيه، لأنه مأجور في ذلك ممدوح بالإيثار على نفسه، وكان يريد من المقاتل أن لا يقتحم النار في قيامه وتفريقه الجماعة وتشيت الكلمه، ولا يكون سبباً لسفك الدماء واستباحه الحرام، أخذاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار، فلم ير القتال البتة، وخشى أن يقول في ابن الزبير شيئاً، لأنه كان من العبادة بمكان، ومما عير عليه في خلافته أنه استأثر بشيء من مال الله».

وما قاله ابن الملقن في آخر كلامه من أن أبي برزة «خشى أن يقول في ابن الزبير شيئاً» واضح مافيه، لأن أبا برزة يقسم قائلاً بأن ابن الزبير ما يقاتل إلأعلى الدنيا ... وفي هذا الكلام كل شيء، لأن القتال على الدنيا ام الخباث والشور وأصل الفسق والفجور، فكيف يقال أنه لم يقل فيه شيئاً؟! وأى فائده مع هذا لكثرة العبادة؟

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخارى ١٣: ٦٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٦٥

تكلّم ابن عمر في ابن الزبير ... ص: ١٦٥

وتكلّم ابن عمر أيضاً في ابن الزبير بما لا يحتمل التأويل كذلك، فقد أخرج الحاكم بإسناده:

«عن نافع عن ابن عمر أنه قال لرجل يسأله عن القتال مع الحجاج أو مع ابن الزبير؟ فقال له ابن عمر: مع أيّ الفريقين قاتلت فقتلت، ففى لظى» قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» (١).

ومن المعلوم أنه إذا كان من يقتل مع ابن الزبير في لظى، فإن الزبير نفسه فيها بطريق أولى، مع أنه قد قتل في نفس هذه المعركة التي حكم عبد الله ابن عمر على من قتل فيها بما حكم ... هذا مضافاً إلى هتكه حرمة الحرم، ولأجل ذلك تكلّم فيه ابن عمر أيضاً، فيما رواه الحكيم الترمذى حيث قال:

«حدّثنا إبراهيم بن المستمر الهذلي قال: حدّثني عبدالرحمان بن سليمان ابن غياث أبو زيد قال: سمعت أبي يذكر عن أبيه قال: صحبت ابن عمر من مكة إلى المدينة، فقال لنا نافع: لا تمر بي على المصلوب - يعنى ابن الزبير -.

قال: فما فجئه في جوف الليل إلأن صكّ محمله جذعه، فجلس يمسح عينيه ثم قال: يرحمك الله يا أبا خبيب إن كنت وإن كنت، ولقد سمعت أباك الزبير يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يعمل سوء يجز به في الدنيا أو في الآخرة، فإن يك هذا بذاك فهه فهه.

قال أبو عبد الله: فأما في التنزيل فقد أجمله فقال: «فمن يعمل سوء يُجز به» ودخل فيه البرّ والفاجر والولى والعدو والمؤمن والكافر، ثم

مبّيز رسول

(١) المستدرک علی الصحیحین ٤: ٤٧١ کتاب الفتن والملاحم.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٦٦

اللّٰهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيْنَ الْمَوْطِنِينَ فَقَالَ: يَجْزِي بِهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، كَأَنَّهُ أَخْبَرَ بِأَنْ يَجْزِيَ بِذَلِكَ السُّوءِ فِي أَحَدِ الْمَوْطِنِينَ، إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْآخِرَةِ، وَلَيْسَ يَجْمَعُ عَلَيْكَ الْجِزَاءُ فِي الْمَوْطِنِينَ.

أَلَا تَرَى أَنَّ ابْنَ عَمْرٍو قَالَ: فَإِنَّ يَكُ هَذَا بِذَاكَ فَهَهُ فَهَهُ، مَعْنَاهُ أَنَّهُ قَاتَلَ فِي حَرَمِ اللّٰهِ، وَأَحْدَثَ حَدَثًا عَظِيمًا فِيهَا، حَتَّى أَحْرَقَ الْبَيْتَ وَرَمَى الْحِجْرَ الْأَسْوَدَ بِالْمَنْجَنِيْقِ، فَانْصَدَعَ حَتَّى ضُجِبَ بِالْفِضَّةِ، فَهُوَ إِلَى يَوْمِنَا كَذَلِكَ، وَسَمِعَ لِلْبَيْتِ أَنْيْنَ آهٍ آهٍ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: إِنَّهَا لَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَا- تَحُلْ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَإِنَّمَا حَلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا حَرَمَتْ يَوْمَ خَلَقْتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.

وَلَمَّا رَأَى ابْنَ عَمْرٍو فَعَلَهُ، ثُمَّ رَأَاهُ مَقْتُولًا مَصْلُوبًا، ذَكَرَ قَوْلَ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يَجْزِي بِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنْ يَكُ هَذَا الْقَتْلُ بِذَاكَ الَّذِي فَعَلَهُ فَهَهُ، أَى كَأَنَّهُ جَوَزَى بِذَلِكَ السُّوءِ مِنْ هَذَا الْقَتْلِ وَالصَّلْبِ «١».

هَذَا، وَقَدْ رَوَاهُ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِخْبَارَهُ عَنْ صَنْعِ عَبْدِ اللّٰهِ، مَعَ التَّعْبِيرِ عَنْ ذَلِكَ بِ «الإلحاد»:

«يَلْحُدُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللّٰهِ، عَلَيْهِ شَطْرُ عَذَابِ الْعَالَمِ، طَبَّ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو».

«إِنَّهُ سَيَلْحُدُ فِي الْحَرَمِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، لَوْ تَوَزَنَ ذَنْبُهُ بِذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ لَرَجَحَتْ. حَمَّ كَ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو».

«يَحْلُهَا وَيَحْلُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، لَوْ وَزَنَتْ ذُنُوبَهُ بِذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ لَوَزَنْتَهَا. حَمَّ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو».

(١) نوادر الأصول ٢: ١٦. وقد اسقط منه: «قال أبو عبد الله»....

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٦٧

«يَلْحُدُ بِمَكَّةَ كَبَشٌ - أَى سَيْدٌ - مِنْ قُرَيْشٍ اسْمُهُ عَبْدُ اللّٰهِ، عَلَيْهِ مِثْلُ أَوْزَارِ نِصْفِ النَّاسِ. حَمَّ عَنْ عَثْمَانَ.

يَلْحُدُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ، يَكُونُ عَلَيْهِ نِصْفُ عَذَابِ الْعَالَمِ. حَمَّ عَنْ عَثْمَانَ. وَرَجَالَ الْحَدِيثِ ثَقَاتٌ «١».

بَلْ لَقَدْ رَوَاهُ أَنَّ ابْنَ عَمْرٍو قَدْ ذَكَرَ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذَا، وَحَدَّثَهُ مِنْ أَنَّ يَكُونُ الْمَلْحُدُ الْقُرَشِيُّ هُوَ:

فِي (جَمْعِ الْجَوَامِعِ) لِلْسَيُوطِيِّ عَنْ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ:

«عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَى عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ عَمْرٍو عَبْدَ اللّٰهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ: إِيَّاكَ وَالْإِلْحَادَ فِي حَرَمِ اللّٰهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّهُ سَيَلْحُدُ فِيهِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، لَوْ أَنَّ ذَنْبَهُ تَوَزَنَ بِذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ لَرَجَحَتْ عَلَيْهِ، فَانظُرْ لَا تَكُونَهُ.»

فَكَانَ هَذَا رَأَى عَبْدَ اللّٰهِ بْنَ عَمْرٍو فِي ابْنِ الزُّبَيْرِ ... وَبِذَلِكَ صَرَّحَ الْحَبَّاجُ عِنْدَ أَسْمَاءِ امِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، إِذْ قَالَ لَهَا - كَمَا فِي (السِّيَرَةِ الْحَلِيبِيَّةِ) -

:

«رَأَيْتُ كَيْفَ نَصَرَ اللّٰهُ الْحَقَّ وَأَظْهَرَ أَنَّ ابْنَكَ أَلْحُدُ فِي هَذَا الْبَيْتِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: «وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بَظْلَمٍ نَذَقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» وَقَدْ أَذَاقَهُ اللّٰهُ ذَلِكَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ «٢».

وَقَالَ فِي (إِتْحَافِ الْوَرِيِّ):

«سَنَةُ سِتٍّ وَسِتِّينَ: فِيهَا دَعَا عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ الزُّبَيْرِ مُحَمَّدَ ابْنَ الْحَنْفِيَّةِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَسَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ وَجُوهِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، مِنْهُمْ

أبو الطفيل

(١) كنز العمال ١٢: ٢٠٨ - ٢٠٩ / ٣٤٦٩١ - ٣٤٦٩٥. وبعضه عن ابن عمرو.

(٢) إنسان العيون/ السيرة الحلبية ١: ١٧٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٦٨

عامر بن وائلة الصحابي، ليبياعوه، فامتنعوا وقالوا: لا نبايع حتى تجتمع الائمة.

فأكثر ابن الزبير الوقعة في ابن الحنفية وذمه، فأغلظ له عبدالله بن هانى الكندى وقال: لئن لم يضرك إلّا تركنا بيعتك لا يضرك شيء، وإن صاحبنا يقول: لو بايعنى الائمة كلها غير سعد مولى معاوية قتلته، وإنما عرض بذكر سعد، لأن ابن الزبير أرسل إليه فقتله، فسبّه عبدالله وسب أصحابه وأخرجهم من عنده، فأخبروا ابن الحنفية بما كان منهم، فأمرهم بالصبر، ولم يلح عليهم ابن الزبير.

فلما استولى المختار على الكوفة، وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية، خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس إلى الرماية، فحينئذ ألح على ابن الحنفية وعلى أصحابه على البيعة له، فحبسهم بزمام وتوعدهم بالقتل والإحراق، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوه ينفذ فيهم ما توعدهم به، وضرب لهم في ذلك أجلاً.

فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه، أن يبعث إلى المختار وإلى من بالكوفة رسوماً يعلمهم حالهم وحال من معهم، وما كان توعدهم به ابن الزبير، فوجد ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس على باب زمزم، وكتب معهم إلى المختار وأهل الكوفة يعلمهم حاله وحال من معه وما توعدهم به ابن الزبير من القتل والتحريق بالنار، ويطلب منهم النجدة، ويسألهم أن لا يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيته.

فقدموا على المختار، فدفعوا إليه الكتاب، فنادى فى الناس، فقرأ عليهم الكتاب.

(إلى أن قال فى إتخاف الورى): فوجه - يعنى المختار - أبا عبدالله

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٦٩

الجدلى فى سبعين ركباً من أهل القوة، ووجه ظبيان بن عمارة أخا بنى تميم ومعه أربعمائه، وبعث معه لابن الحنفية أربعمائه درهم، وسير أباالمعتمر فى مائة، وهانى بن قيس فى مائة، وعمير بن طارق فى أربعين، ويونس بن عمران فى أربعين، وكتب إلى محمّد بن على مع أبى الطفيل عامر ومحمّد بن قيس بتوجيه الجند إليه.

وخرج الناس أثرهم فى أثر بعض، وجاء أبو عبدالله الجدلى حتى نزل ذات عرق فى سبعين ركباً، فأقام بها حتى أتاه عمير ويونس فى ثمانين ركباً، فبلغوا مائة وخمسين رجلاً، فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الكافر كوبات وهم ينادون: يا لثارات الحسين، حتى انتهوا إلى زمزم، وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم، وكان قد بقى من الأجل يومان، فطردوا الحرس وكسروا أعواد زمزم ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا: خلّ بيننا وبين عدوّ الله ابن الزبير.

فقال لهم: إنى لا أستحلّ القتال فى حرم الله.

فقال ابن الزبير: واعجبا لهذه الخشبية، يعنون حسينا كأتى أنا قتلته، والله لو قدرت على قتلته لقتلتهم.

وإنما قيل لهم خشبية، لأنهم وصلوا إلى مكة وبأيديهم الخشب، كراهة إشهار السيوف فى الحرم.

وقيل: لأنهم أخذوا الحطب الذى أعده ابن الزبير.

وقال ابن الزبير: أبحسون أنى اخلّى سيبلهم دون أن ابايع ويايعون.

فقال أبو عبدالله الجدلى: أى ورب الكعبة والمقام وربّ الحلّ والحرام، لتخلين سيبلهم أو لنجالدتك بأسيفنا جلاداً يرتاب منه المبطلون.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٧٠

فقال ابن الزبير: هل أنتم - والله - إلا أكله رأس، لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتى تقطف رؤوسكم. فقال له قيس بن مالك: أما والله إنني لأرجو إذ رمت ذلك، أن يرسل إليك قبل أن ترى ما تحب. فكفّ ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة.

ثم قدم أبوالمعتمر في مائه، وهاني بن قيس في مائه، وطيّبان بن عماره في مائتين ومعه المال، حتى دخلوا المسجد الحرام فكبروا وقالوا: يا ثارات الحسين.

فلما رأهم ابن الزبير خافهم.

فخرج محمد بن الحنفية ومن معه إلى شعب على، وهم يستبون ابن الزبير ويستأذنون محمد بن الحنفية فيه، فيأبى عليهم، واجتمع مع محمد في الشعب أربعة آلاف رجل، فقسّم بينهم ذلك المال.

ويقال: إن ابن الزبير أرسل إلى ابن عباس وابن الحنفية أن يبايعا، فقالا:

حتى يجتمع الناس على إمام ثم نبايع فإنك في فتنة، فعظم الأمر بينهما وغضب من ذلك، وحبس ابن الحنفية في زمزم، وضيق على ابن عباس في منزله، وأراد إحراقهما، فأرسل المختار جيشاً كما تقدّم.

(إلى أن قال في إتحاف الوري): سنة سبع وستين، فيها حجّ بالناس عبدالله بن الزبير رضى الله عنه، وفيها أو في التي بعدها - بعد أن قتل المختار بالكوفة - استوسقت البلاد لابن الزبير، وتضعض حال ابن الحنفية وأصحابه واحتاجوا، فأرسل ابن الزبير أخاه عروة إلى ابن الحنفية أن ادخل في بيعتي وإلا نابذتك.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٧١

فقال ابن الحنفية: بؤساً لأخيك، ما ألحّه فيما أسخط الله تعالى، وأغفله عن ذات الله عزّ وجلّ.

وقال لأصحابه: إن ابن الزبير يريد أن يثور بنا، وقد أذنت لمن أحبّ الإنصاف عتاً، فإنه لا ذمام عليه ولا لوم، فإني مقيم حتى يفتح الله بيني وبين ابن الزبير وهو خير الفاتحين.

فقام إليه أبو عبدالله الجدلي وغيره، فأعلموه أنهم غير مفارقيه.

وبلغ خبره عبدالملك بن مروان، فكتب إليه يعلمه أنه إن قدم عليه أحسن مقدمه، وأنه ينزل أيّ الشام أراد، حتى يستقيم أمر الناس.

فخرج ابن الحنفية وأصحابه إلى الشام.

(إلى أن قال في إتحاف الوري): فارتحل ابن الحنفية إلى مكة، ونزل شعب آل أبي طالب، فأرسل إليه ابن الزبير يأمره بالرحيل عليه، وكتب إلى أخيه مصعب ابن الزبير يأمره أن يسير نساء من مع ابن الحنفية، فسير نساء منهنّ امرأة أبي الطفيل عامر بن واثله، فجاءت حتى قدمت عليه.

فقال أبو الطفيل:

وإن يك سيرها مصعب فإني إلى مصعب متعب

أقود الكتيبة مسلماً كأنّي أخو عزة أجب

وهي عدّة أبيات.

وألحّ ابن الزبير على ابن الحنفية بالانتقال عن مكة، فاستأذنه أصحابه في قتال ابن الزبير فلم يأذن لهم وقال: اللهم ألبس ابن الزبير لباس الذلّ والخوف، وسلط عليه وعلى أشياعه من يسومهم الذي يسوم الناس، ثم صار إلى الطائف.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٧٢

فدخل ابن عباس على ابن الزبير، فأغلظ له وجرى بينهما كلام، وخرج ابن عباس أيضاً فلاحق بالطائف، وأرسل ابنه عليّاً إلى عبدالملك بالشام وقال:

لأن يربني بنو عمي أحب إلي من أن يربني رجل من بني أسد، يعنى بينى عمه بنى امية، لأنهم جميعهم من ولد عبد مناف، ويعنى برجل من بني أسد ابن الزبير، فإنه من بني أسد بن عبد العزى بن قصي» (١).

(١) إتحاف الورى بأخبار أم القرى - حوادث السنة ٦٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٧٣

ثم قال السيوطى فى (الإتقان ...): ص: ١٧٣

«وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء اليسير من التفسير.

كأنس وأبى هريرة وابن عمر وجابر وأبى موسى الأشعري.

وورد عن عبدالله بن عمرو بن العاص أشياء تتعلق بالقصص وأخبار الفتن والآخرة وما أشبهها بأن يكون مما تحمله عن أهل الكتاب،

كالذى ورد عنه فى قوله تعالى «فى ظلل من الغمام» (١).

أقول:

إنه وإن كان يكفى معرفة أحوال الصحابة المذكورين، وهم الذين رووا عنهم الكثير من التفسير، لمعرفة شأن تفاسيرهم وقيمة

رواياتهم وأخبارهم فى التفسير، لكننا نتعرض لحال هؤلاء - الذين رووا عنهم اليسير - أيضاً ولو بإيجاز، فنقول:

(١) الإتقان فى علوم القرآن ٤: ٢٤٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٧٤

أنس بن مالك ... ص: ١٧٤

إشارة

أمّا أنس بن مالك، فهذه عدّة من مطاعنه المسقطه له عن العدالة، والموجهة له العار والخسران وعذاب النيران:

كتمانته الشهادة ... ص: ١٧٤

فمنها: كتمانته الشهادة بحديث الغدير، مع أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ناشده به، وطلب منه الشهادة، ودعا عليه لما كتم، فقد

ذكر السيد جمال الدين المحدث الشيرازى فى كتاب (الأربعين فى فضائل أمير المؤمنين) فى بيان تواتر حديث الغدير:

«ورواه زر بن حبیش فقال: خرج على عليه السلام من القصر، فاستقبله ركباً متقلدى السيف، عليهم العمائم، حديثى عهد بسفر فقالوا:

السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا مولانا.

فقال على عليه السلام بعد ما ردّ السلام: من هاهنا من أصحاب رسول الله؟

فقام إثنا عشر رجلاً منهم: خالد بن زيد أبو أيوب الأنصارى، وخزيمة بن ثابت ذوالشهادتين، وثابت بن قيس بن شماس، وعمار بن

ياسر، وأبو الهيثم بن التيهان، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وحيب بن بديل بن ورقاء. فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدیر خم يقول: من كنت مولاه فعلى مولاه. الحديث.

فقال على لأنس بن مالك والبراء بن عازب: ما منعكما أن تقوموا فتشهدا، فقد سمعتما كما سمع القوم؟

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٧٥

فقال: اللهم إن كانا كتماها معاندة فأبليهما؛ فأما البراء فعمى، فكان يسأل عن منزله فيقول: كيف يرشد من أدركته الدعوة. وأما أنس فقد برصت قدماه.

وقيل: لما استشهده على عليه السلام على قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه فعلى مولاه واعتذر بالنسيان فقال: اللهم إن كانت كاذباً فأبله بياض لا تواريه العمامة، فبرص وجهه، فسدل بعد ذلك برقعاً على وجهه.

تحريف الحديث ... ص: ١٧٥

وقد حرّف بعض علمائهم هذا الحديث، فوضع بدل الإسم الصريح كلمة «رجل» تستراً على أنس بن مالك، وخجلاً مما كان منه ... فقد روى أبو نعيم الحافظ في (حلية الأولياء):

«حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا أحمد بن إبراهيم بن كيسان، ثنا إسماعيل ابن عمرو البجلي، ثنا مسعر بن كدام، عن طلحة بن مصرف، عن عميرة بن سعد قال: شهدت علياً على المنبر ناشداً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم أبو سعيد وأبو هريرة وأنس بن مالك، وهم حول المنبر وعلى المنبر، وحول المنبر اثنا عشر رجلاً هؤلاء منهم. فقال على: نشدتكم بالله هل سمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلى مولاه؟

فقاموا كلهم فقالوا: اللهم نعم، وقعد رجل، فقال: ما منعك أن تقوم؟

قال: يا أمير المؤمنين! كبرت ونسيت.

فقال: اللهم إن كان كاذباً فاضربه ببلاء حسن.

قال: فما مات حتى رأينا بين عينيه نكتة بيضاء لا توارىها العمامة.

غريب من حديث طلحة، تفرد به مسعر عنه مطوّلاً، ورواه ابن عائشة عن إسماعيل مثله، ورواه الأجلح وهانئ بن أيوب عن طلحة مختصراً» (١).

(١) حلية الأولياء ٥: ٢٦-٢٧/٢٩٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٧٦

الكذب ... ص: ١٧٦

ومنها: أنه قد كذب في قضية الطائر المشوى المشهورة، وفي بعض الروايات إنه قد تكرّر ذلك منه:

قال الحاكم في (المستدرک) في الحديث:

«فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أنس، انظر من على الباب؟ فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فذهبت فإذا على

بالباب، فقلت: إن رسول الله على حاجة» (١).

وفى (كنز العمال):

«عن عمرو بن دينار، عن أنس قال: كنت مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى بستان، فاهدى لنا طائر مشوى، فقال: اللهم ائتنى بأحب الخلق إليك، فجاء على بن أبى طالب، فقلت: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله مشغول، فرجع. ثم جاء بعد ساعة ودق الباب، ورددته مثل ذلك، ثم قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله: يا أنس! افتح له، فطالما رددته. فقلت: يا رسول الله! كنت أطمع أن يكون رجلاً من الأنصار. فدخل على بن أبى طالب فأكل معه من الطير، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله: المرء يحب قومه. كر وابن النجار» (٢).

حضوره عند ابن زياد وهو ينكت ثانياً أبى عبدالله ... ص: ١٧٦

ومنها: إنه كان حاضراً عند عبيدالله بن زياد لما أتى برأس الإمام أبى عبدالله الحسين الشهيد، فجعل ينكت ثانياً ويقرعهما بالقضيب، قال

(١) المستدرک على الصحيحين ٣: ١٣٢ كتاب معرفة الصحابة.

(٢) كنز العمال ١٣: ١٦٧/٣٦٥٠٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٧٧

البخارى:

«عن أنس بن مالك قال: أتى عبيدالله بن زياد برأس الحسين عليه السلام، فجعل فى طست، فجعل ينكت وقال فى حسنه شيئاً، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان مخضوباً بالوسم» (١).

فقال العيني فى (عمدة القارى):

«قال سبط ابن الجوزى: أما كان لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أنس من الحقوق أن ينكر على ابن زياد فعله ويقبح له ما وقع منه، من قرع ثانياً الحسين بالقضيب، كما فعل زيد بن أرقم» (٢).

طعن أبى حنيفة فيه ... ص: ١٧٧

وأنس بن مالك كان مطعوناً عند إمامهم الأعظم أبى حنيفة، ذكر ذلك الزندويستى الحنفى - ومن أكابر علماء القوم، وصفه الكفوى فى (كتائبه) بأنه «كان إماماً فقيهاً ورعاً» (٣) وترجم له عبدالقادر فى (طبقاته) (٤) - حيث قال:

«روى عن أبى حنيفة رضى الله عنه أنه سئل فقيل له: إذا قلت قولاً، وكان كتاب الله تعالى يخالف قولك؟ قال: أترك قولى بكتاب الله تعالى، فقيل:

إذا كان خبر الرسول يخالف قولك؟ قال: أترك قولى بخبر الرسول، فقيل: إذا كان قول الصحابة يخالف قولك؟ فقال: أترك قولى بقول الصحابة، فقيل له:

إذا كان قول التابعين يخالف قولك؟ قال: إذا كان التابعى رجلاً فأنا رجل.

(١) صحيح البخارى ٥: ٣٢-٣٣ كتاب المناقب - باب مناقب الحسن والحسين رضى الله عنهما.

(٢) عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى ١٦: ٢٤١. وفيه: لكن الفحل، بدل: كما فعل.

(٣) كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار - مخطوط.

(٤) وذكره صاحب هديّة العارفين ١: ٣٠٧ وأرخ وفاته بحدود سنة ٤٠٠.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٧٨

ثم قال: أترك قولي بجميع قول الصحابة إلا ثلاثة منهم: أبو هريرة وأنس بن مالك وسمرة بن جندب. قال الفقيه أبو جعفر الهندواني رحمه الله:

إنما لم يترك قوله بقول هؤلاء الثلاثة لأنهم مطعونون» (١).

وقد روى محمد بن سليمان الكفوي في (كتائب الأعلام) كلام أبي حنيفة حيث قال - بعد نقل كلام الصدر الشهيد في بيان وجه ترك أبي حنيفة أنس بن مالك وأباهريرة وعدم تقليدهما - وأما سمرة فما وجدت في نسختي ثم ظفرت في روضة الزندويستي في الباب السابع والتسعين في فضل الصحابة قال فيه:

وتقليد الصحابة يجوز أم لا؟ قال علماؤنا: في ظاهر الاصول يجوز، وأقوايل جميع الصحابة حجة نعمل بها، حتى روى عن أبي حنيفة أنه سئل فقيل له: إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالف قولك؟ قال: أترك قولي بكتاب الله وقول الرسول صلى الله عليه وسلم. فقيل: إذا كان قول الصحابة يخالف قولك؟ قال: أترك قولي بقول الصحابة. فقيل: إذا كان قول التابعين يخالف قولك؟ قال: هم رجال ونحن رجال.

ثم قال أبو حنيفة رحمه الله: أترك قولي بقول الصحابة، إلا بقول ثلاثة منهم: أبو هريرة وأنس بن مالك وسمرة بن جندب.

قال الفقيه أبو جعفر الهندواني: وإنما لم يترك قوله بقول هؤلاء الثلاثة، لأنهم مطعونون» (٢).

وأيضاً: قال الكفوي في (كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب نعمان المختار):

(١) روضة العلماء، ذكره له صاحب كشف الظنون ١: ٩٢٨.

(٢) كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار - مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٧٩

«قال الصدر الشهيد أيضاً: عن أبي حنيفة روايتان:

الأول: أنه قال أقلد من كان من القضاة المفتين من الصحابة، لقوله:

إقتدوا باللذين من بعدى أبي بكر وعمر، وقد اجتمع في حقهما القضاء والفتوى، فمن كان بمثابةما مثل: عثمان وعلى والعبادة الثلاثة وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وغيرهم ممن كان في معناهم، فأقلدهم ولا أستجيز خلافهم برأبي، وخرج عن هذا جماعة منهم: أبو أمامة وسهل بن سعد الساعدي وأبو حميد الساعدي والبراء ابن عازب وغيرهم.

والثاني: قال: أقلد جميع الصحابة، ولا أستجيز خلافهم برأبي إلا ثلاثة نفر: أنس بن مالك وأبو هريرة وسمرة بن جندب.

فقيل له في ذلك.

فقال: أما أنس فقد بلغني أنه اختلط عقله في آخر عمره، وكان يستفتي من علقمته، وأنا لا أقلد علقمته، فكيف أقلد من يستفتي من علقمته؟» (١).

كان يلبس الحرير ... ص: ١٧٩

ومنها: إنه كان يلبس الحرير كما في (الطبقات):

«عن عبدالسلام بن شداد قال: رأيت على أنس عمامة حرير وجبة خز ومطرف خز. فقالوا: مالك تنهاننا عن الحرير وتلبسه أنت؟ فقال: إن امرأنا يكسوناهما، فنحب أن يروه علينا» (٢). هذا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله كما في (صحيح البخارى):

(١) كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار - مخطوط.

(٢) الطبقات الكبرى ٧: ٢٣-٢٤، وفي النسخة «الخز» بدل «الحرير».

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٨٠

«عن أبي ذبيان خليفه بن كعب قال: سمعت ابن الزبير يقول: سمعت عمر يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» (١).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال: إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة» (٢).

تقصيره الصلاة وتركه الصيام مدة سنتين ... ص: ١٨٠

ومنها: أنه لما ولي سابور من قبل الحجاج، بقي مدة سنتين يقصير الصلاة، ولا يصوم شهر رمضان، معتذراً بأنه لا يدرى مدة بقائه هناك، ومتى يعزل؟

روى ذلك أبو هلال العسكري في كتاب (الأوائل) الذى ترجم له العلماء وأثنوا عليه واعتمدوا على إخباراته ... قال السيوطى فى (بغية الوعاة):

«الحسن بن عبدالله بن سهل ... كان موصوفاً بالعلم والفقہ، والغالب عليه الأدب والشعر، وكان يتبرز احترازاً من الطمع والدناءة. روى عنه أبو سعد السمان وغيره ... له من التصانيف: كتاب صناعتى النظم والنثر، مفيد جداً، والتلخيص فى اللغة، جمهرة الأمثال، شرح الحماسة، من احتكم من الخلفاء إلى القضاء، لحن الخاصة، الأوائل ... قال ياقوت: لم يبلغنى شىء فى وفاته، إلا أنه فرغ من إملاء الأوائل يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة ٣٩٥» (٣).

(١) صحيح البخارى ٧: ١٩٤ كتاب اللباس - باب لبس الحرير ...

(٢) صحيح البخارى ٧: ١٩٤ كتاب اللباس - باب لبس الحرير ...

(٣) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ١: ٥٠٦ / ١٠٤٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٨١

أبو هريرة ... ص: ١٨١

إشارة

وأما أبو هريرة، فقوادحه ومطاعنه الشنيعة كثيرة، فمنها:

موالاته عدوّ علي ... ص: ١٨١

إنّه كان من المنحرفين عن أمير المؤمنين، ومن المؤيدين لمعاوية رئيس الفئة الباغية، حتّى لقد ذكره الأصمغ بن نباتة بذلك، فلم يقل: **إلّا: إنّ الله وإنّا إليه راجعون**، فقد روى سبط ابن الجوزي في (تذكرته) أنّه:

«قال أصمغ: فقلت له: يا معاوية، لا تعتل بقتله عثمان، فإنّك لا تطلب إلّا الملك والسلطان، ولو أردت نصرته ج حياً ج لفعت، ولكنك تربصت به وتعاقدت عنه لتجعل ذلك سبباً إلى الدنيا، فغضب، فأردت أن أزيده فقلت:

يا أبا هريرة، أنت صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أقسم عليك بالله الذي لا إله إلّا هو وبحقّ رسوله، هل سمعت رسول الله يقول يوم غدیر خم في حقّ أمير المؤمنين: من كنت مولاه فعلىّ مولاه؟

فقال: إي والله لقد سمعته يقول ذلك.

قال: فقلت: فأذن أنت يا أبا هريرة واليت عدوّه وعاديت وليه.

فتنفس أبو هريرة وقال: إنّ الله وإنّا إليه راجعون.

فتغيّر وجه معاوية وقال: يا هذا! كفّ عن كلامك، فلا تستطيع أن تخدع أهل الشام عن الطلب بدم عثمان، فإنّه قتل مظلوماً» (١ ... ١).

(١) تذكرة الخواص من الأئمة: ٨٣-٨٤.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ١٨٢

لعب القمار والشطرنج ... ص: ١٨٢

وذكروا أنّه كان يلعب بالشطرنج، وكان يقامر ... ففي (حياة الحيوان) - في كلام له عن الشطرنج:-

«وروى الصعلوكي تجويزه عن عمر بن الخطّاب وأبي هريرة ... والمروى عن أبي هريرة من اللعب به مشهور في كتب الفقه» (١ ... ١).

وقال ابن الأثير:

«وفي حديث بعضهم قال: رأيت أبا هريرة يلعب السدر. السدر لعبة يقامر بها، وتكسر سينها وتضم، وهي فارسية معربة ج عن «سه در» ج، يعني ثلاثة أبواب» (٢ ... ٢).

وفي (مجمع البحار): «وحديث: رأيت أبا هريرة يلعب السدر» (٣ ... ٣).

وقد نصّ علماء القوم على حرمة اللعب بالشطرنج، ونسب ابن تيمية القول بالحرمة إلى جمهور العلماء، قال:

«مذهب جمهور العلماء أنّ الشطرنج حرام، وقد ثبت عن علي بن أبي طالب مرّ بقوم يلعبون الشطرنج فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، وكذلك النهى عنها معروف عن أبي موسى وابن عباس وابن عمر وغيرهم من الصحابة. وتنازعوا في أنّ أيهما أشدّ تحريماً: الشطرنج أو النرد؟

فقال مالك: الشطرنج أشدّ من النرد، وهذا منقول عن ابن عمر. وهذا لأنّها

(١) حياة الحيوان «العقرب» ٢: ٦٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢: ٣٥٤ «سدر».

(٣) مجمع البحار «سدر».

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٨٣

تشغل القلب بالفكر الذى يصد عن ذكر الله وعن الصلاة أكثر من النرد. وقال أبو حنيفة وأحمد: النرد أشد» (١).

أبو هريرة في نظر الصحابة ... ص: ١٨٣

وقد كان أبو هريرة متهمًا بالكذب والإختلاق على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الصحابة، وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام، وكان عمر وعثمان وعائشة أيضاً من الطاعنين عليه، قال ابن قتيبة - فى بحث له مع بعضهم: «فأما طعنه على أبى هريرة بتكذيب عمر وعثمان وعلى وعائشة له، فإنّ أباهريرة صحب رسول الله نحواً من ثلاث سنين، وأكثر الرواية عنه، وعمر بعده نحواً من خمسين سنة، وكانت وفاته سنة تسع وخمسين ... فلما أتى من الرواية عنه صلى الله عليه وسلم بما لم يأت بمثله من صحبه من أجله أصحابه والسابقين الأولين إليه، اتهموه وأنكروا عليه وقالوا: كيف سمعت هذا وحدك؟ ومن سمعه معك؟ وكانت عائشة أشدهم إنكاراً عليه لتطاول الأيام بها وبه، وكان عمر أيضاً شديداً على من أكثر الرواية» (٢).
والمؤيدات لما أفاده ابن قتيبة فى كتب القوم كثيرة، ومن ذلك: قول الشمس الخلقى بشرح الحديث عن أبى هريرة: «قوله: إنكم تقولون. الخطاب للصحابة، أكثر أبو هريرة عن النبى. أى: أكثر الرواية عنه عليه السلام، والله الموعد: أى: لقاء الله موعداً يعنى مرجعنا.

(١) منهاج السنّة ٣: ٤٣٧-٤٣٨.

(٢) تأويل مختلف الحديث: ٤١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٨٤

يعنى به يوم القيامة، فيظهر عنده صدق الصادق وكذب الكاذب لا محالة، لأنّ الأسرار تنكشف هنالك» (١).

فالقائلون والمتكلمون فى إكثار أبى هريرة هم «الصحابة» وقد كانوا يتهمونه بالكذب، وفى يوم القيامة يظهر الصادق والكاذب! وقول القارى فى (المرقاة) بشرحه كذلك:

«وعنه - أى عن أبى هريرة - قال: إنكم، أى معشر التابعين، وقيل:

الخطاب مع الصحابة المتأخرين، تقولون: أكثر أبو هريرة، أى الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم، والله الموعد، أى موعداً، فيظهر عنده صدق الصادق وكذب الكاذب، لأنّ الأسرار تنكشف هنالك. وقال الطيبى: أى: لقاء الله الموعد، أى موعداً يوم القيامة، فهو يحاسبنى على ما أزيد أو أنقص، لاسيما على رسول الله، وقد قال: من كذب علىّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار» (٢).
والحاصل: إنّ الصّحابة والتابعين كانوا يكذبون أباهريرة، ولا يصدّقونه فى روايته، ولا يعتمدون عليه ولا يأخذون بها، كما سيأتى عن عائشة.

وفى (الجمع بين الصحيحين) عن أبى رزين قال:

«خرج إلينا أبو هريرة، فضرب بيده على جبهته فقال: ألا، إنكم تحدّثون أنّى أكذب على رسول الله» (٣) ...
وفى هذا دليل واضح على أنّه كان فى نظر القوم مفترياً على رسول الله ...

(١) المفاتيح فى شرح المصايح - مخطوط.

(٢) المرقاة فى شرح المشكاة ٥: ٤٥٨.

(٣) الجمع بين الصحيحين ٣: ١٢٣ / ٢٣٣٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٨٥

وأما ما أشار إليه ابن قتيبة من ردود عائشة عليه، وأنه قد طال ذلك بينهما، فإن موارد ردها عليه كثيرة، يجدها المتتبع في كتب القوم.

تكذيب عائشة بأهريرة ... ص: ١٨٥

من ذلك: حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال: من لم يوتر فلا صلاة له، فبلغ ذلك عائشة فقالت: ج و ج من سمع هذا من أبي القاسم؟ ج والله ج ما بعد العهد وما نسيت «...» ١».

ومن ذلك: حديثه في شرّ الثلاثة:

«ولما سمعت بأهريرة يروى أن ولد الزنا شرّ الثلاثة قالت: كيف يصح هذا؟ وقد قال الله تعالى: «ولا تزر وازرة وزر اخرى» ٢».

«وروى أن عائشة قالت لابن اختها: ألا تعجب من كثرة رواية هذا الرجل، ورسول الله حدث بأحاديث لو عدّها عاداً لأحصاها» ٣».

وهذا الحديث أبطله ابن عمر أيضاً، والغالب على الظنّ أنهم يريدون بذلك الحماية عن أسلافهم وأكابرهم ... فلا تغفل!! ففي (كنز العمال):

«عن ميمون بن مهران: إنّه شهد ابن عمر صلى على ولد الزنا، فقبل له:

إنّ أبا هريرة لم يصلّ عليه وقال: هو شرّ الثلاثة، فقال ابن عمر: هو خير الثلاثة» ٤».

ومن ذلك: حديثه إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في

(١) المعجم الأوسط ٤: ٣٩٣ / ٤٠١٢.

(٢) سورة الانعام ٦: ١٢٤.

(٣) الاصول لشمس الأئمة السرخسي ١: ٣٤٠ - ٣٤١.

(٤) كنز العمال ٥: ٤٦١ / ١٣٦١٧ و ١١: ٨٥ / ٣٠٧١٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٨٦

الإناء، فقد أبطلته عائشة ووافقها ابن عباس «١».

ومن ذلك: حديثه في المشى في خفّ واحد، فقد روى ابن أبي شيبه، عن ابن عيينه، عن عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه: «إنّ عائشة كانت تمشى في خفّ واحدٍ وتقول: لأخيفنّ أبا هريرة» ٢».

فإنّ هذا تكذيب منها لأبي هريرة، ولا معنى له سوى ذلك، لأنّه قد ادّعى سماع النهي عن المشى في خفّ واحدٍ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد جاء في (الجمع بين الصحيحين):

«عن أبي هريرة: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يمشى أحدكم في نعلٍ واحدٍ، لينعلهما أو ليخلعهما جميعاً. وفي رواية القعبي:

ليحفهما جميعاً أو لينعلهما جميعاً.

وأخرجه مسلم من حديث الأعمش عن أبي رزين قال: خرج إلينا أبو هريرة، فضرب بيده إلى جبهته فقال: ألا إنكم تحدّثون أنّي أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتهتدوا وأضل، ألا وإنّي أشهد لسمعت رسول الله يقول: إذا انقطع شسع أحدكم فلا يمشى في الاخرى حتّى يصلحها» ٣».

فهو يؤكد على أنه قد سمع من رسول الله ذلك... وقد كذّبه عائشة، لأن من قال سمعته يقول كذا وكذا لا يتطرق إليه إلا التكذيب، وهذا ما نصّ عليه ابن القيم حيث قال: «ومعلوم قطعاً، أن تطرق التكذيب إلى من قال سمعته يقول كذا وكذا أو أنه لم يسمعه، فإن هذا لا يتطرق إليه إلا التكذيب، بخلاف

(١) شرح العضدي على مختصر ابن الحاجب ١: ١٨٤.

(٢) المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٢٢٩ / ٤٩٨٢ الباب ٨٤٦.

(٣) الجمع بين الصحيحين ٣: ١٢٣ / ٢٣٣٣.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٨٧

خبر من أخبر عمياً ظنّه من فعله وكان واهماً، فإنه لا ينسب إلى الكذب. وقد نزه الله علياً وأنساً والبراء وحفصه عن أن يقولوا سمعناه يقول كذا ولم يسمعه» (١).

ولتكن هذه الإفادة من ابن القيم منك على ذكر، فإنها تفيد فائدة عظيمة في مواقع شتى، ثبت فيها ردّ بعض الصحابة على بعض فيما رووه من الأحاديث، وادّعوا سماعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن ذلك: حديثه: الشؤم في ثلاثة... إذ كذّبه عائشة وغضبت على أبي هريرة بشدة، قال أبو زرعة ولي الدين العراقي في (شرح الأحكام):

«الثالثة: اختلف الناس في هذا الحديث على أقوال، أحدها: إنكاره، وإنه عليه الصلوة والسلام إنما حكاه عن معتقد أهل الجاهلية. رواه ابن عبد البر في التمهيد عن عائشة رضي الله عنها، أنها أخبرت أن أبا هريرة رضي الله عنه يحدث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، فطارت شقة منها في السماء وشقه في الأرض، ثم قالت: كذب والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم، من حدث عنه بهذا؟ ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدار والدابة، ثم قرأت عائشة: «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير».

فانظروا معاشر المتسنّين - صانكم الله من التعصّب المهيّن - إلى أمكم الصديقة، التي ترون أن خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وآله أجمعين،

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد ١: ١٨٥ ما جاء عنه في الحج والعمرة، فصل في أعداء الذين وهموا في صفة حجته.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ١٨٨

قد أمر صحابته - فضلاً عن غيرهم - بأن يأخذوا عنها شطر الدين، وتزعمون أن الفاسق عنها والمعرض بها والطاعن عليها من الهالكين المعاندين والخاسرين الجاحدين، كيف ألقت جلباب الإستتار والخفاء عن انهماك أبي هريرة في الكذب والإفتراء، حيث أبانت أنه قد افتري على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديث أهل الجاهلية الفجار، وعزى إليه صلى الله عليه وآله وسلم ما هو من مقولات الكفار وتزهات الأشرار، وصرّحت رافعة عقيرتها بأنه كذب، وهل بعد ذلك التصريح الصريح مجال لريبة مرتاب، أو فسحة لتأويل معاند كذاب؟ لا، بل لو طاروا إلى السماء وغاروا في الغبراء، وقاموا وقعدوا، وتفتروا وتربدوا، لما وجدوا حيلة، ولما ألفوا إلى الخلاص وسيلة، وما زادهم التعمق والتفكير إلا انزعاجاً، وما أورثهم الجدّ والجهد في التبرئة إلا اختلاجاً.

وهذا الحديث رواه ابن قتيبة أيضاً، قال:

«حدّثني محمد بن يحيى القطيعي قال: حدّثنا عبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي حسان الأعرج: إنّ رجلين دخلا على عائشة رضي الله عنها فقالا: إنّ أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إنّما الطيرة في المرأة والدابة والدار، فطارت

شققاً ثم قالت: كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم، من حدث بهذا عن رسول الله؟ إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان أهل الجاهلية يقولون: إن الطيرة في الدابة والمرأة والدار، ثم قرأت «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها» (١).

(١) تأويل مختلف الحديث: ٩٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٨٩

تحريف معنى الحديث ... ص: ١٨٩

ومنهم من تأول هذا الحديث تأويلاً عجيباً، وحرّفه تحريفاً معنوياً، إذ حمل «الكذب» على «الغلط»، فقد قال أبو زرعة بعد العبارة السابقة: (قال ابن عبد البر: و «كذب» في كلامها بمعنى «غلط») وهو مردود بوجوه: الأول: إنه لم يأت له بشاهد من الكتاب والسنة، وكلمات الفصحاء، وأئمة اللغة الثقات. والثاني: إنه خلاف المتبادر من لفظ «الكذب»، فلو ثبت استعماله بمعنى «الغلط» فهو مجاز. والثالث: إنه خلاف السياق، لأن «الغلط» من المجتهد مأجور عليه، فضلاً عن أن يستوجب الغضب والسخط، لكن عائشة لما سمعت هذا عن أبي هريرة طارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض، وهذا لا يتناسب مع «الخطأ» و «الغلط» الذي لم يخل منه عائشة أيضاً. وفي (فتح الباري):

«روى أحمد وابن خزيمة والحاكم من طريق قتادة عن أبي حسان: إن رجلين من بني عامر دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الطيرة في الفرس والمرأة والدار. فغضبت غضباً شديداً وقالت: ما قاله، وإنما قال: إن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك» (١).

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخارى ٦: ٤٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٩٠

تكذيب عمر أبا هريرة ... ص: ١٩٠

وعمر بن الخطاب أيضاً ممن كذب أبا هريرة، بل أوعده وهده، قال السرخسي في كتاب (الاصول): «ولما بلغ عمر أن أبا هريرة يروي ما لا يعرف قال: لتكفن عن هذا أو لألحقنك بجبال دوس» (١).

وفي (كنز العمال):

«عن السائب بن يزيد قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة:

لتترك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لألحقنك بأرض دوس. وقال لكعب: لتترك الحديث أو لألحقنك بأرض القردة. كر» (٢).

فلولم يكن أبو هريرة يستحق هذا التهديد والتحقير لكان عمر ظالماً جائراً، ولو كان أبو هريرة صادقاً في إخباراته ورواياته عن رسول الله صلى الله عليه وآله، لكان عمر مانعاً من إشاعة أقوال النبي وإرشاداته وأحكام الشريعة وآدابها ... وهذا ما لا تحتمله نفوس القوم.

عزله عن البحرين وهتكه ... ص: ١٩٠

وأيضاً، فقد عزله عن البحرين، ونسبه إلى السرقة، وهتك ناموسه وفضحه على رؤوس الأشهاد ... قال الزمخشري في (الفائق):
«أبو هريرة: استعمله عمر على البحرين، فلما قدم عليه قال له: يا عدو

(١) الاصول للسرخسي ١: ٣٤١.

(٢) كنز العمال ١٠: ٢٩١ / ٢٩٤٧٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٩١

الله وعدو رسوله، سرقت من مال الله؟! فقال: لست بعدو الله ولا عدو رسوله، ولكنني عدو من عاداهما، وما سرقت ولكنها سهام اجتمعت ونتاج خيل. فأخذ منه عشرة آلاف درهم، فألقاها في بيت المال، ثم دعاه إلى العمل فأبى فقال عمر: فإن يوسف قد سأل العمل، فقال: إن يوسف مني بريء وأنا منه براء، وأخاف ثلاثاً واثنتين. قال: أفلا تقول خمساً؟ قال: أخاف أن أقول بغير حكم، وأقضي بغير علم، وأخاف أن يضرب ظهري، ويشتم عرضي، وأن يؤخذ مالي» (١).

فكان أبو هريرة- في رأى عمر- يستحق العزل والإهانة والهتك ومصادرة الأموال، حتى خاطبه ب «عدو الله وعدو رسوله»، ومن كان هذا حاله في نظر خليفته، كيف يكون أهلاً لأن يؤخذ منه معالم الدين من التفسير وغيره؟

أبو هريرة عند أبي حنيفة ... ص: ١٩١

وكان أبو هريرة مطعوناً عند أبي حنيفة أيضاً، كما جاء في (روضه العلماء) في بيان وجه ترك أبي حنيفة روايات أبي هريرة وسمرة وأنس، حيث قال نقلاً عن أبي جعفر الهندواني:

«أما أبو هريرة، فإنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

من أصبح جنباً فلا- صوم له، قالت عائشة رضي الله عنها: أخطأ أبو هريرة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصبح جنباً من غير احتلام، ثم يتم صومه وذلك في رمضان، قال أبو هريرة: هي أعلم، كنت سمعته من الفضل بن

(١) الفائق في غريب الحديث ١: ١٠٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٩٢

عباس، والفضل كان يومئذ ميتاً، فقد أحال خبره إلى الميت، فصار مطعوناً» (١).

وأورده الكفوي في (كتائب الأعلام) كذلك ...

وفيه- نقلاً عن الصدر الشهيد- في وجه عدم تقليد أبي حنيفة بأبهريرة:

«وأما أبو هريرة، كان يروى كل ما بلغه وسمع، من غير تأمل في المعنى» (٢).

أبو هريرة عند عيسى بن أبان ... ص: ١٩٢

وفى (روضه العلماء) أيضاً:

«وقال عيسى بن أبان: أقلت أقاويل جميع الصحابة إلا ثلاثة منهم: أبو هريرة ووابصة بن معبد وأبو سنابل بن بعل» (٣). فلماذا يخالف حنفيّة اليوم إمامهم فى آرائه وفتاواه «٤»؟ مع أنّ المستفاد من الكتب أتباع السابقين منهم له فى الطعن فى أبى هريرة، فى (المحلّى) فى مسألة الخيار:

«وأما احتجاج أبى حنيفة بحديث المصراة، فطامة من طوام الدهر، وهو أوّل مخالف له وزار عليه وطاعن فيه، ومخالف كلّ ما فيه، فمرّة يجعله ذو التورّع منهم منسوخاً بتحريم الربا، وكذبوا فى ذلك، ما للربا هاهنا مدخل، ومرّة يجعلونه كذباً ويعرّضون بأبى هريرة، واللّه تعالى يخزيهم ج يخزيهم ج بذلك فى الدنيا والاخرى، وهم أهل الكذب لا الفاضل البرّ أبو هريرة رضى الله

(١) روضه العلماء - مخطوط.

(٢) كتاب اعلام الأخيار - مخطوط.

(٣) روضه العلماء - مخطوط.

(٤) وهو: فقيه العراق، تلميذ محمد بن الحسن، وقاضى البصرة، توفى سنة ٢٢١ كذا فى سير اعلام النبلاء ١٠: ٤٤٠، وتوجد ترجمته فى تاريخ بغداد ١١: ١٥٧ والجواهر المضية فى طبقات الحنفيّة ١: ٤٠١ وغيرهما.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٩٣

عنه وعن جميع الصحابة، وكبّ الطاعن على أحد منهم لوجهه ومنخريه» (١).

فإنّ ظاهر هذا الكلام متابعه الحنفيّة لإمامهم فى رأيه حول أبى هريرة، حتّى دعا عليهم ابن حزم وتكلّم فيهم...

ويستفاد ذلك أيضاً من كلام الفخر الرازى فى رسالته فى (مناقب الشافعى) إذ قال:

«وأما أصحاب الرأى، فإنّ أمرهم فى باب الخبر والقياس عجيب، فتارة يرجحون القياس على الخبر، وتارة بالعكس. أمّا الأوّل فهو إنّ مذهبنا أنّ التصريّة سبب مثبت للردّ، وعندهم ليس كذلك. ودليلنا: ما اخرج فى الصحيحين عن أبى هريرة...

واعلم أنّ الخصوم لمّا لم يجدوا لهذا الخبر تأويلاً البتّة - بسبب أنّه مفسّر فى محلّ الخلاف - اضطروا إلى أن يطعنوا فى أبى هريرة وقالوا: إنّه كان متساهلاً فى الروايه، وما كان فقيهاً...»

فإنّ المراد من أصحاب الرأى هم الحنفيّة كما هو واضح.

ويستفاد أيضاً من كلام ابن حجر فى (فتح البارى):

«قال الحنابلة: واعتذر الحنفيّة عن الأخذ بحديث المصراة بأعذار شتى، فمنهم من طعن فى الحديث، لكونه من روايه أبى هريرة، ولم يكن كابن مسعود وغيره من فقهاء الصحابة، فلا يؤخذ بما رواه مخالفاً للقياس الجلى، وهو كلام آذى قائله به نفسه، وفى حكايته غنى عن تكلف الردّ عليه... وقال ابن السمعانى فى الإصطلام: التعرّض إلى جانب الصحابة علامة على خذلان

(١) المحلّى فى الفقه ٨: ٣٧٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٩٤

فاعله، بل هو بدعه وضلالة» (١... ١).

أبو هريرة عند محمد بن الحسن ... ص: ١٩٤

وأبو هريرة مطعون عند محمد بن الحسن الشيباني أيضاً، قال ابن حزم في (المحلى) في مسألة أحقيّة البائع بالمتاع إذا أفلس: «روينا من طريق أبي عبيد أنه ناظر في هذه المسألة محمد بن الحسن، فلم يجد عنده أكثر من أن قال: هذا من حديث أبي هريرة. قال أبو علي: نعم، هو - والله - من حديث أبي هريرة البر الصادق، لا من حديث مثل محمد بن الحسن الذي قيل لعبدالله بن المبارك: من أفقه أبو يوسف أو محمد بن الحسن؟ فقال: قل: أيهما أكذب» (٢).

(١) فتح الباري ٤: ٢٩٠ كتاب البيوع.

(٢) المحلى في الفقه ٨: ١٧٨ - ١٧٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٩٥

عبدالله بن عمر ... ص: ١٩٥

إشارة

وأما عبدالله بن عمر، فإن من يقرأ سيرته يشهد بكونه من المنحرفين عن أمير المؤمنين وأهل البيت الطاهرين عليهم السلام وله مساوئ غير ذلك.

إبائه عن البيعة لأمير المؤمنين ... ص: ١٩٥

فأول ما يجده هو امتناعه عن البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان بن عفان، وقد بايعه جمهور المسلمين إلّامن شدّ، وقد جاء في الأخبار أنّ بعضهم قد ندم بعد ذلك، ولات حين مندم! ومن هؤلاء عبدالله بن عمر...
فإنه روى ابن عبد البر وابن الأثير وغيرهما بترجمته بأسانيدهم، عن حبيب بن أبي ثابت وعن غيره قال: «قال ابن عمر حين حضره الموت: ما أجد في نفسي من الدنيا إلّا أنّي لم اقاتل الفئة الباغية مع علي» (١).
وقد نصّ ابن حجر في (فتح الباري) على إباء ابن عمر عن البيعة مع الإمام عليه السلام، وستسمع عبارته.
وقال سبط ابن الجوزي في (تذكرة خواصّ الامة):

«قال ابن جرير: وممن امتنع من بيعته: حسان بن ثابت، وأبو سعيد الخدرى، والنعمان بن بشير، ورافع بن خديج، في آخرين. وفي زيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة خلاف. وقال غير ابن جرير: لم يبايعه قدامه بن مطعون

(١) الإستيعاب ٣: ٩٥٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٩٦

وعبدالله بن سلام والمغيرة بن شعبة وعبدالله بن عمر وسعد وصهيب وزيد بن ثابت واسامة بن زيد وكعب بن مالك. وهرب قوم إلى الشام وهؤلاء يسمون العثمائية» (١).

بيعتة ليزيد بن معاوية ... ص: ١٩٦

لكن ابن عمر بايع يزيد بن معاوية، كما في كتابي (البخارى) و (مسلم) «٢» وغيرهما من مصادر الحديث والتاريخ ... بل لقد دافع عن ذلك وحمل أهله وولده والناس على البيعة ... وإذا ثبت أنه قد بايع ليزيد، فقد ثبت كفره بلا ريب، لأن الرضا بإمام باطل كفر، كما نص عليه أئمة القوم ... قال أبو شكور محمد بن عبد السعيد الكشفي الحنفي في (التمهيد في بيان التوحيد):

«ثم كل سؤال من جهة الخصم يكون مردوداً، لموافقته على لأبي بكر، لأنه وإن لم يبايعه فسكت ولم يخالفه، وقد بينا أنه بايعه بدليل ما ذكرنا، ولو لم يصح خلافه أبي بكر لا يكون إماماً حقاً، لكان لا يجوز السكوت به والإغماض عنه، لأن من رضى بإمام باطل فإنه يكفر».

هذا، وقد دافع بعض علماء الهند عن ابن عمر، بحمل بيعته ليزيد على التقيّة والإضطرار، لكنهم غفلوا عما شنع به أكابر طائفتهم على أهل الحق للقول بالتقيّة والعمل بها ... لاسيما في مقابلة القول بأن بيعه أمير المؤمنين وأصحابه مع المشايخ كانت عن تقيّة واضطرار، فكيف يصح مع هذا حمل

(١) تذكرة خواص الائمة: ٦١.

(٢) صحيح البخارى ٩: ٧٢ كتاب الفتن - باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه، صحيح مسلم ٣: ١٤٧٨ / ١٨٥١ كتاب الإمارة الباب ١٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٩٧

بيعة ابن عمر مع يزيد على التقيّة؟

ومما يشهد بعدم كون بيعه عبدالله بن عمر هذه عن تقيّة: تعجب الزهرى من ذلك، فيما رواه عنه سبط ابن الجوزى حيث قال: «قال الزهرى:

والعجب أن عبدالله بن عمر وسعد بن أبى وقاص لم يبايعا عليّاً، وبايعا يزيد ابن معاوية» «١».

ومن هنا، نجد أن بعض علماء الهند لما رأى ركائز هذا العذر، التجأ إلى إنكار البيعة من أصلها ... لكن بيعته له من الامور الثابتة غير القابلة للنفي والإنكار ... كما أن موقفه من أهل المدينة وخلعهم يزيد بن معاوية مشهور ثابت:

قال ابن الملقن في (شرح البخارى):

«باب: إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه: الشرح: معنى الترجمة إنما هو فى خلع أهل المدينة ليزيد بن معاوية، ورجوعهم عن بيعته وما قالوا له، وقالوا بغير حضرته خلاف ما قالوا بحضرته، وذلك أن ابن عمر بايعه فقال عنده بالطاعة بخلافته، ثم خشى على بنيه وحشمه النكت مع أهل المدينة، حيث نكثوا بيعه يزيد، فوعظهم وجمعهم وأخبرهم أن النكت أعظم الغدر» «٢».

وقال ابن حجر بشرحه:

«ووقع عند الإسماعيلي من طرق مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن زيد، فى أوله من الزيادة، عن نافع: أن معاوية أراد ابن عمر على أن يبايع

(١) تذكرة خواص الائمة: ٦١.

(٢) شرح صحيح البخارى - كتاب الفتن، باب: إذا قال عند قوم شيئاً ...

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٩٨

ليزيد، فأبى وقال: لا ابايع لأميرين، فأرسل إليه معاوية بمائة ألف درهم فأخذها، فدس إليه رجلاً فقال له: ما يمنعك أن تبايع؟ فقال: إن ذاك لذاك، يعنى عطاء ذلك المال لأجل وقوع المبايعه، إن دينى عندى إذا لرخيص، فلما مات معاوية كتب ابن عمر إلى يزيد

بيعته، فلما خلع أهل المدينة، فذكره «... ١».

وقال ابن حجر في «باب ما كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يواسى بعضهم بعضاً في الزراعة والثمره» من كتاب المزارعة في شرح حديث نافع: «إن ابن عمر كان يكرى مزارعه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وصدراً من إمارة معاوية»:

«قوله: وصدراً من إمارة معاوية، أي خلافته، وإنما لم يذكر ابن عمر خلافة علي، لأنه لم يبايعه، لوقوع الاختلاف عليه، كما هو مشهور في صحيح الأخبار، وكان رأى ابن عمر أن لا يبايع لمن لم يجتمع عليه الناس، ولهذا لم يبايع أيضاً لابن الزبير ولا لعبد الملك، في حال اختلافهما، وبايع ليزيد بن معاوية، ثم لعبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير» «٢».

وقال الشهاب القسطلاني:

«عن نافع مولى ابن عمر أنه قال: لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية، وكان ابن عمر لما مات معاوية كتب إلى يزيد ببيعته «... ٣».

ثم إنهم رووا عن ابن عمر أنه مدح يزيد في جمع من خلفائهم وقال:

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخارى ١٣: ٥٩.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخارى ٥: ١٩.

(٣) ارشاد السارى في شرح صحيح البخارى ١٠: ١٩٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ١٩٩

«كلهم صالح لا يوجد مثله...» ومن رواه السيوطى فى (تاريخ الخلفاء) وهذه عبارته:

«أخرج ابن عساكر عن عبد الله بن عمر قال: أبوبكر الصديق أصبتم اسمه، عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه، ابن عفان ذوالنورين قتل مظلوماً يؤتى كفلين من الرحمة، معاوية وابنه ملكا الأرض المقدسة، والسفاح وسلام ومنصور وجابر والمهدى والأمين وأمير العصب، كلهم من بنى كعب ابن لؤى، كلهم صالح لا يوجد مثله. قال الذهبي: له طرق عن ابن عمر، ولم يرفعه أحد» «١».

فمن العجيب جداً، أن يمتنع ابن عمر عن البيعة لأمير المؤمنين، ثم يبايع يزيد ويمدحه بمثل هذا الكلام؟

بل إنه كان لا يربح بالإمام عليه السلام، كما هو ظاهر الحديث المتقدم وصريح الحديث فى (كنز العمال) قال:

«عن عبد الله بن عمر قال: يكون على هذه الامية اثنا عشر خليفة: أبوبكر الصديق أصبتم اسمه، عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه، عثمان بن عفان ذوالنورين قتل مظلوماً أوتى كفلين من الرحمة، ملك الأرض المقدسة معاوية وابنه، ثم يكون السفاح والمنصور وجابر والأمين وسلام وأمير العصب، لا يرى مثله ولا يدري مثله، كلهم من بنى كعب بن لؤى...»

هذا، ولا يخفى أنه فى بعض نسخ (الكتابين المذكورين) نقل هذا الكلام عن «عبد الله بن عمرو» بدلاً عن «عبد الله بن عمر» «٢»، وسواء كان قائل

(١) تاريخ الخلفاء: ١٦٧-١٦٨.

(٢) كنز العمال ١١: ٢٥٢ / ٣١٤٢١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٠٠

هذا الكلام ابن عمر أو ابن عمرو بن العاص أو كلاهما، فإنه يدل على كفر قائله وضلاله.

وقد أكثرت عائشة من الردّ على عبد الله بن عمر، وأبطلت قوله في مسائل عديدة، فقد أخرج مسلم في (الصحيح) قال: «حدّثني هارون بن عبد الله، أخبرنا محمد بن بكر البرساني، أخبرنا ابن جريج قال: سمعت عطاء يخبر قال: أخبرني عروة بن الزبير قال: كنت أنا وابن عمر مستندين إلى حجره عائشة، وأنا لنسمع ضربها بالسواك تستن. قال: فقلت: يا أبا عبد الرحمن! اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب؟ قال: نعم.

فقلت لعائشة: يا أمّاه! ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟

قالت: وما يقول؟

قلت: يقول: اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب.

فقلت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعمرى ما اعتمر في رجب، وما اعتمر من عمره إلا وإنه لمعه. قال: وابن عمر يسمع، فما قال لا ولا نعم، سكت» (١).

وقال ابن القيم في (زاد المعاد):

«أما عذر من قال: اعتمر في رجب، فحديث عبد الله بن عمر: أنّ النبي

(١) صحيح مسلم بن الحجاج ٢: ٩١٦ / ١٢٥٥ كتاب الحج الباب ٣٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٠١

صلى الله عليه وسلم اعتمر في رجب، متفق عليه، وقد غلّطه عائشة وغيرها كما في الصحيحين عن مجاهد قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد، فإذا عبد الله بن عمر جالس إلى حجره عائشة، وإذا ناس يصلّون في المسجد الضّحى. قال: فسألناه عن صلاتهم، فقال: بدعة. قلنا له: كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أربعاً، إحداهنّ في رجب. فكرهنا أن نردّ عليه.

قال: وسمعنا استنّان عائشة أمّ المؤمنين في الحجره، فقال عروة: يا أمّاه أو يا أمّ المؤمنين! ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟ قالت: ما يقول؟

قال: يقول: إنّ رسول الله اعتمر أربع عمّر، إحداهنّ في رجب.

قالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن، ما اعتمر رسول الله ج عمره قط إلا وهو شاهد، وما اعتمر في رجب قط. وكذلك قال أنس وابن عباس أنّ عمره كلّها كانت في ذى القعدة، وهذا هو الصواب» (١).

وفي (صحيح البخارى):

«عن مجاهد قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد، فإذا عبد الله بن عمر جالس إلى حجره عائشة، وإذا ناس يصلّون في المسجد صلاة الضّحى.

قال: فسألناه عن صلاتهم؟ فقال: بدعة. ثم قال له: كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أربع، إحداهنّ في رجب. فكرهنا أن نردّ عليه.

قال: وسمعنا استنّان عائشة أمّ المؤمنين في الحجره، فقال عروة: يا أمّاه! يا أمّ المؤمنين! ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟

قالت: ما يقول؟

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢٠٢

قال: يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمرات، إحداهن في رجب.

قالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن، ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهده، وما اعتمر في رجب قط» (١).

وأخرج البخارى ومسلم عن عبد الله بن أبي مليكة:

«قال: توفيت ابنة لعثمان رضى الله عنه بمكة، وجئنا لنشهدها، وحضرها ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم ... فقال عبد الله بن عمر

لعمر بن عثمان:

«ألا تنهى عن البكاء، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه.

فقال ابن عباس رضى الله عنهما: قد كان عمر يقول بعض ذلك ...

فذكرت ذلك لعائشة فقالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه،

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه.

قال: وقالت عائشة: حسبكم القرآن «ولا تزر وازرة وزر أخرى».

قال ابن أبي مليكة: والله ما قال ابن عمر شيئاً» (٢).

وأخرج الطبرانى عن موسى بن طلحة:

«قال: بلغ عائشة أن ابن عمر يقول: موت الفجأة سخطة على المؤمنين.

فقالت ج عائشة ج: يغفر الله لابن عمر، إنما قال رسول الله صلى الله عليه

(١) صحيح البخارى ٣: ٣ أبواب العمرة - باب كم اعتمر النبي صلى الله عليه وآله.

(٢) صحيح البخارى ٢: ١٠١ كتاب الجنائز - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يُعَذَّبُ المَيِّتُ ببعض بكاء أهله عليه، صحيح مسلم ٢:

٩٢٨ / ٦٤١ كتاب الجنائز الباب ٩.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢٠٣

وسلم: موت الفجأة تخفيف على المؤمنين وسخطة على الكافرين» (١).

وأخرج أحمد، عن يحيى بن عبد الرحمن، عن ابن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الشهر تسع وعشرون، فذكروا ذلك لعائشة، فقالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن، إنما قال الشهر لم ترد تسعاً وعشرين» (٢).

وأخرج البخارى عن ابن عمر:

«إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم» (٣).

والبيهقى، عن عروة، عن عائشة:

«قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ابن أم مكتوم رجل أعمى، فإذا أذن فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال، وكان بلال يبصر

الفجر، وكانت عائشة تقول غلط ابن عمر» (٤).

فقال ابن حجر بشرحه:

«جاء عن عائشة أيضاً أنها كانت تنكر حديث ابن عمر وتقول: إنه غلط، أخرج ذلك البيهقى، من طريق الدراوردي، عن هشام، عن

أبيه عنها.

فذكر الحديث وزاد: قالت عائشة: و كان بلال يبصر الفجر. قال: وكانت عائشة تقول: غلط ابن عمر» (٥).

- (١) المعجم الأوسط ٣: ٤٠٢ / ٣١٥٠.
 (٢) مسند أحمد بن حنبل ٧: ٧٧ / ٢٣٧٢٦.
 (٣) صحيح البخارى ٣: ٢٢٥ كتاب الشهادات - باب شهادة الأعمى.
 (٤) سنن البيهقي ١: ٣٨٢.
 (٥) فتح الباري ٢: ٨١.
 استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٠٤

ابن عمر عند سائر الصحابة ... ص: ٢٠٤

وهكذا، فقد ردّ عليه سائر الصحابة أقواله وأبطلوا آرائه، قال السيوطي في كتاب (الإتقان في علوم القرآن):
 «وإنّ عبّر واحد بقوله: نزلت في كذا، وصرّح الآخر بذكر سبب خلافه، فهو المعتمد، وذاك استنباط. مثاله: ما أخرجه البخارى عن ابن عمر قال:
 انزلت «نساؤكم حرث لكم» في إتيان النساء في أدبارهنّ، وتقدّم عن جابر التصريح بذكر سبب خلافه، فالمعتمد حديث جابر، لأنّه نقل، وقول ابن عمر استنباط منه، وقد وهمه فيه ابن عباس، وذكر مثل حديث جابر، كما أخرجه أبو داود والحاكم» «١».

- (١) الإتقان في علوم القرآن ١: ١١٧.
 استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٠٥

عبدالله بن عمرو بن العاص ... ص: ٢٠٥

إشارة

وأما عبدالله بن عمرو بن العاص، فتفسيره كان «مما يحمله عن أهل الكتاب» كما نصّ عليه السيوطي، وهذا يكفى للدلالة على عدم الإعتبار بتفسيره.
 وتوضيح ذلك: أنّهم ذكروا أنّه قد حصل في حرب اليرموك على كتب لأهل الكتاب، فكان ينقل عنها الأخبار الإسرائيلية ويحدّث بها، ولذا قسّموا الصحابي إلى من أخذ عن الإسرائيليات ومن لم يأخذ، قال القارى:
 «الذى عرف بالنظر في الإسرائيليات، أى من كتب بنى إسرائيل أو من أفواههم ... كعبدالله بن سلام وكعبدالله بن عمرو بن العاص، فإنّه كان حصل له في وقعة اليرموك كتب كثيرة من أهل الكتاب، وكان يخبر بما فيها من الامور المغيبية، حتّى كان بعض أصحاب رسول الله ربّما قال: حدّثنا عن النبي صلى الله عليه وسلّم، ولا تحدّثنا من الصحيفة. ذكره السخاوى» «١».
 وقال اللقاني في (الوטר من نزّهة النظر):

«مثال الصحابي الذي لم يأخذ عن الإسرائيليات: أبوبكر وعمر وعثمان وعلى. ومثال من أخذ: عبدالله بن سلام، وقيل: عبدالله بن عمرو بن العاص، فإنّه لما فتح الشام، أخذ حمل بغير من كتب أهل الكتاب وكان يحدّث منها، فلذا اتّقاء الناس فقلّ حديثه، وإنّ كان أكثر حديثاً من أبي هريرة باعترافه،

(١) شرح شرح نخبه الفكر: ٥٤٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٠٦

والمراد بها قصص بنى إسرائيل وما جاء في كتبهم.

وعلى الجملة، فالرجل ممن يتقى حديثه ... فلا حاجة إلى ذكر سائر مطاعنه ... ومع ذلك نذكر شيئاً منها:

خروجه لقتال الإمام في صفين ... ص: ٢٠٦

ومن أعظم معاصيه، بل من أكبر الأدلة على كفره: خروجه لحرب أمير المؤمنين عليه السلام في صفين، ثم إنشاؤه الأشعار في التبجح والافتخار بذلك!

فقد أخرج الحاكم في (المستدرک) قال:

«قال له أبوه يوم صفين: أخرج فقاتل. قال: يا أبتاه، أتأمرني أن أخرج فاقاتل، وقد كان من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد سمعت، قال:

انشدك بالله، أتعلم أن ما كان من عهد رسول الله إليك أنه أخذ بيدك فوضعها في يدي فقال: أطع أباك عمرو بن العاص؟ قال: نعم، قال: فإنني أمرت أن تقاتل، قال: فخرج يقاتل، فلما وضعت الحرب، قال عبدالله:

لو شهدت جمل مقامى ومشهدى بصفين يوم شاب منها الذوائب

عشيئاً جاء أهل العراق كأنهم سحاب ربيع زعزعته الجنائب

إذا قلت قد ولوا سراعاً ثبتت لنا كتائب منهم وارجحت كتائب

فقالوا لنا إننا نرى أن تبايعوا علينا فقلنا بل نرى أن تضاربوا» (١)

وقال ابن الأثير في (اسد الغابة):

«وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك، وشهد معه أيضاً صفين، وكان على

(١) المستدرک على الصحيحين ٣: ٥٢٧ كتاب معرفة الصحابة.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٠٧

الميمنة، قال له أبوه: يا عبدالله، اخرج فقاتل.

فقال: يا أبتاه أتأمرني أن أخرج فاقاتل، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعهد إلي ما عهد؟ قال: إنني انشدك الله يا عبدالله، ألم يكن آخر ما عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخذ بيدك ووضعها في يدي وقال: أطع أباك؟

قال: اللهم بلى.

قال: فإنني أعزم عليك أن تخرج فتقاتل.

فخرج وتقلد سيفين.

وندم بعد ذلك، فكان يقول: مالى ولصفيين، مالى ولقتال المسلمين، لوددت أنني مت قبله بعشرين سنة» (١).

قالوا: ولما عرض عمرو بن العاص على أبي موسى ابنه عبدالله بن عمرو، قال أبو موسى: «قد غمست يده في هذه الفتنة، ولا يكون ذلك» (٢).

هذا، وقد نصّ بعض علماء القوم على أنّ محاربة الإمام أمير المؤمنين من أعظم الكبائر «٣».

تكذيب معاوية روايته ... ص: ٢٠٧

والعجب أنه مع ذلك، يكذّبه معاوية في رواية رواها، ويحذّر الناس من أن يقبلوها، فقد روى البخارى في (الصحيح):

(١) اسد الغابة في معرفة الصحابة ٣: ٢٤٦ / ٣٠٩٠.

(٢) الفصول المهمة: ٩٩، تذكرة خواصّ الامة في معرفة الأئمة: ٩٧.

(٣) التحفة الإثنا عشرية: ٣٨٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٠٨

«عن الزهرى قال: كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية - وهو عنده في وفد من قريش - أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان.

فغضب معاوية، فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال:

أمّا بعد؛ فإنه بلغني أن رجالاً منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله، لا تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأولئك جهالكم، فإياكم والأمانى التي تضلّ أهلها، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلّا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين» «١».

أقول:

فهذا مجمل أحوال المفسرين عند القوم من الصحابة.

وإذا ثبت جرحهم، فلا حاجة إلى التكلّم في أحوال أئمة التفسير منهم في سائر الطبقات، كما هو واضح.

ومع ذلك ننتقل إلى طبقة التابعين ...

(١) صحيح البخارى ٤: ٢١٧ - ٢١٨ كتاب المناقب - باب مناقب قريش.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢١١

طبقة التابعين ... ص: ٢١١

إشارة

قال السيوطي:

«ومن ذلك طبقة التابعين.

قال ابن تيميّة: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاووس وغيرهم. وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم، الذي أخذ عنه ابنه عبدالرحمان ابن زيد، ومالك بن أنس.

فمن المبرزين منهم: مجاهد، قال الفضل بن ميمون: سمعت مجاهداً يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرّة.

وعنه أيضاً قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية منه وأسأله عنها، فيم نزلت وكيف كانت. وقال خصيف: كان أعلمهم بالتفسير مجاهد.

وقال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

وقال ابن تيمية: ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم.

قلت: وغالب ما أورده الفريابي في تفسيره منه، وما أورده فيه عن ابن عباس أو غيره قليل جداً.

ومنهم: سعيد بن جبير، قال سفيان الثوري: خذوا التفسير عن أربعة:

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢١٢

عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك.

وقال قتادة: كان أعلم التابعين أربعة: كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بالسيرة، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام.

ومنهم: عكرمة مولى ابن عباس، قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة.

وقال سماك بن حرب: سمعت عكرمة يقول: لقد فسرت ما بين اللوحين.

وقال عكرمة: كان ابن عباس يجعل في رجلى الكبل، ويعلمنى القرآن والسنن.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سماك قال: قال عكرمة: كل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس.

ومنهم: الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن أبي سلمة الخراساني، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو العافية، والضحاك بن مزاحم، وعطية العوفى، وقتادة، وزيد بن أسلم، ومرة الهمداني، وأبو مالك.

ويليهم: الربيع بن أنس، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، في آخرين.

فهؤلاء قدماء المفسرين، وغالب أقوالهم تلقوها عن الصحابة» (١).

(١) الاتقان في علوم القرآن ٤: ٢٤٠-٢٤٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢١٣

مجاهد ... ص: ٢١٣

إشارة

أمّا مجاهد، الذي عرفته كما نقل السيوطي، بل نص الذهبي في (ميزان الاعتدال) على إجماعهم على إمامته وصحة الاحتجاج به، وأنه أحد الأعلام الأثبات، ونقل الشيخ عبدالحق الدهلوي بترجمته في (رجال المشكاة) عنه قوله: «كان ابن عمر يأخذ لي في الركاب ويسوي عليّ ثيابي».

تفسيره من أهل الكتاب ... ص: ٢١٣

فقد أورده الذهبي في (ميزان الاعتدال)، وذكر أنّ ابن حبان أدرجه في الضعفاء، قال:

«قال أبو بكر ابن عياش: قلت للأعمش: ما بال تفسير مجاهد مخالف، أو شيء نحوه؟

قال: أخذها من أهل الكتاب» (١).

اشتماله على المنكرات الشديدة ... ص: ٢١٣

قال الذهبي:

«ومن أنكر ما جاء عن مجاهد في التفسير، في قوله «عسى أن يبعثك

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٤٣٩ / ٧٠٧٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢١٤

ربك مقاماً محموداً» قال: يجلسه معه على العرش» (١).

فيا سبحان الله!! هذا حال تفسير أعلم التابعين بعلم التفسير، والتفسير الذي عرض على ابن عباس ثلاثين مرة!! وإذا كان هذا حاله فما ظنك بسائر تفاسيرهم؟

نسبته المعصية إلى يوسف عليه السلام ... ص: ٢١٤

وقال الرازي في (تفسيره) في قصة يوسف عليه السلام:

«وأما الذين نسبوا المعصية إلى يوسف عليه السلام، فقد ذكروا في تفسير ذلك البرهان اموراً:

الأول: قالوا: إن المرأة قامت إلى صنم مكمل بالدر والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب. فقال يوسف: لم فعلت ذلك؟ قالت: أستحي من إلهي أن يراني على معصية. فقال يوسف: أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع، ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت، فوالله لا أفعل ذلك أبداً. قالوا: فهذا هو البرهان.

الثاني: نقلوا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تمثّل له يعقوب، فرآه عاصباً على أصابعه ويقول له: أتعلم عمل الفجار وأنت مكتوب في زمرة الأنبياء؟ قالوا: فاستحي منه. وهو قول عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير ومقاتل وقتادة والضحاك وابن سيرين. قال سعيد بن جبير: تمثّل له يعقوب، فضرب في صدره، فخرجت شهوته من أنامله «... ٢».

(١) تفسير الرازي ١٨: ١٢٠.

(٢) تفسير الرازي ١٨: ١٢٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢١٥

وقد نصّ الرازي على أن من نسب المعصية إلى يوسف فهو شرّ من إبليس، لإيئته - بعد أن ذكر شهادة الله، وشهادة من شهد ببراءة يوسف، وكذا إقرار إبليس بذلك - قال:

«وعند هذا نقول: هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة، إن كانوا من أتباع دين الله تعالى، فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده، فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته، ولعلهم يقولون: كُنّا في أوّل الأمر تلامذة إبليس، إلى أن تخرّجنا عليه، فردنا عليه في السفاهة» (١ ...).

(١) تفسير الرازي ١٨: ١١٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢١٦

عكرمة مولى ابن عباس ... ص: ٢١٦

إشارة

وأما عكرمة، فإنهم وإن ذكروا له محامد كثيرة ومناقب عالية، حتى نقلوا عن الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة «١». وعن سعيد بن جبير: أن عكرمة أعلم منه «٢». وعن البخارى وأبى حاتم وغيرهما: أنه ثقة. بل روى عن يحيى بن معين قوله: «إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة وفي حماد بن سلمة، فأتهمه على الإسلام» «٣». بل عن شهر بن حوشب: «عكرمة خير هذه الأمة» «٤».

هو من أعلام الخوارج ... ص: ٢١٦

لكن الرجل من أعلام الخوارج وكبار النواصب، وهذا ثابت مشهور عنه ومما لا ريب فيه لأحد، وقد نصّ على ذلك من الأئمة أمثال: يحيى بن بكير، ومصعب الزبيرى، وعطاء، وابن المدينى، وأحمد، والحاكم، وأبى بكر الجعابى والرياشى، والذهبى، وابن خلكان، وياقوت، والكرمانى ... وغيرهم ممن

(١) الإتقان فى علوم القرآن ٤: ٢٤١.

(٢) رجال المشكاة للشيخ عبدالحق الدهلوى - ترجمة عكرمة.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤١: ١٠٣ / ٤٧٤٣، تهذيب الكمال ٧: ٢٤٣ / ١٤٨٢، سير أعلام النبلاء ٥: ٣١ / ٩.

(٤) ميزان الاعتدال ٣: ٩٣ / ٥٧١٦.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٢١٧

يطول المقام بذكرهم.

قوادحه كما فى ميزان الاعتدال ... ص: ٢١٧

وله قوادح ومعائب كثيرة أيضاً، ونحن نكتفى بإيراد ترجمته فى (ميزان الاعتدال)، لاشتمالها على طرفٍ من كلمات الأئمة فى ذمه والطعن فيه:

«عفان: ثنا وهيب، قال: شهدت يحيى بن سعيد الأنصارى وأيوب، فذكرا عكرمة فقال يحيى: كذاب. وقال أيوب: لم يكن ج بكذاب

ج.

جرير بن يزيد عن يزيد، بن أبى زياد، عن عبد الله بن الحرث قال:

دخلت على على بن عبد الله، فإذا عكرمة فى وثاق عند باب الحش، فقلت له:

ألا تتق الله؟ فقال: إن هذا الخبيث يكذب على أبى.

ويروى عن ابن المسيب أنه كذب عكرمة.

الخصيب بن ناصح: ثنا خالد بن خدّاش: شهدت حمّاد بن زيد- في آخر يوم مات فيه- فقال: احذثكم بحديث لم احذث به قط، لأنني أكره أن ألقى الله ولم احذث به، سمعت أيوب يحدث عن عكرمة قال: إنّما أنزل الله متشابه القرآن ليضلّ به. قلت: ما أسوأها عبارة بل أحببها، بل أنزله ليهدى به، وليضلّ به الفاسقين.

فطر بن خليفة: قلت لعطاء: إنّ عكرمة يقول: قال ابن عباس: سبق الكتاب الخفّين. فقال: كذب عكرمة، سمعت ابن عباس يقول: لا بأس بمسح الخفّين وإن دخلت الغائط. قال عطاء: والله إن كان بعضهم ليرى أنّ المسح على القدمين يجزى.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢١٨

إبراهيم بن ميسرة، عن طاووس قال: لو أنّ مولى عبدالله بن عباس اتقى الله وكفّ من حديثه، لشدّت إليه المطايا.

مسلم بن إبراهيم: ثنا الصلت أبو شعيب قال: سألت محمّد بن سيرين عن عكرمة فقال: ما يسوءني أن يكون من أهل الجنّة، ولكنّه كذاب.

إبراهيم بن المنذر: ثنا هشام بن عبدالله المخزومي، سمعت ابن أبي ذئب يقول: رأيت عكرمة وكان غير ثقة.

قال محمّد بن سعد: كان عكرمة كثير العلم والحديث، بحراً من البحور، وليس يحتجّ بحديثه، ويتكلم الناس فيه.

وقال مطرف بن عبدالله: سمعت مالكا يكره أن يذكر عكرمة، ولا يرى أن يروى عنه.

قال أحمد بن حنبل: ما علمت أنّ مالكا حدّث بشيء لعكرمة، إلّا في الرجل يظأ امرأته قبل الزيارة، رواه عن ثور عن عكرمة.

أحمد بن أبي خيثمة قال: رأيت في كتاب علي ابن المديني: سمعت يحيى بن سعيد يقول: حدّثوني- والله- عن أيوب أنّه ذكر له أنّ عكرمة لا يحسن الصلاة، فقال أيوب: وكان يصلّي؟

الفضل السيناني عن رجل قال: رأيت عكرمة قد اقيم قائماً في لعب النرد.

يزيد بن هارون: قدم عكرمة البصرة، فأثاه أيوب و يونس و سليمان التيمي فسمع صوت غناء فقال: اسكتوا، ثم قال: قاتله الله، لقد أجاد. فأما يونس وسليمان فما عادا إليه.

عمرو بن خالد بمصر: حدّثنا خلّاد بن سليمان الحضرمي، عن خالد بن

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢١٩

أبي عمران قال: كنّا بالمغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم فقال: وددت أنّ بيدي حرباً فأعرض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً.

ابن المديني: عن يعقوب الحضرمي، عن جدّه قال: وقف عكرمة على باب المسجد فقال: ما فيه إلّا كافر. قال: وكان يرى رأى الأباضية. يحيى بن بكير، قال: قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب. قال:

فالخوارج الذين هم بالمغرب عنه أخذوا.

قال ابن المديني: كان يرى رأى نجدة الحروري.

وقال مصعب الزبيري: كان عكرمة يرى رأى الخوارج، وادّعى علي ابن عباس أنّه كان يرى رأى الخوارج.

خالد بن يزيد ج نزار ج ثنا عمر بن قيس، عن عطاء بن أبي رباح: أنّ عكرمة كان أباضياً.

أبو طالب: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كان عكرمة من أعلم الناس، ولكنّه كان يرى رأى الصفرية، ولم يدع موضعاً إلّا خرج إليه: خراسان والشام واليمن ومصر وإفريقيّة، كان يأتي الامراء فيطلب جوائزهم، وأتى الجند إلى طاووس فأعطاه ناقه.

وقال مصعب الزبيري: كان عكرمة يرى رأى الخوارج، فطلبه متولّي المدينة، فتغيّب عند داود بن الحصين حتّى مات عنده.

وروى سليمان بن معبد السنجي قال: مات عكرمة وكثير عزة في يوم، فشهد الناس جنازة كثير، وتركوا جنازة عكرمة.

وقال عبدالعزيز الدراوردي: مات عكرمة وكثير عزة في يوم، فما شهدهما إلّا سودان المدينة.

إسماعيل بن أبي أويس، عن مالك، عن أبيه قال: أتى بجنزة عكرمة استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٢٠
 مولى ابن عباس وكثير عزة بعد العصر، فما علمت أن أحداً من أهل المسجد حلّ حبوته إليهما.
 قال جماعة: مات سنة خمس ومائة.
 وقال الهيثم وغيره: سنة ست.
 وقال جماعة: سنة سبع ومائة.
 عن ابن المسيب أنه قال لمولاه برد: لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس» (١).

قوادحه كما في معجم الادباء ... ص: ٢٢٠

وقال ياقوت الحموي بترجمه عكرمة من (معجم الادباء):

«ومات - فيما قرأت بخط الصولي من كتاب البلاذري - سنة خمس ومائة، وقيل ست ومائة، وهو ابن ثمانين سنة.
 قال: وكان موته وموت كثير عزة في يوم واحد، فوضعا جميعاً وصلّى عليهما، وكان كثير شيعياً وعكرمة يرى رأى الخوارج؛ ذكره الحاكم أبو عبدالله محمد بن عبدالله البيهقي في تاريخ نيسابور.
 وذكر القاضي أبو بكر محمد بن عمر الجعابي - في كتاب الموالى - عن ابن الكلبي قال: وعكرمة هلك بالمغرب، وكان قد دخل في رأى الحرورية الخوارج، فخرج يدعو بالمغرب إلى الحرورية.
 أبو علي الأهوازي قال: لما توفي عبدالله بن عباس، كان عكرمة عبداً مملوكاً، فباعه علي بن عبدالله بن عباس من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار، فأتى عكرمة عليّاً فقال له: ما خير لك، أتبيع علم أبيك، فاستقال

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٩٤ - ٩٧ / ٥٧١٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٢١

خالداً فأقاله وأعتقه، وكان يرى رأى الخوارج ويميل إلى استماع الغناء. وقيل عنه: إنّه كان يكذب على مولاه.
 وقال عبدالله بن الحارث: دخلت على علي بن عبدالله بن عباس، وعكرمة موقّ على باب الكنيف، فقلت: أتفعلون هذا بمولاكم؟
 فقال: إنّ هذا يكذب على أبي.

وقد قال ابن المسيب لمولاه: لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس.

وقال يزيد بن هارون: قدم عكرمة مولى ابن عباس البصرة، فأتاه أيوب السخيتاني وسليمان التيمي ويونس بن عبيد، فبينما هو يحدثهم، إذ سمع غناء، فقال عكرمة: اسكتوا، فتسمع ثم قال: قاتله الله فلقد أجاد، أو قال: ما أجد ما قال. فأما سليمان ويونس فلم يعودا إليه، وعاد إليه أيوب. فقال يزيد بن هارون: لقد أحسن أيوب.

الرياشي: عن الأصمعي، عن نافع المدني قال: مات كثير الشاعر وعكرمة في يوم واحد.

قال الرياشي: فحدثنا ابن سلام: أن أكثر الناس كانوا في جنزة كثير، لأنّ عكرمة كان يرى رأى الخوارج، وتطلبه بعض الولاة، فتغيّب عند داود بن الحصين حتى مات عنده سنة سبع ومائة في أيام هشام بن عبدالملك، وهو يومئذ ابن ثمانين سنة.

حماد بن زائدة: ثنا عثمان بن مرة قلت للقاسم: إنّ عكرمة مولى ابن عباس قال: ثنا ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزفت والمقير والدباء والحشم والجزار. فقال: يا ابن أخي! إنّ عكرمة كذاب، يحدث

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٢٢

غدوة حديثاً يخالفه عشيماً.

يحيى بن بكير: سمعت ابن عمر يقول لنافع: اتق الله - ويحك يا نافع - ولا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس.

يزيد بن أبي زياد ج عن عبدالله بن الحارث ج قال: دخلت على بن عبدالله بن عباس، وعكرمة مقيتد على باب الحش، قلت: ما لهذا كذا؟ قال: إنه يكذب « إنتهى بالإختصار » (١).

(١) معجم الادباء ١٢: ١٨٢ - ١٩٠ / ٤٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٢٣

الحسنُ البصرى ... ص: ٢٢٣

إشارة

وأما الحسن، فمن أشهر الأئمة وكبار الفقهاء والمحدثين عندهم، وقد وصفوه بأعلى المناقب وأجل الفضائل، كما لا يخفى على من راجع (تهذيب الكمال) و (تهذيب التهذيب) وغيرهما من كتب التراجم والرجال.

هو من القدرية ... ص: ٢٢٣

لكنه - بناءً على اصولهم - محكوم عليه بالكفر، لأنه كان لا يرى الشرّ بقدر من الله، ومن قال بهذه المقالة فهو عندهم كافر ... قال الذهبي في (تهذيب التهذيب):

«روى معمر عن قتادة عن الحسن قال: الخير بقدر والشر ليس بقدر.

قلت: هذه اللفظة أبلغ ما نقل عن الحسن في القدر» (١).

ذم القدرية في روايات القوم ... ص: ٢٢٣

ولا بأس بإيراد طرفٍ من الروايات الواردة في ذم القدرية:

أخرج الترمذى:

«عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

صنغان من امتى ليس لهما فى الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية. وفى الباب

(١) تهذيب التهذيب - مخطوط. تهذيب التهذيب ٢: ٢٣٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٢٤

عن عمر وابن عمر ورافع بن خديج. هذا حديث حسن غريب» (١).

وأخرج أبو داود:

«عن ابن عمر، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: القدرية مجوس هذه الامة؛ إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم» (٢).

وأخرج أيضاً:

«عن حذيفة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لكل امية مجوس، ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر؛ من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعه الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال» (٣).

وفى (التمهيد فى بيان التوحيد):

«روى: إن رجلاً دخل على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقال:

أخبرنى عن القدر.

فقال له: طريقٌ مظلم فلا تسلكه.

فسكت ساعة، ثم قال له: أخبرنى عن القدر.

فقال: بحر عميق لا تلجّه.

فسكت ساعة، ثم قال له: أخبرنى عن القدر.

فقال: سرّ الله فلا تُفشه.

فسكت ساعة، ثم قال: أخبرنى عن القدر.

(١) صحيح الترمذى ٤: ٢١٤٩ / ٤٥٤ كتاب القدر الباب ١٣.

(٢) سنن أبى داود ٥: ٤٦ / ٤٦٩١ كتاب السنة الباب ١٧.

(٣) سنن أبى داود ٥: ٤٦ / ٤٦٩٢ كتاب السنة الباب ١٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٢٥

فبدأ على رضى الله عنه بالسؤال، فقال له: أخبرنى مشيتك مع مشية الله أو دون مشية الله؟

فتحير الرجل، فقال لعلى: قل أنت.

فقال له: إن قلت: بأنّ مشيتى مع مشية الله تعالى، فقد ادّعت المشاركة مع الله تعالى، وإن قلت: بأنّ مشيتى دون مشية الله، فقد ادّعت الالوهية، فعلمت أنّ مشيتك تحت مشية الله.

فقال الرجل: تبت إلى الله. وقام.

فقال على رضى الله عنه لأصحابه: قوموا وصادقوه، فإنّه الآن أسلم.

ففى هذا دليل على أنّ من أنكر القدر يصير كافراً، ولأنّ النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: القدرية مجوس هذه الامة؛ إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشيعوا جنازتهم، أولئك هم شيعه الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال، ولأنّهم أنكروا النص، لأنّ الله تعالى قال: «وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله».

وجاء فيه أيضاً:

«فإن قال: بأنّ الله تعالى لم يخلق الشر والكفر وذلك مخلوق غير الله، فقد أثبت صانعاً وخالقاً غير الله، فيكون مشركاً بالله تعالى ويكون كافراً، وإن قال: بأنّ الشرّ مخلوق الله تعالى بدون إرادته ومشيته، فقد اعتقد بأنّ الله تعالى مجبور مكره فى تخليقه، وهذا كفر؛ فثبت أنّ الكلّ بمشيئة الله وإرادته وقضائه وقدره.

ومن أنكر القدر فهو كافر بالله العظيم» (١).

(١) التمهيد في بيان التوحيد: ٢٤.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢٢٦

وقال النووي في (المنهاج):

«قال الإمام- يعني إمام الحرمين- في كتاب الإرشاد في اصول الدين:

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القدرية مجوس هذه الامة، شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الإرادة كما قسمت المجوس، فصرفت الخير إلى يزدان والشر إلى أهرمن، ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية» (١).

وفي (كنز العمال):

«إن الله عز وجل لم يبعث نبياً قبلي إلا كان في أمته من بعده مرجئاً وقدرية يشوشون عليه أمر أمته من بعده، ألا إن الله عز وجل لعن المرجئة والقدرية على لسان سبعين نبياً، ألا وإن أمتي لأممة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة وإنما عذابها في الدنيا، ألا إن صنفين من أمتي لا يدخلون الجنة:

المرجئة والقدرية. ابن عساكر عن معاذ:

صنفان من أمتي لعنهم الله على لسان سبعين نبياً: القدرية والمرجئة الذين يقولون: الإيمان إقرار ليس فيه عمل. الديلمي عن حذيفة» (٢).

دفاع الذهبي عن الحسن البصري ... ص: ٢٢٦

ومن لطائف الامور: محاولة الذهبي للدفاع عن الحسن، بدعوى أنه لما حوقق على القول بالقدر تبرأ من ذلك، قال الذهبي:

«الحسن بن يسار، مولى الأنصار، سيد التابعين في زمانه بالبصرة، كان

(١) شرح صحيح مسلم ١: ١٥٤ كتاب الإيمان- إثبات القدر.

(٢) كنز العمال ١: ١٣٥ / ٦٣٥ و ٦٣٦.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢٢٧

ثقة في نفسه، حجة، رأساً في العلم والعمل، عظيم القدر. وقد بدت منه هفوة في القدر لم يقصدها لذاتها، فتكلموا، فما ألتفت إلى كلامهم، لأنه لما حوقق عليها تبرأ منها» (١).

لكن ما معنى «لم يقصدها لذاتها»؟ ألم يكن كلامه ظاهراً في معناه الذي فهمه القوم منه فتكلموا فيه؟ إن ما يقوله الذهبي دعوى بلا دليل، بل هو مجرد تخرص وتخمين، بل هو أشبه بهذيان المجانين، ويكذبه كلامه هو حيث قال بعد العبارة السابقة:

«قال حماد بن زيد عن أيوب قال: كذب على الحسن ضربان من الناس: قوم رأيهم القدر لينفقوه في الناس بالحسن، وقوم في صدورهم بغض له، وأنا نازلته في القدر غير مرة حتى خوفته بالسلطان، فقال: لا أعود فيه بعد اليوم. وقال أيوب: ولا أعلم أحداً يستطيع أن يعيب الحسن إلبه، وأدركت الحسن- والله- ما يقوله» (٢).

وإذا كان الحسن ينازله الرجال في القدر غير مرة، ولا يرجع عن القول به إلا بعد التخويف بالسلطان، فما معنى أنه لم يكن قاصداً لما تفوه؟

وما ذكره الذهبي في الدفاع عنه من أنه قد تاب عن المقالة المذكورة ورجع عنها، لا يرفع الإشكال، لأن الحسن من القائمين بالتقية إلى

يوم القيامة، كما رواه البخارى عنه فى (الصحيح) «٣»، وأهل السنّة يقولون بعدم قبول التوبة ممن يقول بالتقيّة.

(١) ميزان الاعتدال ١: ٥٢٧/١٩٦٨.

(٢) تذهيب التهذيب - مخطوط.

(٣) صحيح البخارى ٩: ٢٥ كتاب الإكراه.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢٢٨

كان الحسن مدلساً ... ص: ٢٢٨

وكان الحسن البصرى يكثر التدليس فى الحديث، نصّ على ذلك الذهبى «١».

وقال ابن حجر فى (التقريب):

«وكان يرسل كثيراً ويدلس. قال البرّار: كان يروى عن جماعة لم يسمع منهم، فيتجوّز ويقول: حدّثنا وخطبنا، يعنى قومه الذين حدّثوا وخطبوا بالبصرة» «٢».

وفى (تهذيب التهذيب):

«قال ابن المدينى: سمعت يحيى - يعنى القطان - وقيل له: كان الحسن يقول: سمعت عمران بن حصين. قال: أمّا عن نفسه فلا. وقال ابن المدينى وأبو حاتم: لم يسمع منه، وليس يصحّ ذلك من وجه مثبت» «٣».

هذا، وقد نصّ ابن حجر فى (شرح نخبه الفكر) على أنّ التدليس بصيغته صريحه كذب «٤»، وقد أوضح القارى فى (شرحه) المراد من الصيغته الصريحه فقال: «وهى لفظه أخبرنى أو حدّثنى أو سمعته» «٥».

وذكر ابن الجوزى أنّ التدليس من تلييس إبليس، حيث قال فى كتاب (تلييس إبليس):

(١) ميزان الاعتدال ١: ٥٢٧/١٩٦٨.

(٢) تقريب التهذيب ١: ١٦٦/١٣٥٧.

(٣) تهذيب التهذيب ٢: ٢٣٤/٤٨٨.

(٤) شرح نخبه الفكر: ٨٢.

(٥) شرح شرح نخبه الفكر: ٤١٩.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢٢٩

«ومن تلييس إبليس على علماء المحدثين: رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع، وهذه جناية منهم على الشرع، ومقصودهم تنفيق أحاديثهم وكثرة رواياتهم، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: من روى عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين. ومن هذا الفن تدليسهم فى الرواية، فتارة يقول أحدهم: فلان عن فلان، أو قال فلان عن فلان، يوهم أنه سمع منه ولم يسمع، وهذا قبيح، لأنه يجعل المنقطع فى مرتبة المتصل» «١».

وقال النووى فى (شرح مسلم):

«التدليس قسمان: أحدهما: أن يروى عمّن عاصره ما لم يسمع منه، موهماً سماعه قائلاً: قال فلان أو عن فلان أو نحوه. وربما يسقط شيخه أو أسقط غيره لكونه ضعيفاً أو صغيراً، تحسيناً لصورة الحديث، وهذا القسم مكروه جدّاً، ذمّه أكثر العلماء، وكان شعبة من

أشدّهم ذمّاً له، وظاهر كلامه أنّه حرام وتحريمه ظاهر، فإنّه يوهّم الإحتجاج بما لا يجوز الإحتجاج به، ويتسبّب أيضاً إلى إسقاط العمل بروايات نفسه، مع ما فيه من الغرور، ثمّ إنّ مفسدته دائمة، وبعض هذا يكفى في التحريم، فكيف باجتماع هذه الامور» (٢).

لعبه بالشطرنج ... ص: ٢٢٩

وكان الحسن البصرى يلعب بالشطرنج «٣»، وقد ثبت في الأخبار أنّ اللّاعب بالشطرنج ملعون، إلى غير هذا من الأحاديث الواردة في تحريمه

(١) تلييس إبليس: ١٣٦-١٣٧.

(٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١: ٣٣.

(٣) حياة الحيوان ٢: ٦٢ «العقرب».

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٣٠

وتحريم اللّعب به والنظر إليه ...

نسبته المعصية إلى يوسف عليه السلام ... ص: ٢٣٠

وهو ممّن نسب المعصية إلى يوسف عليه السلام، كما عرفت من كلام الرازي، وعرفت أيضاً ما في هذه النسبة من كلامه.

فساد مذهبه يوجب الحكم بكفره ... ص: ٢٣٠

وعلى الإجمال، فقد كان هذا الرجل منحرفاً في العقيدة حتّى قالوا بكفره، وممّن نصّ على ذلك عبدالعزيز البخارى في (كشف الأسرار) حيث قال: «كثير من أصحاب الحديث قبلوا رواية سلفنا، كالحسن وقتادة وعمرو بن عبيد، مع علمهم بمذهبههم وإكفارهم من يقول بقولهم، وقد نصّوا على ذلك» (١).

(١) كشف الأسرار- شرح اصول البزدوى ٣: ٢٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٣١

عطاء بن أبي رباح ... ص: ٢٣١

إشارة

وأما عطاء، فيكفيه فضلاً وفخراً: كونه شيخ الإمام الأعظم وما قاله أبو حنيفة في حقّه.

قال الذهبي في (ميزان الإعتدال):

«عطاء بن أبي رباح، سيد التابعين علماً وعملاً وإتقاناً في زمانه بمكة، روى عن عائشة وأبي هريرة والكبار، وعاش تسعين سنة أو أزيد، وكان حجةً، إماماً، كبير الشأن، أخذ عنه أبو حنيفة وقال: ما رأيت مثله» (١).

لعبه بالشطرنج ... ص: ٢٣١

لكنه كان يلعب بالشطرنج، كما في (حياة الحيوان) (٢). وقبائح الشطرنج كثيرة جداً، ولنذكر بعض ذلك فيما يلي من كتاب (كنز العمال):

«ملعون من لعب بالشطرنج، والناظر إليها كالأكل لحم الخنزير. عبدان وأبو موسى وابن حزم عن حبة بن مسلم.
«ملعون من لعب بالشطرنج. الديلمي عن أنس.

«إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزمات والشطرنج والنرد وما كان من هذه، فلا تسلموا عليهم، وإن سلموا عليكم فلا تردوا عليهم. الديلمي عن

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٧٠ / ٥٦٤٠.

(٢) حياة الحيوان ٢: ٦٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٣٢

أبي هريرة.

«ألا إن أصحاب الشاه في النار، الذين يقولون قتلت والله شاهك.

الديلمي عن ابن عباس.

إن الله تعالى ينظر في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، لا ينظر فيها إلى صاحب الشاه، يعنى الشطرنج. الديلمي عن وائلة.

«إن لله تبارك لوحاً ينظر فيه في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، يرحم بها عباده، ليس لأهل الشاه فيها نصيب. الخرائطي في مساوى الأخلاق عن وائلة.

«عن علي: النرد والشطرنج من الميسر. ش وابن المنذر وابن أبي حاتم ق.

«من لعب بالميسر ثم قام يصلى، فمثله مثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير، فيقول الله: لا يقبل له صلاة. طب عن أبي عبدالرحمن الخطمي.

«عن علي، أنه مرّ على قوم يلعبون بالشطرنج، فوثب عليهم فقال: أما والله لغير هذا خلقتم، ولولا أن تكون سنّة لضربت بها وجوهكم. ق ك.

«عن علي: إنه مرّ على قوم يلعبون الشطرنج فقال: ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون، لأنّ يمسّ أحدكم جمرًا حتى يطفى خير له من أن يمسّها. ش وعبد ابن حميد وابن أبي الدنيا فى ذمّ الملاهى وابن المنذر وابن أبي حاتم ق.

«عن علي قال: لا نسلم على أصحاب النردشير والشطرنج. كر.

«يأتى على الناس زمانٌ يلعبون بها، ولا يلعب بها إلّا كلّ جبار، والجبار فى النار - يعنى الشطرنج - ولا يوقر فيه الكبير ولا يرحم فيه الصغير، يقتل بعضهم بعضاً على الدنيا، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب، لا

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٣٣

يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، يمشى الصالح فيهم مستخفاً، أولئك شرار خلق الله، لا ينظر الله إليهم يوم القيامة. الديلمي عن

أنس» (١).

هذا، وقد ذهب إلى حرمة الشطرنج كافة الأئمة الأربعة، كما نصَّ على ذلك صاحب (الصواعق) في فصل المكائد حيث قال: «الثلاثون والمائة: طعن أهل السنة بأنهم يجوزون اللعب بالشطرنج، فإنه ينخدع به أمرعان، وهو افتراء، فإنَّ اللعب بالشطرنج حرام عند أبي حنيفة ومالك وأحمد على الصحيح، وورد في حرمة أحاديث وآثار، وعند الشافعي في القول الأول مكروه، بشرط عدم إخراج الصيلمات عن وقتها، وإخلال تحفظ الواجبات بواسطة الإشتغال به، وأن يخلو عن القمار، وأن لا يصير سبباً للنزاع والكذب، وأن لا يكون أسبابه مصورةً بصور الحيوانات، فإن فقد شيء من هذه الشروط صار حراماً، وبالإصرار يصير كبيراً. كذا في الإحياء. وقد صحَّ عن الشافعي أنه رجع إلى قول الأئمة الثلاثة، نصَّ عليه الإمام أبو حامد الغزالي. واللَّعب كلُّه حرام عند أهل السنة» (٢ ... ٢). فظهر من هناك أن عطاء بن أبي رباح كان بعيداً عن الفضل والصيلاح، محروماً عن الرشيد والفلاح، منحازاً عن حيازة مغنم الأرباح، منهمكاً في الضلال والفسق والطلاح، حيث جُوز ما يلعن على مرتكبه بالغداء والرواح.

تركة النهي عن المنكر ... ص: ٢٣٣

ومن قوادحه: إنه لم ينكر على خالد بن عبدالله القسري بدعته في مكه

(١) كنز العمال ١٥: ٢١٥-٢٢٦.

(٢) الصواعق الموقبة - مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٣٤

المكرمة، فقد جاء في كتاب (إتحاف الوري) ما نصه:

«وقد فعل خالد بن عبدالله القسري بمكة المشرفة أفعالاً من غير معرفةٍ للسنة التي فعل فيها، فأحبت ذكر ذلك هنا، لئلا يخلو منه هذا الكتاب.

فمن ذلك: إنَّ الناس كانوا يقومون شهر رمضان في أعلى المسجد، تركز حربة خلف المقام بربوة، فيصلي الإمام خلف الحربة والناس وراءه، فمن أراد صلى مع الإمام، ومن أراد طاف وركع خلف المقام. فلما ولي خالد ابن عبدالله القسري بمكة لعبد الملك بن مروان وحضر شهر رمضان، أمر خالد الأئمة أن يتقدموا فيصلوا خلف المقام، وأدار الصفوف حول الكعبة، وذلك أنَّ الناس ضاق عليهم أعلا المسجد، فأدارهم حول الكعبة، فقيل له: يمتنع بذلك الناس من الطواف، قال: فأنا أمرهم يطوفون بين كلِّ ترويحتين بطواف سبعا، فأمرهم ففعلوا بين كلِّ ترويحتين، فقيل له: فإنه يكون في مؤخر الكعبة وجوانبها من لا يعلم بانقضاء طواف الطائفين من فصل وغيره، فيتهدأ للصلاة، فأمر عبید الكعبة أن يكبروا حول الكعبة ويرفعوا أصواتهم في الطواف بالتكبير، فإذا بلغوا الركن الأسود في الطواف السادس سكتوا، فيكون ذلك إعلماً للناس أن الطواف على انقضاء، فيتهدأ من في الحجر ومن في جوانب المسجد من مصل وغيره، فيخفف صلاته، ثم يعود الطائفون للتكبير حتى يفرغوا من السبع، ثم يقوم مناد فينادي: الصلاة رحمكم الله، ولا تنقضى صلاتهم حتى يطلع الفجر، وكان على جبل أبي قبيس يرقب طلوع الفجر للمتسحرين، فإذا بان له ندى: أمسكوا رحمكم الله.

وكان عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار ونظراؤهم من العلماء

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٣٥

يحضرون ذلك، فلا ينكرونه» (١).

كان يأخذ من كل أحد ويروى المرسلات ... ص: ٢٣٥

قالوا: وكان عطاء بن أبي رباح متساهلاً في الرواية، يأخذ من كل أحد، ويروى المراسيل، حتى تكلم فيه بعض الأئمة، ففي (تدريب الراوى):

«تكلم الحاكم على مراسيل سعيد فقط دون سائر من ذكر معه، ونحن نذكر ذلك، فمراسيل عطاء قال ابن المديني: كان عطاء يأخذ من كل ضرب، ومرسلات مجاهد أحب إلي من مرسلاته بكثير. وقال أحمد بن حنبل: مرسلات سعيد بن المسيب أصح المرسلات، ومرسلات إبراهيم النخعي لا بأس بها، ولا في المرسلات أضعف من مرسلات الحسن وعطاء بن أبي رباح، فإنهما كانا يأخذان من كل أحد» (٢).

وفي (ميزان الاعتدال):

«قال يحيى القطان: مرسلات مجاهد أحب إلينا من مرسلات عطاء بكثير، كان عطاء يأخذ من كل ضرب. وقال أحمد: ليس في المرسل أضعف من مرسل الحسن وعطاء، كانا يأخذان عن كل أحد» (٣).

بل لقد تركه بعض الأئمة الكبار، وإن حاول الذهبي حمل الترك على معنى آخر، ففي (ميزان الاعتدال):

«روى محمد بن عبد الرحيم عن علي بن المديني قال: كان عطاء بأخرة

(١) إتحاف الورى بأخبار ام القرى - حوادث السنة: ٩٣.

(٢) تدريب الراوى - شرح تقريب النواوى ١: ٢٠٣-٢٠٤.

(٣) ميزان الاعتدال ٣: ٧٠ / ٥٦٤٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٣٦

قد تركه ابن جريج وقيس بن سعد. قلت: لم يعن الترك الإصطلاحى، بل عنى أنهما بطلا الكتابة عنه، وإلا فعطاء ثبت رضى «(١)». لكنّه حمل بارد جداً، لأن المتبادر من الترك فى مثل هذه المواضع هو الترك الإصطلاحى، وهو عدم كونه أهلاً لأن يروى عنه.

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٧٠ / ٥٦٤٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٣٧

عطاء بن أبى سلمة الخراسانى ... ص: ٢٣٧

وأما عطاء بن أبى سلمة الخراسانى، الذى ذكره السيوطى - بعد عطاء بن أبى رباح - فلم أجده فى الكتب الرجائية، نعم، لا يبعد أن يكون مراده عطاء ابن أبى مسلم الخراسانى، فإنه على ما فى (فتح البارى) وغيره كان له مصنف فى التفسير، وقد وثقه غير واحد من الأعلام.

لكن فى (ميزان الاعتدال) فى ترجمته:

«وذكره العقيلي فى الضعفاء، متشبهاً بهذه الحكاية التى رواها حماد بن زيد عن أيوب، حدثنى القاسم بن عاصم، قلت لسعيد بن المسيب: إن عطاء الخراسانى حدثنى عنك أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر الذى واقع أهله فى رمضان بكفارة الظهار. فقال: كذب، ما حدثنه، إنما بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له: تصدق تصدق.

وقد ذكر البخارى عطاء الخراسانى فى الضعفاء، فروى له هذا عن سليمان بن حرب عن حماد.

أحمد بن حنبل: ثنا عفان، ثنا همام، أنا قتادة: أن محمداً وعوناً حدثاه أنهما قالاً لسعيد: إن عطاء الخراساني حدثنا عنك في الذي وقع بأهله في رمضان، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يعتق رقبة، فقال: كذب عطاء، إنما قال له: تصدق تصدق.

وقال ابن حبان في الضعفاء: أصله من بلخ، وعداده في البصريين، وإنما

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢٣٨

قيل له الخراساني، لأنه دخل خراسان وأقام بها مدةً طويلةً ثم رجع إلى العراق، فنسب إلى خراسان، وكان من خيار عباد الله، غير أنه كان ردي الحفظ، كثير الوهم، يخطئ ولا يعلم، فيحمل عنه، فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج به.

«قال الترمذي في كتاب العلل: قال محمد بن يعنى البخاري: ما أعرف لمالك رجلاً يروى عنه يستحق أن يترك حديثه، غير عطاء الخراساني. قلت:

ما شأنه؟ قال: عامة أحاديثه مقلوبة» (١).

وهذا أيضاً رأى السمعاني فيه، حيث قال:

«وكان من خيار عباد الله، غير أنه كان ردي الحفظ، كثير الوهم، يخطئ ولا يعلم فحمل عنه، فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج به» (٢).

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٧٤-٧٥ / ٥٦٤٢.

(٢) الأنساب ٢: ٣٣٧. «الخراساني».

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢٣٩

أبو العالية ... ص: ٢٣٩

وأما أبو العالية، الذي جاء بترجمته من (رجال المشكاة) للدهلوي:

«قالت حفصة بنت سيرين: سمعته يقول: قرأت القرآن على عمر ثلاث مرّات، وزهد في الدنيا، وحجّ خمساً وستين حجّة» (١).

وفي (مرآة الجنان):

«أبو العالية، رفيع بن مهران الرياحي، مولاهم، البصري، المقرئ المفسر، وقد دخل على أبي بكر، وقرأ القرآن على أبي. قال أبو العالية:

كان ابن عباس يرفعني على السرير وقريش أسفل. وقال أبو بكر ابن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية،

وبعده سعيد بن جبير» (٢).

وكذا في (تدريب الراوي) (٣).

فقد أورده في (الميزان) وقال:

«قال ابن عدي: تكلم فيه من أجل حديث الضحك في الصلاة» (٤).

بل عن الشافعي أنه تكلم في حديثه كله وقال:

«حديث أبي العالية الرياحي رباح» (٥).

(١) تحصيل الكمال في أسماء الرجال. رجال المشكاة، للشيخ عبدالحق الدهلوي.

(٢) مرآة الجنان ١: ١٤٧ السنة ٩٣.

(٣) انظر تدريب الراوي ٢: ٤٠٠.

(٤) ميزان الاعتدال ٤: ٥٤٣ / ١٠٣٤٤.

(٥) ميزان الاعتدال ٢: ٥٤ / ٢٧٩٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٤٠

وهذا الكلام- وإن حاول الذهبي تأويله- يدل على سقوط كافة روايات الرجل وعدم اعتباره عند الشافعي، ولذا قال السمعاني: «كان الشافعي سييء الرأي فيه وفي رواياته» (١).

وفي (رسالة ترجيح مذهب الشافعي) للفخر الرازي:

«استدلوا على ضعف حرام بن عثمان بقول الشافعي: حديث حرام كاسمه حرام، وحديث الرياحي رياح، ومن روى عن أبي جابر البياضى بيض الله عينيه. ولتأثير ثبت أن العلماء رجعوا إلى فتواه في الجرح والتعديل، علمنا أن تقدمه في علم الحديث كان معروفاً مسلماً فيما بين الناس».

وتكلم ابن سيرين أيضاً في أبي العالیه، بما لا يقبل الحمل والتأويل، فقد جاء في (العناية) بعد ما يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وآله من الحديث: لا وضوء على من نام قائماً أو قاعداً:

«فإن قيل: هذا الحديث غير صحيح، لأن مداره على أبي العالیه، وهو ضعيف عند النقل، روى عن ابن سيرين أنه قال: حدثت عن شت إلأعن أبي العالیه، فإنه لا يبالى عن أخذ، أى: لا يبالى أن يروى عن كل أحد» (٢ ... ٢).

(١) الأنساب ٣: ١١١ الرياحي.

(٢) العناية في شرح الهداية ١: ٤٤ ط هامش فتح القدير.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٤١

الضحاک بن مزاحم ... ص: ٢٤١

وأما الضحاک بن مزاحم، فإنهم وإن وثقوه، وذكروا له مناقب كما في (مرآة الجنان) و (ميزان الاعتدال) وغيرهما من كتب الرجال (١).

لكن عن يحيى بن سعيد القطان- الذى كان رأساً فى الجرح والتعديل- أنه ضعفه. قال فى (الميزان):

«قال يحيى بن سعيد: الضحاک ضعيف عندنا ... وكذا ابن عدى فإنه قال:

الضحاک بن مزاحم إنما عرف بالتفسير، وأما رواياته عن ابن عباس وأبى هريرة وجميع من روى عنه، ففى ذلك كله نظر» (٢).

وكذا شعبه، ففى (الكاشف):

«وقال شعبه: كان عندنا ضعيفاً» (٣).

بل السيوطى نفسه نقل عن ابن الجوزى تضعيفه وأقره على ذلك، كما فى (اللائلى المصنوعة) فى نزول قوله تعالى: «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً.. الآية:» الضحاک ضعيف، ولم يسمع من ابن عباس».

(١) مرآة الجنان ١: ١٦٩ السنة ١٠٢، ميزان الاعتدال ٢: ٣٢٥ / ٣٩٤٢، تهذيب التهذيب ٤: ٣٩٧ / ٧٩٤.

(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٣٢٦ / ٣٩٤٢.

(٣) الكاشف ٢: ٣٦ / ٢٤٥٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٤٢

عطية بن سعد العوفى ... ص: ٢٤٢

وأما عطية، فإنه وإن ذكره السيوطى فى عداد قدماء المفسرين، إلّا أنّ نقده الحديث والرجال قد تكلموا فيه، ويكفى إيراد كلام الذهبى بترجمته من (ميزان الاعتدال) فإنه قال:

«عطية بن سعد العوفى الكوفى، تابعى شهير، ضعيف، عن ابن عباس وأبى سعيد وابن عمر. وعنه: مسعر وحجاج بن أوطاه وطائفة وابنه الحسن.

قال أبو حاتم: يكتب حديثه، ضعيف.

وقال سالم المرادى: كان عطية يتشيع.

وقال ابن معين: صالح.

وقال أحمد: ضعيف الحديث، وكان هشيم يتكلم فى عطية.

وروى ابن المدينى عن يحيى قال: عطية وأبو هارون وبشر بن حرب عندى سواء.

وقال أحمد: بلغنى أنّ عطية كان يأتى الكلبى فيأخذ منه التفسير، وكان يكنىه بأبى سعيد فيقول: قال أبو سعيد. قلت: يعنى يوهم أنه الخدرى.

وقال النسائى وجماعة: ضعيف» (١).

بل ادعى ابن الجوزى الإجماع على تضعيفه فى كتاب (الموضوعات) (٢).

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٧٩ - ٨٠ / ٥٦٦٧.

(٢) الموضوعات ١: ١١٤ باب عظمة الله عزوجل.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢٤٣

قتادة ... ص: ٢٤٣**إشارة**

وأما قتادة، فإنه وإن وُصف ب «الحافظ أحد الأئمة الأعلام» (١) وأنه «ثقة ثبت» (٢) وذكر بتراجمه مناقب كثيرة (٣) بل قيل أنهم أجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وفضله (٤)...

كان يتهم بالقدر ... ص: ٢٤٣

لكنّ المحققين النقده منهم لم يستحيوا من قول الحق وإظهار الحقيقة، فقالوا: كان يتهم بالقدر، وقد عرفت أنه الكفر والضلال عندهم، وأضاف بعضهم أنه كان حاطب ليل، وهو من عبارات التضعيف والقدح ... قال الذهبى:

«كان قتادة يتهم بالقدر.

وقال ابن المدينى: قلت ليحيى بن سعيد: إن عبد الرحمان يقول: أترك ج كل ج من كان رأساً فى بدعة يدعو إليها. قال: كيف يصنع

بقتاده وابن أبي رواد وعمر بن ذر، وذكر قوماً. ثم قال يحيى: إن ترك هذا الضرب ترك ناساً كثيراً.

(١)

فيض القدير ١: ١٥٦.

(٢) تقريب التهذيب ٢: ١٣٠ / ٦١٩٩.

(٣) تهذيب الكمال ٢٣: ٤٩٨ / ٤٨٤٨، مرآة الجنان ١: ١٩٧ السنة ١١٧ تهذيب التهذيب ٨: ٣١٥ / ٦٣٧.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ٢: ٥٧ / ٦٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٤٤

كان كحاطب ليل ... ص: ٢٤٤

وقال جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن الشعبي قيل له: هل رأيت قتادة؟ قال: نعم رأيت كحاطب ليل.
وقال سفيان بن عيينة: قال الشعبي لقتادة: حاطب ليل. قال سفيان: قال لى عبد الكريم الجزري: ما حاطب ليل؟ قلت: إلا أن تخبرني. قال:
هو الرجل يخرج في الليل يحتطب، فتقع يده على أفعى فتقتله. هذا مثل ضرب لطالب العلم، إن طالب العلم إذا حمل من العلم ما لا يطيقه قتله علمه، كما قتل الأفعى حاطب ليل «١».

كان يدلس ... ص: ٢٤٤

والذهبي نسب إليه التدليس أيضاً حيث قال في (الميزان):
«قتادة بن دعامة السدوسي، حافظ ثقة ثبت، لكنه مدلس ورمى بالقدر.
قاله يحيى بن معين. ومع هذا فاحتج به أصحاب الصحاح، لاسيما إذا قال حدثنا. مات كهلاً» (٢).
وقال ابن خلكان:
«قال معمر: سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تعالى: «وما كنا له مقرنين» فلم يجبني. فقلت: إني سمعت قتادة يقول: مُطيقين. فسكت، فقلت له: ما تقول يا أبا عمرو؟ فقال: حسبك قتادة، فلولا كلامه في القدر- وقد قال

(١) انظر سير أعلام النبلاء ٥: ٢٧٨ و ٢٧٢ / ١٣٢.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٣٨٥ / ٦٨٦٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٤٥

صلّى الله عليه وسلّم: إذا ذكر القدر فأمسكوا- لما عدلت به أحداً من أهل دهره» (١).

قصة أبي حنيفة معه ... ص: ٢٤٥

هذا، وقد جاء في (تاريخ بغداد) ما نصّه:

«ودخل قتادة الكوفة ونزل في دار أبي بردة، فخرج يوماً - وقد اجتمع إليه خلق كثير - فقال قتادة: والله الذي لا إله إلا هو، ما يسألني اليوم أحد عن الحلال والحرام إلا أجبته.

فقام إليه أبو حنيفة فقال: يا أبا الخطاب! ما تقول في رجل غاب عن أهله أعواماً، فظنت امرأته أن زوجها مات، فتروجت، ثم رجع زوجها الأول، ما تقول في صداقها؟ وقال لأصحابه الذين اجتمعوا إليه: لئن حدثت بحديث ليكذبن، ولئن قال برأيه ليخطئن. فقال قتادة: ويحك! أوقعت هذه المسألة؟

قال: لا.

قال: فلم تسألني عما لم يقع؟

قال أبو حنيفة: إننا نستعد للبلاء قبل نزوله، فإذا وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه.

ج فقال ج قتادة: والله لا أحدثكم بشيء من الحلال والحرام، سلوني عن التفسير.

فقام إليه أبو حنيفة فقال له: يا أبا الخطاب! ما تقول في قوله تعالى:

(١) وفيات الأعيان ٤: ٨٥ / ٥٤١.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٢٤٦

«قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك»؟

قال: نعم، هذا آصف بن برخيا بن سمعيا كاتب سليمان بن داود، كان يعرف اسم الله الأعظم.

فقال أبو حنيفة: وهل كان يعرف الإسم سليمان؟

قال: لا.

قال: فيجوز أن يكون في زمن نبي من هو أعلم من النبي؟

قال قتادة: والله لا أحدثكم بشيء من التفسير، سلوني عما اختلف فيه العلماء.

قال: فقام إليه أبو حنيفة فقال: يا أبا الخطاب! أمؤمن أنت؟

قال: أرجو.

قال: ولم؟

قال: يقول إبراهيم عليه السلام «والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين».

فقال أبو حنيفة: هلاً قلت كما قال إبراهيم عليه السلام: «قال أولم تؤمن قال بلى» فهلاً قلت: بلى؟

قال: فقام قتادة مغضباً ودخل الدار، وحلف أن لا يحدثهم «١».

(١) تاريخ بغداد ١٣: ٣٤٨ - ٣٤٩ / ٧٢٩٧.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٢٤٧

زيد بن أسلم ... ص: ٢٤٧

وأما زيد بن أسلم، فيكفي عن ذكر مناقبه كما في (تهذيب الأسماء) «١» كونه مولى عمر بن الخطاب، لأن هذه العلقه - كما ذكر

الدهلوي في (التحفة) - توجب الاتحاد بين المالك والمولى في العقيدة والطريقة.

والأهم من ذلك دعواهم حضور الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام عنده للإستفادة، حتى قيل له: «غفر الله لك، أنت سيد

الناس وأفضلهم، تذهب إلى زيد بن أسلم وهو مولى فتجلس معه؟» فقال: «ينبغي للعلم أن يتغى حيث هو!! قالوا: «وكان يتخطى حلق قومه حتى يأتي زيد بن أسلم فيجلس عنده ويقول: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه».

هكذا في (تحصيل الكمال في أسماء الرجال) (٢).

وأعوذ بالله من هذا البهتان الذي افتراه أهل الضلال، تنقصاً من شأن الإمام عليه السلام.

كما لا يخفى على أولى الأبصار والأفهام...

لكن ابن عدى أدرج زيدا في كتاب (الكامل) (٣) الذي صنّفه في أسماء الضعفاء، وهو كما قال المناوى في (فيض القدير):

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١: ٢٠٠/١٨٥.

(٢) تحصيل الكمال في أسماء رجال المشكاة للشيخ عبدالحق الدهلوى - ترجمة زيد بن أسلم.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال ٤: ١٦٣/٧٠٤.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٢٤٨

«أصل من الاصول المعول عليها المرجوع إليها، طابق اسمه معناه، ووافق لفظه فحواه، من عينه انتجع المنتجعون، وبشهادته حكم الحاكمون، وإلى ما قاله رجح المتقدمون والمتأخرون» (١).

وهذا ما أزعج الذهبي فقال:

«زيد بن أسلم مولى عمر، تناكد ابن عدى بذكره في الكامل. فإنه ثقة حجة. فروى عن حماد بن زيد قال: قدمت المدينة وهم يتكلمون في زيد بن أسلم، فقال لى عبيدالله بن عمر: ما نعلم به بأساً إلا أنه يفسر القرآن برأيه» (٢).

فقد اعترض الذهبي على ابن عدى ذكره في الضعفاء، إلا أنه أضاف إلى ذلك «تكلم أهل المدينة في زيد بن أسلم» وروى عن عبيدالله بن عمر أنه «كان يفسر القرآن برأيه» وهذا يكفي لسقوط تفسيره عن الاعتبار، وقد أخرج الترمذى:

«عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم، فمن كذب على متعمداً فليتبوء مقعده من النار، ومن قال فى القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار. هذا حديث حسن» (٣).

(١) فيض القدير فى شرح الجامع الصغير ١: ٢٨-٢٩.

(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٩٨/٢٩٨٩.

(٣) صحيح الترمذى ٥: ١٩٩/٢٩٥١ كتاب تفسير القرآن الباب ١.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٢٤٩

مُرَّة بن شراحيل ... ص: ٢٤٩

وأما مرّة بن شراحيل، فلا يجوز الإعتماد عليه والأخذ بتفسيره، لأنه كان من المعاندين لأمير المؤمنين عليه السلام فى حربه ضدّ الناكثين... قال أبو نعيم:

«حدّثنا عبد الله بن محمّد قال: ثنا أحمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى قال: حدّثنى عبدالرحمن بن غزوان قال: ثنا محمد بن طلحة ابن مصرف عن زيد الأيمى قال: قيل لمرّة بن شراحيل: ألا تلحق بعلى بصفتين؟ قال: إنّ علياً سبقنى بخير أعماله، بدرٍ وذواتها، وأنا أكره أن أشركه فيما هان فيه» (١).

(١) حلية الأولياء ٤: ١٦٣ / ٢٦٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٥٠.

عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ... ص: ٢٥٠

وأما عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، فقد أورده الذهبي في (الميزان) فقال:

«عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمرى مولاهم المدني، أخو عبدالله واسامه.»

قال أبو يعلى الموصلى: سمعت يحيى بن معين يقول: بنو زيد بن أسلم ليسوا بشيء. وروى عثمان الدارمي عن يحيى: ضعيف. وقال أحمد: عبدالله ثقة، والآخران ضعيفان» (١).

وفي (الكاشف):

«ضعفوه. له تفسير» (٢).

وفي (حاشية الكاشف):

«قال البخارى وأبو حاتم: ضعفه ابن المدينى جداً وقال: أولاد زيد بن أسلم كلهم ضعيف وأمثلهم عبدالله. وقال النسائي: ضعيف، وقال يحيى: ليس بشيء، وقال أحمد: ضعيف» (٣).

وقال ابن حجر: «ضعيف» (٤).

وقال ابن القيم في (زاد المعاد): «قال الترمذى: ليس فى ولد زيد بن أسلم ثقة».

(١) ميزان الاعتدال ٢: ٥٦٤ / ٤٨٦٨.

(٢) الكاشف عن أسماء رجال الكتب الستة ٢: ١٦٠ / ٣٢٢٨.

(٣) حاشية الكاشف - مخطوط.

(٤) تقريب التهذيب ١: ٤٤٨ / ٤٣١٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٥٣.

الطبقة الثالثة ... ص: ٢٥٣**إشارة**

قال السيوطى:

ثم بعد هذه الطبقة، ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين، كتفسير سفيان بن عيينه، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، وعبدالرزاق، وآدم بن أبى إياس، وإسحاق بن راهويه، وروح بن عباد، وعبد بن حميد، وشيخنا، وأبى بكر بن أبى شيبة، وآخرين (١).

أقول:

وتفاسير هذه الطبقة أيضاً مقدوحة مطعون فيها، وكتب الرجال بجوارح أصحابها مشحونة، وإليك أحوال بعضهم:

(١) الإتقان في علوم القرآن ٤: ٢٤٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٥٤

سفيان بن عيينة ... ص: ٢٥٤

إشارة

أمّا سفيان بن عيينة، فقد ذكروا:

كان يدلس ... ص: ٢٥٤

إنّه كان يدلس ... قال القارى في (شرح نخبه الفكر):

«قال الشيخ شمس الدين محمد الجزري: التدليس قسمان: تدليس الإسناد وتدليس الشيوخ. أمّا تدليس الإسناد، فهو أن يروى عمّن لقيه أو عاصره ما لم يسمعه منه، موهمًا أنّه سمعه منه، ولا يقول: أخبرنا وما في معناه، بل يقول: قال فلان، أو عن فلان، أو إن فلانًا قال، وما أشبه ذلك، ثم قد يكون بينهما واحد، وقد يكون أكثر، وربما لم يسقط المدلس شيخه، لكن يسقط من بعده رجلًا ضعيفًا أو صغير السنّ، يحسن الحديث بذلك. وكان الأعمش والثوري وابن عيينة وابن إسحاق وغيرهم يفعلون هذا النوع. ومن ذلك ما حكى ابن خشرم: كنّا يوماً عند سفيان بن عيينة فقال: عن الزهري ...»

ف قيل له: حدّثك الزهري؟ فسكت. ثم قال: قال الزهري، فقيل له: سمعته من الزهري؟ فقال: حدّثني عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري» (١).

(١) شرح شرح نخبه الفكر: ٤٢٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٥٥

من كلماتهم في ذمّ التدليس ... ص: ٢٥٥

هذا، وقد نقلنا سابقاً كلمات بعض أعلام القوم في ذمّ التدليس وتقييحه وتحريمه، وعن شعبه: أنّه أشدّ من الزنا وأخو الكذب، قال السيوطي في أقسام التدليس:

«وأما القسم الأوّل فمكروه جدًّا، ذمّه أكثر العلماء، وبالغ شعبه في ذمّه فقال: لأنّ أذني أحبّ إليّ من أن ادّلس. وقال: التدليس أخو الكذب» (١).

وأما قول ابن الصلاح من أنّ هذا إفراط، وإنّه محمول على الزجر والتنفير من التدليس، كما نقله السيوطي، ففيه: إنّه إن أراد صرف كلام شعبه عن ظهوره في حرمة التدليس، فلا سبيل إليه أصلاً، وقد تقدّم تصريح النووي بحرمة، وتقدّم أنّه من تلبس إبليس كما نصّ عليه ابن الجوزي، على أنّ جماعة من المحدّثين ذهبوا إلى أنّ ارتكاب التدليس - ولو كان مرّة واحدة - يوجب الجرح وتردّ به الرواية، كما في (تدريب الراوي) حيث قال:

«ثم قال فريق منهم من أهل الحديث والفقهاء: من عرف به صار مجروحاً مردود الرواية مطلقاً وإنّ بين السماع» (٢).

ومراده من «مطلقاً» هو عدم الفرق بين التدليس مرّة أو أكثر، وهذا ما نصّ عليه شراح (نخبه الفكر).

وقال ابن جماعة الكنانى فى (المنهل الروى):

«النوع الرابع: التدليس، وهو قسمان: تدليس الإسناد وتدليس الشيوخ.

(١) تدريب الراوى - شرح تقريب النواوى ١: ٢٢٨.

(٢) تدريب الراوى - شرح تقريب النواوى ١: ٢٢٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٥٦

الأول: تدليس الإسناد، وهو أن يروى عن لقيه أو عاصره ما لم يسمعه منه، موهماً أنه سمعه منه، ولا يقول أخبرنا وما فى معناه ونحوه، بل يقول: قال فلان أو عن فلان أو إن فلاناً قال، وشبه ذلك. ثم قد يكون بينهما واحد، وقد يكون أكثر.

وهذا القسم من التدليس مكروه جداً، وفاعله مذموم عند أكثر العلماء، ومن عرف به مجروح عند قوم لا تقبل روايته، بين السماع أو لم يبينه» (١).

وتلخص:

إن سفيان بن عيينة عند هذا الفريق من الفقهاء والمحدثين مجروح مردود الرواية، وعند الأكثر مذموم مطعون فيه.

اختلط فى آخر عمره ... ص: ٢٥٦

ثم إنه قد اختلط فى أواخر حياته، كما نص عليه علماء الرجال، قال الذهبى:

«روى محمد بن عبدالله بن عمار الموصلى، عن يحيى بن سعيد القطان قال: أشهد أن سفيان بن عيينة اختلط سنة ١٩٧، فمن سمع منه فيها فسماعه لا شيء».

ثم انبرى الذهبى للدفاع عن روايات القوم عن سفيان، مستبعداً كلام القطان، ومغلطاً الموصلى فى نقله - وقد قال الزهرى فى حقه: صدوق ثقة صاحب حديث (٢) - فقال:

(١) المنهل الروى فى علم اصول حديث النبى: ٧٢.

(٢) ميزان الاعتدال - ترجمة محمد بن عبدالله بن عمار ٣: ٧٧٥٣ / ٥٩٦. وفيه: قال النسائى: ثقة صاحب حديث.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٥٧

«قلت: سمع منه فيها محمد بن عاصم صاحب ذاك الجزء العالى، ويغلب على ظنى أن سائر شيوخ الأئمة الستة سمعوا منه قبل سنة سبع، فأما سنة ثمان وتسعين ففيها مات ولم يلقه أحد فيها، لأنه توفى ج بمكة ج قبل قدوم الحاج بأربعة أشهر.

وأنا أستبعد هذا الكلام من القطان، وأعدّه غلطاً من ابن عمار، فإن القطان مات فى صفر من سنة ثمان وتسعين وقت قدوم الحاج، ووقت تحدّثهم عن أخبار الحجاز، فمتى تمكّن يحيى بن سعيد أن يسمع اختلاط سفيان ثم يشهد عليه بذلك، والموت قد نزل به، فلعله بلغه ذلك فى أثناء سنة سبع، مع أن يحيى متعنّت جداً فى الرجال، وسفيان ثقة مطلقاً، والله أعلم» (١).

لكن كيف يجتمع هذا التهجم على يحيى بن سعيد القطان، مع تلك المناقب الجليلة والدرجات الرفيعة التى يذكرونها، له فى العلم والورع والإتقان، حتى قال أحمد بن حنبل: «ما رأيت مثله فى كل أحواله»؟

(١) ميزان الاعتدال - ترجمة سفيان بن عيينة ٢: ١٧٠ - ٣٣٢٧ / ١٧١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٥٨

وكيع بن الجراح ... ص: ٢٥٨

إشارة

وأما وكيع بن الجراح ... والذي قال اليافعي في حوادث سنة ١٩٧:

«وفيها توفي الإمام العالم أبو سفيان وكيع بن الجراح. روى عن الأعمش، قال أحمد: ما رأيت أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع ... وقال يحيى ابن أكنم: صحبت وكيعاً، وكان يصوم الدهر، ويختم القرآن كل ليلة. وقال أحمد: ما رأيت عيني مثل وكيع» (١).

له قوادح ... ص: ٢٥٨

وقد ذكرت له قوادح، وتكلم فيه بعض الأكابر منهم، ومن هنا، فقد أورده الذهبي في (الميزان) فقال:

«قال ابن المديني: كان وكيع يلحن، ولو حدثت بألفاظه لكانت عجباً.

كان يقول: ثنا شعبي عن عيشة، وسئل أحمد بن حنبل: إذا اختلف وكيع وعبدالرحمان ابن مهدي بقول من تأخذ؟ فقال: عبدالرحمن يوافق أكثر وخاصّة في سفيان، وعبدالرحمن يسلم منه السلف ويجتنب شرب المسكر، وكان لا يرى أن تزرع أرض الفرات. قال ابن المديني في التهذيب: وكيع كان فيه تشيع قليل. قال ابن حنبل: سمعت يحيى بن معين يقول: رأيت عند مروان بن معاوية لوحاً فيه فلان كذا وفلان رافضي، ووكيع رافضي، فقلت له:

(١) مرآة الجنان ١: ٣٥٠-٣٥١.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٢٥٩

وكيع خير منك. قال: متى؟ قلت: نعم، فما قال لي شيئاً، ولو قال شيئاً لو ثبت عليه أصحاب الحديث، فبلغ ذلك وكيعاً فقال: يحيى صاحبنا» (١).

وإنما نسب إلى الرفض، لأنه كان يتكلم في عثمان ولا يترحم عليه، ففي ترجمة الحسن بن صالح من (ميزان الاعتدال) وغيره:

«قال وكيع: هو عندي إمام. فقيل: إنه لا يترحم على عثمان. فقال:

أفترحم أنت على الحجّاج» (٢).

(١) ميزان الاعتدال ٤: ٣٣٦ / ٩٣٥٦.

(٢) ميزان الاعتدال - ترجمة الحسن بن صالح ١: ٤٩٩ / ١٨٦٩.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٢٦٠

عبدالرزاق بن همام ... ص: ٢٦٠

وأما عبدالرزاق بن همام ... فقد ذكرت له المناقب العظيمة والفضائل الجليلة في مختلف الكتب، نكتفي منها بما جاء في (مرآة الجنان) حيث قال اليافعي في حوادث السنة ٢١١:

«وفي السنة المذكورة: توفي الحافظ العلامة المرتحل إليه من الآفاق، الشيخ الإمام عبدالرزاق بن همام، اليمنى الصنعاني الحميري، صاحب المصنّفات، عن ست وثمانين سنة. روى عن: معمر وابن جريج والأوزاعي وطبقتهم. ورحل إليه الأئمة إلى اليمن. قيل: ما رحل

الناس إلى أحد بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ما رحلوا إليه. وروى عنه خلافتك من أئمة الإسلام، منهم: الإمام سفيان بن عيينة، والإمام يحيى بن معين، وإسحاق بن راهويه، وعلى بن المديني، ومحمود بن غيلان» (١).
وفي (ميزان الاعتدال):

«ج ع ج عبدالرزاق بن همام بن نافع، الإمام، أبوبكر، الحميري مولاهم، الصنعاني، أحد الأعلام الثقات. ولد سنة ١٢٦ وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة فقال: جالست معمر بن راشد سبع سنين، وقدم الشام بتجارة فحج، وسمع من ابن جريج وعبيدالله بن عمر وعبدالله بن سعيد بن أبي هند وثور بن يزيد والأوزاعي وخلق، وكتب شيئاً كثيراً، وصنف الجامع الكبير، وهو خزانه

(١) مرآة الجنان ٢: ٤٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٦١

علم، ورحل الناس إليه: أحمد وإسحاق ويحيى والذهلي والرمادي وعبد» (١).
ومع هذا كله، فقد تكلم فيه بعض الأئمة واتهمه غيره بالكذب!
قال الذهبي:

«أبو زرعة عبيدالله: حدثنا عبدالله المسندي قال: ودعت ابن عيينة فقلت: اريد عبدالرزاق، قال: أخاف أن يكون من الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا.

العقيلي: حدثني أحمد بن دكين ج زكير ج الحضرمي، ثنا محمد بن إسحاق بن يزيد البصري، سمعت مخلد الشعيري يقول: كنت عند عبدالرزاق، فذكر رجل معاوية، فقال: لا تقدر مجلسنا بذكر ولد أبي سفيان.

محمد بن عثمان الثقفي البصري قال: لما قدم العباس بن عبدالعزيز من صنعاء، من عند عبدالرزاق، أتينا فقال لنا ونحن جماعة: ألسنت قد تجشمت الخروج إلى عبدالرزاق ورحلت إليه وأقمت عنده؟ والذي لا إله إلا هو: إن عبدالرزاق كذاب» (... ٢).

(١) ميزان الاعتدال ٢: ٦٠٩ / ٥٠٤٤.

(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٦١٠ - ٦١١ / ٥٠٤٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٦٢

إسحاق بن راهويه ... ص: ٢٦٢

وأما إسحاق بن راهويه ... فإنه وإن كان من الأئمة الأعلام والمحدثين العظام، لكنه تغير في آخر عمره واختلط. قال في (الميزان):
«قال أبو عبيدالله الآجري: سمعت أبا داود يقول: إسحاق بن راهويه تغير قبل أن يموت بخمسة أشهر، وسمعت منه في تلك الأيام فرميت به».

قال:

«وذكر لشيخنا أبي الحجّاج حديث فقال: قيل: إسحاق اختلط في آخر عمره» (١).

(١) ميزان الاعتدال ١: ١٨٣ / ٧٣٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٦٣

روح بن عبادة ... ص: ٢٦٣

وأما روح بن عباد، وقد أثنى عليه جماعة من الأكابر كما في (تذهيب التهذيب) حيث قال: «روح بن عباد بن العلاء بن حسان القيسي، أبو محمد، البصري، أحد الحفاظ والرؤساء، عن حسين المعلم وابن عون وهشام بن حسان وحاتم بن أبي صغيرة وزكريا بن إسحاق وابن جريج وعوف الأعرابي وخلق كثير، وعنه: أحمد وابن راهويه وإسحاق الكوسج وإبراهيم الجوزجاني وعبد بن حميد وأبوبكر الصاغانى ويحيى بن أبي طالب، وخلائق من آخرهم الكديمي.»

قال الكديمي: سمعت علي بن المديني يقول: نظرت لروح بن عباد في أكثر من مائة ألف حديث، كتبت منها عشرة آلاف. قال يعقوب بن شيبه: كان روح أحد من تحمّل الحملات، وكان سرياً مرياً كثير الحديث جداً، صدوقاً، سمعت علي بن عبد الله يقول: من المحدثين قوم لا يزالوا في الحديث... فطلبوا ثم صنفوا ثم حدثوا، منهم روح بن عباد. وقال ابن معين: صدوق «١». وقال ابن حجر: «ثقة فاضل، له تصانيف» «٢».

(١) تذهيب التهذيب - مخطوط. وانظر تهذيب التهذيب ٣: ٢٥٣ / ٥٤٩.

(٢) تقريب التهذيب ١: ٢٤٩ / ٢١٤٣.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢٦٤

فإن القواريري تكلم فيه وأنكر عليه جملة من أحاديثه.

وقال أبو حاتم: لا يحتج به.

وقال النسائي: ليس بقوي.

وطعن فيه جماعة من الأئمة. قال الذهبي في (الميزان):

«روح بن عباد بن العلاء بن حسان البصري، القيسي، ثقة مشهور، حافظ، من علماء أهل البصرة. عن حسين المعلم وابن عون وخلق، وعنه:

أحمد وعبد بن حميد وأبوبكر الصاغانى وخلق.

وروى الكديمي عن ابن المديني قال: نظرت لروح في أكثر من مائة ألف حديث، كتبت منها عشرة آلاف.

وقال ابن معين وغيره: صدوق.

وتكلم فيه القواريري بلا حجة.

وقال ابن المديني: ذكر عبدالرحمان روح بن عباد فقلت: لا- تفعل، فإن هاهنا قوماً يحملون كلامك، فقال: أستغفر الله، ثم دخل فتوضأ، يذهب إلى أن الغيبة تنقض الوضوء.

وقيل: إن عبدالرحمان تكلم فيه، لكونه وهم في إسناد، فلا ضير.

وقال يعقوب بن شيبه: قال محمد بن عمر: قال يحيى بن معين: هذا القواريري يحدث عن عشرين شيخاً من الكذابين، ثم يقول: لا أحدث عن روح.

ثم قال يعقوب: وسمعت عقان لا يرضى أمر روح بن عباد، ثم بلغني عنه أنه قواه.

وقال أحمد بن الفرات: طعن على روح اثنا عشر رجلاً، فلم ينفذ قولهم فيه.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٦٥

وروى الكتاني عن أبي حاتم قال: لا يحتج به.

وقال س في العلل وفي الكنى: روح ليس بالقوى.

قلت: نعم، عبدالرحمان بن مهدي أقوى منه، وأما هو فصدوق صاحب حديث.

وقال يعقوب بن شيبة: كان روح أحد من يتحمل الحملات، وكان سرياً مريباً، صدوقاً، كثير الحديث جداً.

وقال ابن المديني: لم يزل روح في الحديث منذ نشأ.

قال علي: وكان ابن مهدي يطعن على روح وينكر عليه أحاديث ابن أبي ذئب عن الزهري مسائل، فلما قدمت على معن أخرجها لي

وقال: هي عند بصري لكم، سمعها معن، فأتيت عبدالرحمان فأخبرته فأحسبه قال: استحلّه لي.

قال يعقوب بن شيبة: سمعت ج عن ج عفاً ج أنه ج لا يرضى أمر روح بن عبادة.

وقال أبو عبيد الآجري: سمعت أبا داود يقول: أكثر ما أنكر القواريري على روح تسعمائه حديث، حدث بها عن مالك سماعاً.

مات روح سنة خمس ومائتين «١».

(١) ميزان الاعتدال ٢: ٥٨ - ٢٨٠٢ / ٦٠

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٦٦

عبد بن حميد ... ص: ٢٦٦

وأما عبد بن حميد، فإن فضائله ومكارمه مذكورة في (تذكرة الحفاظ) وغيره من الكتب «١».

لكن ابن تيمية وأتباعه لا يرتضونه، لأنه روى نزول قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» ... الآية،

في أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، كما في (الدر المنثور) بتفسيرها:

«أخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس في قوله: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الآية. قال:

نزلت في علي ابن أبي طالب «٢».

فقال ابن تيمية:

«أجمع أهل العلم بالنقل على أنها لم تنزل في علي بخصوصه».

ثم قال:

«وأما أهل العلم الكبار أصحاب التفسير، كمحمّد بن جرير الطبري وبقى بن مخلد وابن أبي حاتم وأبي بكر ابن المنذر وعبدالرحمن

بن إبراهيم وأمثالهم، فلم يذكروا فيها مثل هذه الموضوعات، دع من هو أعلم منهم مثل:

أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، بل لا يذكر مثل هذا عبد بن حميد ولا

(١) تذكرة الحفاظ ٢: ٨٩ / ٥٥١.

(٢) الدر المنثور ٣: ١٠٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٦٧

عبدالرزاق، مع أن عبدالرزاق كان يميل إلى التشيع، ويروي كثيراً من فضائل علي، وإن كانت ضعيفة، لكنه أجلّ قدرًا من أن يروي

مثل هذا الكذب الظاهر «١».

ومفهوم هذا الكلام أن «عبد بن حميد» ليس من أهل العلم الكبار أصحاب التفسير، بل ليس من صغارهم، لأن إخراج مثل هذا الحديث ليس من شأن العلماء...
 لكن ابن تيمية في هذا الكلام ينكر أن يكون ابن جرير مثلاً من رواة هذا الحديث، سبحانه اللهم هذا بهتان عظيم... فقد عرفت من كلام السيوطي روايته، وكذا روايته ابن أبي حاتم...

(١) منهاج السنة ٤: ٥-٦، باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٦٨

سنيد بن داود ... ص: ٢٦٨

وأما سنيد، فإنه وإن ذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن أبي حاتم: صدوق. لكن تكلم فيه غير واحد من الأئمة الأعلام. قال الذهبي في (الميزان):

«سنيد بن داود المصيصي المحتسب، واسمه الحسين، عن حماد بن زيد وهشيم والطبقة، حافظ له تفسير، وله ما ينكر. أنبأنا ابن علان، أنا الكندي، عن القزاز، أنا الخطيب، أنا ابن شاذان، ثنا أبوسهل القطان، ثنا عبدالكريم بن الهيثم، ثنا سنيد، نا فرج بن فضالة عن، معاوية بن صالح، عن نافع قال: سرت مع ابن عمر فقال: طلعت الحمراء؟ قلت: لا. ثم قلت: قد طلعت. فقال: لا مرحباً بها ولا أهلاً. قلت: سبحان الله نجم سامع مطيع. قال: ما قلت إلّما سمعت من رسول صلى الله عليه وسلم أن الملائكة قالت: يا رب! كيف صبرك على بني آدم؟ قال: إني ابتليتهم وعافيتكم. قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك. قال: فاخترنا ملكين منكم، فاخترنا هاروت وماروت، فنزلا، فألقى الله عليهما الشهوة، فجاءت امرأة يقال لها الزهرة، وذكر الحديث بطوله.

روى عنه أبو زرعة والأثرم وجماعة.

صدقه أبو حاتم.

وقال أبو داود: ولم يكن بذاك.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٦٩

وقال النسائي: الحسين بن داود ليس بثقة.

توفي سنيد سنة ست وعشرين ومائتين» (١).

وقال ابن حجر:

«ضعيف، مع إمامته ومعرفته، لكونه كان يلحق حجاج بن محمد شيخه» (٢).

بل إن السيوطي ذكر في (اللاكي المصنوعة) تضعيف أبي داود والنسائي له، نقلًا عن كتاب الموضوعات لابن الجوزي.

(١) ميزان الاعتدال ٢: ٢٣٦ / ٣٥٦٧.

(٢) تقريب التهذيب ١: ٣٢٣ / ٢٩٢٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٧٠

ابن أبي شيبة ... ص: ٢٧٠

وأما أبو بكر ابن أبي شيبة، فمناقبه وفضائله أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر، قال المناوي في (فيض القدير):
«ابن أبي شيبة، الحافظ الثبت العديم النظر، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، صاحب المسند والأحكام والتفسير وغيرها... وعنه:

الشيخان وأبو داود وابن ماجه وخلق» (١).

لكنه لما روى تهديد عمر بن الخطاب فاطمة الزهراء بنت رسول الله وبضعت، الصديقة الطاهرة، بإحراق بيتها بمن فيه، فقد قدح فيه وجرحه ابن روزبهان وبعض المتعصبيين من أمثاله.
*** أقول:

هذا بعض الكلام على أئمة التفسير الذين ذكرهم السيوطي.

وقد رأينا من اللازم التعرض لحال جمع آخر من أئمة التفسير من الطبقة الثانية والطبقة الثالثة، الذين لم يذكرهم السيوطي، تمييزاً للبحث وتكميلاً للمرام...

(١) فيض القدير في شرح الجامع الصغير ١: ٢٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٧١

ابن شهاب الزهري ... ص: ٢٧١

فمنهم: الزهري ... وصفه الشيخ عبدالحق الدهلوي في كتاب (تحصيل الكمال في أسماء الرجال) ب «الإمام، أحد الفقهاء والمحدثين، والعلماء الأعلام من التابعين بالمدينة، المشار إليه في فنون الشريعة» (١) وإليه نسب الأعراس الواسطي تفسيرا أهل السنة، نافية رجوعهم في تفسير القرآن إلى أمير المؤمنين (٢) ...»
إلا أن الدهلوي قال بعد ذلك بترجمته:

«ويقال: إنه قد ابتلى بصحبة الامراء بقلمه الديانة، لضرورات عرضت له، وكان أقرانه من العلماء والزهاد يأخذون عليه وينكرون ذلك منه، وكان يقول:

أنا شريك في خيرهم دون شرهم، فيقولون: ألا ترى ما هم فيه وتسكت؟».

وهنا يناسب أن نورد كلام ابن الجوزي في ذم صحبة الامراء والسلاطين، فإنه قال في (تلبس إبليس):

«ومن تلبس إبليس على الفقهاء: مخالطتهم للامراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم، مع القدرة على ذلك، وربما رخصوا لهم ما لا رخصة فيه، لينالوا من دنياهم، فيقع بذلك الفساد لثلاثة: الأول: الأمير، فيقول:

لولا أنني على صواب لأنكر على الفقهاء، وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من

(١) تحصيل الكمال / رجال المشكاة.

(٢) رسالة الأعراس الواسطي - مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٧٢

مالي؟ والثاني: العامي، فإنه يقول: لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله، فإن فلاناً الفقيه لا يزال عنده. والثالث: الفقيه، يفسد دينه بذلك» (١).

وقال الغزالي في (إحياء العلوم) في علامات علماء الآخرة:

«ومنها: أن يكون منقبضاً عن السلاطين، فلا يدخل عليهم البتة، مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلاً، بل ينبغي أن يحترز من مخالطتهم وإن جاؤوا إليه، فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين، والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم، مع أنهم ظلمة، ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم بإظهار ظلمهم وتقيح فعلهم، فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجهلهم، فيزدرى نعمه الله عليه، أو يسكت عن الإنكار عليهم، فيكون مدهاناً لهم، أو يتكلف في كلامه كلاماً لمرضاتهم وتحسين أحوالهم، وذلك هو البهت الصريح، أو يطمع في أن ينال من دنياهم، وذلك هو السحت، وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الأدرار والجوائز وغيرها.

وعلى الجملة، فمخالطتهم مفتاح الشر، وعلماء الآخرة طريقتهم الإحتياط، وقد قال صلى الله عليه وسلم: من بدى جفا، يعنى من سكن البادية جفا، ومن أتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن.

وقال صلى الله عليه وسلم: سيكون عليهم امراء تعرفون منه وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضى وتابع أبعده الله تعالى. قيل: أفلا نقاتلهم؟ قال صلى الله عليه وسلم: لا، ما صلوا.

وقال سفيان: في جهنم واد، لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك.

(١) تلييس ابليس: ١٤٠، مع بعض الاختلاف في الألفاظ.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٧٣

وقال حذيفة رضى الله عنه: إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما هي؟ قال:

أبواب الامراء، يدخل أحدكم على الأمير، فيصدقه بالكذب ويقول له ما ليس فيه.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: العلماء امناء الرسل على عباد الله تعالى، ما لم يخالطوا السلطان، فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل، فاحذروهم واعتزلوهم.

وقيل للأعمش: قد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك. فقال: لا تعجلوا، ثلث يموتون قبل الإدراك، وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شرّ الخلق، والثلث الباقي لا يفلح منهم إلا القليل.

ولذلك قال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه، فإنه لص.

وقال الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله عز وجل من عالم يزور عاملاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: شرار العلماء الذين يأتون الامراء، وخيار الامراء الذين يأتون العلماء.

وقال مكحول الدمشقي: من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم أصحب السلطان تملقاً إليه وطمعاً في يديه، خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه.

وقال سحنون: ما أقبح بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسئل عنه فيقال: إنه عند الأمير.

قال: وكنت أسمع أنه يقال: إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم، حتى جربت ذلك، إذ ما دخلت قط على السلطان إلا ما رأيت نفسى بعد الخروج، وأنتم تعلمون وترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٧٤

وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن أنجو من الدخول كفافاً، مع أنني لا آخذ منه شيئاً ولا أشرب لهم شربة ماء.

قال: وزماننا هذا شر من علماء بنى إسرائيل، يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه، ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستقلهم، فكره دخولهم عليه، وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم.

وقال الحسن: كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الإسلام وصحبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم - قال عبد الله بن المبارك: عنى به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - وكان يغشى السلاطين، ففقد عنهم، فقال له بنوه:

يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الإسلام، فلو أتيتهم.

فقال: بنى! إن الدنيا جيفة وقد أحاط بها قوم، والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها. قالوا: يا أبانا! إذا تهلك هزلاً. قال: يا بنى! لأن أموت مؤمناً مهزولاً، أحب إلي من أن أموت منافقاً سميناً.

قال الحسن رحمه الله تعالى: خصمهم والله، إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان، وفي هذا إشارة إلى أن الدخول على السلطان لا يسلم فيه أحد من النفاق البتة، وهو مضاد للإيمان.

وقال أبوذر لسلمة: يا سلمة! لا تغش أبواب السلاطين، فإنك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك أفضل منه.

وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم، لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو، إذ لا يزال الشيطان يلقي إليه أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع، إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٢٧٥

ويداهن، ويخوض في الثناء والإطراء، وفيه هلاك الدين.

وكان يقال: العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا.

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى الحسن رحمه الله تعالى: أما بعد؛ فأشر على بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى. فكتب إليه: أما أهل الدين فلن يريدوك، وأما أهل الدنيا فلن تريدهم، ولكن عليك بالأشراف، فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة.

هذا في عمر بن عبدالعزيز، وكان أزهدهم أهل زمانه، فإذا كان شرط أهل الدين الهرب منه، فكيف يستتب طلب غيره ومخالطته، ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام، إنما لميلهم إلى الدنيا أو لمخالطتهم السلاطين، حتى قال بعضهم لو قيل: من أحقق الناس، لأخذت بيد القاضي وقلت: هذا «١».

(١) إحياء علوم الدين ١: ٦٨ - ٦٩.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٢٧٦

جويبر بن سعيد ... ص: ٢٧٦

ومنهم: جويبر بن سعيد، وهو من رجال ابن ماجه، ومن أئمة التفسير عندهم.

قال الذهبي بترجمته من (ميزان الاعتدال):

«جويبر بن سعيد، أبو القاسم الأزدي البلخي، المفسر، صاحب الضحاك:

قال ابن معين: ليس بشيء.

وقال الجوزجاني: لا يشتغل به.

وقال النسائي والدارقطني وغيرهما: متروك الحديث.

قلت: له عن أنس شيء، وروى عنه حماد بن زيد بن أسلم وابن المبارك ويزيد بن هارون وطائفة.

أبو مالك: عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً قال: تجب الصلاة على الغلام إذا عقل والصوم إذا أطاق.

ويروى عن جويبر عن الضحّاك عن ابن عبّاس حديث: من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبداً. قال أبو قدامة السرخسى: قال يحيى القطان: تساهلوا فى أخذ التفسير عن قوم لا يتقونهم فى الحديث، ثم ذكر ليث بن أبى سليم وجويبراً والضحّاك ومحمّد بن السائب وقال: هؤلاء لا يحمّد حديثهم، ويكتب التفسير عنهم» (١).

(١) ميزان الاعتدال ١: ٤٢٧ / ١٥٩٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٧٧
وفى (تقريب التهذيب):
«ضعيف جداً» (١).

(١) تقريب التهذيب ١: ١٣٩ / ١٠٨٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٧٨

أبو صالح باذام ... ص: ٢٧٨

ومنهم: أبو صالح باذام، وهو من رجال السنن الأربعة، وذكروا له فضائل. ولكن أوردته الذهبى فى (ميزان الإعتدال) ونقل الكلمات فى قدحه وجرحه فقال ما نصّه: «باذام أبو صالح، تابعى، ضعّفه البخارى، وقال النسائى: باذام ليس بثقة، وقال ابن معين: ليس به بأس، وقال ابن عدى: عامية ما يرويه تفسير.

قلت: روى عن مولاته ام هانى وأخيها على وأبى هريرة.

وعنه: مالك بن مغول وسفيان الثورى وابن اخته عمّار بن محمّد.

وقال يحيى القطان: لم أر أحداً من أصحابنا ترك أباصالح مولى ام هانى.

وقال محمّد بن قيس عن حبيب بن أبى ثابت: كنّا نسمّى أباصالح باذام مولى ام هانى دروغزن.

وقال زكريا بن أبى زائدة: كان الشعبى يمرّ بأبى صالح فيأخذ باذنه فيهرّها ويقول: ويلك، تفسّر القرآن وأنت لا تحفظ القرآن!؟

وقال إسماعيل بن أبى خالد: كان أبو صالح يكذب، فما سألته عن شىء إلّا فسّره لى.

وروى ابن إدريس عن الأعمش قال: كنّا نأتى مجاهداً فمّر على أبى صالح وعنده بضعة عشر غلاماً ما نرى أنّ عنده شيئاً.

ابن المدينى: سمعت يحيى بن سعيد يذكر عن سفيان قال: قال الكلبى

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٧٩

قال لى أبو صالح: كلّ ما حدّثتك كذب.

وروى مفضّل بن مهلهل عن مغيرة قال: إنّما كان أبو صالح صاحب الكلبى يعلم الصبيان، وضعّف تفسيره.

وقال ابن معين: إذا روى عنه الكلبى فليس بشىء. وقال عبدالحق فى أحكامه: ضعيف جداً، فأنكر هذه العبارة عليه أبو الحسن ابن القطان» (١).

وفى (الميزان) أيضاً:

«أبو صالح مولى ام هانى، اسمه باذام، تركه ابن مهدي وقوّاه غيره، وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوى عندهم. وانتصر له يحيى القطان وقال: لم أر أحداً من أصحابنا تركه، وما سمعنا أحداً يقول فيه شيئاً» (٢).

(١) ميزان الاعتدال ١: ٢٩٦ / ١١٢١.

(٢) ميزان الاعتدال ٤: ٥٣٨ / ١٠٣٠٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٨٠

ليث بن أبي سليم ... ص: ٢٨٠

ومنهم: ليث بن أبي سليم، وقد وصفه بعضهم بمحامد كثيرة ومناقب غزيرة، لكن غير واحد من أعلامهم تكلم فيه وجرحه، فقد قال الذهبي في (ميزان الاعتدال):

«ليث بن أبي سليم الكوفي اللثي، أحد العلماء.

قال أحمد: مضطرب الحديث لكن حدث عنه الناس.

وقال يحيى والنسائي: ضعيف.

وقال ابن معين أيضاً: لا بأس به.

وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره.

وقال الدارقطني: كان صاحب سنه، إنما أنكروا عليه الجمع بين عطاء وطاوس ومجاهد حسب.

وقال عبدالوارث: كان من أوعية العلم.

وقال أبو بكر ابن عياش: كان ليث من أكثر الناس صلاة وصياماً.

قلت: حدث عنه شعبة وابن علية وأبو معاوية والناس.

وقال ابن إدريس: ما جلست إلى ليث إلا سمعت منه ما لم أسمع منه.

وقال عبدالله بن أحمد: حدثنا أبي قال: ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأياً في أحد منه في ليث ومحمد بن إسحاق وهمام، لا يستطيع أحد أن يراجعهم فيهم.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٨١

وقال ابن معين: ليث أضعف من عطاء بن السائب» (١).

وفي (تذهيب التهذيب):

«قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: ليث بن أبي سليم مضطرب الحديث، ولكن حدث عنه الناس.

وقال أيضاً: سمعت أبي يقول: ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأياً في أحد منه في ليث ومحمد بن إسحاق وهمام، لا يستطيع أحد أن يراجعهم فيهم.

وقال أيضاً: سمعت عثمان بن أبي شيبة قال: سألت جريراً عن ليث وعن عطاء بن السائب وعن يزيد بن أبي زياد فقال: كان يزيد أحسنهم استقامة في الحديث، ثم عطاء وكان ليث أكثر تخليطاً.

قال عبدالله: وسألت أبي عن هذا فقال: أقول كما قال جريير.

وقال أيضاً: قلت ليحيى بن معين: ليث بن أبي سليل أضعف من يزيد ابن أبي زياد وعطاء بن السائب؟ قال: نعم.

وقال لي يحيى مرة أخرى: ليث أضعف من يزيد بن أبي زياد، ويزيد فوقه في الحديث.

وقال معاوية بن صالح: عن يحيى بن معين: ليث بن أبي سليم ضعيف إلا أنه يكتب حديثه.

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: حدثنا يحيى بن معين، عن يحيى بن سعيد القطان أنه كان لا يحدث عن ليث بن أبي سليم.

وقال علي بن المديني: سمعت يحيى يقول: مجالد أحب إلي من ليث وحجاج بن أرقطه.

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٤٢٠ - ٤٢١ / ٦٩٩٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٨٢

وقال أيضاً: قلت لسفيان: إن ليث روى عن طلحة بن مصرف عن أبيه عن جدّه رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوضّأ، فأنكر ذلك سفيان وعجب منه أن يكون جدّه طلحة لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال أبو معمر القطيعي: كان ابن عيينة يضعف ليث بن أبي سليم.

وقال علي بن محمّد الطنافسي: سألت وكيعاً عن حديث من حديث ليث بن أبي سليم، فقال: ليث كان سيفاً لا يسعى ليثاً.

وقال محمّد بن خلف التيمي عن قبيصة قال شعبة لليث بن أبي سليم:

أتى اجتمع لك عطاء وطاوس ومجاهد؟ فقال: إذ أبو ك يضرب بالخف ليله عرسه.

قال قبيصة: فقال رجل كان جالساً لسفيان: فما زال شعبة مبغضاً لليث منذ يومئذ.

وقال- أي عبدالرحمان بن أبي حاتم-: سمعت أبي وأبازرعه يقولان:

ليث لا يشتغل به، هو مضطرب الحديث.

وقال أيضاً: سمعت أبازرعه يقول: ليث بن أبي سليم لئن الحديث، لا يقوم به الحجّة عند أهل العلم بالحديث» (١).

(١) تذهيب التهذيب - مخطوط. تهذيب التهذيب ٨: ٤١٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٨٣

عبدالله بن أبي نجیح ... ص: ٢٨٣

ومنهم: عبدالله بن أبي نجیح، وقد قال الذهبي بأنّه من الأئمّة الثقات، وعن ابن المديني كونه من المحدّثين الأثبات ...

لكن البخاري نسب إليه القول بالقدر، وعن ابن المديني الجزم بكونه من القدرية. قال الذهبي:

«عبدالله بن أبي نجیح المكي صاحب التفسير، أخذ عن مجاهد وعطاء، وهو من الأئمّة الثقات.

وقال يحيى القطان: لم يسمع التفسير كلّ من مجاهد، بل كلّ عن القاسم بن أبي بزة.

وقال العقيلي: ثنا آدم بن موسى: سمعت البخاري قال: عبدالله بن أبي نجیح كان يتهم بالإعتزال والقدر.

وقال ابن المديني: كان يرى الإعتزال.

وقال أحمد: أفسدوه بآخره وكان جالس عمرو بن عبيد.

وقال علي: سمعت القطان يقول: ابن أبي نجیح من رؤوس الدعاة.

وقال ابن المديني أيضاً: أمّا الحديث فهو فيه ثقة، وأمّا الرأي، فكان قدرياً معتزلياً، وقد ذكره الجوزجاني فيمن رمى بالقدر هو وزكريّا

بن إسحاق وشبل بن عباد وابن أبي ذئب وسيف بن سليمان» (١).

(١) ميزان الاعتدال ٢: ٥١٥ / ٤٦٥١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٨٤

هذا، وقد ذكر في (الميزان) نقلًا عن النسائي أنه كان يدلس.

وكذا في (تقريب التهذيب) «١».
وقد تقدّم بعض الكلام في ذمّ القدرية وذمّ التدليس. ولا نعيد.

(١) انظر تقريب التهذيب ١: ٤٢٧ / ٤٠٦١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢٨٥

عيسى بن ميمون ... ص: ٢٨٥

ومنهم: عيسى بن ميمون، الذي وثّقه، ولكن قالوا: إلّا أنه يرى القدر.
ففي (ميزان الاعتدال):

«عيسى بن ميمون، أبو موسى المكي، الجرشي المعروف بابن دايم، له تفسير صغير، أخذ عن مجاهد وقيس بن سعد وابن أبي نجيح.
روى عنه ابن عيينة وأبو عاصم، وقرأ القرآن عن ابن كثير.
وثّقه أبو حاتم وأبو داود وزاد: إلّا أنه يرى القدر.
وقال ابن معين: ليس به بأس» «١».

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٣٢٧ / ٦٦١٩.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢٨٦

مقاتل بن حيان ... ص: ٢٨٦

ومنهم: مقاتل بن حيان، وقد وثّقه غير واحدٍ من الأئمة، لكنّ نسبه بعضهم إلى الكذب، وحاول الذهبي تبرأته، وقال بعضهم: لا أحتجّ
به، وهذا نصّ ما جاء في (الميزان):

«مقاتل بن حيان، أبو بسطام البلخي، الخراساني الخراز، أحد الأعلام.

روى عن الضحاك ومجاهد وعكرمة والشعبي وشهر بن حوشب وخلق، وعنه:

ابن المبارك وبكير بن معروف وعيسى غنجار وآخرون. وروى عنه من شيوخه علقمة بن مرثد، وذلك في صحيح مسلم.
وكان عابداً كبير القدر صاحب سنّة وصدق، هرب أيام أبي مسلم الخراساني إلى كابل، ودعا خلقاً إلى الإسلام فأسلموا.
وثّقه يحيى بن معين وأبو داود وغيرهما.

وقال النسائي: ليس به بأس.

وقال أبو الفتح الأزدي: سكتوا عنه.

ثمّ ذكر أبو الفتح عن وكيع أنّه قال: ينسب إلى الكذب، كذا قال أبو الفتح، وأحسبه التيس عليه مقاتل بن حيان بمقاتل بن سليمان، فابن
حيان صدوق قوى الحديث، والذي كذّبه وكيع فابن سليمان.

ثمّ قال أبو الفتح: ثنا أبو يعلى الموصلي، ثنا عثمان بن أبي شيبة، عن حميد الرؤاسي، عن الحسن بن صالح، عن هارون أبي محمّد، عن
مقاتل،

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢٨٧

عن قتادة، عن أنس مرفوعاً قال: قلب القرآن يس، فمن قرأها كتب الله له بقراءة قراءتها القرآن عشر مرّات.

قلت: الظاهر أنه مقاتل بن سليمان، وقد جاء توثيق يحيى بن معين لابن حيان من وجوه عنه.

وقال فيه الدارقطني: صالح الحديث.

نعم، أما ابن خزيمة فقال: لا أحتج بمقاتل بن حيان.

قلت: مات قبل الخمسين ومائة فيما أرى» (١).

(١) ميزان الاعتدال ٤: ١٧١-١٧٢ / ٨٧٣٩.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٢٨٨

مقاتل بن سليمان ... ص: ٢٨٨

ومنهم: مقاتل بن سليمان، الذي قيل: إنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عيال عليه في التفسير، ووصفه الأعلام بالأوصاف الجليلة» (١).

لكنَّ تفسيره مشحون بالأخبار المصنوعة والآثار الموضوعية، بل إنَّه متَّخذ من اليهود والنصارى.

وكان هو من المشبَّه الذين يشبَّهون الباري تعالى بالمخلوقين.

ومنهم من نسبه إلى الكذب ...

وقد جاء التصريح بهذه الأضاليل في تراجمه على لسان الأكابر، ففي (ميزان الاعتدال) ما نصّه:

«قال أبو حنيفة: أفرط جهم في نفى التشبيه حتَّى قال إنَّه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل - يعني في الإثبات - حتَّى جعله مثل خلقه.

وقال وكيع: كان كذاباً.

وقال البخاري: قال سفيان بن عيينة: سمعت مقاتلاً يقول: إنَّ لم يخرج الدجال في سنة خمسين ومائة فاعلموا أنَّي كذاب.

وقال الجوزجاني: كان دجالاً جسوراً.

وقال ابن حيان: كان يأخذ عن اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يشبَّه الربَّ بالمخلوق، وكان يكذب في

الحديث.

(١) ميزان الاعتدال ٤: ١٧٣ / ٨٧٤١.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٢٨٩

وقال أبو معاذ الفضل بن خالد المروزي: سمعت خارجة بن مصعب يقول: لم أستحل دم يهودي، ولو وجدت مقاتل بن سليمان خلوةً

لشقت بطنه» (١).

وفي (تنزيه الشريعة):

«مقاتل بن سليمان البلخي المفسر: كذاب، وهو من المعروفين بوضع الحديث» (٢).

وفي (تاريخ بغداد):

«قال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي: أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظير - يعني في البدعة والكذب -: جهم بن صفوان

وعمر بن صبيح ومقاتل بن سليمان.

وروى أبو يوسف أنه قال: بخراسان صنفان ما على الأرض أبغض إليَّ منهما: المقاتليَّة والجهميَّة» (٣).

فهذا حال من كلِّ النَّاسِ عيال عليه في التفسير، وهذا حال تفسيره ...

(١) ميزان الاعتدال ٤: ١٧٣ - ١٧٥ / ٨٧٤١.

(٢) تنزيه الشريعة الغراء ١: ١١٩.

(٣) تاريخ بغداد ١٣: ١٦٤ / ٧١٤٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٩٠.

السدى الكبير ... ص: ٢٩٠

ومنهم: السدى الكبير، أخرج عنه مسلم والأربعة، وأثنى عليه العلماء وعلى تفسيره:

وقال السيوطي:

«قال أبو بكر ابن أبي إدريس: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالئة، وبعده سعيد بن جبير، وبعده السدى، وبعده سفيان الثورى» (١).

وقال اليافعى:

«الإمام السدى المفسر الكوفى المشهور» (٢).

وقال الذهبى:

«قال ابن عدى: هو عندى مستقيم الحديث، صدوق» (٣).

وقال السمعانى:

«والمشهور بهذه النسبة: إسماعيل بن عبدالرحمان بن أبى ذئب وقيل:

ابن أبى كريمة السدى الأعور، مولى زينب بنت قيس بن مخزوم، من بنى عبد مناف، حجازى الأصل، سكن الكوفة، يروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه وعبد خير وأبى صالح، وقد رأى ابن عمر رضى الله عنهما، وهو السدى

(١) تدريب الراوى ٢: ٤٠٠.

(٢) مرآة الجنان ١: ٢١١ السنة ١٢٧.

(٣) تذهيب التهذيب - مخطوط. تهذيب التهذيب ١: ٢٧٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٩١.

الكبير، ثقة مأمون.

روى عنه: الثورى وشعبة وزائدة وسماك بن حرب وإسماعيل بن أبى خالد وسليمان التيمى.

ومات سنة سبع وعشرين ومائة، فى إمارة ابن هبيرة.

وكان إسماعيل بن أبى خالد يقول: السدى أعلم بالقرآن من الشعبى.

قال أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ: إسماعيل بن عبدالرحمان السدى، يكنى أبا محمّد، صاحب التفسير، وإنما سُمى السدى لأنه نزل بالسدة، وكان أبوه من كبار أهل إصبهان، توفى سنة سبع وعشرين ومائة، فى ولاية بنى مروان.

روى عن أنس بن مالك، وأدرك جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، منهم: سعد بن أبى وقاص وأبو سعيد الخدرى وابن عمر وأبو هريرة وابن عباس.

حدّث عنه: الثورى وشعبة وأبو عوانة والحسن بن صالح.

قال ابن أبى حاتم: إسماعيل بن عبدالرحمان السدى الأعور، مولى زينب بنت قيس بن مخزوم، أصله حجازى، يعدّ فى الكوفيين، وكان

شريك يقول: ما ندمت على رجل لقيته أن لا أكون كتبت كل شيء لفظ به، إلا السدي.
قال يحيى بن سعيد: ما سمعت أحداً يذكر السدي إلا بخير، وما تركه أحد» (١).
وفي (الإتقان) نقلًا عن الحلبي في الإرشاد:

(١) الأنساب ٣: ٢٣٨ - ٢٣٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٩٢

«وتفسير إسماعيل السدي يورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس.

وروى عن السدي الأئمة مثل: الثوري وشعبة، لكن التفسير الذي جمعه رواه عنه أسباط بن نصر، وأسباط لم يتفقوا عليه، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي» (١).

ومع ذلك كله... فإليك بعض الكلمات في جرحه والظعن عليه في كتبهم:
ففي (الميزان):

«إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمه، السدي، الكوفي. عن أنس وعبدالله البهي وجماعه. وعنه: الثوري وأبو بكر ابن عياش وخلق.
ورأى أباهريه.

قال يحيى بن القطان: لا بأس به.

وقال أحمد: ثقة.

وقال ابن معين: في حديثه ضعف.

وقال أبو حاتم: لا يحتج به.

وقال ابن عدي: هو عندي صدوق.

وروى شريك عن سلم بن عبدالرحمن قال: مر إبراهيم النخعي بالسدي وهو يفسر لهم القرآن فقال: أما إنه يفسر تفسير القوم.

قال عبدالله بن حبيب بن أبي ثابت: سمعت الشعبي وقيل له إن إسماعيل السدي قد اعطى حظًا من علم القرآن. فقال: قد اعطى حظًا من جهل بالقرآن.

وقال الفلاس عن ابن مهدي: ضعيف.

(١) الإتقان في علوم القرآن ٤: ٢٣٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٩٣

وقال الجوزجاني عن معتمر عن ليث قال: كان بالكوفة كذابان، فمات أحدهما: السدي والكلبي» (١).
وفي (الكاشف):

«قال أبو حاتم: لا يحتج به» (٢).

وفي هامشه للبدخشي:

«قال السدي: هو كذاب شتام.

وقال أبو زرعة: لئين» (٣).

(١) ميزان الاعتدال ١: ٢٣٦ - ٢٣٧ / ٩٠٧.

(٢) الكاشف عن أسماء رجال الكتب الستة ١: ٣٩٤ / ٧٩.

(٣) الحاشية على الكاشف - مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٩٤

محمد بن السائب الكلبى ... ص: ٢٩٤

ومنهم: محمد بن السائب الكلبى «صاحب التفسير وعلم النسب، كان إماماً فى هذين العلمين» (١).

وأخرج عنه الترمذى وغيره من كبار الأعلام (٢).

وقال ابن عدى:

«وللكلبى غير ما ذكرت أحاديث صالحه، خاصيه عن أبى صالح، وهو معروف بالتفسير، وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع منه، وبعده مقاتل بن سليمان، إلا أن الكلبى يفضل على مقاتل بن سليمان، لما قيل فى مقاتل من المذاهب الرديئه.

وحدّث عن الكلبى الثورى وشعبه، وإن كانا حدّثا عنه بالشىء اليسير غير المسند، وحدّث عنه: ابن عيينه وحماد بن سلمه وهشيم وغيرهم من ثقات الناس، ورضوه فى التفسير «...» (٣).

«وقال الحسن بن عثمان القاضى: وجدت العلم بالعراق والحجاز ثلاثه:

علم أبى حنيفه وتفسير الكلبى ومغازى محمد بن إسحاق» (٤).

وقال البزدوى:

(١) وفيات الأعيان ٤: ٣٠٩ / ٦٣٤.

(٢) تهذيب التهذيب ٩: ١٥٧.

(٣) تهذيب الكمال ٢٥: ٢٥١ - ٢٥٢ / ٥٢٣٤.

(٤) تاريخ بغداد ١٣: ٣٤٧ / ٧٢٩٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٩٥

«ليس من اتهم بوجه ما يسقط به كل حديثه، مثل الكلبى وأمثاله» «...» (١).

فقال شارحه بشرح هذه الجملة:

«قوله: مثل الكلبى. هو أبو سعيد محمد بن السائب الكلبى صاحب التفسير ويقال له أبوالنضر أيضاً، طعنوا فيه بأنه يروى تفسير كل آية عن النبى صلى الله عليه وسلم، وتسمى زوائد الكلبى، وبأنه روى حديثاً عند الحجاج، فسأله عمّن يرويه، فقال: عن الحسن بن على

رضى الله عنهما، فلما خرج قيل له: هل سمعت ذلك من الحسن؟ فقال: لا، ولكنى رويت عن الحسن غيظاً له.

وذكر فى الأنساب أن الثورى ومحمد بن إسحاق يرويان عنه ويقولان:

حدّثنا أبوالنضر، حتى لا يعرف.

قال: وكان الكلبى سبائياً من أصحاب عبدالله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم يمت، وأنه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة، فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وإذا رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها، والرعد صوته، والبرق سوطه، حتى تبرأ واحد منهم

وقال:

ومن قوم إذا ذكروا علياً يفضّلون الصلاة على السحاب

مات الكلبى سنة ست وأربعين ومائة.

وأمثاله: مثل عطاء بن السائب وربيعة بن عبد الرحمن وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم، اختلطت عقولهم فلم تُقبل رواياتهم التي بعد الإختلاط، وقبلت الروايات التي قبله.

فإن قيل: ما نقل عن الكلبي يوجب الطعن عاماً، فينبغي أن لا تقبل

(١) اصول الفقه (متن كشف الأسرار) ٣: ٧٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٩٦
رواياته جميعاً.

قلنا: إنما يوجب ذلك إذا ثبت ما نقلوا عنه بطريق القطع، فأما إذا اتهم به، فلا يثبت حكمه في غير موضع التهمة، وينبغي أن لا يثبت في موضع التهمة أيضاً، إلا أن ذلك يورث شبهة في الثبوت، وبالشبهة تردّ الحجّة ويتنفى ترجّح الصدق في الخبر، فلذلك لم يثبت. أو معناه ليس كل من اتهم بوجه ساقط الحديث، مثل الكلبي وعبد الله بن لهيعة والحسن بن عماره وسفيان الثوري وغيرهم، فإنه قد طعن في كل واحد منهم بوجه، ولكن علو درجتهم في الدين وتقدم رتبهم في العلم والورع، منع من قبول ذلك الطعن في حقهم ومن ردّ حديثهم به، إذ لو ردّ حديث أمثال هؤلاء بطعن كل أحد، انقطع طريق الرواية واندرس الأخبار، إذ لم يوجد بعد الأنبياء عليهم السلام من لا يوجد فيه أدنى شيء مما يجرح، إلا من شاء الله تعالى، فلذلك لم يلتفت إلى مثل هذا الطعن، فيحمل على أحسن الوجوه، وهو قصد الصيانة كما ذكر «١».

وقال القاضي العامري في كتاب (الناسخ والمنسوخ):

«قد خرّجت هذا من التفاسير التي سمعتها من الأئمة رحمهم الله، منها ما سمعت من الأستاذ الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفرايني رحمه الله، مثل تفسير مقاتل بن سليمان والحلبي والكلبي... ولم أعتد إلا بما صحّ عندي بتواتر واستفاضه، أو روى في الصحاح بغير طعن الطاعن، والله الموفق لذلك» «٢».

لكن العجب، أن أئمة القوم يطعنون في الكلبي وتفسيره، فمنهم من

(١) كشف الأسرار - شرح اصول البزدوى ٣: ٧٢-٧٣.

(٢) الناسخ والمنسوخ للقاضي العامري - مقدّمه الكتاب.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٩٧

يقول هو كاذب، ومنهم من ينادى بضالته وإلحاده، ومنهم من يحرم أن يُنظر في تفسيره...

قال الذهبي في (ميزان الاعتدال):

«قال أحمد بن زهير لأحمد بن حنبل: يحلّ النظر في تفسير الكلبي؟

قال: لا.

عبّاس عن ابن معين قال: الكلبي ليس بثقة.

وقال الجوزجاني وغيره: كذاب.

وقال الدارقطني وجماعة: متروك.

وقال ابن حبان: مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه، أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه» «١».

وفي (تذكرة الموضوعات):

«قد قال أحمد في تفسير الكلبي: من أوله إلى آخره كذب، لا يحلّ النظر فيه» «٢».

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٥٥٨ - ٥٥٩ / ٧٥٧٤.

(٢) تذكرة الموضوعات: ٨٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٩٨

على بن أبي طلحة ... ص: ٢٩٨

ومنهم: على بن أبي طلحة، وهو من رواة تفسير ابن عباس، ووصف السيوطي نسخته بالجودة، وأورد كلاماً لأحمد في الاعتماد عليه، قال في (الإتقان):

«وقد ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرة، وفيه روايات وطرق مختلفة، فمن جيدها طريق على بن أبي طلحة الهاشمي عنه. قال أحمد بن حنبل: بمصر صحيفة في التفسير، رواها على بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً. أسنده أبو جعفر النحاس في ناسخه.

قال ابن حجر: وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث، رواها عن معاوية بن صالح، عن على بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وهي عند البخاري عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيراً، فيما يعلقه عن ابن عباس. وأخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر كثيراً، بوسائط بينهم وبين أبي صالح» (١).

لكن المشكلة هي:

أولاً: إن في إسناده هذه النسخة إرسالاً، لأن ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، قال في (الإتقان):

(١) الإتقان في علوم القرآن ٤: ٢٣٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٩٩

«وقال قوم: لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عباس التفسير، إنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير» (١).

لكن ابن حجر يحاول دفع هذا الإشكال، قال السيوطي:

«قال ابن حجر: بعد أن عرفت الوسطة وهو ثقة، فلا ضير في ذلك» (٢).

وثانياً: إن الرجل مطعون في وثاقته، ففي (ميزان الاعتدال) للذهبي:

«على بن أبي طلحة، عن مجاهد وأبي الوداك وراشد بن سعد، وأخذ تفسير ابن عباس عن مجاهد، فلم يذكر مجاهداً، بل أرسله عن ابن عباس.

قال أحمد بن محمد بن عيسى في تاريخ حمص: إسم أبيه سالم بن مخارق، فأعتقه العباس.

ومات على سنة ثلاث وأربعين ومائة.

وقال أحمد بن حنبل: له أشياء منكرات.

وقال أبو داود: كان يرى السيف.

وقال النسائي: ليس به بأس.

قلت: حدثت عنه معاوية بن صالح وسفيان الثوري، عداؤه في أهل حمص، قال دحيم: لم يسمع على بن أبي طلحة التفسير من ابن عباس.

قلت: روى معاوية بن صالح عنه عن ابن عباس تفسيراً كبيراً ممتعاً» (٣).

وفي (حاشية الكاشف):

«قال يعقوب بن سفيان: ضعيف الحديث، يعنى على بن أبي طلحة» (٤).

(١) الإتقان فى علوم القرآن ٤: ٢٣٧.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن ٤: ٢٣٧.

(٣) ميزان الاعتدال ٣: ١٣٤ / ٥٨٧٠.

(٤) حاشية الكاشف - مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٠٠

وثالثاً: إن هذه النسخة يرويها أبو صالح عن معاوية بن صالح، وهو أيضاً مجروح جداً، قال فى (الميزان):

«معاوية بن صالح الحضرمى الحمصى، قاضى الأندلس، أبو عمرو، روى عن مكحول والكبار، وعنه: ابن وهب وعبدالرحمن بن مهدي وأبو صالح وطائفة.

وثقه أحمد وأبو زرعه وغيرهما.

وكان يحيى القطان يتعنت ولا يرضاه، وقال أبو حاتم: لا يحتج به، ولذا لم يخرج له البخارى، ولينه ابن معين «... ١».

ورابعاً: إن أباصالح - كاتب الليث - أيضاً غير صالح. قال فى (الميزان):

«عبدالله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهنى المصرى، أبو صالح، كاتب الليث بن سعد على أمواله، هو صاحب حديث وعلم أكثر، وله مناكير، حدث عن معاوية بن صالح والليث وموسى بن على وخلق، وعنه شيخه الليث وابن وهب وابن معين وأحمد بن الفرات، والناس.

قال عبدالملك بن شعيب بن الليث: ثقة مأمون، سمع من جدى حديثه.

وقال أبو حاتم: سمعت محمد بن عبدالله بن عبدالحكم وسئل عن أبى صالح فقال: تسألنى عن أقرب رجل إلى الليث، لزمه سفراً وحضراً، وكان يخلو معه كثيراً، لا ينكر لمثله أن يكون قد سمع منه كثرة ما أخرج عن الليث.

وقال أبو حاتم: سمعت ابن معين يقول: أقل أحواله أن يكون قرأ هذه الكتب على الليث وأجازها له، ويمكن أن يكون ابن أبى ذئب كتب إليه بهذا الدرج.

(١) ميزان الاعتدال ٤: ١٣٥ / ٨٦٢٤.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٠١

قال: وسمعت أحمد بن صالح يقول: لا أعلم أحداً روى عن الليث عن ابن أبى ذئب إلا أبو صالح.

وقال أحمد بن حنبل: كان أول أمره متمسكاً ثم فسد بأخره، يروى عن ليث عن ابن أبى ذئب، ولم يسمع الليث من ابن أبى ذئب شيئاً. وقال أبو حاتم: هو صدوق أمين ما علمته.

وقال أبو زرعه: لم يكن عندى ممن يتعمد الكذب، وكان حسن الحديث.

وقال أبو حاتم: أخرج أحاديث فى آخر عمره أنكروها عليه، يرى أنها مما افتعل خالد بن نجيع، وكان أبو صالح يصحبه، وكان سليم الناحية، لم يكن وزن أبى صالح الكذب، كان رجلاً صالحاً.

وقال أحمد بن محمد بن ج بن ج الحجاج بن رشدين: سمعت أحمد بن صالح يقول: متهم ليس بشيء - يعنى الحمراوى عبدالله بن صالح -.

وسمعت أحمد بن صالح يقول في عبدالله بن صالح، فأجروا عليه كلمة أخرى.

وقال ابن عبدالحكم: سمعت أبي عبدالله يقول ما لا احصى وقد قيل له:

إن يحيى بن بكير يقول في أبي صالح شيئاً، فقال: قل له: هل حدثك الليث قط إلا وأبو صالح عنده، وقد كان يخرج معه إلى الأسفار وهو كاتبه، فتذكر أن يكون عنده ما ليس عند غيره.

وقال سعيد بن منصور: كلمني يحيى بن معين قال: أحب أن تمسك عن عبدالله بن صالح، فقلت: لا أمسك عنه وأنا أعلم الناس به، إنما كان كاتباً للضياح.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٠٢

وقال أحمد: كتب إلي - وأنا بحمص - يسألني الزيارة.

قال الفضل بن محمد الشعراني: إنني مارأيت أباصالح إلا وهو يحدث أو يسبح.

قال صالح جزرة: كان ابن معين يوثقه، وهو عندي يكذب في الحديث.

وقال النسائي: ليس بثقة، يحيى بن بكير أحب إلينا منه.

وقال ابن المديني: لا أروى عنه شيئاً.

وقال ابن حبان: كان في نفسه صدوقاً، إنما وقعت المناكير في حديثه من قبل جار له، فسمعت ابن خزيمة يقول: كان له جار كان بينه وبينه عداوة، كان يضع الحديث على شيخ أبي صالح ويكتبه بخط يشبه خط عبدالله ويرميه في داره بين كتبه، فيتوهم عبدالله أنه خطه فيحدث به.

وقال ابن عدي: هو عندي مستقيم الحديث، إلا أنه يقع في أسانيده ومتونه غلط ولا يتعمد.

قلت: وقد روى عنه البخاري في الصحيح على الصحيح، ولكنه يدلّسه فيقول: ثنا عبدالله ولا ينسبه وهو هو، نعم علق البخاري حديثاً فقال فيه: قال الليث بن سعد: حدثني جعفر بن ربيعة، ثم قال في آخر الحديث: حدثني عبدالله بن صالح، ثنا الليث، فذكره، ولكن هذا عند ابن حمويه السرخسي دون صاحبيه.

وفي الجملة؛ ما هو بدون نعيم بن حماد، ولا إسماعيل بن أبي أويس، ولا سويد بن سعيد، وحدثهم في الصحيحين، ولكل منهم مناكير تغتفر في كثرة ما روى، وبعضها منكر واه، وبعضها غريب محتمل.

وقد قامت القيامة على عبدالله بن صالح بهذا الخبر الذي قال: حدثنا

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٠٣

نافع بن يزيد، عن زهرة بن معبد، عن سعيد بن المسيب، عن جابر، مرفوعاً:

إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين، واختار من أصحابي أربعة: أبابكر وعمر وعثمان وعلياً، فجعلهم خير أصحابي، وفي أصحابي كلهم خير.

قال سعيد بن عمرو، عن أبي زرعة: بلى أبو صالح بخالد بن نجيح، في حديث زهرة بن معبد عن سعيد، وليس له أصل.

قلت: قد رواه أبو العباس محمد بن أحمد الأثرم «...» ١.

(١) ميزان الاعتدال ٢: ٤٤٠ - ٤٤٢ / ٤٣٨٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٠٤

ومنهم: سعيد بن بشير، صاحب قتادة، من رجال السنن الأربعة، وهذه ترجمته في (الميزان):
«سعيد بن بشير، صاحب قتادة، سكن دمشق، وحدث عن قتادة والزهرى وجماعة، وعنه: أبو مسهر وأبو الجماهر ويحيى الوحاظي.
قال أبو مسهر: لم يكن في بلدنا أحفظ منه، وهو منكر الحديث.
وقال أبو حاتم: محله الصدق.
وقال البخاري: يتكلمون في حفظه.
وقال بقيه: سألت شعبه عنه فقال: ذاك صدوق اللسان.
وقال عثمان عن ابن معين: ضعيف.
وقال عباس عن ابن معين: ليس بشيء.
وقال الفلاس: حدثنا عنه ابن مهدي ثم تركه.
وقال النسائي: ضعيف.
وقال ابن الجوزي: قد وثقه شعبه ودحيم.
وقال ابن عيينه: حدثنا سعيد بن بشير وكان حافظاً.
وقال أبو زرعة النصري: قلت لأبي الجماهر: كان سعيد بن بشير قدرياً؟
قال: معاذ الله.
وسمعت أبا مسهر يقول: أتيت سعيداً أنا ومحمد بن شعيب فقال: والله
استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٠٥
لا أقول إن الله يقدر الشر ويعذب عليه، ثم قال: أستغفر الله، أردت الخير فوقع في الشر.»
«قال يعقوب الفسوي: سألت أبا مسهر عن سعيد بن بشير فقال: لم يكن في جندنا أحفظ منه، وهو ضعيف، منكر الحديث.
وقال ابن نمير: يروى عن قتادة المنكرات.
وذكره أبو زرعة في الضعفاء وقال: لا يحتج به، وكذا قال أبو حاتم.»
«ولسعيد تفسير رواه عنه الوليد.
قال ابن عدي: لا أرى بما يروى بأساً، ولعله يهيم ويغلط.
وله عند أهل دمشق تصانيف، رأيت له تفسيراً مصنفًا، والغالب عليه الصدق.
قيل: مات سنة ثمان وستين ومائة» (١).

(١) ميزان الاعتدال ٢: ١٢٨ - ١٣٠ / ٣١٤٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٠٦

الفريابي ... ص: ٣٠٦

ومنهم: الفريابي ... فإنه وإن مدح ووثق، كما في (الوفى بالوفيات) حيث قال:
«محمد بن يوسف بن واقد، أبو عبدالله الفريابي، ولد سنة ١٢٠، كان عالماً زاهداً ورعاً، من الطبقة السادسة، قال: رأيت في المنام أني
دخلت كرمًا فيه عنب، فأكلت من عنبه كله إلا الأبيض، فقصصت رؤياي على سفيان الثوري فقال: تصيب من العلوم كلها، إلا الفرائض
فإنها جوهر العلم، كما أن العنب الأبيض جوهر العنب، وكان كما قال.

روى عن الثوري وغيره. وروى عنه الإمام أحمد وغيره.

قال البخاري: كان الفريابي من أفضل أهل زمانه، وكان ثقة صدوقاً مجاب الدعوة.

توفي سنة اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة ومائتين «١».

ومع هذا، فقد أورده الذهبي في (الميزان)، وحكى عن يحيى بن معين أنه حكم على بعض أحاديثه بالبطلان، وعن العجلي أن الفريابي أخطأ في مائة وخمسين حديثاً «٢».

(١) الوافي بالوفيات ٥: ٢٤٣ / ٢٣١٠.

(٢) ميزان الاعتدال ٤: ٧١ - ٧٢ / ٨٣٤٠.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٠٧.

عثمان بن أبي شيبة ... ص: ٣٠٧

ومنهم: عثمان بن أبي شيبة.

قال اليافعي في (تاريخه):

«الحافظ عثمان بن أبي شيبة العبسي الكوفي، وكان أسن من أخيه أبي بكر. رحل وطوف، وصنف التفسير والمسند، وحضر مجلسه ثلاثون ألفاً» «١».

وقال الذهبي في (الميزان):

«خ م دق - عثمان بن أبي شيبة، أبو الحسن، أحد أئمة الحديث الأعلام، كأخيه أبي بكر» «٢».

ومع ذلك، فقد تكلم فيه من جهات، قال في (الميزان):

«قال عبد الله: وقلت لأبي: حدّثنا عثمان، ثنا جرير، عن شيبة بن نعام، عن فاطمة بنت حسين بن علي، عن فاطمة الكبرى، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لكل بني أب عصبه ينتمون إليه، إلّا ولد فاطمة، أنا عصبتهم.

وقلت له: حدّثنا عثمان، ثنا أبو خالد الأحمر، عن ثور بن يزيد، عن أبي الزبير، عن جابر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله قال: تسليم الرجل بأصبع واحدة يشير بها فعل اليهود.

فأنكر أبي هذه الأحاديث مع أحاديث من هذا النحو، أنكرها جداً وقال:

(١) مرآة الجنان ٢: ٩٢ السنة ٢٣٩.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٣٥ / ٥٥١٨.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٠٨.

هذه موضوعة أو كأنها موضوعة.

وقال أبي: أبو بكر أخوه أحب إلي من عثمان.

فقلت: إن يحيى بن معين يقول: إن عثمان أحب إلي.

فقال أبي: لا.

ورواها أبو علي ابن الصواف، عن عبد الله، عن أبيه وزاد فقال: ما كان أخوه أبو بكر يُطَنَّف نفسه لشيء من هذه الأحاديث، نسأل الله السلامة.

وقال: كُنَّا نراه يتوهم هذه الأحاديث» (١).

«قال يحيى: ثقة مأمون.

قلت: إلّا أنّ عثمان كان لا يحفظ القرآن فيما قيل.

فقال أحمد بن كامل: ثنا الحسن بن الحباب: أنّ عثمان بن أبي شيبة قرأ عليهم في التفسير: «ألم تر كيف فعل ربك» قالها: الف لام ميم» (٢).

«قلت: لعله سبق لسان، وإلّا فقطعاً كان يحفظ سورة الفيل، وهذا تفسيره قد حمله الناس عنه» (٣).

وقال السيوطي في (تدريب الراوي):

«أورد الدارقطني في كتاب التصحيف كلّ تصحيف وقع للعلماء حتّى في القرآن، من ذلك ما رواه أنّ عثمان بن أبي شيبة قرأ على أصحابه في التفسير:

«وجعل السفينة في رجل أخيه. فقيل له: إنّما هو «جعل السقاية في رجل أخيه». فقال: أنا وأخي أبوبكر لا نقرأ لعاصم. قال: وقرأ عليهم في التفسير

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٣٦ / ٥٥١٨.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٣٧ / ٥٥١٨.

(٣) ميزان الاعتدال ٣: ٣٧ / ٥٥١٨.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٠٩

«ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل» قال: ال م. كأول البقرة» (١).

وفي (الميزان):

«قال الخطيب في جامعه: لم يحك عن أحد من المحدّثين من التصحيف في القرآن الكريم، أكثر ممّا حكى عن عثمان بن أبي شيبة، ثم ساق بسنده عن إسماعيل بن محمّد التستري: سمعت عثمان بن أبي شيبة يقرأ «فإن لم يصبها وابل فظل» وقرأ مرّة «من الخوارج مكّيين».

وقال أحمد بن كامل القاضي: ثنا أبو الشيخ الأصبهاني محمّد بن الحسن قال: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة «بطشتم خبازين».

وقال محمّد بن عبيد الله بن المنادي: قال لنا عثمان بن أبي شيبة: «ن والقلم» أي سورة هو؟

وقال مطين: قرأ عثمان بن أبي شيبة «فضرب لهم سنور له ناب» فردّوا عليه فقال: قراءة حمزة عندنا بدعة.

وقال يحيى بن محمّد بن كاس النخعي: ثنا إبراهيم بن عبد الله الخصاف قال: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة تفسيره فقال: «جعل السفينة في رجل أخيه» فقيل: إنّما هو «السقاية». فقال: أنا وأخي لا نقرأ لعاصم» (٢).

وكما حمل الذهبي خطأ عثمان في سورة الفيل على سبق اللسان، حاول حمل تصحيفاته على المزاح والدعابة! فقال:

«قلت: فكأنّه كان صاحب دعابة، ولعله تاب وأناب...»

لكن الدعابة في ألفاظ القرآن توجب الفسق، ولذا قال «لعله تاب

(١) تدريب الراوي ٢: ١٧٥- النوع السادس والثلاثون.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٣٧ / ٥٥١٨.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣١٠

وأنا « وهل يكفي «لعل» لو كان ذلك منه «دعابة»؟
والألطف من ذلك تمنّي موت إسحاق من أجل الشهرة والرئاسة، قال في (الميزان):
«قال إبراهيم بن أبي طالب الحافظ: دخلت عليه فقال لي: إلى متى لا يموت إسحاق؟
فقلت: شيخ مثلك يتمنى موت شيخ مثله؟!
فقال: دعني، فلو مات لصفنا لي جوى» (١).

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٣٨ / ٥٥١٨.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣١٣

الطبقة الرابعة ... ص: ٣١٣

إشارة

قال السيوطي:

«وبعدهم: ابن جرير الطبري، وكتابه أجل التفاسير وأعظمها، ثم ابن أبي حاتم، وابن ماجه، والحاكم، وابن مردويه، وأبو الشيخ ابن حيان، وابن المنذر، في آخرين.
وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم، وليس فيها غير ذلك، إلا ابن جرير، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والإستنباط، فهو يفوقها بذلك» (١).
أقول:
إن أفضل وأشرف تفاسير هذه الطبقة:

(١) الإتقان في علوم القرآن ٤: ٢٤٢.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣١٤

تفسير ابن جرير الطبري ... ص: ٣١٤

كما قال السيوطي، بل لقد ادعى الإجماع على ذلك، حيث قال:
«فإن قلت: فأى التفاسير ترشد إليه، وتأمر الناظر أن يعول عليه؟
قلت: تفسير الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الذي أجمع العلماء والمفسرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله» (١).
وقال النووي:
«له التاريخ المشهور، وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله» (٢).
وقال ياقوت الحموي نقلًا عن الخطيب:
«وله الكتاب المشهور في تاريخ الامم والملوك، وكتاب في تفسير القرآن لم يصنف أحد مثله» (٣).
قال ياقوت:
«ومن كتبه: الكتاب المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

قال أبو بكر ابن كامل: أملى علينا من كتاب التفسير مائة وخمسين آية، ثم خرج به بعد ذلك إلى آخر القرآن فقرأه علينا، وذلك في سنة سبعين ومائتين، واشتهر الكتاب وارتفع ذكره. وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب

(١) الإتقان في علوم القرآن ٤: ٢٤٤.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١: ٧٨ / ٨.

(٣) معجم الادباء ١٨: ١٧ / ٤١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣١٥

وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد يَحْيِيَان، ولأهل الإعراب والمعاني معقلان، وكان أيضاً في الوقت غيرهما مثل: أبي جعفر الرستمي وأبي الحسن ابن كيسان والمفضل بن سلمة والجعد وأبي إسحاق الزجاج وغيرهم من النحويين من فرسان هذا الشأن، وحمل هذا الكتاب مشرقاً ومغرباً، وقرأه كل من كان في وقته من العلماء، وكل فضله وقدمه. قال أبو جعفر: حدثتني به نفسي وأنا صبي.

قال أبو جعفر: استخرت الله تعالى في عمل كتاب التفسير، وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله، فأعاني.

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني: أخبرني شيخ من جسير ابن عفيف قال: رأيت في النوم كأنني في مجلس أبي جعفر والناس يقرؤون عليه كتاب التفسير، فسمعت هاتفاً بين السماء والأرض يقول: من أراد أن يسمع القرآن كما انزل فليسمع هذا الكتاب.

ولم يتعزّز - أي الطبري - لتفسير غير موثوق به، فإنه لم يدخل في كتابه شيئاً عن كتاب محمد بن السائب الكلبي ولا مقاتل بن سليمان ولا محمد بن عمر الواقدي، لأنهم عنده أظناء «١».

وقال السمعاني في (الأنساب):

«قال أبو حامد الإسفرائني: لو سافر رجل إلى الصين، حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير، لم يكن ذلك كثيراً» «٢».

وأما محمد بن جرير الطبري نفسه، فتوجد مكارمه ومحامده في الكتب

(١) معجم الادباء ١٨: ٦١ - ١٧ / ٦٥.

(٢) الأنساب ٤: ٤٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣١٦

التالية:

تذكرة الحفاظ ٢: ٧١٠ - ٧١٦.

طبقات الشافعية للسبكي ٣: ١٢٠ - ١٢٨.

طبقات الحفاظ: ٣٠٧ - ٣٠٨.

وفيات الأعيان ٤: ١٩١ - ١٩٢.

مرآة الجنان ٢: ٢٦٠.

تاريخ بغداد ٢: ١٦٢ - ١٦٩.

تهذيب الأسماء واللغات ١: ٧٨ - ٧٩.

سير أعلام النبلاء ١٤: ٢٦٧ - ٢٨٢.

وغيرها من كتب التاريخ وتراجم الرجال.

قال ياقوت الحموي في (معجم الادباء) نقلًا عن الخطيب:

«كان أحد أئمة العلماء، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه، لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله عز وجل، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً بأحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في تاريخ الامم والملوك، وكتاب في تفسير القرآن لم يصنف أحد مثله، وكتاب سمّاه تهذيب الآثار لم أر سواه في معناه، لم يتمه.

قال ابن خزيمة- لما لاحظ تفسير ابن جرير:- ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣١٧

قال أبو محمّد بن عبدالعزيز بن محمّد الطبري: كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحد، لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الائمة، ولا ظهر من كتب المصنّفين وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له، وكان راجحاً في علوم القرآن والقراءات وعلم التاريخ من الرسل والخلفاء والملوك واختلاف الفقهاء مع الرواية لذلك، على ما في كتابه البسيط والتهذيب وأحكام القراءات، من غير تعويل على المناولات والإجازات، ولا- على ما قيل في الأقوال، بل يذكر ذلك بالأسانيد المشهورة.

كان كالقارى الذى لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدّث الذى لا يعرف إلا الحديث، وكالفقيه الذى لا يعرف إلا الفقه، وكان نحوى الذى لا يعرف إلا النحو، وكان الحاسب الذى لا يعرف إلا الحساب، وكان عاملاً بالعبادات، جامعاً للعلوم، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها» (١).

أقول:

وإذا كان الطبري بهذه المنزلة، فلماذا يسقط كلامه عن الإعتبار إذا احتجّ به أصحابنا في موردٍ ويؤكّم فيه؟

لقد احتجّ العلامة الحلّي برواية الطبري تهديد عمر بن الخطّاب فاطمة الزهراء الطاهرة عليها السلام بإحراق بيتها، فقال ابن روزبهان فى جوابه:

«ومن أسمع ما افتراه الروافض هذا الخبر- وهو إحراق عمر بيت فاطمة- وما ذكر أنّ الطبري ذكره فى التاريخ، فالطبري من الروافض مشهور بالتشيع، حتّى أنّ علماء بغداد هجروه، لغلوه فى الرفض والتعصب، وهجروا كتبه

(١) معجم الادباء ١٨: ٤١-٤٣ و ٥٩ و ١٧/٦١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣١٨

ورواياته وأخباره.

وكلّ من نقل هذا الخبر فلا يشكّ أنّه رافضى متعصب، يريد إبداء القدح والطنع على الأصحاب، لأنّ العاقل المؤمن الخبير بأخبار السلف ظاهر عليه أنّ هذا الخبر كذب صراح وافتراء بين، لا يكون أقبح منه ولا أبعد من أطوار السلف» (١).

وإذا كان الطبري من الروافض، شمله كلّ ما ذكره ابن تيميّة وغيره للروافض، من القبائح والمثالب التى تفوق الحصر وتتجاوز حدّ الشرح والتبيين...

هذا، وقد سبقه إلى الإتهام بالتشيع الفخر الرازى فى كتابه (نهاية العقول) فى الكلام على النصّ على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم:

«الثالث: إن هذا النص لو كان كذباً لما دعا إلى روايته إلاً الهوى، فكان ينبغي أن لا يرويه من لا يهوى مقتضاه، وقد رواه أصحاب الحديث كابن جرير الطبري، وليس هو من الإمامية، فبطل أن يكون كذباً». فأجاب الرازي أولاً بأن الطبري لم يرو هذا النص ثم قال: «ثم إن سلمنا أنه ذكره، فلعله رواه قبل أن تثبت عنده صحته هذا الحديث، فإن من المحدثين من يروي كل غث وسمين. ثم إن سلمنا ذلك، فلا نسلم أنه ما كان متهماً بالتشيع» (٢). فكان ابن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ ممن يروي الغث

(١) ورد القول في دلائل الصدق ٣: ٧٩.

(٢) نهاية العقول - مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣١٩ والسمين، وكان متهماً بالتشيع !! ...

هذا، ومن العجائب تناقض ابن تيمية تجاه ابن جرير وتفسيره، فإنه لما لم يخرج ابن جرير حديث نزول آية الولاية في أمير المؤمنين عليه السلام، جعل ابن تيمية يمدحه ويمدح تفسيره، وينص على خلوه من الموضوعات «١»، حتى إذا رأى أنه قد روى بتفسير آية الإنذار نص النبي على أمير المؤمنين على عليه السلام، بالإمامة والخلافة والولاية من بعده ... جعل يذم تفسير ابن جرير ومؤلفه بشدة !! «٢...»

(١)

منهاج السنة ٤: ٥.

(٢) منهاج السنة ٤: ١٢٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٢٠

تفسير ابن أبي حاتم ... ص: ٣٢٠

المحدث الحافظ، الفقيه، المفسر، الرجالي، الذي ترجم له ابن قاضي شهبه في (طبقات الشافعية) فقال:

«عبدالرحمان بن محمّد بن إدريس، أبو محمّد، ابن أبي حاتم، الحنظلي الرازي، أحد الأئمة في الحديث والتفسير والعبادة والزهد والصلاح، حافظ ابن حافظ، أخذ عن أبيه وعن أبي زرعة، وصنف الكتب المهمة، كالتفسير الجليل المقدار، في أربع مجلدات، غالبه آثار مسنده» «... ١».

وفي (فوات الوفيات):

«قال أبو علي الخليلي: كان يعدّ من الأبدال، وقد أتني عليه جماعة بالزهد والورع التام والعلم والعمل» (٢).

وذكر السيوطي في (اللاكي المصنوعة) بعد حديث تكليم الله موسى:

«وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، وقد التزم أن يخرج فيه أصح ما ورد، ولم يخرج فيه حديثاً موضوعاً ألبتة» (٣).

وفي (الإتقان) بعد ذكر تفسير السدي:

«ولم يورد منه ابن أبي حاتم شيئاً، لأنه التزم أن يخرج أصح ما ورد» (٤).

(١) طبقات الشافعية ١: ١١١ / ٥٨.

(٢) فوات الوفيات ٢: ٢٨٨ / ٢٥٧.

(٣) اللآلى المصنوعة ١: ١٢.

(٤) الإتقان فى علوم القرآن ٤: ٢٣٨.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٢١

لكن ابن تيمية يقول- فى الجواب عن الإستدلال بالحديث الوارد بذيل الآية «وأندر عشيرتك الأقربين» الذى رواه ابن أبى حاتم أيضاً، كما فى (الدر المنثور) «١» :-
«والجواب من وجوه:

الأول: المطالبة بصحة النقل، وما ادّعه من نقل الناس كافة، من أظهر الكذب عند أهل العلم بالحديث، فإنّ هذا الحديث ليس فى شيء من كتب المسلمين التى يستفيدون منها علم النقل، لا فى الكتب الصحاح ولا فى المسانيد والسنن والمغازى والتفسير التى يذكر فيها الإسناد الذى يحتج به، وإذا كان فى بعض كتب التفسير التى ينقل فيها الصحيح والضعيف مثل تفسير الثعلبى والواحدى والبغوى بل وابن جرير وابن أبى حاتم، لم يكن مجرد روايته واحد من هؤلاء دليلاً على صحته باتفاق أهل العلم، فإنه إذا عرف أنّ تلك المنقولات فيها صحيح وضعيف، فلا بدّ من بيان أنّ هذا المنقول من قسم الصحيح دون الضعيف، وهذا الحديث غاية أن يوجد فى بعض كتب التفسير التى فيها الغث والسمين، بل وفيها أحاديث كثيرة موضوعة مكذوبة، مع أنّ كتب التفسير التى يوجد فيها هذا مثل تفسير ابن جرير وابن أبى حاتم والثعلبى والبغوى ينقل فيها بالأسانيد الصحيحة ما يناقض هذا».

وقال:

«الثالث: إنّ هذا الحديث كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث، فما من عالم يعرف الحديث إلّا وهو يعلم أنّ هذا كذب موضوع، وهذا لم يروه أحد منهم فى الكتب التى يرجع إليها فى المنقولات، لأنّ أدنى من له معرفة

(١) الدر المنثور ٦: ٣٢٧-٣٢٨.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٢٢

بالحديث يعلم أنّ هذا كذب» «١».

وعلى هذا، فإنّ جميع المدائح المذكورة لابن أبى حاتم وتفسيره تذهب أدراج الرياح.

هذا بالنسبة إلى تفسيره.

وأما بالنسبة إلى كتابه فى الجرح والتعديل، فقد ذكر ابن الجوزى فى (تليس إبليس) ما نصّه:

«وبالإسناد عن أبى الحسن على بن محمّد البخارى يقول: سمعت محمّد ابن الفضل العباسى يقول: كُنّا عند عبدالرحمان بن أبى حاتم وهو يقرأ علينا كتاب الجرح والتعديل، فدخل عليه يوسف بن الحسين الرازى فقال: يا أبا محمّد، ما هذا الذى تقرأه على الناس؟ فقال: كتاب صنّفته فى الجرح والتعديل. فقال: وما الجرح والتعديل؟ فقال: أظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة. فقال له يوسف بن الحسين: استحيت لك يا أبا محمّد من هؤلاء القوم، قد حطوا وراح لهم فى الجنّة منذ مائة سنة ومائتى سنة، تذكرهم وتغتابهم على أديم الأرض. فبكى عبدالرحمان وقال: يا أبا يعقوب لو سمعت هذه الكلمة قبل تصنيفى هذا الكتاب لم اصنّفه» «٢».

ولكنّ هذا الكلام يدلّ على جهل ابن أبى حاتم وعدم فهمه، للزوم المفسدة العظيمة فى الدين والشريعة لولا الجرح والتعديل للرجال... ولذا قال ابن الجوزى:

«قلت: عفا الله عن ابن أبى حاتم، فإنه لو كان فقيهاً لردّ عليه كما ردّ إمام

(١) منهاج السنة ٤: ١٢٨-١٢٩.

(٢) تلبیس إبلیس: ٣٧٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٢٣

القوم في الجنة أحمد على أبي تراب، ولولا الجرح والتعديل من أين كان يعرف الصحيح من الباطل. ثم كون القوم في الجنة لا يمنع أن نذكرهم بما فيهم، وتسميه ذلك غيبه حديث سوء. ثم من لا يدري الجرح والتعديل ما هو كيف يذكر كلامه؟» (١).

(١) تلبیس إبلیس: ٣٧٩ باختلاف في النص.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٢٤

تفسير الحاكم النيسابوري ... ص: ٣٢٤

الذي قال عنه المناوي في (فيض القدير):

«قال السبكي: إتفق العلماء على أنه من أعظم الأئمة الذين حفظ الله بهم الدين» (١).

وقال ابن قاضي شهبه:

«وقد أطنب عبدالغافر في مدحه وذكر فضائله وفوائده ومحاسنه- إلى أن قال: - مضى إلى رحمة الله تعالى ولم يخلف بعده مثله» (٢).

وقال ابن الأثير في وصف منزلته في علم الحديث:

«كان عالماً بهذا الفن، خبيراً بغوامضه، عارفاً بأسراره» (٣).

إلّا أنه لروايته بعض مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، تكلم فيه بعض أكابر القوم، قال الذهبي في (الميزان):

«قد قال ابن طاهر: سألت أبا إسماعيل عبدالله الأنصاري عن الحاكم أبي عبدالله فقال: إمام في الحديث، رافضى خبيث» (٤).

بل إنَّ الفضل ابن روزبهان اتخذ اتهامه بالتشيع ذريعة للردّ على الإمامية حين قال:

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ١: ٢٦.

(٢) طبقات الشافعية ١: ١٩٤/١٥٣.

(٣) جامع الاصول- ترجمة الحاكم النيسابوري.

(٤) ميزان الاعتدال ٣: ٦٠٨/٧٨٠٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٢٥

«وذكر الإمام الحاكم أبو عبدالله النيسابوري، المحدث الكبير والحافظ المتقن الفاضل النحرير، في كتاب معرفة علوم الحديث، بإسناده عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه وعلى آبائه السلام أنه قال: أبوبكر الصديق جدّي، وهل يسبُّ أحد آبائه، لاقدمني الله إن لا أقدمه.

وقد اشتهر بين المحدثين والعلماء: أن الحاكم أبا عبدالله المذكور كان مائلاً إلى التشيع».

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٢٦

تفسير ابن ماجه ... ص: ٣٢٦

وأما تفسير ابن ماجه القزويني، فمن الرجال الذين روى عنهم فيه:
 عيسى بن قرطاس الكوفي: قال ابن حجر في (تقريب التهذيب):
 «عيسى بن قرطاس الكوفي، متروك، وقد كذبه الساجي، من السادسة» (١).
 محمد بن عبدالله الأنصاري: قال الذهبي:
 «قال العقيلي: منكر الحديث.
 وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً.
 وقال ابن طاهر: كذاب، وله طامات» (٢).
 وقال ابن حجر: «كذبوه» (٣).
 نوح بن دراج: قال ابن حجر:
 «متروك، وقد كذبه ابن معين» (٤).
 وقال الذهبي: «قال النسائي وغيره: ضعيف».

(١) تقريب التهذيب ٢: ١٠٧ / ٥٩٨٣.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٥٩٨ / ٧٧٦٤.

(٣) تقريب التهذيب ٢: ١٨٦ / ٦٧٦٣.

(٤) تقريب التهذيب ٢: ٣١٣ / ٨١١٢.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٣٢٧

وقال أبو داود: كذاب يضع الحديث» (١).

نوح بن أبي مريم: وستعرفه.

(١) ميزان الاعتدال ٤: ٢٧٦ / ٩١٣٣.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٣٢٨

تفسير ابن مردويه ... ص: ٣٢٨

وأما تفسير ابن مردويه، فقد نصّ المولى عبدالعزيز الدهلوي صاحب التحفة الإثني عشرية في رسالته في (اصول الحديث) بأنه من التفاسير المشهورة، إلّا أنه أورده في عداد كتب الطبقة الرابعة، مصرحاً بأنّ أحاديث هذه الكتب ليست بقابلية للاعتماد للدلالة على عقيدة أو حكم.

كما أنّ ابن الجوزي قد حكم بالوضع على أحاديث كثيرة في هذا التفسير.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٣٢٩

تفسير ابن المنذر ... ص: ٣٢٩

الذي جاء في (طبقات الشافعية) لابن قاضي شهبه بترجمته:

«محمد بن إبراهيم بن المنذر، أبو بكر النيسابوري، الفقيه، نزيل مكة، أحد الأئمة الأعلام، وممن يقتدى بنقله في الحلال والحرام،

صنّف كتباً معتبرة عند أئمة الإسلام، منها... التفسير وغير ذلك، وكان مجتهداً لا يقلد أحداً» (١).
لكن في (ميزان الاعتدال) ما نصّه:

«قال مسلمة بن قاسم الأندلسي: كان لا يحسن الحديث. ثم نسب إلى العقيلي: إنّه كان يحمل عليه وينسبه إلى الكذب، وكان يروى عن الربيع بن سليمان عن الشافعي، ولم ير الربيع ولا سمع منه، وذكر غير ذلك. توفي سنة ٣١٨، ولا عبرة بقول مسلمة فيه، وأمّا العقيلي فكلامه من قبيل كلام الأقران بعضهم في بعض، مع أنّه لم يذكره في كتاب الضعفاء له» (٢).

(١) طبقات الشافعية ١: ٤٤/٩٨.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٤٥٠ - ٤٥١/٧١٢٣.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٣٣٠

تفسير ابن أبي داود السجستاني ... ص: ٣٣٠

الذي ذكر الذهبي مناقبه فقال:

«قد كان أبو بكر من كبار الحفاظ والأئمة الأعلام، حتّى قال الخطيب:

سمعت الحافظ أبا محمّد الخلال يقول: كان أبو بكر أحفظ من أبيه أبي داود.

وروى ابن شاهين عن أبي بكر أنّه كتب في شهر عن أبي سعيد الأشج ثلاثين ألفاً.

وقال أبو بكر النقاش والعهد عليه: سمعت أبا بكر ابن أبي داود يقول:

إنّ تفسيره فيه مائة ألف وعشرون ألف حديث.

قلت: ولد سنة ثلاثين ومائتين، ورحل به أبوه، فلقى الكبار وسمع عيسى ابن حماد صاحب الليث بن سعد وطبقته، وانفرد عن طائفة.

قال أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان: ذهب أبو بكر إلى سجستان فاجتمعوا عليه وسألوه أن يحدثهم فقال: ليس معي كتاب. فقالوا:

ابن أبي داود وكتاب؟ قال: فأثاروني فأملت عليهم من حفطي ثلاثين ألف حديث، فلما قدمت بغداد قال البغداديون: لعبت بأهل

سجستان ثمّ فيجوا فيجاً أكثره بستة دنانير ليكتب لهم النسخة، فكتبت وجرى بها فعرضت على الحفاظ فخطأوني في ستة أحاديث منها

ثلاثة رويتها كما سمعت.

وقال الحافظ أبو علي النيسابوري: سمعت ابن أبي داود يقول: حدثت بأصبهان من حفطي بستة وثلاثين ألف حديث، ألزمني الوهم

في سبعة

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٣٣١

أحاديث، فلما رجعت وجدت في كتابي منها خمسة على ما حدّثتهم» (١).

لكن ابن أبي داود مجروح ومقدوح بقوادح عظيمة كالنصب والكذب، حتّى أنّهم نقلوا عن أبيه - أبي داود صاحب السنن - اتّهامه

بالكذب... وقد أورده الذهبي في (الميزان) فقال:

«عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، أبو بكر، الحافظ الثقة، صاحب التصانيف، وثقه الدارقطني فقال: ثقّه إلّا أنّه كان كثير الخطأ

في الكلام على الحديث.

وذكره ابن عدى وقال: لولا ما شرطنا وإلّا لما ذكرته - إلى أن قال: - وهو معروف بالطلب، وعامية ما كتب مع أبيه وهو مقبول عند

أصحاب الحديث.

وأما كلام أبيه فيه فلا أدري أيش تبين له منه.

ثنا على بن عبدالله الداهري، سمعت أحمد بن محمد بن عمرو كركرة، سمعت علي بن الحسين بن الجنيد، سمعت أبا داود يقول: ابني عبدالله كذاب.

قال ابن صاعد: كفانا ما قال أبوه فيه.

ثم قال ابن عدى: سمعت موسى بن القاسم الأشيب يقول: حدثني أبو بكر يقول: سمعت إبراهيم الأصبهاني يقول: أبو بكر ابن أبي داود كذاب.

وسمعت أبا القاسم البغوي وقد كتب إليه أبو بكر ابن أبي داود يسأله عن لفظ حديث لجده، فلما قرأ رقعته قال: أنت - والله - عندي منسلخ من العلم.

وسمعت عبدان، سمعت أبا داود السجستاني يقول: من البلاء أن عبدالله يطلب للقضاء.

وسمعت محمد بن الضحاك بن عمرو بن أبي عاصم يقول: أشهد على

(١) ميزان الاعتدال ٢: ٤٣٥ / ٤٣٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٣٢

محمّد بن يحيى بن منده بين يدي الله أنه قال: أشهد على أبي بكر ابن أبي داود بين يدي الله تعالى أنه قال: روى الزهري عن عروة قال: حفيت أظفير فلان، من كثرة ما كان يتسلق على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

قلت: هذا لم يسنده أبو بكر إلى الزهري، فهو منقطع. ثم لا يسمع قول الأعداء بعضهم في بعض، ولقد كاد أن يضرب عنق عبدالله لكونه حكى هذا، فشد منه محمّد بن عبدالله بن حفص الهمداني وخلّصه من أمير أصبهان أبي ليلى، وكان انتدب له بعض العلوية خصماً، ونسب إلى عبدالله المقالة، وأقام الشهادة عليه ابن منده المذكور ومحمّد بن عباس الأخرم وأحمد بن علي الجارود، فأمر أبو ليلى بقتله، فأتى الهمداني وجرح الشهود...»

وأيضاً في (الميزان):

«قلت: كان - أي عبدالله بن سليمان - قوى النفس، وقع ج فتنة ج بينه وبين ابن صاعد وبين ابن جرير، نسأل الله العافية.

قال ابن شاهين: أراد الوزير علي بن عيسى أن يصلح بين أبي بكر ابن أبي داود وابن صاعد، فجمعهما وحضر القاضي أبو عمر، فقال الوزير لأبي بكر: أبو محمّد ابن صاعد أكبر منك فلو قمت إليه. فقال: لا أفعل. فقال له:

أنت شيخ زيف. قال أبو بكر: الشيخ الزيف الكذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال الوزير: من الكذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال أبو بكر: هذا، ثم قال: إنني أذل لأجل رزق يصل إلي على يدك، والله لا أخذت من يدك شيئاً أبداً، وعلى مائة بدنة إن أخذت منك شيئاً، فكان المقتدر بعد يزن رزقه بيده ويبعثه على يد خادم.

وقال محمّد بن عبدالله القطان: كنت عند محمّد بن جرير فقال رجل:

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٣٣

ابن أبي داود يقرأ على الناس فضائل علي رضي الله عنه. فقال ابن جرير:

تكبيراً من حارس.

قلت: وقد قام ابن أبي داود وأصحابه - وكانوا خلقاً كثيراً - على ابن جرير ونسبوه إلى بدعة اللفظ، فصنّف الرجل معتقداً حسناً سمعناه، تنصّل فيه ممّا قيل عنه وتألم لذلك «١».

هذا، وقد ذمّه ابن الجوزي على روايته الخبر الطويل الموضوع في فضائل السور وفرّقه عليها، مع علمه بوضعه وبطلانه! قال:

«وإنما عجبت من أبي بكر ابن أبي داود كيف فرّقه على كتابه الذي صنّفه في فضائل القرآن وهو يعلم أنه حديث محال، ولكن شره جمهور المحدثين، فإن من عادتهم تنفيق حديثهم ولو بالبواطيل، وهذا قبيح منهم، لأنه قد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من حدّث عنّي حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» (٢).

وقد أورد السيوطي كلام ابن الجوزي هذا مع إسقاط الجملة الأخيرة منه التي فيها ذم لجمهور المحدثين «... ٣» فكان ابن أبي داود مطعوناً عند ابن الجوزي والسيوطي أيضاً. وحرمة رواية الحديث الموضوع - مع العلم بوضعه - مما استفاض فيه الحديث النبوي واتفق عليه العلماء.

(١) ميزان الاعتدال ٢: ٤٣٣ - ٤٣٥ / ٤٣٦٨.

(٢) كتاب الموضوعات ١: ٢٤٠.

(٣) اللآلي المصنوعة ١: ٢٢٨.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٣٤

تفسير أبي بكر النقاش ... ص: ٣٣٤

وهو من مشاهير مفسّريهم، وقد اعتمد على تفسيره علماءهم، حتى أن صاحب (التحفة) رجّح روايته في نزول آية الولاية في المهاجرين والأنصار على رواية الثعلبي نزولها في أمير المؤمنين عليه السلام (١).

وقال السيوطي في (اللآلي المصنوعة):

«وأما النقاش، فهو أحد العلماء بالقراءات، وأحد الأئمة في التفسير، قال الذهبي: صار شيخ المقرين في عصره، على ضعف فيه، أثنى عليه أبو عمرو الداني، وحدّث بمنّا كبير».

واعتمد السبكي على توثيق أبي عمرو الداني، قال:

«محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر بن سند، أبو بكر النقاش، الموصلي ثم البغدادي، الإمام في القراءة والتفسير وكثير من العلوم ... وثقه أبو عمرو الداني وقبلة وزكاه» (٢ ...).

لكن تكلمهم فيه وفي تفسيره كثير:

قال السمعاني:

«ذكر طلحة بن محمد بن جعفر النقاش فقال: كان يكذب في الحديث والغالب عليه القصد».

(١) التحفة الإثنا عشرية: ١٩٨.

(٢) طبقات الشافعية ٣: ١٤٥ - ١٤٦ / ١٢٩.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٣٥

وسئل أبو بكر البرقاني عن النقاش فقال: كل حديثه منكر.

وقال البرقاني وذكر تفسير النقاش فقال: ليس فيه حديث صحيح.

وكان هبة الله الطبري اللالكائي يقول: تفسير النقاش ذلك إشفاء الصدور ليس بشفاء الصدور (١).

وأورد الذهبي الكلمات المذكورة في (الميزان) (٢) وفيه أيضاً:

«محمد بن الحسن، روى عنه إسحاق بن محمد السيوطي أحاديث مختلفة في فضل معاوية، لعلّ النقاش صاحب التفسير، فإنه كذاب»

«٣».

وكذا في (لسان الميزان) «٤» و (وفيات الأعيان) «٥».

(١) الأنساب ٥: ٥١٧-٥١٨ «النقّاش».

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٥٢٠ / ٧٤٠٤.

(٣) ميزان الاعتدال ٣: ٥١٦ / ٧٣٩٠.

(٤) لسان الميزان ٦: ٤٥ / ٧٢٨٨.

(٥) وفيات الأعيان ٤: ٢٩٨ / ٦٢٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٣٩

طبقة المتأخرين ... ص: ٣٣٩**إشارة**

قال السيوطي بعد الطبقات الأربع:

«ثم أُلّف في التفسير خلائق، فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال بترأ، فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمد، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً أن له أصلاً غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح، ومن يرجع إليهم في التفسير، حتى رأيت من حكى في قوله تعالى: «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» نحو عشر أقوال، وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي وجميع الصحابة والتابعين وأتباعهم، حتى قال ابن أبي حاتم: لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسرين».

ثم قال: بعد الطبقات الخمس:

«ثم صنّف بعد ذلك قوم برعوا في علوم، فكان كلُّ منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه. فالنحوي تراه ليس له همٌّ إلّا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلائقاته، كالزجاج والواحدى في البسيط وأبى حيان في البحر والنهر...»

وصاحب العلوم العقلية خصوصاً الإمام فخر الدين قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها، وخرج من شيء إلى شيء حتى يقضى الناظر

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٤٠

العجب من عدم مطابقة المورد للآية، وقال أبو حيان في البحر: جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك قال بعض العلماء: فيه كلُّ شيء إلّا التفسير.

والمبتدع ليس له قصد إلّا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد، بحيث أنه متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال، سارع إليه «١».

أقول:

والآن، فلننظر في أحوال هذه الطبقة من المفسرين:

(١) الإتيان في علوم القرآن ٤: ٢٤٢-٢٤٣.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٤١

الزجاج ... ص: ٣٤١

فأما الزجاج، وتراجمه موجودة في وفيات الأعيان، ومرآة الجنان، وتاريخ بغداد، والوفى بالوفيات، وبغية الوعاة (١) وغيرها... فقد ذكروا عنه قصيدته فيها الإعراف بالخيانة والكذب طمعاً في حطام الدنيا، وذلك «أن القاسم بن عبيدالله، كان قد وعده أنه إن صار وزيراً أن يعطى الزجاج عشرين ألف، فلما أصبح وزيراً قال للزجاج: «أجلس الناس وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار، واستجعل عليها ولا- تمتنع من مسألتي في شيء إلى أن يحصل لك القدر» قال الزجاج: «فعلت ذلك. وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً فيوقع لي فيها، وربما قال لي: كم ضمن لك على هذا؟ فأقول: كذا وكذا، فيقول لي: غبت، هذا يساوي كذا وكذا، إرجع فاسترده، فراجع القوم واما كسهم فيزيدونني، حتى أبلغ الحد الذي رسمه، فحصلت عشرين ألف دينار فأكثر في مدة فقال لي بعد شهر: حصل مال النذر؟ فقلت: لا، وجعل يسألني في كل شهر هل حصل؟ فأقول: لا، خوفاً من انقطاع الكسب، إلى أن سألتني يوماً فاستحييت من الكذب المتصل فقلت: قد حصل بركة الوزير» (٢).

(١) وفيات الأعيان ١: ١٣/٤٩، مرآة الجنان ٢: ١٩٨ السنة ٣١١، تاريخ بغداد ٦: ٣١٢٦/٨٩، الوفاى بالوفيات ٥: ٢٤٢٦/٣٤٧، بغية الوعاة ١: ٨٢٥/٤١١.

(٢) بغية الوعاة ١: ٤١١-٤١٢/٨٢٥.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٤٢

أبو حيان الأندلسي ... ص: ٣٤٢

وأما أثير الدين أبو حيان الأندلسي، فترجمته في طبقات السبكي والوفى بالوفيات وبغية الوعاة والدرر الكامنة وفوات الوفيات وغيرها (١).

لكن أبا حيان كان يتكلم في ابن تيمية ويتهجم عليه ويرميه بكل سوء (٢) وهذا من نقائصه، وهو يوجب الحط له من المحبين لابن تيمية...

وأبو حيان - كما في (بغية الوعاة) -: «كان يفتخر بالبخل، كما يفتخر الناس بالكرم» (٣) وهذه رذيلة عظيمة لا يخفى قبها على أحد!! ومن معايبه ما ذكره الصفدى في (الوفى) قال:

«كان الشيخ تقى الدين قد نزل عن تدريس مدرسته لولده - نسيت أنا المدرسه واسم ابنه - فلما حضر الشيخ أثيرالدين درس قاضى القضاء تقى الدين ابن بنت الأعز، قرأ آية تفسيرها درس ذلك اليوم وهى قوله تعالى:

«قد خسر الذين قتلوا أولادهم» الآية، فبرز أبو حيان بين الحلقة وقال: يا مولانا قاضى القضاء قدّموا أولادهم، قدّموا أولادهم، يكرز ذلك. فقال قاضى القضاء: ما معنى هذا؟ قال ابن دقيق العيد: نزل لولده فلان عن تدريس المدرسه الفلانية، فنقل المجلس إلى تقى

الدين ابن دقيق العيد فقال: أما أبو

(١) طبقات السبكي ٩: ٢٧٦/١٣٣٦، الوفاى بالوفيات ٥: ٢٦٧/٢٣٤٥، بغية الوعاة ١: ٥١٦/٢٨، الدرر الكامنة ٤: ٣٠٢/٨٣٢، فوات الوفيات ٤: ٥٠٦/٧١.

(٢) الدرر الكامنة ٤: ٣٠٨ / ٨٣٢.

(٣) بغية الوعاة ١: ٢٨٢ / ٥١٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٤٣

حيان فيه دعابة أهل الأندلس ومجونهم، وأما أنت يا قاضي القضاء، يبذل القرآن في حضرتك وما تنكر هذا الأمر. فما كان عن قليل حتى عزل ابن بنت الأعز من القضاء ابن دقيق العيد، وكان إذا خلا شيء من الوظائف التي تليق بالشيخ أثير الدين أبي حيان يقول الناس: هذه لأبي حيان يخرجها الشيخ تقي الدين لغيره. فهذا هو السبب الموجب لحطّ أبي حيان وشناعته عليه...
استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٤٤

الفخر الرازي ... ص: ٣٤٤

وأما الفخر الرازي، فإنه وإن كان من العلماء الأعلام وتفسيره في غاية الشهرة، لكن السيوطي تكلم عليه، ونقل بعض الكلام فيه، في (الإتقان).

أما الذهبي، فقد قال في (الميزان):

«الفخر ابن الخطيب، صاحب التصانيف، رأس في الذكاء والعقلية، لكنه عرّي من الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة. نسأل الله أن يثبت الإيمان في قلوبنا، وله كتاب السرّ المكتوم في مخاطبة النجوم، سحر صريح، فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله» (١).

وابن تيمية ذكر الرازي في عداد الجبرية، وهذه عبارته:

«ثم المثبتون للصّفات، منهم: من يثبت الصّفات المعلومة بالسمع كما يثبت الصفات المعلومة بالعقل، وهذا قول أهل السنّة الخاصّة: أهل الحديث ومن وافقهم، وهو قول أئمة الفقهاء وقول أئمة الكلام من أهل الإثبات، كأبي محمد بن كلاب وأبي العباس القلانسي وأبي الحسن الأشعري وأبي عبد الله ابن مجاهد وأبي الحسن الطبري والقاضي أبي بكر الباقلاني، ولم يختلف في ذلك قول الأشعري وقدماء أصحابه. لكن المتأخرين من أتباعه كأبي المعالي وغيره لا يثبتون إلّا الصّفات العقلية.

وأما الجبرية، فمنهم من ينفية ومنهم من يتوقّف فيها، كالرازي

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٣٤٠ / ٦٦٨٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٤٥

والآمدى وغيرهما، ونفاه الصفات الجبرية، منهم من يتأول نصوصها ومنهم من يفوّض معناها إلى الله» (١).

وجاء ابن حجر في (لسان الميزان) وفصل الكلام حول الرازي بعد كلام الذهبي، وهذه عبارته:

«الفخر ابن الخطيب صاحب التصانيف، رأس في الذكاء والعقلية لكنه عرّي من الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة، نسأل الله أن يثبت الإيمان في قلوبنا، وله كتاب السرّ المكتوم في مخاطبة النجوم، سحر صريح، فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله، إنتهى.

وقد عاب التاج السبكي على المصنّف ذكره هذا الرجل في هذا الكتاب وقال: إنه ليس من الرواة، وقد تبرّء المصنّف من الهوى والعصبيّة في هذا الكتاب فكيف ذكر هذا وأمثاله ممن لا رواية لهم كالسيف الآمدى، ثم اعتذر عنه بأنّه يرى أنّ القدح في هؤلاء من الديانة، وهذا بعينه التعصّب في المعتقد، والفخر كان من أئمة الاصول، وكتبه في الأصلين شهيرة سائرة، وله ما يقبل وما يرد، وقد

ترجم له جماعة من الكبار بما ملخصه: أنه ولد سنة ٥٤٣ واشتغل على والده، وكان من تلامذة البغوي، ثم اشتغل على الكمال السمناني، وتمهّر في عدّة علوم، وعقد مجلس الوعظ، وكان إذا وعظ يحصل له وجد زائد، ثم أقبل على التصنيف، فصنّف: التفسير الكبير، والمحصول في اصول الفقه، والمعالم، والمطالب العالية والأربعين، والخمسين، والملخص، والمباحث المشرقية، وطريقه في الخلاف، ومناقب الشافعي.

وكان في أول أمره فقيراً، ثم اتفق أنه صاهر تاجراً متمولاً وله ولدان

(١) منهاج السنّة ٢: ٢٢٢-٢٢٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٤٦

فزوجهما ابنتيه، ومات التاجر، فتقلّب الفخر في ذلك المال وصار من رؤساء ذلك الزمان، يقوم على رأسه خمسون مملوكاً بمناطق الذهب وحلّل الوشي؛ قاله ابن الرسب في تاريخه. قال: وكانت له أوراد من صلاة وصيام لا يخلّ بها، وكان مع تبخّره في الاصول يقول: من التزم دين العجائز فهو الفائز، وكان يعاب بإيراد الشبه الشديدة ويقصّر في حلّها.

«وقد ذكره ابن دحية بمدح وذم، وذكره أبو شامة فحكى عنه أشياء رديّة، وكانت وفاته بهراً، يوم عيد الفطر سنة ست وستمائه.

ورأيت في الأكسير في علم التفسير للنجم الطوفي ما ملخصه: ما رأيت في التفاسير، أجمع لغالب علم التفسير من القرطبي، ومن تفسير الإمام فخر الدين، إلّا أنه كثير العيوب، فحدّثني شرف الدين النصيبي عن شيخه سراج الدين السرمياحي المصري أنه صنّف كتاب المآخذ في مجلدين، بين فيهما ما في تفسير الفخر من الزيف والبهرج، وكان ينقم عليه كثيراً ويقول: يورد شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق... قال الطوفي:

ولعمري إن هذا دأبه في كتبه الكلاميّة والحكميّة حتّى اتّهمه بعض الناس، ولكّنه خلاف ظاهر حاله، لأنّه لو كان اختار قولاً أو مذهباً ما كان عنده من يخاف منه حتّى يتسّر عنه، ولعلّ سببه أنّه كان يستفرغ قواه في تقرير دليل الخصم، فإذا انتهى إلى تقرير دليل نفسه لا يبقى عنده شيء من القوى، ولا شكّ أنّ القوى النفسانيّة تابعة للقوى البدنيّة، وقد صرح في مقدّمة نهاية العقول أنّه يقترن مذهب خصمه تقريراً لو أراد خصمه أن يقترن له لم يقدر على الزيادة على ذلك.

وذكر ابن خليل السكوني في كتابه الرد على الكشاف: أنّ ابن الخطيب

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٤٧

قال في كتبه في الاصول: أنّ مذهب الجبر هو الصحيح، وقال بصحة بقاء الأعراض وبنفى صفات الله الحقيقيّة، ويزعم أنّها مجرد نسب وإضافات كقول الفلاسفة، وسلك طريق أرسطو في دليل التمانع، ونقل عن تلميذه التاج الأرموي أنّه نصر كلامه، فهجره أهل مصر وهموا به فاستتر، ونقلوا عنه أنّه قال عندى كذا وكذا مائة شبهة على القول بحدوث العالم، ومنها ما قاله شيخه ابن الخطيب في آخر الأربعين، والمتكلم يستدلّ على القدم بوجود تأخر الفعل ولزوم أوليته، والفيلسوف يستدلّ على قدمه باستحالة تعطلّ الفاعل عن أفعاله.

وقال في شرح الأسماء الحسنی: أنّ من آخر عقاب الجاني مع علمه بأنّه سيعاقبه فهو الحقود. وقد تعقّب بأنّ الحقود من آخر مع العجز، أمّا مع القدرة فهو الحكيم، والحقود إنّما يعقل في حقّ المخلوقين دون الخالق بالإجماع.

ثمّ أسند عن ابن الطباخ: أنّ الفخر كان شيعياً، يقدم محبّة أهل البيت كمحبّة الشيعة، حتّى قال في بعض تصانيفه: وكان على شجاعاً بخلاف غيره، وعاب عليه تسميته لتفسيره مفاتيح الغيب ولمختصره في المنطق بالآيات اليّنات، وتقريره لتلامذته في وصفه: بأنّه الإمام المجتبي، استاذ الدنيا، أفضل العالم، فخر ابن آدم، حجّة الله على الخلق، صدر صدور العرب والعجم. هذا آخر كلامه «١» إنتهى.

وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في (إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء الكاملين):

«وقد طلب الشيخ فخرالدين الرازى الطريق إلى الله تعالى، فقال له الشيخ نجم الدين الكبرى: لا- تطيق مفارقة صنمك الذى هو علمك، فقال: يا

(١) لسان الميزان ٥: ٤٣٠-٤٣٥ / ٦٥٧١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٤٨

سيدي، لا بد إن شاء الله تعالى، فأدخله الشيخ الخلوة وسلبه جميع ما معه من العلوم، فصاح فى الخلوة بأعلى صوته: لا اطيق. فأخرجه وقال: أعجبنى صدقك وعدم نفاقك».

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٤٩

أبو عبدالرحمن السلمى ... ص: ٣٤٩

أقول:

ومن أعلام المفسرين عند القوم: أبو عبدالرحمن السلمى، وهو من كبار مشايخ الصوفية، قال اليافعى بترجمته:

«الشيخ الكبير، العارف بالله الشهير، الحافظ أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين بن موسى النيسابورى السلمى الصوفى، صحب جدّه أبا عمرو بن نجيد، وسمع الأصم وطبقته، وصنّف التفسير والتاريخ وغير ذلك، وبلغت مصنّفاته مائة. وقال الخطيب: قدر أبى عبدالرحمن عند أهل بلده جليل» (١).

وفى (الأنساب):

«صاحب التصانيف للصوفية التى لم يسبق إليها، وكان أكثرًا من الحديث» (٢).

وقال عبدالغافر فى (تاريخ نيسابور):

«شيخ الطريقة فى وقته، الموفق فى جمع علوم الحقائق ومعرفة طريق التصوّف ...، وقد ورث التصوّف عن أبيه وجدّه، وجمع من الكتب ما لم يسبق إلى ترتيبه» (٣).

(١) مرآة الجنان ٣: ٢١ السنة ٤١٢.

(٢) الأنساب ٣: ٢٧٩.

(٣) المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور: ١٩ / ٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٥٠

وقال أبو نعيم فى (الحلية):

«ومنهم: ذوالصيام والقيام، مقرى الأئمة والأعلام مدى السنين والأعوام، فى التّعبد لبيب وفى التعليم أريب، أبو عبدالرحمن السلمى» (١).

فالعجب كلّ العجب!! أن يكون هذا الصّوفى المتعبد والعارف الكبير، كذاباً مفترياً يضع الحديث على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال ابن الجوزى فى (تلبيس إبليس) فى حال الصوفية:

«وما زال إبليس يخطبهم بفنون البدع، حتّى جعلوا لأنفسهم سنناً، وجاء أبو عبدالرحمن السلمى فصنّف لهم كتاب السنن، وجمع لهم حقائق التفسير، فذكر عنهم فيه العجب فى تفسيرهم القرآن بما يقع لهم، من غير إسناد ذلك إلى أصل من اصول العلم، وإنّما حملوه على مذاهبهم، والعجب من ورعهم فى الطعام وانبساطهم فى القرآن، وقد أخبرنا أبو منصور بن عبدالرحمن القزاز قال: أخبرنا أبو بكر

الخطيب قال قال لى محمد بن يوسف القطن النيسابورى:

كان أبو عبدالرحمن السلمى غير ثقة، ولم يكن سمع من الأصم إلأ شيئاً يسيراً، فلما مات الحاكم أبو عبدالله ابن البيع، حدث عن الأصم بتاريخ يحيى ابن معين وبأشياء كثيرة سواه، وكان يضع للصوفية الأحاديث «٢».

وقال المناوى:

«نقل الذهبى وغيره عن الخطيب عن القطن: إنه كان يضع للصوفية.
وفى اللسان كأصله إنه ليس بعمدة» «٣».

(١) حلية الأولياء ٤: ٢٧٥ / ١٩١

(٢) تلبس إبليس: ١٨٨ - ١٨٩.

(٣) فيض القدير - شرح الجامع الصغير ١: ١٨٩.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٥١
وفى (الميزان):

«محمد بن الحسين أبو عبدالرحمان السلمى النيسابورى، شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم. تكلموا فيه وليس بعمدة. روى عن الأصم وطبقته، عنى بالحديث ورجاله، وسأل الدارقطنى. قال الخطيب قال لى: محمد بن يوسف القطن كان يضع الأحاديث للصوفية» «١».

وقال السبكى عن الذهبى أنه قال: «له كتاب سماه حقائق التفسير، ليته لم يصنفه، فإنه تحريف وقرمطة» «٢».

وقال السيوطى فى (الإتقان):

«قال ابن الصلاح فى فتاويه: وجدت عن الإمام أبى الحسن الواحدى المفسر أنه قال: صنّف أبو عبدالرحمان السلمى ج شيخ القشيري ج حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر» «٣».

وفى (منهاج السنة) فى غير موضع:

إنّ ما ينقل فى كتاب حقائق التفسير عن الإمام جعفر الصادق عامته كذب عليه.

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٥٢٣ / ٧٤١٩.

(٢) طبقات الشافعية ٤: ١٤٧ / ٣٢٠.

(٣) الإتقان فى علوم القرآن ٤: ٢٢٣.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٥٥

الباب الثالث: الصحاح السنة ... ص: ٣٥٥

مقدمة - الصحاح عند أهل السنة ... ص: ٣٥٥

إشارة

إعلم أن الصحاح السنة عند أكثر أهل السنة هى الموطأ وكتب: البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى، إلأ أنها ليست فى مرتبة واحدة، فقد ذكر الشاه ولى الله الدهلوى فى كتاب (حجة الله البالغة): أن الطبقة الاولى من كتب الحديث هى: الموطأ وصحيح

البخارى وصحيح مسلم، ولعل أصحها هو الموطأ، والطبقة الثانية هي: جامع الترمذى وسنن أبى داود وسنن النسائى، فإن هذه وإن لم تكن فى مرتبة الصحيحين إلا أنها قريبة منها.

ولم يجعل صاحب (جامع الاصول) كتاب ابن ماجه فى عداد الصّحاح، وإنما جعل الموطأ منها، قال الشيخ عبدالعزيز الدهلوى فى رسالته فى (اصول الحديث): «والحق معه»، ثم نقل عن والده ولى الله أن (مسند أحمد) أيضاً فى هذه المرتبة، لكونه أصلاً فى معرفة الصحيح من السقيم، وبه يعرف ماله أصل عمّا ليس له أصل. وعلى كل حال، فلا خلاف فى تقدّم كتاب البخارى ومسلم على سائر كتبهم الحديثية.

قدح الفيض آبادى فى الصحيحين ... ص: ٣٥٥

وينبغى - قبل الورود فى تحقيق حال الصحيحين وصاحبيهما من كلمات أعلام القوم - أن نذكر رأى (المخاطب) نفسه فيهما، وذلك: أنه لما لزم ببعض

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٥٦

الأحاديث المخرّجة فى الكتابين، اضطرّ فى كتابه (إزالة الغين) إلى تكذيبها والطنع فيهما.

فكذب حديث «إيتونى بدواه وقرطاس» وحكى عن الأمدى فى مسنده القول بأنّ حديث القرطاس لا أساس له.

وكذب حديث «فدك» ونقل عن أبى السعادات ابن الأثير قوله فى مقدّمه (جامع الاصول) فى ذكر المجروحين: «ومنهم: قوم وضعوا الحديث لهوى يدعون الناس إليه، فمنهم من تاب عنه وأقر على نفسه، قال شيخ من شيوخ الخوارج بعد أن تاب: إن هذه الأحاديث دين، فانظروا ممن تأخذون دينكم، فإننا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً.

وقال أبو العيّن: وضعت أنا والجاحظ حديث فدك، وأدخلناه على الشيخ ببغداد، فقبلوه، إلّا ابن أبى شيبه العلوى، فإنه قال: لا يشبه آخر هذا الحديث أوله، وأبى أن يقبله...»

فأين صارت دعوى إجماع الأمة على صحّة ما فى الكتابين؟ وأين راحت تلك الفضائل والمناقب التى يزعمونها لهما، والخرافات التى يلقونها لصاحبيهما؟ وأين ذهبت شدّة احتياط البخارى لدى كتابه الأحاديث وتدوين صحيحه، حتّى أنه لم يخرج فيه شيئاً عن صادق أهل البيت عليه السلام!! مع روايته عن الكذابين والنواصب والخوارج: كإسحاق بن سويد، وحريز بن عثمان، وعمران بن حطّان، وحصين بن نمير، وعبدالله بن سالم، وعكرمة مولى ابن عباس، وقيس بن أبى حازم، ووليد بن كثير، وأمثالهم، كما لا يخفى على ناظر (ميزان الاعتدال) وغيره من كتب الرجال؟! عجبٌ أمر هؤلاء!!

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٥٧

إذا أرادوا تصحيح أحاديث هذين الكتابين والاستدلال بها أمام الإمامية، بالغوا فى مدحهما حتّى كفّروا من تكلم فيهما وهون أمرهما، قال شاه ولى الله فى كتاب (حجة الله البالغة):

«وأما الصحيحان، فقد اتفق المحدّثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع، وأنهما متواتران إلى مصنفهما، وأنه كلّ من يهون أمرهما فهو مبتدع متّبّع غير سبيل المؤمنين».

وحتى وضعوا ما يدل على جلالتهما وعظمتهما على لسان النبى الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم!! لقد جاء فى (الدر الثمين فى مبشرات النبى الأمين) لشاه ولى الله الدهلوى.

«الحديث الثالث والثلاثون: أخبرنى الشيخ أبو طاهر قال: أخبرنا الشيخ أحمد النخلى قال: أخبرنا شيخنا السيّد السند أحمد بن عبد القادر قال: أخبرنا الشيخ جمال القيروانى، عن شيخه الشيخ يحيى الخطّاب المالكي قال: أخبرنا عمى الشيخ بركات الخطّاب، عن والده، عن

جده الشيخ محمد بن عبدالرحمان الخطّاب شارح مختصر الخليل قال: مشينا مع شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ عبدالمعطي التونسي لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما قربنا من الروضة الشريفة ترجلنا، فجعل الشيخ عبدالمعطي يمشى خطوات ويقف، حتى وقف تجاه القبر الشريف، فتكلم بكلام لم نفهمه، فلما انصرفنا سألتنا عن وقفاته فقال: كنت أطلب الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدوم عليه، فإذا قال لي أقدم قدمت ساعه، ثم وقفت وهكذا حتى وصلت إليه. فقلت:

يا رسول الله، أكلما روى البخارى عنك صحيح؟

فقال: صحيح.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٥٨

فقلت له: أرويه عنك يا رسول الله؟

قال: أروه عنى.

وقد أجاز الشيخ عبدالمعطي نفعنا الله تعالى به الشيخ محمد الخطّاب أن يرويه عنه، وهكذا كل واحد أجاز من بعده، وأجاز السيد أحمد بن عبدالقادر النخلى أن يرويه عنه بهذا السند، وأجاز النخلى لأبى طاهر، وأجاز أبو طاهر لنا.

ووجدت هذا الحديث بخط الشيخ عبدالحق الدهلوى بإسناد له عن الشيخ عبدالمعطي بمعناه، وفيه: فلما فرغ من الزيارة وما يتعلّق بها، سأله أن يروى عنه صلى الله عليه وسلم صحيح البخارى وصحيح مسلم، فسمع الإجازة من النبي، فذكر صحيح مسلم أيضاً. كما ذكروا مناماتٍ فيها أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدراسة كتاب البخارى،!! فراجع (مقدمه فتح البارى) «١». ثم إنه قد نصّ بعضهم على أن أحاديث الكتابين هي الدليل عندهم على أن فرقتهم هي الفرقة الناجية في القيامة، يقول المناوى بشرح حديث:

«افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة...»

«فإن قيل: ما وثوقك بأن تلك الفرقة الناجية هي أهل السنّة والجماعة، مع أن كل واحد من الفرق يزعم أنه هي دون غيره؟ قلنا: ليس ذلك بالإدعاء والنشّب باستعمال الوهم القاصر والقول الزاعم، بل بالنقل عن جهابذة أهل الصنعة وأئمة الحديث الذين جمعوا صحاح الأحاديث في أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم وأحواله وأفعاله

(١) هدى السارى - مقدمه فتح البارى: ٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٥٩

وحر كاته وسكناته، وأحوال الصحب والتابعين، كالشيخين وغيرهما من الثقات المشاهير، الذين اتفق أهل المشرق والمغرب على صحّة ما في كتبهم «... ١».

فكان المدرك لكون أهل السنّة هم الفرقة الناجية ما رواه الشيخان البخارى ومسلم، في كتابيهما المعروفين بالصحيحين... وإذا سقط الكتابان عن الاعتبار، لاشتغالهما على الأخبار الموضوعه والمكذوبه، بطل دعواهم على كونهم الفرقة الناجية، وانهدم أساس مذهبهم، وتلك هي الكارثة العظيمة...

وبعد:

فهذا بعض الكلام على الكتب المذكورة وأصحابها:

(١) فيض القدير - شرح الجامع الصغير ٢: ٢٠ - ٢١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٦٣

صحيح البخارى ... ص: ٣٦٣

إشارة

أما صحيح البخارى، فإنَّ أولَّ شيءٍ ذكره حوله، هو أن أبا زرعة وأبا حاتم الرازيين قد تركا البخارى ومنعا من الرواية عنه والأخذ منه.

ترك أبو زرعة وأبى حاتم البخارى ... ص: ٣٦٣

ففى (طبقات السبكي) عن تقي الدين ابن دقيق العيد أنه قال: «أعراض المسلمين حفرة من حفر النار، وقف على شفيرها طائفتان من الناس:

المحدّثون والحكّام» فقال السبكي:

«قلت: ومن أمثله قول بعضهم فى البخارى: تركه أبو زرعة وأبو حاتم من أجل مسألة اللفظ. فيالله وللمسلمين! أيجوز لأحد أن يقول: البخارى متروك؟ وهو حامل لواء الصناعة ومقدّم أهل السنّة والجماعة» (١).

وأورد الذهبى البخارى فى كتاب (الضعفاء والمتروكين)، فقال المناوى متضجراً من ذلك:

«زين الأئمّة، إفتخار الأئمّة، صاحب أصحّ الكتب بعد القرآن، صاحب ذيل الفضل على ممّر الزمان، الذى قال فيه إمام الأئمّة ابن خزيمة: ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث منه، وقال بعضهم: إنّه آية من آيات الله يمشى على وجه الأرض. قال الذهبى: كان من أفراد العالم مع الدين والورع والمتأنّة.

(١) طبقات الشافعية ٢: ٢٣٠، سير أعلام النبلاء ١٢: ٤٦٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٦٤

هذا كلامه فى الكاشف. ومع ذلك غلب عليه الغضب من أهل السنّة، فقال فى كتاب الضعفاء والمتروكين: ما سلم من الكلام، لأجل مسألة اللفظ، تركه لأجلها الرازيان.

هذه عبارته، وأستغفر الله تعالى، نسأل الله تعالى السلامة، ونعوذ به من الخذلان» (١).

وقال فى (ميزان الاعتدال) بترجمه على بن المدينى:

«على بن عبد الله بن جعفر بن الحسن، الحافظ، أحد الأعلام الأثبات وحافظ العصر. ذكره العقيلي فى كتاب الضعفاء فبئس ما صنع فقال: جنح إلى ابن أبي دؤاد والجهميّة، وحديثه مستقيم إن شاء الله، قال لى عبد الله بن أحمد: كان أبى حدّثنا عنه، ثمّ أمسك عن اسمه وكان يقول حدّثنا رجل، ثمّ ترك حديثه بعد ذلك. قلت: بل حديثه عنه فى مسنده.

وقد تركه إبراهيم الحربى، وذلك لميله إلى أحمد بن أبى دؤاد، فقد كان محسناً إليه.

وكذا امتنع من الرواية عنه فى صحيحه لهذا المعنى، كما امتنع أبو زرعة وأبو حاتم من الرواية عن تلميذه محمد لأجل مسألة اللفظ.

وقال عبدالرحمن ابن أبى حاتم: كان أبو زرعة ترك الرواية عنه من أجل ما كان منه فى المحنة» (٢ ...).

(١) فيض القدير - شرح الجامع الصغير ١: ٢٤.

(٢) ميزان الاعتدال ٥: ١٦٧ / ٥٨٨٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٦٥

ترجمة أبي زرعة الرازي ... ص: ٣٦٥

وأبو زرعة الرازي، المتوفى سنة ٢٦٤، من أعلام أئمة القوم:

قال الذهبي: «م ت س ق - عبيدالله بن عبدالكريم، أبو زرعة الرازي، الحافظ، أحد الأعلام، عن أبي نعيم والقعنبي وقبيصة وطبقتهم في الآفاق.

وعنه: م ت س ق، وأبو عوانة، ومحمد بن الحسين، والقطان، وامم.

قال ابن راهويه: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة فليس له أصل.

مناقبه تطول» (١).

وقال ابن حجر: «م ت س ق - عبيدالله بن عبدالكريم بن يزيد بن فروخ، أبو زرعة الرازي، إمام، حافظ، ثقة، مشهور، من الحادية عشر» (٢).

وقال الياقيني: «الحافظ، أحد الأئمة الأعلام... قال أبو حاتم: لم يخلف بعده مثله علماً وفقهاً وصياناً وصدقاً، وهذا مما لا يرتاب فيه، ولا أعلم من المشرق والمغرب من كان يفهم هذا الشأن مثله. وقال إسحاق بن راهويه: كل حديث لا يحفظه أبو زرعة ليس له أصل» (٣).

وقال الخطيب البغدادي: «عبيدالله بن عبدالكريم بن يزيد بن فروخ، أبو زرعة الرازي ... كان إماماً ربانياً متقناً حافظاً مكثرًا صادقاً. قدم بغداد غير مّرة، وجالس أحمد بن حنبل وذاكره وحديث، فروى عنه من البغداديين:

إبراهيم بن إسحاق الحربي وعبدالله بن أحمد بن حنبل وقاسم بن زكريا

(١) الكاشف ٢: ٢٢٣ / ٣٦٠٧.

(٢) تقريب التهذيب ١: ٤٩٧ / ٤٨٥٠.

(٣) مرآة الجنان ٢: ١٣١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٦٦

المطرز...

حدّثني الأزهرى، حدّثنا عبيدالله بن محمد العكبرى قال: سمعت أحمد بن سلمان قال: سمعت عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: لما ورد علينا أبو زرعة نزل عندنا، فقال لى أبى: يا بنى قد اعتضت بنوافلى مذاكرة هذا الشيخ.

أخبرنى إبراهيم بن عمر البرمكى: حدّثنا عبيدالله بن محمد بن محمد ابن حمدان العكبرى، حدّثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء قال: سمعت عبدالله ابن أحمد بن حنبل يقول: لما قدم أبو زرعة نزل عند أبى، فكان كثير المذاكرة له، فسمعت أبى يوماً يقول: ما صليت غير الفرض، استأثرت بمذاكرة أبى زرعة على نوافلى.

أخبرنى محمد بن أحمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بن نعيم الضبى، حدّثنا أحمد بن الحسين القاضى عن بعض شيوخه قال: سمعت عبدالله بن أحمد بن حنبل يقول: قلت لأبى: يا أبت من الحفاظ؟ قال: يا بنى، شباب كانوا عندنا من أهل خراسان وقد تفرّقوا، قلت: من هم يا أبت؟ قال: محمد بن ابن إسماعيل ذاك البخارى، وعبيدالله بن عبدالكريم ذاك الرازي، وعبدالله بن عبدالرحمن ذاك السمرقندى، والحسن بن شجاع ذاك البلخى.

أخبرنى محمد بن على المقرئ، أخبرنا أبو مسلم ابن مهران، أخبرنا عبدالمؤمن بن خلف النسفى قال: سمعت أبا على صالح بن محمد يقول:

سمعت أبازرعة يقول: كتبت عن رجلين مائتي ألف حديث، كتبت عن إبراهيم الفراء مائة ألف حديث، وعن ابن أبي شيبه عبد الله مائة ألف حديث.

أخبرني أبو زرعة روح بن محمد الرازي - إجازة شافهني بها - أخبرنا

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٦٧

علي بن محمد بن عمر القصير، حدثنا عبدالرحمن بن أبي حاتم. قال: قلت لأبي زرعة: تحزر ما كتبت عن إبراهيم بن موسى مائة ألف؟ قال: مائة ألف كثير، قلت: فخمسين ألفاً؟ قال: نعم، وستين ألفاً، وسبعين ألفاً. أخبرني من عد كتاب الوضوء والصلاة فبلغ ثمانمائة عشر ألف حديث.

أخبرنا أبو بكر البرقاني قال: قال محمد بن العباس العصمي، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن محمود الفقيه قال: حدثنا صالح بن محمد الأسدي قال: حدثني سلمة بن شبيب، حدثني الحسن بن محمد بن أعين، حدثنا زهير بن معاوية قال: حدثتنا ام عمرو بنت شمر قالت: سمعت سويد بن غفلة يقرأ (وعيس عين) يريد حور عين. قال صالح: ألقيت هذا على أبي زرعة فبقي متعجباً، وقال: أنا أحفظ في القراءات عشرة آلاف حديث، قلت: فتحفظ هذا؟ قال: لا.

أخبرنا أبو القاسم رضوان بن محمد بن الحسن الدينوري: حدثنا أبو علي حمد بن عبد الله الأصبهاني قال: سمعت أبا عبد الله عمر بن محمد بن إسحاق العطار يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: ما جاوز الجسر أفاقه من إسحاق بن راهويه، ولا أحفظ من أبي زرعة.

حدثنا أبو طالب يحيى بن علي بن الطيب الدسكري - لفظاً بخلوان - أخبرنا أبو بكر ابن المقرئ - بأصبهان - حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر القزويني - بمصر - قال: سمعت أبا حفص عمر بن مقلاص يقول: كان أبو زرعة هاهنا عندنا بمصر - سنة تسع وعشرين ومائتين - إذا فرغ من سماع ابن بكير وعمرو بن خالد والشيخ، اجتمع إليه أصحاب الحديث، فيملى عليهم وهو ابن سبع وعشرين سنة.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٦٨

وقال عبد الله: سمعت يزيد بن عبد الصمد يقول: قدم علينا أبو زرعة الرازي سنة ثمان وعشرين فما رأينا مثله، وكنا نجلس إليه، فلما أراد الخروج قلت له: يا أبازرعة، إجعلني خليفتك في هذه الحلقة، قال: فقال لي: قد جعلتك. قال عبد الله: سمعت محمد بن عوف يقول: قدم علينا أبو زرعة فما ندرى مما يتعجب منه؟! مما وهب الله له من الصيانة والمعرفة، مع الفهم الواسع. قال محمد: قال لي أبو زرعة: ولدت سنة مائتين.

أخبرنا أبو زرعة الرازي - إجازة - أخبرنا علي بن محمد بن عمر القصار حدثنا عبدالرحمن بن أبي حاتم قال: سمعت أبا زرعة يقول: أردت الخروج من مصر، فجئت لأودع يحيى بن عبد الله بن بكير فقلت: تأمر بشيء؟ فقال: أخلف الله علينا بخير.

أخبرنا علي بن محمد المقرئ: أخبرنا صالح بن أحمد بن محمد الهمداني الحافظ، أخبرنا عبدالرحمن بن حمدان المرزبان، قال أبو حاتم الرازي: إذا رأيت الرازي وغيره يبغض أبازرعة فاعلم أنه مبتدع.

أخبرنا أبو سعد الماليني - قراءة - حدثنا عبد الله ابن عدى الحافظ قال:

سمعت محمد بن إبراهيم المقرئ يقول: سمعت فضلك الصائغ يقول: دخلت المدينة، فصرت إلى باب أبي مصعب، فخرج إلي شيخ مخضوب - وكنت أنا ناعساً فحركتني - فقال: يا مردريك، من أين أنت؟ لأي شيء تنام؟ فقلت:

أصلحك الله، من الري، من بعض شاكردي أبي زرعة، فقال: تركت أبازرعة وجئتني؟! لقيت مالك بن أنس وغيره، فما رأيت عيناى مثله.

وقال أيضاً: سمعت فضلك الصائغ يقول: دخلت على الربيع بمصر،

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٦٩

فقال لي: من أين أنت؟ قلت: من أهل الري - أصلحك الله - من بعض شاكردي أبو زرعة. فقال: تركت أبا زرعة وجئتني؟! إن أبا زرعة آية، وإن الله إذا جعل إنساناً آية أبان من شكله حتى لا يكون له ثاب.

حدثنا أبو طالب الدسكري، أنبأنا أبو بكر ابن المقرئ، حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر القزويني قاضي الرملة - بمصر - قال: سمعت يونس بن عبد الأعلى سنة تسع وخمسين ومائتين يقول - وذكر أبا زرعة الرازي - فقال:

أبو زرعة آية، وإذا أراد الله أن يجعل عبداً من عباده آية جعله.

أخبرنا أبو سعد الماليني، أخبرنا عبدالله بن عدى، أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثني الحضرمي قال: سمعت أبا بكر ابن أبي شيبه، وقيل له: من أحفظ من رأيت؟ قال: ما رأيت أحداً أحفظ من أبي زرعة الرازي.

كتب إلي أبو حاتم أحمد بن الحسن بن محمد بن خاموش الواعظ - من الري، بخطه - قال: سمعت أحمد بن الحسن بن محمد العطار، يذكر عن محمد بن أحمد بن جعفر الصيرفي، حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سليمان التستري قال: سمعت أبا زرعة يقول: إن في بيتي ما كتبه منذ خمسين سنة، ولم اطالع منه منذ كتبه، وإني أعلم في أي كتاب هو، في أي ورقة هو، في أي صفحة هو، في أي سطر هو. قال: وسمعت أبا زرعة يقول: ما سمعت اذني شيئاً من العلم إلا وعاه قلبي، وإني كنت أمشي في سوق بغداد فأسمع من الغرف صوت المغنيات، فأضع أصبعي في اذني مخافة أن يعيه قلبي.

أخبرني أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الواحد المروزي، حدثنا محمد بن عبدالله بن محمد الحافظ - بنيسابور - قال: سمعت أبا حامد أحمد بن

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٧٠

محمد المقرئ الفقيه الواعظ يقول: سمعت أبا العباس محمد بن إسحاق الثقفي يقول: لما انصرف قتيبة بن سعيد إلى الري، سأله أن يحدثهم فامتنع وقال:

أحدثكم بعد أن حضر مجالسي أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأبو بكر ابن أبي شيبه، وأبو خيثمة؟! قالوا له: فإن عندنا غلاماً يسرد كل ما حدثت به مجلساً مجلساً، قم يا أبا زرعة، فقام أبو زرعة، فسرد كل ما حدث به قتيبة، فحدثهم قتيبة.

حدثنا محمد بن يوسف القطان النيسابوري - لفظاً - أخبرنا محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه الحافظ قال: سمعت أبا جعفر محمد بن أحمد الرازي يقول: سمعت أبا عبدالله محمد بن مسلم بن واره يقول: كنت عند إسحاق بن إبراهيم بنيسابور، فقال رجل من أهل العراق: سمعت أحمد بن حنبل يقول: صح من الحديث سبعمائة ألف حديث وكسر، وهذا الفتى: - يعني أبا زرعة - قد حفظ ستمائة ألف.

أخبرنا أبو سعد الماليني، حدثنا عبدالله بن عدى قال: سمعت الحسن ابن عثمان التستري يقول: سمعت محمد بن مسلم بن واره يقول: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة الرازي ليس له أصل.

حدثني أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن علي السوذرجاني - لفظاً، بأصهبان - وأبو طالب يحيى بن علي بن الطيب الدسكري - لفظاً، بخلوان - قال يحيى حدثنا، وقال الآخر: أنبأنا أبو بكر ابن المقرئ، حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر القزويني - بمصر - قال سمعت محمد بن إسحاق الصاغاني يقول - في حديث ذكره من حديث الكوفة فقال: هذا أفادنيه أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم، فقال له بعض من حضر: يا أبا بكر، أبو زرعة من أولئك

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٧١

الحفاظ الذين رأيتهم؟ وذكر جماعة من الحفاظ، منهم الفلاس. فقال: أبو زرعة أعلاهم، لأنه جمع الحفاظ مع التقوى والورع، وهو

يشبه بأبي عبدالله أحمد بن حنبل.

أخبرنا أبو نعيم الحافظ: حدّثنا الحسن بن محمّد الزعفراني، حدّثنا أحمد بن محمّد بن عمر، حدّثنا أبو بكر ابن بحر، حدّثنا محمّد بن الهيثم بن علي النسوي، قال: لمّا أن قدم حمدون البرذعي على أبي زرعة لكتابه الحديث، دخل عليه فرأى في داره أواني وفرشاً كثيراً، قال: وكان ذلك لأخيه، فهمم أن يرجع ولا يكتب عنه، فلمّا كان من الليل رأى كأنّه على شط بركة، ورأى ظلّ شخص في الماء، فقال: أنت الذي زهدت في أبي زرعة؟! أعلمت أنّ أحمد بن حنبل كان من الأبدال، فلمّا أن مات أبدل الله مكانه أبازرعة.

أخبرنا الماليني: أخبرنا عبدالله بن عدى، حدّثنا أحمد بن محمّد بن سليمان القطان، حدّثنا أبو حاتم الرازي، حدّثني أبو زرعة عبيدالله بن عبدالكريم بن يزيد القرشي، وما خلف بعده مثله علماً وفهماً، وصياناً وحذقاً، وهذا ما لا يرتاب فيه، ولا أعلم من المشرق والمغرب من كان يفهم من هذا الشأن مثله، ولقد كان من هذا الأمر بسبيل.

وقال ابن عدى: سمعت عبدالملك بن محمّد يقول: سمعت ابن خراش يقول: كان بيني وبين أبي زرعة موعد أن ابكر عليه فاذاكره، فبكرت فمررت بأبي حاتم وهو قاعد وحده، فدعاني فأجلسني معه يذاكرني حتّى أصبح النهار، فقلت له: بيني وبين أبي زرعة موعد، فجنّت إلى أبي زرعة والناس عليه منكبون، فقال لي: تأخرت عن الموعد؟ قلت: بكرت فمررت بهذا المستوحش فدعاني فرحمته لوحدته، وهو أعلا إسناداً منك، وضربت أنت بالدست. أو كما قال.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٧٢

أخبرنا أبو منصور محمّد بن عيسى بن عبدالعزيز البزاز - بهمدان - حدّثنا صالح بن أحمد بن محمّد الحافظ قال: سمعت القاسم بن أبي صالح يقول: سمعت أبا حاتم الرازي يقول: أبو زرعة إمام.

أخبرنا البرقاني: أخبرنا علي بن عمر الدارقطني، أخبرنا الحسن بن رشيق حدّثنا عبدالكريم بن أبي عبدالرحمن النسائي عن أبيه. ثم حدّثني الصوري، أخبرنا الخصيب بن عبدالله قال: ناولني عبدالكريم - وكتب لي بخطه - قال: سمعت أبي يقول: عبيدالله بن عبدالكريم أبو زرعة: رازي ثقة.

أخبرنا الماليني: أخبرنا عبدالله بن عدى قال: سمعت أبا يعلى الموصلي يقول: ما سمعنا بذكر أحد في الحفظ إلّا كان اسمه أكثر من رؤيته، إلّا أبو زرعة الرازي، فإنّ مشاهدته كانت أعظم من اسمه، وكان قد جمع حفظ الأبواب، والشيوخ، والتفسير، وغير ذلك، وكتبنا بانتخابه بواسط ستّة آلاف.

أخبرنا هناد بن هارون النسفي: أخبرنا محمّد بن أحمد بن محمّد بن سليمان الحافظ - ببخارى - أخبرنا أبو الأزهر ناصر بن محمّد بن النضر الأسدي - بكرمينية - قال سمعت أبا يعلى أحمد بن علي بن المثنى يقول: رحلت إلى البصرة للقاء المشايخ أبي الربيع الزهراني وهدبه بن خالد، وسائر المشايخ، فبينما نحن قعود في السفينة، إذا أنا برجل يسأل رجلاً فقال: ما تقول - رحمك الله - في رجل حلف بطلاق امرأته ثلاثاً أنك تحفظ مائة ألف حديث؟ فأطرق رأسه ملياً ثم رفع فقال: إذهب يا هذا وأنت بارٌّ في يمينك، ولا تعد إلى مثل هذا، فقلت من الرجل؟ فقيل لي: أبو زرعة الرازي، كان ينحدر معنا إلى البصرة.

أخبرنا الماليني: حدّثنا عبدالله بن عدى قال: سمعت أبي عدى بن

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٧٣

عبدالله يقول: كنت بالري - وأنا غلام في البزازين - فحلف رجل بطلاق امرأته أنّ أبازرعة يحفظ مائة ألف حديث، فذهب قوم إلى أبي زرعة بسبب هذا الرجل هل طلقت امرأته أم لا؟ فذهبت معهم، فذكر لأبي زرعة ما ذكر الرجل، فقال: ما حملة على ذلك؟ فقيل له: قد جرى الآن منه ذلك، فقال أبو زرعة:

قل له يمسك امرأته «... ١».

وكذلك أبو حاتم الرازي المتوفى سنة ٢٧٧:

قال الذهبي: «محمّد بن إدريس أبو حاتم الرازي، الحافظ، سمع الأنصاري وعبيدالله بن موسى. وعنه: د، س، وولده عبدالرحمن بن أبي حاتم، والمحاملي. قال موسى بن إسحاق الأنصاري: ما رأيت أحفظ منه. مات في شعبان سنة ٢٧٧» (٢).

وقال السمعي: «إمام عصره والمرجوع إليه في مشكلات الحديث، من مشاهير العلماء المذكورين، الموصوفين بالفضل والحفظ والرحلة، ولقى العلماء» (٣).

وقال ابن حجر: «د، س، ق محمّد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي، أبو حاتم الرازي، الحافظ الكبير، أحد الأئمة... روى عنه: أبو داود والنسائي وابن ماجه في التفسير... وقال الحاكم أبو أحمد في الكنى: أبو

(١) تاريخ بغداد ١٠/٣٢٦-٣٣٧.

(٢) الكاشف ٣: ٦/٤٧٦١.

(٣) الأنساب ٢: ٢٧٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٧٤

حاتم محمّد بن إدريس، روى عنه: محمّد بن إسماعيل الجعفي وابنه عبدالرحمن... ورفيقه أبوزرع... وآخرون.

قال أبو بكر الخلال: أبو حاتم إمام في الحديث، روى عن أحمد مسائل كثيرة وقعت إلينا متفرقة، كلّها غريب.

وقال ابن خراش: كان من أهل الأمانة والمعرفة.

وقال النسائي: ثقة.

وقال اللالكائي: كان إماماً، عالماً بالحديث، حافظاً له، متقناً متبناً.

وقال الخطيب: كان أحد الأئمة الحفاظ الأثبات، مشهوراً بالعلم، مذكوراً بالفضل... مات بالرى ٢٧٧» (١).

تكمّل الذهلي في البخاري ... ص: ٣٧٤

وممن تكلم في البخاري من الأئمة الأعلام: محمّد بن يحيى الذهلي، فقد قدح فيه وطعن، وبدّعه في الدين، ومنع من الكتابة عنه والحضور عنده، قال السبكي بترجمه البخاري:

«قال أبو حامد ابن الشرقي: رأيت البخاري في جنازة سعيد بن مروان والذهلي يسأله عن الأسماء والكنى والعلل، ويمرّ فيه البخاري مثل السهم، فما أتى على هذا شهر حتّى قال الذهلي: ألا من يختلف إلى مجلسه فلا يأتنا، فإنهم كتبوا إلينا من بغداد أنّه تكلم في اللفظ، ونهيناه فلم ينته، فلا تقرّبوه.

قلت: كان البخاري- على ما روى وسنحكي ما فيه- ممن قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وقال محمّد بن يحيى الذهلي: من زعم أنّ لفظي بالقرآن

(١) تهذيب التهذيب ٩: ٢٨-٣٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٧٥

مخلوق فهو مبتدع لا يجالس ولا يكلم، ومن زعم أنّ القرآن مخلوق فقد كفر.

وقال ابن حجر: «قال أبو حامد ابن الشرقي: سمعت محمّد بن يحيى الذهلي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن زعم لفظي

بالقرآن مخلوق فهو مبتدع لا يجالس ولا يكلم، ومن ذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل فاتهموه، فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مذهبه» (١).

نقد دفاع القوم عن البخارى ... ص: ٣٧٥

ثم إن القوم حاولوا تخلص البخارى من هذه الورطة، فأتعّبوا أنفسهم وجهدوا كثيراً... فقد جاء فى كتاب (الطبقات) بعد ما تقدّم: «وإنما أراد محمد بن يحيى - والعلم عند الله - ما أراد أحمد بن حنبل كما قدّمناه فى ترجمته الكرابيسى، من النهى عن الخوض فى هذا، فلم يرد مخالفة البخارى، وإن خالفه وزعم أن لفظه الخارج من بين شفه المحدثين قديم، فقد باء ياثم عظيم، والظنّ به خلاف ذلك، وإنما أراد هو وأحمد وغيرهما من الأئمة النهى عن الخوض فى مسائل الكلام، وكلام البخارى عندنا محمول على ذكر ذلك عند الإحتياج إليه، فالكلام عند الإحتياج واجب، والسكوت عنه عند عدم الإحتياج سنّه. فافهم ذلك ودع خرافات المؤرخين، واضرب صفحاً عن تمويهات الضالّين، الذين يظنون أنّهم محدّثون وأنهم عند السنّه واقفون، وهم عنها مبعدون.

(١) هدى السارى: ٤٩٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٧٦

وكيف يظنّ البخارى أنّه يذهب إلى شىء من أقوال المعتزلة، وقد صحّ عنه فيما رواه الفريرى وغيره أنّه قال: إنى لأستجهل من لا يكفر الجهميّة، ولا يرتاب المنصف فى أن محمد بن يحيى الذهلى لحقته الحسد التى لم يسلم منها إلا أهل العصمة، وقد سأل بعضهم البخارى عمّا بينه وبين محمد بن يحيى فقال البخارى: كم يعترى محمد بن يحيى الحسد فى العلم، والعلم رزق الله يعطيه من يشاء، ولقد أطرف البخارى وأبان عن عظيم ذكائه حيث قال - وقد قال له أبو عمرو الخفاف أن الناس خاضوا فى قولك: لفظى بالقرآن مخلوق - يا أبا عمرو، إحفظ ما أقول لك، من زعم من أهل نيسابور وقومس والرى وهمدان وبغداد والكوفة والبصرة ومكّة والمدينة: أنّى قلت لفظى بالقرآن مخلوق، فهو كذاب، فإنى لم أقله، إلا أنّى قلت: أفعال العباد مخلوقة.

قلت: تأمل كلامه ما أذكاه! ومعناه - والعلم عند الله - إنى لم أقل لفظى بالقرآن مخلوق، لأنّ الكلام فى هذا خوض فى مسائل الكلام وصفات الله التى لا ينبغى الخوض فيها إلا للضرورة، ولكنى قلت أفعال العباد مخلوقة، وهو قاعدة مغنية عن تخصيص هذه المسألة بالذكر، فإنّ كلّ عاقل يعلم أنّ لفظنا من جملة أفعالنا، وأفعالنا مخلوقة، فألفاظنا مخلوقة.

ولقد أفصح بهذا المعنى فى رواية اخرى صحيحة عنه، رواها حاتم بن أحمد الكيدرى فقال: سمعت مسلم بن الحجاج، فذكر الحكاية وفيها: أنّ رجلاً قام إلى البخارى فسأله عن اللفظ بالقرآن فقال: أفعالنا مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا، وفى الحكاية: أنّه وقع بين القوم إذ ذاك اختلاف على البخارى، فقال بعضهم: قال لفظى بالقرآن مخلوق، وقال آخرون: لم يقل.

قلت: فلم يكن الإنكار إلا على من تكلم فى القرآن، فالحاصل ما قدّمناه

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٧٧

فى ترجمته الكرابيسى، من أن أحمد بن حنبل وغيره من السادات الموقّفين، نهوا عن الكلام فى القرآن جملة، وإن لم يخالفوا فى مسألة اللفظ فيما نظّنه فيهم إجلالاً لهم وفهماً من كلامهم فى غير روايته، ودفعاً لمحلّهم عن قول لا يشهد له معقول ولا منقول، وهو أنّ الكرابيسى والبخارى وغيرهما من الأئمة الموقّفين أيضاً أفصحوا بأنّ لفظهم مخلوق لئلا يحتاجوا إلى الإفصاح، هذا إن ثبت عنهم الإفصاح بهذا، وإلا فقد نقلنا لك قول البخارى أنّ من نقل عنه هذا فقد كذب عليه.

فإن قلت: إذا كان حقاً لم لا يفصح به قلت: سبحان الله، قد أنبأناك أنّ السرّ فيه فى الخوض فى علم الكلام، خشية أن يجرّ الكلام فيه

إلى ما لا- ينبغي وليس كل علم يفصح به، فاحفظ ما نلقيه إليك واشدد عليه يديك، ويعجبني ما أنشد الغزالي في منهاج العابدين لبعض أهل البيت «١»:

إني لأكنتم من علمي جواهره كي لا يرى الحقّ ذوجهل فيفتننا
يا ربّ جوهر علم لو أبوح به لقليل لي أنت ممّن تعبد الوثنا
ولاستحلّ رجال صالحون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا
وقد تقدّم في هذا أبو حسن الحسين ووصّى قبله الحسنًا»
أقول:

لكن كلام السبكي متهافت وركيكك، ألا- ترى أنّه يبادر إلى إنكار وقوع الخلاف بين الذهلي والبخاري، ثم يرجع فيرمى الذهلي بالحسد للبخاري، ثم تارةً يؤيد القول بخلق التلفظ بالقرآن، واخرى ينكر أن يكون البخاري قائلاً بذلك!!

(١) منهاج العابدين: ٥. نسبه للإمام زين العابدين عليه السلام.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٧٨

والحاصل: أنّه قد ذكر ثلاثة وجوه في الدفاع عن البخاري، أحدها: عدم الخلاف بين الذهلي والبخاري في المسألة. والثاني: إنّ ما قال الذهلي في البخاري ليس إلامن الحسد له. والثالث: أنّه لم يثبت عن البخاري القول بأنّ لفظي بالقرآن مخلوق.

لكن الأؤلّ واضح البطلان، ولا- سبيل لحمل كلام الذهلي في البخاري على أنّه إنّما كان نهياً عن الخوض في علم الكلام، وكيف يقول هذا؟ وهو ينقل عن الذهلي تكفير البخاري والردّ عليه والتكلم فيه والمنع من الذهاب إليه والحضور عنده؟ وكيف يدعى عدم وقوع الخلاف؟ وقد جاء في كتابه قبل هذا: «قصّته مع محمّد بن يحيى الذهلي» فقال: «قال الحسن بن محمّد بن جابر: قال لنا الذهلي لما ورد البخاري بنيسابور: إذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاستمعوا منه، فذهب الناس إليه وأقبلوا على السماع منه، حتّى ظهر الخلل في مجلس الذهلي، فحسده بعد ذلك وتكلم فيه «... ١».

وذكر ابن حجر في مقدّمه شرح البخاري: «ذكر ما وقع بينه وبين الذهلي في مسألة اللفظ، وما حصل له من المحنة بسبب ذلك وبراءته ممّا نسب إليه» فقال:

«قال الحاكم أبو عبد الله في تاريخه: قدم البخاري بنيسابور سنة خمس وثلاثين، فأقام بها مدّة يحدّث على الدوام، قال: سمعت محمّد بن حازم البزار يقول: سمعت الحسن بن محمّد بن جابر يقول: سمعت محمّد بن يحيى يقول: إذهبوا إلى هذا الرجل الصالح العالم فاسمعوا منه. قال: فذهب الناس إليه وأقبلوا على السماع منه، حتّى ظهر الخلل في مجلس محمّد بن يحيى.

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٢: ٢٢٨.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٧٩

قال: فتكلم فيه بعد ذلك».

قال: «وقال أبو أحمد ابن عدى: ذكر لي جماعة من المشايخ: أنّ محمّد بن إسماعيل لما ورد بنيسابور واجتمع الناس عنده، حسده بعض شيوخ الوقت فقال لأصحاب الحديث: إنّ محمّد بن إسماعيل يقول لفظي بالقرآن مخلوق، فلما حضر المجلس قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في اللفظ بالقرآن، مخلوق هو أو غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه ثلاثاً، فألح عليه، فقال البخاري: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والإمتحان بدعة، فشغب الرجل وقال: قد قال لفظي بالقرآن مخلوق».

قال: «وقال الحاكم: لما وقع بين البخارى وبين محمد بن يحيى فى مسألة اللفظ، انقطع الناس عن البخارى إلّامسلم بن الحجاج وأحمد بن مسلمة فقال الذهلي: ألا من قال باللفظ فلا يحضرنا مجلسنا».

قال: «قال الحاكم أبو عبدالله: سمعت محمد بن صالح بن هانى يقول:

سمعت أحمد بن مسلمة النيسابورى يقول: دخلت على البخارى فقلت: يا أبا عبدالله، إن هذا الرجل مقبول بخراسان خصوصاً فى هذه المدينة، وقد لَجَّ فى هذا الأمر حتى لا يقدر أحد أن يكلمه، فما ترى؟ قال: فقبض على لحيته وقال: وافوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد، اللهم إنك تعلم أنى لم أرد المقام بنيسابور أشراً ولا بطراً ولا طلباً للرياسة، وإنما أبت نفسى الرجوع إلى الوطن لغلبة المخالفين، وقد قصدنى هذا الرجل حسداً لما آتانى الله. ثم قال لى: يا أبا أحمد، إنى خارج غداً لتتخلصوا من حديثه لأجلى».

وقال الحاكم أيضاً عن الحافظ أبى عبدالله ابن الأخرم قال: «لما قام مسلم بن الحجاج وأحمد بن مسلمة من مجلس محمد بن يحيى بسبب

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٨٠

البخارى قال الذهلي: لا يساكنى هذا الرجل فى البلد، فخشى البخارى وسافر» (١).

وكيف يجتمع القول بعدم وقوع الخلاف مع دعوى حسد الذهلي للبخارى؟

لكن دعوى الحسد أيضاً لا تحل المشكلة ولا تنفعهم بل تضرهم، لأمور:

ترجمة الذهلي ... ص: ٣٨٠

الأول: جلاله قدر الذهلي وعظمته كما بتراجمه، فقد ذكروا أنه من مشايخ البخارى وأبى داود والترمذى وابن ماجه والنسائى وآخرين من كبار الأئمة، وأن ابن أبى داود لقبه ب «أمير المؤمنين فى الحديث»:

قال الذهلي: «وعنه: خ والأربعة وابن خزيمة وأبو عوانه وأبو على الميدانى، ولا يكاد البخارى يفصح باسمه لما وقع بينهما. قال ابن أبى داود:

حدثنا محمد بن يحيى وكان أمير المؤمنين فى الحديث. وقال أبو حاتم: هو إمام أهل زمانه. توفى ٢٥٨ وله ست وثمانون» (٢).

وقال السمعانى: «إمام أهل نيسابور فى عصره، ورئيس العلماء ومقدمهم» (٣).

وقال الصفدى: «الإمام الذهلي، مولاهم، النيسابورى، الحافظ، سمع من خلق كثير، روى عنه الجماعة خلا مسلم، قال: ارتحلت ثلاث رحلات

(١) هدى السارى / مقدمة فتح البارى: ٤٩٢.

(٢) الكاشف ٣: ٨٨ / ٥٢٧٤.

(٣) الأنساب ٣: ١٨١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٨١

وأنفقت مائة وخمسين ألفاً. قال النسائى: ثقة مأمون. قال أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف: رأيت محمد بن يحيى فى المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال:

غفر لى. قلت: ما فعل بحديثك؟ قال: كتب بماء الذهب ورفع فى عليين» (١).

فهذه مقامات الذهلي ومنازله كما يقولون، فكيف يصدق مع هذا رمية بالحسد للبخارى، وأن كل ما قاله فيه من التكفير وغيره هو عن الحسد له؟

اللهم إيماناً يلتجأ المدافعون عن البخارى إلى تكذيب هؤلاء المادحين للذهلى، وهذه شناعة عظيمة وداهية كبيرة بلا ارتياب، فإنه مصداق الهرب من المطر والوقوف تحت الميزاب!!
الأمر الثانى:

إن هذا الوجه - المبطل للوجه السابق - لا ينفع القوم بل يضرهم، لأنه إذا ثبت حسد الذهلى - كما ذكر السبكي ونص عليه البخارى - وأنه كان من أجل الرياسة وحب الدنيا، توجه الطعن إلى البخارى مرة أخرى، وصار دليلاً آخر على عدم احتياطه وتوزعه فى الرواية والفتيا، لأن الامور التى حكاها الحاكم والسبكي وابن حجر العسقلانى مثبتة لكون الذهلى فاسقاً ضالاً لا يجوز الأخذ منه والرواية عنه، لكن البخارى قد أخرج عنه فى صحيحه كما فى (تهذيب الكمال) «٢» و (تهذيب التهذيب) «٣» و (تقريب التهذيب) «٤» و (الكاشف) «٥» وغيرهما.

(١) الوافى بالوفيات ٥: ١٨٦ / ٢٢٣٥.

(٢) تهذيب الكمال ٢٦: ٦٢٢ / ٥٦٨٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٩: ٤٥٢ / ٨٤٣.

(٤) تقريب التهذيب ٢: ٢٢٦ / ٧١٩٣.

(٥) الكاشف ٣: ٨٨ / ٥٢٧٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٨٢

وكيف جاز له أن يخرج عنه فى كتابه الذى لم يخرج فيه عن الإمام أبى عبدالله الصادق عليه السلام؟

ومن الطرائف أن يلتزم بالرواية عنه وإخراجها فى كتابه ولو مع عدم التصريح باسمه!؟

إنه إن كان ثقةً يصلح للرواية عنه، فالإخراج عنه مع إخفاء اسمه حسد له من البخارى، وإن كان من المجروحين عنده، فالإخراج عنه بهذه الكيفية خيانة وتديس!!

الأمر الثالث:

إنه إذا ثبت حسد الذهلى للبخارى وقدحه وتضليله إياه، وذم البخارى للذهلى وتكلمه فيه، توجه إلى أهل السنة ما أورده الشاه عبدالعزيز الدهلوى فى (التحفة الإثنى عشرية) بعنوان الطعن على أهل الحق، من وجود التكاذب والتحاسد بين قدماء الأصحاب ورد بعضهم على البعض، كتأليف هشام بن الحكم كتاباً فى الرد على هشام بن سالم الجوالقى ومؤمن الطاق.

يقول الدهلوى: «والعجب، إن قدماء الإمامية وقدوتهم، الذين تنتهى إليهم سلاسل أسانيد أهل الأخبار منهم، كهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجوالقى وصاحب الطاق، قد وقع بينهم أشد التكاذب والتحاسد، وكانوا يكذبون بعضهم بعضاً فى الروايات الواقعة بينهم، عن الأئمة الثلاثة السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام ويضللون ويكفرون فيما بينهم، كما أن لهشام ابن الحكم كتاباً فى الرد على الجوالقى وصاحب الطاق. ذكر ذلك النجاشى، فسقط جميع أخبارهم عن حيز الاعتبار وتساقطت بالتعارض» «١».

(١) التحفة الإثنى عشرية: ١١٨ الباب الرابع.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٨٣

لكن المناظرة وردّ البعض على البعض فى المسائل العلمية أمر، والإهانة والتكذيب بل التضليل والتكفير أمر آخر، فهشام بن الحكم وضع كتاباً فى الرد على هشام بن سالم فى مسألة اختلفا فيها، أمّا ما كان بين الذهلى والبخارى فهو الحسد والتضليل والتكفير، كما هو صريح عبارات القوم، وهو الذى ينتهى إلى سقوط أخبارهم عن حيز الاعتبار وتساقطها بالتعارض.

وأما إنكار السبكي أن يكون البخارى قائلاً: لفظى بالقرآن مخلوق، فليس إلامكابرةً منه، لأنه بنفسه قد حكى ذلك عن البخارى، كما أن ابن حجر أيضاً رواه، قال السبكي:

«قال محمّد بن يوسف الفربرى: سمعت محمّد بن إسماعيل يقول: وأما أفعال العباد مخلوقة، فقد ثنا على بن عبد الله، ثنا مروان بن معاوية، ثنا أبو مالك، عن ربعي، عن حذيفة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله يصنع كلّ صانع وصنعتة.

وسمعت عبيد الله بن سعيد، سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون أفعال العباد مخلوقة. قال البخارى: حركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المثبت فى المصاحف، المسطور المكتوب الموعى فى القلوب، فهو كلام الله ليس بمخلوق. قال الله تعالى: «بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم».

وقال: يقال فلان حسن القراءة وردى القراءة، ولا يقال حسن القرآن ولا ردى القرآن، وإنما ينسب إلى العباد القراءة، لأن القرآن كلام الرب والقراءة فعل العبد، وليس لأحد أن يشرع فى أمر بغير علم، كما زعم بعضهم أن القرآن بألفاظنا وألفاظنا به، شىء واحد، والتلاوة هى المتلو، والقراءة هى

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٨٤

المقروء «... ١».

وقال ابن حجر فى (مقدمة فتح البارى):

«قال حاتم بن أحمد بن محمود: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: لما قدم محمّد بن إسماعيل نيسابور، ما رأيت عالماً ولا والياً فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به، فاستقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث. فقال محمّد بن يحيى الذهلى فى مجلسه: من أراد أن يستقبل محمّد بن إسماعيل غداً فليستقبله، فأتى أستقبله. فاستقبله محمّد بن يحيى وعامّة علماء نيسابور، فدخل البلد.

فقال محمّد بن يحيى: لا تسألوه من شىء من الكلام، فإن أجاب بخلاف ما نحن عليه وقع بيننا وبينه، وشمت بنا كلّ أباضى وجهمى ومرجى بخراسان، فازدحم الناس على محمّد بن إسماعيل حتى امتلأت الدار والسطوح، فلما كان اليوم الثانى أو الثالث من يوم قدومه، قام إليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن، فقال: أفعالنا مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا، فقال: فوقع بين الناس اختلاف؛ فقال بعضهم: قال لفظى بالقرآن مخلوق، وقال بعضهم: لم يقل، فوقع بينهم فى ذلك اختلاف حتى قام بعضهم إلى بعض. قال: فاجتمع أهل الدار فأخرجوهم» «٢».

وأيضاً قال ابن حجر: «قال الحاكم: حدّثنا أبو بكر ابن أبى الهيثم، ثنا الفربرى قال: سمعت محمّد بن إسماعيل يقول: أمّا أفعال العباد مخلوقة، فقد حدّثنا على بن عبد الله، ثنا مروان بن معاوية، ثنا أبو مالك، عن ربعي، عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله يصنع كلّ صانع

(١) طبقات الشافعية ٢: ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) هدى السارى: ٤٩١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٨٥

وصنعتة.

قال: وسمعت عبيد الله بن سعيد - يعنى أباقدامة السرخسى - سمعت يحيى ابن سعيد يقول: لا زلت أسمع أصحابنا يقولون إن أفعال العباد مخلوقة.

وقال محمّد بن إسماعيل: حركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المبين المكتوب فى المصاحف الموعى فى القلوب، فهو كلام الله تعالى غير مخلوق «بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم» «١».

وأما ما ذكره أخيراً في مقام الدفاع عن البخارى، وأنه «ليس كل علم يفصح به» فهو اعتراف بجواز التقيّة واستعمالها، فلماذا يرمون أهل الحقّ - المستعملين التقيّة من حكام الجور وعملائهم - بأنواع التهم؟ ويسمّون «التقيّة» ب «النفاق»؟ وعلى الجملة، فإنّ قول البخارى بمقاله «لفظى بالقرآن مخلوق» وتضليل الذهلي إياه بهذا السبب، أمر ثابت لا ريب فيه، وكذلك سائر علماء القوم، يكفّرون من قال بذلك.

وهذا الذهبى ينصّ في غير موضع من تاريخه على أنّ هذه المقالة هي مذهب الجهميّة. والعجب أنّ السبكي ينقل عن الذهبى هذا الكلام - بترجمة الحسين الكرابيسى - ويضطرب أمامه أشدّ الإضطراب. قال السبكي: «ومما يدلّك أيضاً على ما نقوله، وأنّ السلف لا ينكرون أنّ لفظنا حادث، وأنّ سكوتهم إنّما هو عن الكلام فى ذلك لا عن اعتقاده: أنّ الرواة روى أنّ الحسين بلغه كلام أحمد فيه فقال: لأقولنّ مقاله حتى يقول

(١) هدى السارى: ٤٩١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٨٦

أحمد بخلافها فيكفر، فقال: لفظى بالقرآن مخلوق، وهذه الحكاية قد ذكرها كثير من الحنابلة، وذكرها شيخنا الذهبى فى ترجمته الإمام أحمد وفى ترجمته الكرابيسى، فانظر إلى قول الكرابيسى فيها إنّ مخالفها يكفر، والإمام أحمد - فيما نعتده - لم يخالفها، وإنّما أنكر أنّ يتكلّم فى ذلك.

فإذا تأملت ما سطرناه، ونظرت قول شيخنا فى غير موضع من تاريخه إنّ مسألة اللفظ ممّا يرجع إلى قول جهم، عرفت أنّ الرجل لا يدري فى هذه المضائق ما يقول، وقد أكثر هو وأصحابه من ذكر جهم بن صفوان، وليس قصدهم إلّا جعل الأشاعرة - الذين قدر الله لقدرة أنّ يكون مرفوعاً، ولزومهم للسنة أن يكون مجزوماً به ومقطوعاً - فرقه جهميّة.

واعلم أنّ جهماً شرّ من المعتزلة - كما يدريه من ينظر الملل والنحل ويعرف عقائد الفرق - بل هو شرّ من القائلين بها، لمشاركته إيّاهم فيما قالوه وزيادته عليهم بطامات، فما كفى الذهبى أن يشير إلى اعتقاد ما يتبرّء العقلاء عن قوله، من قدم الألفاظ الجارية على لسانه، حتى ينسب هذه العقيدة إلى مثل الإمام أحمد بن حنبل وغيره من السادات، ويدعى أنّ المخالف فيها يرجع إلى قول جهم، فليته درى ما يقول، والله يغفر لنا وله، ويتجاوز عمّن كان السبب فى خوض مثل الذهبى فى مسائل هذا الكلام، وإنّ ليعزّ على الكلام فى ذلك. ولكن كيف يسعنا السكوت؟ وقد ملأ شيخنا تاريخه بهذه العظائم التى لو وقف عليها العامى لأضلته ضلالاً مبيهاً، ولقد يعلم الله منّى كراهية الإزراء لشيخنا، فإنّه مفيدنا ومعلّمنا، وهذا النور اليسير الحديثى الذى عرفناه منه استفدناه، ولكن أرى أنّ التنبيه على ذلك حتم لازم فى الدين» (١).

(١) طبقات الشافعية ٢: ١١٨ - ١٢٠.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٨٧

قول البخارى بخلق الإيمان ... ص: ٣٨٧

وكما قال البخارى بخلق التلقظ بالقرآن، كذلك قال بخلق الإيمان، وهو كفر عند الجمهور وخاصةً الحنفيّة منهم، يقول صاحب كتاب (الفصول والأحكام) وهو حفيد صاحب (الهداية) ما هذا نصّه:
«من قال بخلق القرآن فهو كافر، وكذا من قال بخلق الإيمان فهو كافر.
وروى عن بعض السلف أنّه روى عن أبى حنيفة: إنّ الإيمان غير مخلوق.

وسئل الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن الفضل عن الصلاة خلف من يقول بخلق الإيمان قال: لا تصلوا خلفه. وذكر أبو سهل بن عبد الله - وهو أبو سهل الكبير - عن كثير من السلف: إن من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال: الإيمان مخلوق فهو كافر. وحكى أنه وقعت هذه المسألة بفرغانة، فأتى بمحضر منها إلى أئمة بخارى، فكتب فيه الشيخ الإمام أبو بكر ابن حامد والشيخ الإمام أبو حفص الزاهد والشيخ الإمام أبو بكر الإسماعيلي: إن الإيمان غير مخلوق، ومن قال بخلقه فهو كافر. وقد خرج كثير من الناس من بخارى، منهم محمد بن إسماعيل صاحب الجامع، بسبب قولهم: الإيمان مخلوق».

ترجمة صاحب الفصول ... ص: ٣٨٧

وصاحب كتاب (الفصول والأحكام) من العلماء الأعلام المرموقين بين الفقهاء الحنفية، وقد ترجم له الكفوى حيث قال: «الشيخ الإمام أبو الفتح

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٨٨

زين الدين، صاحب الفصول العمادية، عبد الرحيم بن أبي بكر عماد الدين بن برهان الدين صاحب الهداية على بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغانى المرغينانى الرشدانى.

تفقه على أبيه عماد الدين ابن صاحب الهداية، وعلى صاحب مطلع المعانى حسام الدين العليارى، تلميذ الشيخ الإمام مجد الدين المفتى صاحب الفصول محمّد بن محمود الأبروشنى، وهو تلميذ القاضى الإمام ظهير الدين الحسن بن على المرغينانى، وهو أخذ العلم عن برهان الدين عبدالعزيز بن عمر ابن مازه، عن شمس الأئمة السرخسى، عن شمس الأئمة الحلوانى، عن أبي على النسفى، عن أبي بكر محمّد بن الفضل، عن الاستاد عبد الله السندمولى، عن أبي عبد الله بن أبي حفص الكبير، عن محمّد، عن أبي حنيفة رحمهم الله تعالى.

رأيت فى آخر فصوله: يقول جالب هذه الخصائل النفيسة، وكاتب هذه المسائل الأنيسة، أبو الفتح بن أبي بكر بن على بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغينانى نسباً والسمرقندى منشأ، بعد تقديم الحمد لله والصلاة على محمّد عبده ونبيه، والثناء عليه وعلى آله فى صباح كل يوم وعشيّة. إلى آخر كلامه.

ثم قال: نجزت كتابته فى أواخر شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة» (١).

تصريح ابن دحية بانحراف البخارى عن أهل البيت ... ص: ٣٨٨

وقد كان ما لاقاه البخارى من الإهانة والتضليل، من كبار الأئمة، كأبى

(١) كتابت أخبار من فقهاء مذهب النعمان المختار - مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٣٨٩

زرعة وأبى حاتم والذهلى وأئمة بخارى، جزاءً لانحرافه عن أمير المؤمنين وأهل البيت الطاهرين عليهم السلام، وإزرائه لهم وكتمانه فضائلهم ومناقبهم فى دار الدنيا الأمر الذى صرّح به العلامة ذوالنسين ابن دحية فى كتاب (شرح أسماء النبى صلى الله عليه وسلم) حيث قال:

«ترجم البخارى فى صحيحه فى وسط المغازى ما هذا نصّه: بعث على ابن أبى طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجّة الوداع: حدّثنى أحمد بن عثمان قال: ثنا شريح بن مسلمة قال: ثنا إبراهيم بن يوسف بن إسحاق بن أبى إسحاق قال: حدّثنى أبى، عن أبى إسحاق سمعت البراء: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد بن الوليد إلى اليمن، ثم بعث عليّاً بعد ذلك مكانه فقال: مر

أصحاب خالد، من شاء منهم أن يُعقَّب معك فليُعقَّب ومن شاء فليقبل، فكنت ممن عَقَّب معه. قال: فغنمت أواقى ذات عدد. حدَّثني محمد بن بشار قال: ثنا روح بن عبادة قال: ثنا علي بن سويد ابن منجوق، عن عبد الله بن بريده، عن أبيه قال: بعث النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم علياً إلى خالد ليقبض الخمس، وكنت أبغض علياً، وقد اغتسل، فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا، فلمَّا قدمنا إلى النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ذكرت له ذلك، فقال: يا بريده أتبغض علياً؟ فقلت: نعم. قال: لا تبغضه، فإنَّ له في الخمس أكثر من ذلك. قال ذوالنبيين رحمه الله:

أورده البخارى ناقصاً مُبْتَرّاً كما ترى، وهى عادته فى إيراد الأحاديث التى من هذا القبيل، وما ذاك إلاَّ لسوء رأيه فى التنبُّك عن هذه السبيل.

وأورده الإمام أحمد بن حنبل كاملاً محققاً، إلى طريق الصحَّة فيه موفَّقاً،

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٩٠

فقال فيما حدَّثني القاضى العدل، بقتية مشايخ العراق، تاج الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن المندائى - قراءه عليه، بواسط العراق - بحق سماعه على الثقة الرئيس أبى القاسم ابن الحصين، بحق سماعه على الثقة الواعظ أبى على الحسين ابن المذهب، بحق سماعه على الثقة أبى بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعى، بحق سماعه من الإمام أبى عبدالرحمن عبد الله، بحق سماعه على أبىه إمام أهل السنة أبى عبد الله أحمد بن حنبل قال: ثنا يحيى بن سعيد، ثنا عبدالجليل قال: انتهيت إلى حلقة فيها أبو مجلز وابنا بريده، فقال عبد الله ابن بريده: أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً قط. قال: وأحببت رجلاً لم احبه إلا على بغضه علياً. قال: فبعث ذلك الرجل على خيل فصحبته، وما أصحبه إلا على بغضه علياً. قال: فأصبنا سيماً. قال: فكتب إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: إبعث علينا من يخمسه. قال: فبعث إلينا علياً وفى السبى وصيفة هى أفضل من فى السبى، قال: فخمس وقسم، فخرج ورأسه يقطر. فقلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟ قال: ألم تروا إلى الوصيفة التى كانت فى السبى، فأنتى قسّمت وخمست فصارت فى الخمس، ثم صارت فى أهل بيت النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ثم صارت فى آل على ووقعت بها. قال: فكتب الرجل إلى نبي الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم. قلت: إبعثنى، فبعثنى مصداً. قال: فجعلت أقرأ الكتاب وأقول: صدق صدق، فأمسك يدي والكتاب قال: أتبغض علياً؟ قال:

قلت: نعم. قال: فلا تبغضه، وإن كنت تحبه فازدد له حباً، فوالذى نفس محمّد بيده، لنصيب آل على فى الخمس أفضل من وصيفة. قال: فما كان من الناس أحد بعد قول رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم أحبّ إلى من على.

قال عبد الله: فوالذى لا إله غيره، ما بينى وبين النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٩١

فى هذا الحديث غير أبى بريده» (١).

وقال ابن دحية فى موضع آخر من كتابه المذكور، بعد نقل حديث عن مسلم:

«بدأنا بما أورده مسلم، لأنّه أورده بكماله، وقطعه البخارى وأسقط منه على عادته كما ترى، وهو ممّا عيب عليه فى تصنيفه على ما جرى، ولا سيّما إسقاطه لذكر على رضى الله عنه».

ترجمة أبى الخطاب ابن دحية ... ص: ٣٩١

ولا يخفى أنّ أبا الخطاب ابن دحية من أكبر علماء القوم وأشهر حفاظهم.

قال ابن خلكان بترجمته:

«أبو الخطاب عمر بن الحسن بن على بن محمّد بن الجميل بن فرح بن خلف بن قومس بن مُرّال بن مَلّال بن بدر بن دحية بن فروة الكلبي، المعروف بنى النسيين، الأندلسى البلسى الحافظ. نقلت نسبه على هذه الصورة من خطّه.

كان يذكر أن أمه: أمه الرحمن بنت أبي عبدالله بن أبي البسام موسى بن عبدالله بن الحسين بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فلهذا كان يكتب بخطه: ذوالنسيبين بين دحية والحسين، وكان يكتب أيضاً سبط أبي البسام، إشارة إلى ذلك.

(١) المستكفي في أسماء النبي المصطفى - مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٣٩٢

وكان أبو الخطاب المذكور من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، متقناً لعلم الحديث النبوي وما يتعلق به، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها، أكثر بطلب الحديث في أكثر بلاد الأندلس الإسلامية، ولقى بها علماءها ومشائخها، ثم رحل منها إلى بَرِّ العدو، ودخل مراكش واجتمع بفضلائها، ثم ارتحل إلى إفريقية ومنها إلى الديار المصرية، ثم إلى الشام والشرق وإلى العراق، وسمع ببغداد من بعض أصحاب ابن الحصين، وسمع بواسطة من أبي الفتح محمد بن أحمد بن المنذائي، ودخل إلى عراق العجم وخراسان وما والاها ومازندران، كل ذلك في طلب الحديث والاجتماع بأئمة الحديث، وأخذ عنهم، وهو في تلك الحال يؤخذ عنه ويستفاد منه، وسمع بأصبهان من أبي جعفر الصيدلاني، وبنيسابور من منصور ابن عبد المنعم الفراوي «١».

وقال السيوطي في (بغية الوعاة):

«عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الجميل بن فرح بن دحية الكلبي الأندلسي البلنسي الحافظ، أبو الخطاب، كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، متقناً لعلم الحديث وما يتعلق به، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها، سمع الحديث ورحل، وله بنى الكامل دار الحديث الكامليّة بالقاهرة، وجعله شيخاً، حدث عنه ابن الصلاح وغيره، ومات ليلة الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة» (٢).

وقال في كتابه (حسن المحاضرة):

(١) وفيات الأعيان ٣: ٤٤٨ - ٤٥٠ / ٤٩٧.

(٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢: ٢١٨ / ١٨٣٢.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٣٩٣

«ابن دحية، الإمام العلامة الحافظ الكبير، أبو الخطاب، عمر بن الحسن الأندلسي البلنسي، كان بصيراً بالحديث متقناً به، له حظ وافر من اللغة ومشاركته في العربية، له تصانيف، توطّن مصر وأدب الملك الكامل، ودرّس بدار الحديث الكامليّة، مات أربع عشرة ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة» (١).

موقف البخاري من حديث الغدير وكلمات الأعلام فيه ... ص: ٣٩٣

ومن غرائب تعصّبات البخاري: طعنه في حديث الغدير المروي عن أكثر من مائة صحابي، والبالغ أضعاف شروط التواتر، والمصرّح بتواتره من قبل الأئمة الثقات المتبحرين في الحديث عند أهل السنّة، كما لا يخفى على من اقتطف الأزهار من (الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة)، واستفاد من (الفوائد المتكاثرة في الأخبار المتواترة) وكلاهما للحافظ السيوطي، أو راجع (شرح الجامع الصغير) لنورالدين العزّيزي، أو (شرح الجامع الصغير) للمناوي، أو (المرقاة) لعلي القاري، أو (الأربعين في مناقب أمير المؤمنين) لجمال الدين المحدّث الشيرازي، أو (السيف المسلول) لثناء الله تلميذ ولي الله والد صاحب التحفة، أو (أسنى المطالب) لابن الجزري، وغير هذه الكتب.

قال ابن تيمية- في حديث الغدير-: «وأما قوله: من كنت مولاه فعلي مولاه، فليس في الصحاح، لكن مما رواه العلماء، وتنازع الناس في صحته، فنقل عن البخاري وإبراهيم الحربي وطائفة من أهل العلم أنهم طعنوا فيه

(١) حسن المحاضرة بمحاسن مصر والقاهرة ١: ٢٠١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٩٤

وضغفوه» (١).

اللهم إله أن يكون قد طعن في بعض طرقه، فنسب إليه ابن تيمية الطعن في أصله!! ...

فإن كان البخاري قد طعن في أصل حديث الغدير، فقد نص غير واحد من أعلام القوم على عدم الإعتبار بكلام من طعن فيه كائناً من كان ... يقول البدخشي: «هذا حديث صحيح مشهور، ولم يتكلم في صحته إلا متعصب جاحد لا اعتبار بقوله، فإن الحديث كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وقد نص الذهبي على كثير من طرقه بالصحة، ورواه من الصحابة عدد كثير» (٢). وكذلك نسب الحافظ ابن الجزري منكر حديث الغدير إلى الجهل والعصبية (٣).

ترجمة ابن الجزري ... ص: ٣٩٤

وابن الجزري الشافعي، حافظ شهير، وله تأليف معتمدة، وقد أثنى العلماء عليه وعلى كتبه:

فقد ترجم له ابن حجر ووصفه بالحافظ الإمام المقرئ، وقال: «إنتهت إليه رئاسة علم القراءات في الممالك، وكان قديماً صنف الحصن الحصين في الأدعية، ولهج به أهل اليمن واستكثروا منه ... وكانت عنايته بالقراءات أكثر،

(١) منهاج السنة ٤: ١٣٦.

(٢) نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل البيت الأطهار: ٢١.

(٣) أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ٤٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٩٥

فجمع ذيل طبقات القراء للذهبي وأجاد فيه، ونظم قصيدة في قرائه الثلاثة، وجمع النشر في القراءات العشر ... وكان يلقب في بلاده: الإمام الأعظم ...

وبالجملة، فإنه كان عديم النظير، طائر الصيت، انتفع الناس بكتبه وسارت في الآفاق مسير الشمس» (١).

وترجم له السخاوي ترجمة مطولة، فذكر مشايخه في مختلف العلوم، وأنه قد أذن له غير واحد بالإفتاء والتدريس والإقراء، وأنه ولي مشيخة الإقراء بالعادية ثم مشيخة دار الحديث الأشرفية ... وهكذا ذكر أسفاره إلى البلاد المختلفة وأورد طرفاً من أخباره فيها ... ثم ذكر تصانيفه ووصفها بكونها مفيدة، ومنها (أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب). قال: وقد ذكره الطاووسى في مشيخته وقال: إنه تفرّد بعلو الرواية وحفظ الأحاديث والجرح والتعديل ومعرفة الرواة المتقدمين والمتأخرين ... ثم ذكر السخاوي كلام ابن حجر في حقه «...» (٢).

هذا، وقد توفي ابن الجزري سنة ٨٣٣.

إستراة البخارى فى بعض حديث الإمام الصادق عليه السلام ...!! ص: ٣٩٥

ومن أمارات بغض البخارى لأهل بيت النبوة وانحرافه عنهم: عدم إخراجهم عن الإمام الصادق عليه السلام فى كتابه، بل استراة فى

بعض حديثه، والعياذ بالله!!

قال ابن تيمية في كلام له عن الإمام عليه السلام:

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ٣: ٤٦٧.

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٩: ٢٥٥ - ٢٦٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٩٦

«فهؤلاء الأئمة الأربعة ليس منهم من أخذ عن جعفر شيئاً من قواعد الفقه، لكن رووا عنه الأحاديث كما رووا عن غيره، وأحاديث غيره أضعاف أحاديثه، وليس بين حديث الزهري وحديثه نسبة، لا في القوة ولا في الكثرة، وقد استراب البخاري في بعض حديثه لما بلغه عن يحيى بن سعيد القطان فيه كلام، فلم يخرج له، ويمتنع أن يكون حفظه للحديث كحفظ من يحتج بهم البخاري» (١).

فانظر إلى كلام هذا الناصب العنيد، كيف يطعن في الإمام العظيم استناداً إلى القطان والبخاري، مع أن علمائهم الكبار، من السابقين والملاحقين، يقولون بضرورة حب أهل البيت واحترامهم والإقتداء بهم والأخذ منهم، وحتى أنهم ينزهون أهل السنة من بغض أهل البيت، ويرون ممن اعترض عليهم أو تكلم فيهم أو عرض عنهم، ويجعلون نسبة هذه الامور إلى أهل السنة من تعصبات الإمامية ضدّهم، يقول الكابلي في تعداد تعصبات الشيعة:

«التاسع عشر: إن أهل السنة أفرطوا في بغض أهل البيت، ذكر ذلك ابن شهر آشوب وكثير من علمائهم، ولقبوهم بالنواصب، وهو كذب صرد وعصبيّة ظاهره، فإنهم يقولون إن الله تعالى أوجب محبة أهل بيت نبيه على جميع بريته، ولا يؤمن أحد حتى يكون عتره النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه، ويروون في ذلك أحاديث منها: ما رواه البيهقي وأبو الشيخ والديلمي: أنه صلى الله عليه وسلم قال: لا يؤمن أحد حتى أكون أحب إليه من نفسه، ويكون عترتي أحب إليه من نفسه. وأخرج الترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه أنه صلى الله

(١) منهاج السنة ٧: ٥٣٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٩٧

عليه وسلم قال: أحبوا أهل بيتي بحبي.

إلى غير ذلك من الأخبار.

ويقولون: من ترك المودة في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد خانته، وقد قال الله تعالى: «لا تخونوا الله ورسوله»، ومن كره أهل بيته فقد كرهه صلى الله عليه وسلم. ولقد أجاد من أفاد:

فلا تعدل بأهل البيت خلقاً فأهل البيت هم أهل السعادة

فبغضهم من الإنسان خسر حقيقى وحجهم عباده

ويوجبون الصلوة عليهم في الصلوات. قال الشيخ الجليل فريد الدين أحمد بن محمد النيسابوري رحمه الله: من آمن بمحمد ولم يؤمن بأهل بيته فليس بمؤمن، أجمع العلماء والعرفاء على ذلك ولم ينكره أحد» (١).

أقول:

فلو كانوا صادقين في قولهم «من آمن بمحمد ولم يؤمن بأهل بيته فليس بمؤمن» وأنه قد «أجمع العلماء والعرفاء على ذلك ولم ينكره أحد» فما ظنهم بالقطان والبخاري وابن تيمية وأمثالهم؟

وقد ذكر الشاه عبدالعزيز الدهلوي - في الكلام على حديث: مثل أهل بيتي كسفينة نوح - ... إن هذا الحديث يفيد بأن الفلاح

والهداية منوط بحب أهل البيت وأتباعهم، وأن التخلف عن ذلك موجب للهلاك، ثم زعم أن هذا المعنى يختص بأهل السنة «٢»!!
فإن كان صادقاً فيما يقول، فما رأيه فيمن تكلم في الإمام أبي عبدالله

(١) الصواعق الموقبة - مخطوط.

(٢) التحفة الإثني عشرية: ٢١٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٩٨

الصادق عليه السلام؟

هذا، ولا يتوهم أحد أن تكلم القطان والبخارى وأتباعهما في الإمام ليس عن بغض له وعناد، وإنما هو تحقيق في العلم واحتياط في الدين، فإنه توهم فاسد جداً، فإنه لو لم يكن ما ذكره ابن تيمية انحرافاً وبغضاً وعناداً، فأين العناد والعداوة والبغض؟ وبماذا يكون؟ ومن المنحرف عنهم والمتعصب ضدهم والناصب لهم؟ وهل شدة الإحتياط والتورع أدت إلى أخذ روايات عكرمة الضال المصل والناصب المقيت، وطرح أخبار الإمام الصادق وغيره من أئمة أهل البيت؟

وكيف يقبل هذا الإعتذار للبخارى؟! وكيف يعتذر له بذلك؟ وقد أخرج عن الذهلي - مع ما كان بينهما من الطعن الموجب للفسق - ومع التدليس في اسمه، ولم يخرج عن الإمام الصادق؟!

ولو كان لمثل هذا الإعتذار مجال لما قال ابن تيمية: «ويمتنع أن يكون حفظه للحديث كحفظ من يحتج بهم البخارى»!!

طعن القطان في الإمام الصادق ...!! ص: ٣٩٨

هذا، وطعن القطان في الإمام الصادق عليه السلام مذكور في سائر الكتب الرجالية، وهو في جملتين إحداهما: «في نفسى منه شيء» والآخرى:

«مجالد أحب إلي منه»!!

قال الذهبي: «جعفر بن محمد الصادق أبو عبدالله، وأمه ام فروة بنت القاسم بن محمد، وأمه أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر، فكان يقول:

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٣٩٩

ولدنى الصديق مرتين. سمع أباه والقاسم وعطاء. وعنه: شعبة والقطان وقال:

في نفسى منه شيء «...» ١.

وقال: «جعفر بن محمد بن علي، ثقة، لم يخرج له البخارى، وقد وثقه يحيى بن معين وابن عدى، وأما القطان فقال: مجالد أحب إلي منه» ٢.

ترجمة مجالد بن سعيد ... ص: ٣٩٩

هذا، والحال أن مجالد بن سعيد قد طعن فيه كثير من أئمة القوم:

قال الذهبي: «مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني، مشهور، صاحب حديث علي بن لين فيه. روى عن قيس بن أبي حازم والشعبي. وعنه: يحيى القطان وأبو اسامة وجماعة.

قال ابن معين وغيره: لا يحتج به، وقال أحمد: يرفع كثيراً مما لا يرفعه الناس، ليس بشيء. وقال النسائي: ليس بالقوى، وذكر الأشج: إنه

شيعي، وقال الدارقطني: ضعيف. وقال البخاري: كان يحيى بن سعيد يضعفه، وكان ابن مهدي لا يروى عنه، وقال الفلاس: سمعت يحيى بن سعيد يقول: لو شئت أن يجعلها لي مجالد كلها عن الشعبي عن مسروق عن عبدالله فعل. وقيل لخاله الطحان: دخلت الكوفة فلم لم تكتب عن مجالد؟ قال: لأنه كان طويل اللحية، قلت: من أنكرا ما له عن الشعبي عن مسروق عن عائشة مرفوعاً: لو شئت لأجري الله معي جبال الذهب والفضة» (٣).

(١) الكاشف ١: ٨٠٧/١٣٩.

(٢) المغني في الضعفاء ١: ١١٥٦/٢١١.

(٣) ميزان الاعتدال ٦: ٧٠٧٦/٢٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٠٠
فانظر من هذا الذي قدّمه القطان على الإمام الصادق عليه السلام؟
واحكم على القطان والبخاري وأضرابهما بما يقتضيه الدين والعدل؟

موقف الذهبي ... ص: ٤٠٠

والذهبي، وإن وثق الإمام عليه السلام، لكنّه لم يرد على تعصّبات القطان والبخاري ضد الإمام، بل بالعكس، فقد أوردّه في كتابه (الميزان) لتكلمهما فيه، حيث قال:

«جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين الهاشمي، أبو عبدالله، أحد الأئمة الأعلام، برّ، صادق، كبير الشأن، لم يحتج به البخاري، قال يحيى بن سعيد:

مجالد أحبّ إليّ منه، في نفسي منه شيء، وقال مصعب بن عبدالله عن الدراوردي قال: لم يرو مالكا عن جعفر حتّى ظهر أمر بني العباس، قال مصعب بن عبدالله: كان مالكا لا يروى عن جعفر حتّى يضمّه إلى أحد. وقال أحمد بن سعيد بن أبي مریم: سمعت يحيى يقول: كنت لا أسأل يحيى بن سعيد عن حديث جعفر بن محمّد، فقال لي: لم لا تسألني عن حديث جعفر؟ قلت: لا أريده، فقال لي: إن كان يحفظ فحديث أبيه المسند» (١).

هذا، في الوقت الذي بنى في كتابه هذا على أن لا يذكر فيه من قدح فيه البخاري وابن عدي، من الصحابة والأئمة في الفروع ... كما صرح بذلك في مقدّمه الكتاب حيث قال:

«أمّا بعد، هدانا الله وسدّدنا ووفّقنا لطاعته، فهذا كتاب جليل مبسوط، في إيضاح نقله العلم النبوي وحمله الآثار، ألفته بعد كتابي المنعوت بالمغني،

(١) ميزان الاعتدال ٢: ١٤٣/١٥٢١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٠١

وطوّلت فيه العبارة، وفيه أسماء عدّة من الرواة زائداً على من في المغني، زدت معظمهم من الكتاب الحافل المذيّل على الكامل لابن عدي.

وقد ألف الحفاظ مصنّفات جيّة في الجرح والتعديل ما بين اختصار وتطويل، فأول من جمع كلامه في ذلك: الإمام الذي قال فيه أحمد بن حنبل:

ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد القطان، وتكلم في ذلك بعده تلامذته:

يحيى بن معين، وعلى بن المديني، وأحمد بن حنبل، وعمرو بن علي الفلاس، وأبو خيثمة، وتلامذتهم: كأبي زرعة، وأبي حاتم، والبخاري، ومسلم، وأبي إسحاق الجوزجاني السعدي، وخلق، ومن بعدهم مثل:

النسائي، وابن خزيمة، والترمذي، والدولابي، والعقيلي، وله مصنف مفيد في معرفة الضعفاء، ولأبي حاتم ابن حبان كتاب كبير عندي في ذلك، ولأبي أحمد ابن عدي كتاب الكامل هو أكمل الكتب وأجلها في ذلك، وكتاب أبي الفتح الأزدي، وكتاب أبي محمد ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل والضعفاء، وللدارقطني في الضعفاء، وللحاكم وغير ذلك، وقد ذيل ابن طاهر المقدسي على الكامل لابن عدي بكتاب لم أره، وصنف أبو الفرج ابن الجوزي كتاباً كبيراً في ذلك، كنت اختصرته أولاً ثم ذيلت عليه ذيلًا بعد ذيل.

والساعة، فقد استخرت الله عز وجل في عمل هذا المصنف، وربتته على حروف المعجم حتى في الآباء ليقرب تناوله، ورمزت على اسم الرجل من أخرج له في كتابه من الأئمة الستة: البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه، برموزهم السائرة، فإن اجتمعوا على إخراج رجل فالرمز (ع)، وإن اتفق عليه أرباب السنن الأربعة فالرمز (غ).

وفيه من تكلم فيه مع ثقته وجلالته بأدنى لين وبأقل تجريح، فلولا أن

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٠٢

ابن عدي أو غيره من مؤلفي كتب الجرح ذكروا ذلك الشخص لما ذكرته لثقتي، ولم أر من رأى أن أحذف اسم أحد ممن له ذكر بتلخيص ما في كتب الأئمة المذكورين، خوفاً من أن يتعقب عليّ، إلما أتى ذكرته لضعف فيه عندي إلما كان في كتب البخاري وابن عدي وغيرهما من الصحابة، فإنني أسقطتهم لجلالة الصحابة رضي الله عنهم، ولا أذكرهم في هذا المصنف، فإن الضعف إنما جاء من جهة الرواة إليهم، وكذا لا أذكر في كتابي من الأئمة المتبوعين في الفروع أحداً، لجلالتهم في الإسلام وعظمتهم في النفوس، فإن ذكرت أحداً منهم فأذكره على الإنصاف، وما يضره ذلك عند الله ولا عند الناس، إذ إنما يضر بالإنسان الكذب والإصرار على كثرة الخطأ والتجزي على تدليس الباطل فإنه خيانه، والمرء المسلم يطبع على كل شيء إلا الخيانة والكذب» (١).

أفهل كان شأن الإمام عليه السلام أقل من شأن عمرو بن العاص وبسر ابن أرطاة وأمثالهما من فسقة الصحابة؟

أفهل كان شأن الشافعي وغيره أجل من شأن الإمام الصادق؟

لكنه التعصب والتصب... والعياذ بالله...

ترجمة القطن ... ص: ٤٠٢

ثم انظر إلى تراجم القطن وكلماتهم في مدحه والثناء عليه، والمبالغة في تعظيمه وتبجيله:

قال السمعاني: «القطن - بفتح القاف وتشديد الطاء الهمله في آخرها نون، هذه النسبة إلى بيع القطن، والمشهور بها هو: أبو سعيد

يحيى بن

(١) ميزان الاعتدال ١: ١١٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٠٣

سعيد بن فروخ الأحوال القطن، مولى بني تميم، من أئمة أهل البصرة، يروي عن يحيى بن سعيد الأنصاري وهشام بن عروة، روى عنه أهل العراق، مات يوم الأحد سنة ثمان وتسعين ومائة، وكان إذا قيل له في علته يعافيك الله قال:

أحبته إلى أحبته إلى الله عز وجل، وكان من سادات أهل زمانه حفظاً وورعاً وعقلاً وفهماً وفضلاً ودينياً وعلماً، وهو الذي مهّد لأهل العراق رسم الحديث، وأمعن في البحث عن الثقات وترك الضعفاء، ومنه تعلم علم الحديث أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى ابن المديني. ذكر عمرو بن علي الفلاس أن يحيى بن سعيد القطن كان يختم القرآن كل يوم وليله، ويدعو لألف إنسان، ثم يخرج

بعد العصر فيحدث الناس. وكان يروى عن سميه يحيى بن سعيد الأنصاري، وهشام بن عروة، والأعمش، وابن جريج، والثوري، وشعبة، ومالك، في آخرين. وكان يقول: لزمته شعبة عشرين سنة، فما كنت أرجع من عنده إلا بثلاثة أحاديث وعشرة أكثر ما كنت أسمع منه في كل يوم. وقال يحيى بن معين: أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن في كل ليلة، ولم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة، وما رئي يطلب جماعة قط» (١).

وقال النووي:

«يحيى بن سعيد القطان هو: أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروح التميمي مولاهم البصري، القطان، الإمام، من تابعي التابعين، سمع: يحيى بن سعيد الأنصاري وحفظه بن أبي سفيان وابن عجلان وسيف بن سليمان وهشام بن حسان وابن جريج وسعيد بن عروبة وابن أبي ذئب والثوري وابن

(١) الأنساب ٤: ٥١٩.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٠٤
عينه ومالكاً ومسعراً وشعبة وخلاتق.

وروى عنه: الثوري، وابن عيينة، وشعبة، وابن مهدي، وعفان، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو خيثمة، وأبو بكر ابن أبي شيبة، ومسدد، وعبيد الله بن عمر القواريري، وعمرو بن علي، وابن مثنى، وابن بشار، وخلاتق من الأئمة وغيرهم.

واتفقوا على إمامته وجلالته، ووفور حفظه وعلمه وصلاحه. قال أحمد بن حنبل: ما رأيت مثل يحيى القطان في كل أحواله، وقال يحيى بن معين: أقام يحيى القطان عشرين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة، ولم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة، وما رئي يطلب جماعة قط - يعني ما فاتته فيحتاج إلى طلبها - . وقال أحمد بن حنبل: يحيى القطان إليه المنتهى في التثبت بالبصرة، وهو أثبت من وكيع وابن مهدي وأبي نعيم ويزيد بن هارون، وقد روى عن خمسين شيخاً ممن روى عنهم سفيان وقال: لم يكن في زمان يحيى مثله. وقال أبو زرعة: هو من الثقات الحفاظ. وقال يحيى بن معين: قال لي عبدالرحمن بن مهدي: لا ترى بعينك مثل يحيى بن القطان. وقال ابن منجويه:

كان يحيى القطان من سادات أهل زمانه ورعاً وحفظاً وفهماً وفضلاً ودينياً وعلماً، وهو الذي مهّد لأهل العراق رسم الحديث وأمعن في البحث عن الثقات وترك الضعفاء. وقال بندار: كتب عبدالرحمن بن مهدي عن يحيى بن يحيى القطان ثلاثين ألفاً وحفظها، قال زهير: رأيت يحيى القطان بعد وفاته، عليه قميص، مكتوب بين كتفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، براءة ليحيى بن سعيد من النار. قال ابن سعد: توفي يحيى القطان في صفر سنة ثمان وتسعين

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٠٥
ومائة، وكان مولده سنة عشرين ومائة» (١).

وقال الذهبي:

«يحيى بن سعيد بن فروح، الحافظ الكبير، أبو سعيد التميمي مولاهم البصري القطان، عن: عروة وحמיד والأعمش، وعنه: أحمد وعلي ويحيى.

قال أحمد: ما رأيت مثله. وقال بندار: إمام أهل زمانه يحيى القطان، واختلفت إليه عشرين سنة فما أظن أنه عصي الله قط، ولد القطان ١٢٠ ومات ١٩٨ في صفر، وكان رأساً في العلم والعمل» (٢).

وقال محمد بن حبان:

«يحيى بن سعيد بن فروخ القَطَّان مولى بنى تميم، كنيته أبو سعيد، الأحول، من أهل البصرة، يروى عن يحيى بن سعيد الأنصارى وهشام بن عروة، روى عنه أهل العراق، مات يوم الأحد يوم الثانى عشر من صفر سنة ثمان وسبعين ومائة، وكان إذا قيل له فى عِلته يعافيك الله قال: أحبه إلىّ أحبّه إلىّ الله جلّ وعلا، وصلىّ عليه إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس، وهو أمير البصرة، وكان من سادات أهل زمانه حفظاً وورعاً وعقلاً وفهماً وفضلاً وديناً وعلماً، وهو الذى مهّد لأهل العراق رسم الحديث وأمعن فى البحث عن الثقات، وترك الضعفاء، ومنه تعلّم علم الحديث أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن المدينى وسائر شيوخنا. حدّثنى محمّد ابن الليث الورّاق قال: سمعت عبد الله بن جعفر بن الزبرقان يقول: سمعت عمرو بن على الفلاس يقول: كان يحيى بن سعيد القَطَّان يختم القرآن كلّ يوم

(١) تهذيب الأسماء واللغات ٢: ١٥٤ / ٢٤٣.

(٢) الكاشف ٣: ٢٤٣ / ٦٢٥٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٠٦

وليلة، ويدعو لألف إنسان، ثم يخرج بعد العصر فيحدّث الناس» (١).

وقال اليافعى:

«الإمام أبو سعيد يحيى بن سعيد القَطَّان البصرى الحافظ، أحد الأعلام.

قال بندار: اختلفت إليه عشرين سنة فما أظنّ أنّه عصى الله قط. قال أحمد بن حنبل: ما رأيت مثله. وقال ابن معين: أقام يحيى القَطَّان عشرين سنة يختم فى كلّ ليلة ولم يفته الزوال فى المسجد أربعين سنة» (٢).

وقال عبد الحق الدهلوى:

«يحيى بن سعيد القَطَّان، بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة، أبو سعيد، الأحول التميمى، مولى بنى تميم، ويقال: ليس لأحد عليه ولاء، البصرى، إمام كبير، ثقة حافظ عالم، عارف بالحديث، مشهور مكثّر، وكان رأساً فى العلم والعمل. وقال ابن المدينى: ما رأيت أعلم بالرجال منه ولا أعلم بصواب الحديث والخطأ من ابن مهدي، فإذا اجتمعا على ترك حديث رجل ترك حديثه، وإذا حدّث عنه أحدهما حدّث عنه، وقال مرّة: لم أر أحداً أثبت من القَطَّان. وقال ابن معين: قال ابن مهدي: لا ترى عينك مثل يحيى القَطَّان. وقال أحمد: ما رأيت مثله. وقال بندار: إمام أهل زمانه يحيى القَطَّان، واختلفت إليه عشرين سنة فما أظنّ أنّه عصى الله قط. وقال ابن سعد: كان ثقة مأموناً ربيعاً حجّة. وقال العجلي: بصرى ثقة نقى الحديث، كان لا يحدّث إلّا عن ثقة.

وقال أبو حاتم: ثقة حافظ. وقال أبو زرعة: من الثقات الحفاظ. وقال النسائى:

ثقة ثبت مرضى. وقال أبو بكر ابن منجويه: كان من سادات أهل زمانه حفظاً

(١) كتاب الثقات ٧: ٦١١.

(٢) مرآة الجنان ١: ٣٥٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٠٧

وورعاً وفهماً وفضلاً وديناً وعلماً وهو الذى مهّد لأهل العراق رسم الحديث، وأمعن فى البحث عن الثقات وترك الضعفاء، ولد سنة عشرين ومائة، ومات فى صفر سنة ثمان وتسعين ومائة. روى عن: هشام بن عروة وعبد الله بن عمر العمرى ويحيى بن سعيد الأنصارى والأعمش والثورى وشعبة ومالك وغيرهم من الأئمّة. وروى عنه: عبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل وعلى ابن المدينى ومسدد ويحيى بن معين ومحمّد بن المثنى «...» (١).

أقول:

ومن هذه العبارات وأمثالها في مدح القطن - مع علم قائلها بمقالته في الإمام الصادق عليه الصلوة والسلام - تعرف مواقف القوم من أئمة أهل البيت، فلا يقبل دفاع بعض الناس عن أهل السنة وأسلافهم بأنهم محبون لأهل البيت ومحترمون لهم ومستمسكون بهم...

قصة كتاب العلل لابن المديني ... ص: ٤٠٧

ومما يذكر في مقام الطعن في البخاري وورعه وأمانته وثقته: قصته مع كتاب شيخه ابن المديني في العلل: قال مسلمة بن قاسم في (تاريخه) - على ما نقل عنه «٢» - «وسب تأليف البخاري الكتاب الصحيح: أن علي بن المديني ألف كتاب العلل، وكان ضنيناً به لا يخرج به إلى أحد، ولا يحدث به، لشرفه وعظم خطره وكثرة فائدته، فغاب علي بن المديني في بعض حوائجه، فأتى البخاري إلى بعض بنيه،

(١) رجال المشكاة/ تحصيل الكمال - ترجمة القطن.

(٢) انظر ترجمته في لسان الميزان ٦: ٤٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٠٨

فبذل له مائة دينار على أن يخرج له كتاب العلل، ليراه ويكون عنده ثلاثة أيام، ففتنه المال وأخذ منه مائة دينار، ثم تلطف مع أمه فأخرجت الكتاب، فدفعه إليه وأخذ عليه العهود والمواثيق أن لا يجسه عنه أكثر من الأمد الذي ذكر، فأخذ البخاري الكتاب - وكان مائة جزء - فدفعه إلى مائة من الوراقين، وأعطى كل رجل منهم ديناراً على نسخه ومقابلته في يوم وليلة، فكتبوا له الديوان في يوم وليلة وقوبل، ثم صرفه إلى ولد علي بن المديني وقال: إنما نظرت إلى شيء فيه.

وانصرف علي بن المديني فلم يعلم بالخبر، ثم ذهب البخاري فعكف على الكتاب شهوراً واستحفظه، وكان كثير الملازمة لابن المديني، وكان ابن المديني يعقد يوماً لأصحاب الحديث، يتكلم في علله وطرقه، فلما أتاه البخاري بعد مدة قال له: ما حبسك عنا؟ قال: شغل عرض لي، ثم جعل علي يلقى الأحاديث ويسألهم عن عللها، فيبادر البخاري بالجواب بنص كلام علي في كتابه، فعجب لذلك ثم قال له: من أين علمت هذا، هذا قول منصوص، والله ما أعلم أحداً في زمانى يعلم هذا العلم غيرى.

فرجع إلى منزله كئيباً حزيناً، وعلم أن البخاري خدع أهله بالمال حتى أباحوا له الكتاب، ولم يزل مغموماً بذلك، ولم يلبث إلا يسيراً حتى مات، واستغنى البخاري عن مجالسة علي والتفقه عنده بذلك الكتاب، وخرج إلى خراسان، وتفقه بالكتاب، ووضع الكتاب الصحيح والتواريخ، فعظم شأنه وعلا ذكره، وهو أول من وضع في الإسلام كتاب الصحيح، فصار الناس له تبعاً، وبكتابه يقتدى العلماء في تأليف الصحيح».

يفيد هذا النص أن البخاري كان السبب في موت شيخه علي بن

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٠٩

المديني، لتصرفه في كتاب العلل الذي وضعه شيخه، بعد أخذه من أهله بالحيلة والخديعة والمكر والكذب...

طعن مسلم فيمن قال بمقالة البخاري ... ص: ٤٠٩

هذا، وقد صرح مسلم بن الحجاج بالطعن والتشنيع على بعض الأقوال وأصحابها في باب رواية الحديث ونقله، والحال أن البخاري من القائمين بذلك القول، وهذا نص كلام مسلم في باب ما تصح به رواية الرواة بعضهم عن بعض والتنبيه على من غلط في ذلك: «وقد تكلم بعض منتحلي الحديث من أهل عصرنا في تصحيح الأسانيد وتسقيمها، بقول لو ضربنا عن حكايته وذكر فساده صفحاً،

لكان رأياً متيناً ومذهباً صحيحاً، إذ الإعراض عن القول المطروح أخرى لإماتته وإخمال ذكر قائله، وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيهاً للجّهال عليه، غير أننا لما تخوّفنا من شرور العواقب واغترار الجهلة بمحدثات الامور، وإسراعهم إلى اعتقاد خطأ المخطئين والأقوال الساقطة عند العلماء، رأينا الكشف عن فساد قوله وردّ مقالته بقدر ما يليق بها من الردّ، أجدى على الأنام وأحمد للعاقبة إن شاء الله.

وزعم القائل الذي افتتحنا الكلام على الحكاية عن قوله والإخبار عن سوء رويته: أن كلّ إسناد لحديث فيه فلان عن فلان، وقد أحاط العلم بأنهما قد كانا في عصر واحد، وجائز أن يكون الحديث الذي روى الراوى عمّن روى عنه قد سمعه منه وشافه به، غير أنه لا نعلم له منه سماعاً، ولم نجد في شيء من الروايات أنّهما التقيتا قط أو تشافها بحديث، أن الحجّة لا تقوم عنده بكلّ خبر جاء هذا المجيء، حتّى يكون عنده العلم بأنهما قد اجتمعا من دهرهما مرّة فصاعداً أو تشافها بالحديث بينهما، أو يرد خبر فيه بيان استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤١٠

اجتماعهما وتلاقيهما مرّة من دهرهما فما فوقها، فإن لم يكن عنده علم ذلك، ولم تأت به رواية صحيحة تخبر أن هذا الراوى عن صاحبه قد لقيه مرّة وسمع منه شيئاً، لم يكن في نقله الخبر عمّن روى عنه علم ذلك والأمر كما وصفنا حجّة، وكان الخبر عنده موقوفاً حتّى يرد عليه سماعه منه لشيء من الحديث، قلّ أو كثر في رواية مثل ما ورد.

وهذا القول - يرحمك الله - في الطعن في الأسانيد قول مخترع مستحدث غير مسبوق صاحبه إليه، ولا مساعد له من أهل العلم عليه، وذلك أن القول الشائع المتفق عليه بين أهل العلم بالأخبار والروايات قديماً وحديثاً:

أنّ كلّ رجل ثقة روى عن مثله حديثاً، وجائز ممكن له لقاؤه والسماع منه لكونهما جميعاً كانا في عصر واحد - وإن لم يأت في خبر قط أنّهما اجتمعا ولا تشافها بكلام - فالرواية ثابتة والحجّة بها لازمة، إلّا أن يكون هناك دلالة بينة أن هذا الراوى لم يلق من روى عنه، أو لم يسمع منه شيئاً، فأما والأمر مبهم على الإمكان الذي فسرنا، فالرواية على السماع أبداً حتّى تكون الدلالة التي بيننا.

فيقال لمخترع هذا القول الذي وصفنا مقالته أو للذات عنه، قد أعطيت في جملة قولك أن خبر الواحد الثقة عن الواحد الثقة حجّة يلزم به العمل، ثمّ أدخلت فيه الشرط بعد، فقلت حتّى نعلم أنّهما قد كانا التقيتا مرّة فصاعداً أو سمع منه شيئاً، فهل تجد هذا الشرط الذي اشترطته عن أحد يلزم قوله، وإلّا فهلّم دليلًا على ما زعمت، فإن ادعى قول أحد من علماء السلف بما زعم من إدخال الشريطة في تثبيت الخبر طولب به، ولن يجد هو ولا غيره إلى إيجاد سبباً.

وأيضاً قال: «وكان هذا القول الذي أحدثه القائل الذي حكيناه في توهين

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤١١

الحديث بالعلمة التي وصف، أقلّ من أن يعزج عليه ويثار ذكره، إذ كان قولاً محدثاً وكلاماً خلفاً، لم يقله أحد من أهل العلم سلف، ويستنكره من بعدهم خلف، فلا حاجة بنا في ردّه بأكثر ممّا شرحنا، إذا كان قدر المقالة وقائلها القدر الذي وصفناه، والله المستعان على دفع ما خالف مذهب العلماء، وعليه التكلان» (١).

وقال النووي في شرح هذا الكلام:

«حاصل هذا الباب أن مسلماً - رحمه الله - ادعى إجماع العلماء قديماً وحديثاً على أن المعنعن - وهو الذي فيه عن فلان - محمول على الإتصال والسماع، إذا أمكن لقاء من اضيفت العننة إليهم بعضهم بعضاً، يعني مع براءتهم من التدليس، ونقل مسلم عن بعض أهل عصره أنه قال لا - يقوم الحجّة بها، ولا الحمل على الاتصال، حتّى يثبت أنّهما التقيتا في عمرهما مرّة فأكثر، ولا يكفي إمكان تلاقيهما. قال مسلم: وهذا قول ساقط مخترع مستحدث، لم يسبق قائله إليه ولا مساعد له من أهل العلم عليه، وإنّ القول به بدعة باطلة، وأظن مسلم في الشناعة على قائله، واحتجّ مسلم بكلام مختصره: أن المعنعن عند أهل العلم محمول على الإتصال، إذا ثبت التلاقي مع احتمال الإرسال، فكذا إذا أمكن التلاقي، وهذا الذي صار إليه مسلم قد أنكره المحققون وقالوا: هذا الذي صار إليه مسلم ضعيف، والذي ردّه هو المختار الصحيح الذي عليه أئمة هذا الفن، مثل علي بن المديني والبخاري وغيرهما» (٢).

(١) صحيح مسلم ١: ٣٥.

(٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١: ١٢٧-١٢٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤١٢

أحاديث باطله في كتاب البخارى ... ص: ٤١٢

إشارة

وكما تكلمنا باختصارٍ عن البخارى، فلنتكلم في كتابه الموصوف بالصحيح، على ضوء أقوال كبار أئمة الحديث، مقتصرين على طعنهم وقدحهم في عدّه من أحاديثه:

حديث خطبة عائشة ... ص: ٤١٢

(فمنها) الحديث في خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عائشة وقول أبي بكر له: «إنما أنا أخوك»، وهذا نصّه: «عن عروة: إن النبي صلى الله عليه وسلم خطب عائشة، فقال له أبو بكر: إنما أنا أخوك، فقال: أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لى حلال» (١).

قال ابن حجر عن الحافظ مغلطاي: «في صحّ هذا الحديث نظر، لأنّ الخلة لأبي بكر إنما كانت بالمدينة، وخطبة عائشة كانت بمكة، فكيف يلتزم قوله: إنما أنا أخوك.

وأيضاً: فالنبي صلى الله عليه وسلم ما باشر الخطبة بنفسه، كما أخرجه ابن أبي عاصم، من طريق يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب، عن عائشة: إن النبي أرسل خولة بنت حكيم إلى أبي بكر يخطب عائشة، فقال لها أبو بكر:

(١) صحيح البخارى ٧: ٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤١٣

وهل تصلح له، إنما هي بنت أخيه؟ فرجعت فذكرت ذلك للنبي فقال صلى الله عليه وسلم: إرجعي فقولي له: أنت أخي في الإسلام وابتكك تصلح لى.

فأتت أبا بكر فذكرت ذلك له، فقال: ادعى رسول الله، فجاء فأنكحه» (١).

حديث شفاعه إبراهيم لأزر ... ص: ٤١٣

(ومنها) الحديث في شفاعه سيدنا إبراهيم عليه السلام لأزر في يوم القيامة.

وهذا الإفتراء ذكره البخارى على حسب ديدنه في غير موضع من كتابه السقيم، وفيه غاية الإزراء بشأن إبراهيم على نبينا وآله وعليه سلام الرب الرحيم، كما لا يخفى على من له ذهن مستقيم، حيث أثبتوا له في ذلك أوّلاً:

مخالفة أمر الله تعالى وثانياً: إصراره على المخالفة والمجادلة حيث لم ينته - بناءً على افتراءهم - لما نهى الله عن الإستغفار له في دار الدنيا، وثالثاً: مخالفته للدلائل العقلية الدالة على المنع من الإستغفار للمشرّكين، ورابعاً: الخطأ والغفلة في ظنّ أنّ تعذيب الكافر خزي له بل خزي أعظم، وأى خزي أعظم من هذا؟ فإنّ ذلك ممّا لا يتخيله من له أدنى عقل ودراية، فضلاً عن النبي المعصوم المبعوث

للهداية، وخامساً: الجهل بالمراد من وعده تعالى بأن لا يخزيه. وهذه هي ألفاظ الحديث في كتاب التفسير: «حدّثنا إسماعيل قال: حدّثنا أخى، عن ابن أبى ذئب، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة، عن النبى صلّى الله عليه وسلّم قال: يلقي إبراهيم أباه فيقول: يا رب إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون، فيقول الله: إنني حرّمت

(١) فتح البارى - شرح صحيح البخارى ٩: ١٠١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤١٤

الجنة على الكافرين» (١).

وفى رواية اخرى «فيقول: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد» (٢).

قال الفخر الرازى: «وأما قوله تعالى: «وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه» فيه مسائل: المسألة الاولى: فى تعلق هذه الآية بما قبلها وجوه:

الأول: إن المقصود منه أن لا يتوهم إنسان أنه تعالى منع محمداً صلّى الله عليه وسلّم من بعض ما أذن لإبراهيم عليه السلام فيه. والثانى: أن يقال: إننا ذكرنا فى سبب اتصال هذه الآية بما قبلها المبالغة فى إيجاب الإنقطاع عن الكفار أحيانهم وأمواتهم، ثم بين تعالى أن هذا الحكم غير مختصّ بدين محمد صلّى الله عليه وسلّم، فتكون المبالغة فى تقرير وجوب الإنقطاع كانت مشروعة أيضاً فى دين إبراهيم عليه السلام، فتكون المبالغة فى تقرير وجوب المقاطعة والمباينة من الكفار أكمل وأقوى. الثالث: إنّه تعالى وصف إبراهيم فى هذه الآية بكونه حليماً أى قليل الغضب، وبكونه أوهاً، أى كثير التوجع والتفجع عند نزول المضار بالناس، والمقصود أن من كان موصوفاً بهذه الصفة، كان ميل قلبه إلى الاستغفار لأبيه شديداً، وكأنّه قيل: إن إبراهيم مع جلالته قدره، ومع كونه موصوفاً بالأواهيته والحليمية، منعه الله من الاستغفار لأبيه الكافر، فلأن يكون غيره ممنوعاً من هذا المعنى كان أولى» (٣).

(١) صحيح البخارى ٦: ٢٠٢ كتاب التفسير، سورة الشعراء.

(٢) صحيح البخارى ٤: ٢٧٧ - ٢٧٨ كتاب أحاديث الأنبياء.

(٣) تفسير الرازى ١٦: ٢١٠.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤١٥

وعلى الجملة، فإنّه - بعد العلم بأن إبراهيم عليه السلام كان ممنوعاً من هذا الاستغفار، وأنّه قد تبرّء منه - لا يستريب مسلّم فى أن حديث البخارى موضوع!

ومع قطع النظر عن هذا، فإنّ الدلائل العقليّة أيضاً قائمة على منع الاستغفار للمشرّكين، كما قال الرازى:

«قوله تعالى: «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشرّكين» يحتمل أن يكون المعنى: ما ينبغى لهم ذلك فيكون كالوصف، وأن يكون معناه ليس لهم ذلك على معنى النهى. فالأول معناه: أن النبوة والإيمان يمنع من استغفار المشرّكين، والثانى معناه: لا يستغفروا، والأمران متقاربان.

وسبب هذا المنع ما ذكره الله تعالى فى قوله: «من بعد ما تبين لهم أنّهم أصحاب الجحيم». وأيضاً: قال: «إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك» والمعنى: أنّه تعالى لما أخبر عنهم أنّه يدخلهم النار فطلب الغفران لهم، جار مجرى طلب أن يخلف الله وعده ووعيده وإنّه لا يجوز، وأيضاً: لما سبق قضاء الله تعالى بأنّه يعدّ بهم، فلو طلبوا غفرانه لصاروا مردودين، وذلك يوجب نقصان درجة النبى صلّى الله عليه وسلّم وخطّ مرتبته. وأيضاً: إنّّه تعالى قال: «ادعوني أستجب لكم» وقال: «أنّهم أصحاب الجحيم»، فهذا الاستغفار يوجب دخول الخلف فى أحد هذين النّصين وأنّه لا يجوز» (١).

وعلى الجملة، فإن هذا الحديث موضوع باطل، ولا سبيل إلى إصلاحه بوجه من الوجوه. ولعلّه لذا اضطرّ بعضهم إلى التصرف في لفظه، بوضع كلمة «رجل»

(١) تفسير الرازي ١٦: ٢٠٩.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٤١٦

مكان اسم سيدنا إبراهيم عليه السلام، كما في (فتح الباري): «وفي رواية أيوب: يلقي رجل أباه يوم القيامة فيقول له: أي ابن كنت لك؟ فيقول: خير ابن، فيقول: هل أنت مطيعي اليوم؟ فيقول: نعم، فيقول: خذ بأزرتي، فيأخذ بأزرتي، ثم ينطلق حتى يأتي ربه» «... ١».

ولكن لا مناص من الإعراف ببطلانه ... كما عن الحافظ الإسماعيلي وغيره.

قال ابن حجر: «وقد استشكل الإسماعيلي هذا الحديث من أصله، وطعن في صحته، فقال بعد أن أخرجه: هذا حديث في صحته نظر، من جهة أن إبراهيم عالم أن الله لا يخلف الميعاد، فكيف يجعل ما بأبيه خزيًا له مع علمه بذلك؟ وقال غيره: هذا الحديث مخالف لظاهر قوله تعالى: «وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه» «٢».

وأما محاولة ابن حجر تأويل هذا الحديث وتوجيهه بقوله:

«والجواب عن ذلك: أن أهل التفسير اختلفوا في الوقت الذي تبرأ إبراهيم فيه من أبيه.

فقيل: كان ذلك في حياة الدنيا لما مات آزر مشركاً. وهذا الوجه أخرجه الطبري من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، وإسناده صحيح، وفي رواية: فلما مات لم يستغفر له، ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نحوه قال: استغفر له ما كان حيًا، فلما مات أمسك،

(١) فتح الباري - شرح صحيح البخاري ٨: ٤٠٥.

(٢) فتح الباري ٨: ٤٠٦.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٤١٧

وأورد أيضاً من طريق مجاهد وقتادة وعمر بن دينار نحو ذلك.

وقيل: إنما تبرأ منه يوم القيامة لما أيس منه حين مسخ، على ما صرح به في رواية ابن المنذر التي أشرت إليها، وهذا أخرجه الطبري أيضاً من طريق عبد الملك بن أبي سليمان: سمعت سعيد بن جبيرة يقول: إن إبراهيم يقول يوم القيامة: ربّ والدي، ربّ والدي، فإذا كانت الثالثة أخذ بيده فيلتفت إليه وهو غضبان فيتبرأ منه، ومن طريق عبيد بن عمير قال: يقول إبراهيم لأبيه: إنني كنت أمرك في الدنيا فتعصبي، ولست تاركك اليوم، فخذ بحقوتي، فيأخذ بضبعيه فيمسح ضبعاً، فإذا رآه إبراهيم مسح تبرأ منه.

ويمكن الجمع بين القولين: بأنه تبرأ منه لما مات مشركاً، فترك الاستغفار، لكن لما رآه يوم القيامة أدركته الرأفة والرقّة فسأل فيه، فلما رآه مسح يمس منه حينئذٍ، وتبرأ منه تبرأً أبدياً.

وقيل: إن إبراهيم لم يتيقن موته على الكفر، لجواز أن يكون آمن في نفسه ولم يطلع إبراهيم على ذلك، ويكون وقت تبريته منه بعد الحالة التي وقعت في هذا الحديث «١».

فسقوطها واضح لدى كل عاقل فضلاً عن الفاضل.

لأنّ حاصل الجواب الأوّل هو بيان الاختلاف في وقت تبرئ إبراهيم من آزر، وأيّ ربط لهذا بأصل الإشكال؟ اللهمّ إلّا أن يريد ابن حجر أنه بناءً على القول بكون التبرئ في يوم القيامة، فلا منافاة بين ذلك وبين الآية المباركة «وما كان»، ... لكنّه وجه سخيّف جدّاً،

وذلك لأنه:

أولاً: تأويل للآية «فلما تبين له أنه عدو لله تبرء منه» الظاهرة في وقوع

(١) فتح الباري ٨: ٤٠٦.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٤١٨

ذلك في الزمان الماضي، ورفع اليد عن الظاهر بلا دليل ممنوع، كما هو معلوم.

وثانياً: إذا كان التبري في دار الدنيا، كما هو مفاد روايات متعدّدة، وقد صحّح ابن حجر نفسه بعضها، فالتنافي بين الشفاعة والآية المباركة لازم لا محالة.

وثالثاً: على فرض ثبوت الإختلاف في وقت التبري، ورجحان القول الثاني على الأول، يندفع الإشكال المنقول عن غير الإسماعيلي، أما إشكال الإسماعيلي فلا يندفع بما ذكر.

ورابعاً: حمل التبري على يوم القيامة، يوجب الإختلاف في سياق الآية المباركة، لأن الغرض من ذكر القصية إفادة أن إبراهيم عليه السلام قد منع من الإستغفار لأهل الشرك، وأنه قد تبرء من أبيه مع كونه أواهاً حليماً، فيكون غيره من سائر المؤمنين ممنوعاً من ذلك بالأولوية... وهذا ما فهمه الفخر الرازي أيضاً إذ قال:

«إعلم أنه تعالى إنما وصفه بهذين الوصفين في هذا المقام، لأنه تعالى وصفه بشدة الرقة والشفقة والخوف والوجل، ومن كان كذلك فإنه تعظم رفته على أبيه وأولاده، فبين تعالى أنه مع هذه العادة تبرء من أبيه وغلظ قلبه عليه، لما ظهر له إصراره على الكفر، فإنهم بهذا المعنى أولى، ولذلك وصفه أيضاً بأنه حليم، لأن أحد أسباب الحلم رقة القلب وشدة العطف، لأن المرء إذا كان حاله هكذا اشتد حلمه عند الغضب» (١).

وعلى هذا، فلو كان المراد التبري في الآخرة، فأين تكون أولوية أمه

(١) تفسير الرازي ١٦: ٢١١.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٤١٩

الإسلام بذلك؟

هذا، وكأن ابن حجر عالم بضعف هذا الجواب، فاضطرّ إلى أن يقول:

«ولا يمكن الجواب»... لكنّه غير مطمئن بهذا الجواب، ولذا ذكره بلفظ «يمكن».

كما أن السيوطي قد اقتصر على هذا الجواب إذ قال في كتاب (التوشيح): «واستشكل سؤال إبراهيم ذلك مع علمه بأنه تعالى لا يخلف الميعاد في إدخال الكافرين النار.

واجيب: بأنه لما رآه أدركته الرافة والرقة، فلم يستطع إلّا أن يسأل فيه» (١).

لكن هذا الجواب - في الحقيقة - الترام بالإشكال، لأنه بيان للداعي إلى الإستغفار، وهو الرحمة والرأفة، فيعود الإشكال بأنه كيف تحققت منه هذه الرأفة وصدرت هذه الرحمة، مع علمه بعدم الجواز والحرمة؟ اللهم إلّا أن يقولوا: بأن الرحمة والرأفة تجوز طلب ما لا يجوز، وهذا بديهى البطلان وضحكة للصبيان، لا يقول به عاقل بل جاهل فضلاً عن فاضل!

وأما قول ابن حجر: «وقيل: إن إبراهيم...»

فإن أراد من ذكره بيان ضعفه، فلا كلام فيه... وإن أراد دفع الإشكال به، فهو ينافي الأخبار الصحيحة الواردة في علم سيدنا إبراهيم بموت آزر على الكفر، وقد أورد ابن حجر بعضها، وفي (الدر المنثور):

«أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله «فلما تبين له» (٢)

(١) التوشيح في شرح الصحيح ٤: ٢٥٠.

(٢) سورة التوبة ٩: ١١٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٢٠

حين مات وعلم أن التوبة قد انقطعت منه.

وأخرج الفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وأبو بكر الشافعي في فوائده والضياء في المختارة، عن ابن عباس قال: لم يزل إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات «فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه» يقول: لما مات علي كفرة» (١).

حديث الصلاة على ابن أبي سلول ... ص: ٤٢٠

(ومنها) ما أخرجه - وأخرجه مسلم أيضاً - في كتاب التفسير: «عن ابن عمر قال: لما توفي عبدالله بن ابي، جاء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه.

فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله فقال: يا رسول الله، تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما خيرني الله فقال: «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة» وسأزيده على السبعين.

قال: إنه منافق!

قال: فصلي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: فأنزل الله «ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على

(١) الدر المنثور ٤: ٣٠٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٢١

قبره» (١).

وهذا الحديث - الذي وضعوه فضيلة لعمر بن الخطاب - مكذوب حتماً وموضوع قطعاً. وقد نص - والحمد لله - على ذلك غير واحد من أئمة القوم:

كالغزالي بعد ذكر أخبار: «هذا مزيف، فإن هذه الوقائع لو جمعت ونقلت دفعة واحدة لم تورث العلم، وليس ذلك كوقائع حاتم وعلي مع كثرتها.

على أن ما نقل في آية الاستغفار كذب قطعاً، إذ الغرض منه التناهي في تحقيق اليأس من المغفرة، فلا يظن برسول الله صلى الله عليه وسلم ذهول عنه» (٢).

وكالباقلياني وإمام الحرمين في جماعته، كما ذكر شراح البخاري:

قال القسطلاني: «وقد استشكل فهم التخيير من الآية على كثير، وسبق جواب الزمخشري عن ذلك، وقال صاحب الانتصاف: مفهوم الآية زلت فيه الأقدام، حتى أنكروا القاضي أبوبكر الباقلياني صحة الحديث وقال: لا يجوز أن يقبل هذا، ولا يصح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاله. وقال إمام الحرمين في مختصره: هذا الحديث غير مخرج في الصحيح. وقال في البرهان:

لا يصححه أهل الحديث. وقال الغزالي في المستصفى: الأظهر أن هذا الخبر غير صحيح. وقال الداودي الشارح: هذا الحديث غير محفوظ، وهذا عجيب «... ٣».

(١) صحيح البخارى ٦: ١٣١.

(٢) المنخول فى علم الاصول: ٢١٢.

(٣) إرشاد السارى إلى صحيح البخارى ٧: ١٥٥.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٢٢

وقال ابن حجر: «قال ابن المنير: مفهوم الآية زلت فيه الأقدام، حتى أنكر القاضى أبوبكر صحه الحديث وقال: لا يجوز أن يقبل هذا ولا يصح أن الرسول قاله. إنتهى. ولفظ القاضى أبوبكر الباقلانى فى التقريب: هذا الحديث من أخبار الآحاد التى لا يعلم ثبوتها، وقال إمام الحرمين فى مختصره: هذا الحديث غير مخرّج فى الصحيح، وقال فى البرهان: لا- يصححه أهل الحديث، وقال الغزالي فى المستصفى: الأظهر أن هذا الخبر غير صحيح، وقال الداودي الشارح: هذا الحديث غير محفوظ» «١».

حديث: كذب إبراهيم ثلاث كذبات ... ص: ٤٢٢

(ومنها) ما اخرج فى الكتابين من أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات، ففى (الجمع بين الصحيحين):

«عن محمد عن أبى هريرة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

لم يكذب إبراهيم النبى قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين فى ذات الله: قوله: «إنى سقيم» وقوله: «بل فعله كبيرهم هذا» وواحدة فى شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة- وكانت أحسن الناس- فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك، فإن سألك فأخبريه أنك اختى فى الإسلام» «٢».

وقد تكلم الفخر الرازى على هذا الحديث وأبطله، وعبر عن رواه بالحشوئىة، فانظر إلى نص كلامه حيث قال:

«واعلم أن بعض الحشوئىة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(١) فتح البارى- شرح صحيح البخارى ٨: ٢٧٢.

(٢) الجمع بين الصحيحين ٣: ١٨٤ / ٢٤١٥.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٢٣

ما كذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات.

فقلت: الأولى أن لا يقبل مثل هذه الأخبار.

فقال- على طريق الإستنكار- إن لم نقبله لزمنا تكذيب الرواة.

فقلت له: يا مسكين، إن قبلناه لزمنا الحكم بتكذيب إبراهيم عليه السلام، وإن رددناه لزمنا الحكم بتكذيب الرواة، ولا شك أن صون

إبراهيم عن الكذب أولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب» «١».

هذا، وقد أورد عمر بن عادل كلام الرازى هذا وارتضاه «٢».

حديث: أن نبياً أحرق بيت النمل ... ص: ٤٢٣

(ومنها) ما أخرجه البخارى من أن نبياً من الأنبياء أحرق بيت النمل بسبب أن نملة لدغته! قال:

«حدثنا إسماعيل، ثنى مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة، فأمر بجهازه فاخرج من تحتها، ثم أمر بيئتها فاحرق بالنار، فأوحى الله إليه: فهلاً نملة واحدة!!» (٣).
ويكفي في إبطال هذا الحديث كلام الفخر الرازي، الذي أورده الشاه عبدالعزيز الدهلوي واستحسنه وارتضاه حيث قال: «وللإمام فخر الدين الرازي في هذا المقام كلام يصدقه العقل ويقع في القلب إذ قال: إن الروافض عندى

(١) تفسير الرازي ٢٦: ١٤٨.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٦: ٣٢٤.

(٣) صحيح البخارى ٤: ٢٦٢، كتاب بدء الخلق.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٢٤

أقل عقلاً وفهماً من نملة سليمان، لأن النملة قد خاطبت رفيقاتها قائلة: «يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون» فهي قد علمت أن جنود سليمان قد أثرت فيهم المعاشرة معه فكانوا مهذبين ببركة صحبته، حتى أنهم لا يحطمون النمل عن علم وعمد، ولا يظلمون الضعيف عن قصد، لكن الروافض لم يفهموا أن صحبة النبي الخاتم - وهو أفضل الأنبياء - تؤثر في صحابته الملازمين له على الدوام، فلا يرتكبون الخيانة والشتر، فكيف ينسبون إليهم الظلم لبنت رسول الله وصهره وولده، وإحراق بيئتهم عليهم، والاستيلاء على أموالهم، وإيدائهم بشئ أنواع الأذى؟» (١).
وذلك: لأن البخارى وسائر من يقول بصحة هذا الحديث سيكونون أقل فهماً من النملة، لأنهم بتصديقهم هذا الحديث يجوزون الظلم على النبي المعصوم!!

حديث أمر النبي بالأكل مما لم يذكر اسم الله عليه ... ص: ٤٢٤

(ومنها) ما أخرجه البخارى فى كتاب الذبائح قال:

«حدثنا معلى بن أسد، حدثنا عبدالعزيز بن المختار قال: حدثنا موسى ابن عقبه قال: أخبرنى سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لقي زيد بن عمرو بن فضيل بأسفل بلدح - وذاك قبل أن ينزل على رسول الله الوحي - فقدم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة فيها لحم، فأبى أن يأكل منها، ثم قال: إنى لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا

(١) مختصر التحفة الإثنا عشرية: ١٩٣ - باب الإمامة.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٢٥

نأكل إلاماً ذكر اسم الله عليه» (١).

فهل يشك المسلم فى كذب هذا الحديث؟

والعجب من واضعه، فلم يستح أن ينسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر الرجل بالأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، فى حين ينسب إلى الرجل الإباء عن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، فىكون أروع وأفضل من النبي، والعياذ بالله؟! وكيف يصدقون بمثل هذا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى حين يبذلون كل جهودهم لتبرئته أبى بكر من شرب الخمر قبل التحريم، ويكذبون الخبر فى ذلك، ويقولون: قد أعاذ الله الصديقين من فعل الخنا وأقوال أهله وإن كان قبل التحريم، كما فى (نوادير الاصول) للحكيم الترمذى وسيجىء عن قريب؟ ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الصديقين؟

تصرف بعضهم فى لفظ الحديث ...! ص: ٤٢٥

لكن ابن روزبهان التجأ إلى الكذب والإفراء على العلامة الحلّي، واضطرّ إلى وضع تميّة لهذا الحديث الموضوع، وذلك أنه قال في الجواب عن كلام العلامة الحلّي:

«أقول: من غرائب ما يستدلّ به علي ترك أمانة هذا الرجل وعدم الاعتماد والوثوق على نقله: روايته هذا الحديث، فقد روى بعض الحديث ليستدلّ به علي مطلوبه وهو الطعن في رواية الصحاح، وما ذكر تمامه، وتمام

(١) صحيح البخارى ٧: ١٦٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٢٦

الحديث: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال زيد بن عمرو بن نفيل هذا الكلام قال: وإنا أيضاً لا نأكل من ذبيحتهم ومما لم يذكر عليه اسم الله تعالى، فأكلا معاً.

وهذا الرجل لم يذكر هذه التميّة ليمكن من الطعن في الرواية. نسأل الله العصمة من التعصّب فإنه بس الضجيع» (١).

لكن هذا الذى وصف به العلامة الحلّي يرجع إليه، وهو المتّصف به، لأنّ الحديث في كتاب الذبائح من (صحيح البخارى) كما تقدّم، وهكذا نقله العلامة الحلّي، ومن شاء فليراجع أصل كتاب البخارى!!

وقد أخرج البخارى هذا الحديث الموضوع في كتاب المناقب، وليس فيه التميّة التى زعمها ابن روزبهان، وهذه عبارته «باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، حدّثنى محمّد بن أبي بكر قال: حدّثنا سالم بن عبد الله بن عمر: إن النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، قبل أن ينزل على النبي الوحي، فقدّمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم سفره فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إنى لست آكل ممّا تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وإنّ زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله، إنكاراً لذلك وإعظاماً له» (٢).

فقد تبين أنّ العلامة الحلّي رحمه الله لم يخن في نقل الحديث، فلم يزد عليه ولم يحذف منه شيئاً، بل ابن روزبهان قد كذب في دعوى التميّة،

(١) إبطال الباطل - مخطوط.

(٢) صحيح البخارى ٥: ١٢٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٢٧

لغرض الدفاع عن البخارى وكتابه، فحقّ أن يقال في جوابه: إن من غرائب ما يستدلّ به علي ترك أمانة هذا الرجل وعدم الاعتماد والوثوق على نقله: روايته تميّة مخترعة لهذا الحديث، وقد اخترعها ليستدلّ بها علي مطلوبه وهو دفع الطعن في رواية الصحاح، نسأل الله العصمة من التعصّب فإنه بس الضجيع.

وظهر أيضاً: أنهم يحاولون التغطية على شناعة بعض أحاديثهم بالزيادة فيه أو النقيصة عنه، على حسب ما عرض لهم من ضيق الخناق. وكما تصرّف ابن روزبهان في الحديث بدعوى الزيادة كما تقدّم، فقد تصرّف محمّد بن يوسف الصالحى الدمشقى في لفظه بشكل آخر، فقد قال في (سبل الهدى والرشاد):

«روى البخارى والبيهقى من طريق موسى بن عقبه، عن سالم بن عبد الله ابن عمر عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله صلى

اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ زَيْدَ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ بِأَسْفَلِ بَلَدِ حِمْيَرَ، قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَقَدِمَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ سَفْرَةٌ فِيهَا لَحْمٌ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ لَزَيْدٍ: «إِنِّي لَسْتُ أَكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَيَّ أَنْصَابِكُمْ، وَلَا أَكُلُ إِلَّا مَا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَيَّ قَرِيشَ ذَبَاتِحِهِمْ وَيَقُولُ: الشَّاهُ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَيَّ غَيْرَ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّكَاراً لِدَلِيلِكَ وَإِعْظَاماً لِي» (١).

لقد التفت هذا الرجل إلى شناعة لفظ هذا الحديث، فلم يجد بُدّاً من أن يضيف اللام الجارة إلى لفظ زيد، فصارت الجملة: «ثم قال زيد» ليكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو فاعل «قال»، وتكون جملة: «إني لست

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢: ١٨٢.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٤٢٨

أَكُلُ» مقول قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ... والحال أن لفظ البخاري في كتاب المناقب من (صحيحه) خالٍ من اللام والجملة هي: «ثم قال زيد» فكان زيد الفاعل للفعل «قال» وهو القائل: «إني لست أكل!»

وأما الضمير في «أبي» وإن احتمل - في رواية كتاب المناقب - عوده إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لكنّه غير محتمل في لفظ رواية كتاب الذبائح، لأنّ الحديث هناك بلفظ «فقدم» - وكذلك هو في رواية الجرجاني والإسماعيلي كما سيأتي - وعليه، فلا يكون الضمير في «أبي» عائداً على النبي، بل يعود إلى زيد...

وسيأتي أن أحمد بن حنبل وغيره من الأئمة ينسبون أكل ذبيحة الأنصاب في هذه القصة إلى نفس رسول الله ... فيكون الضمير في «أبي» في حديث كتاب المناقب أيضاً عائداً على «زيد»، لأنّ الحديث يفسر بعضه بعضاً.

ومن هنا، فقد أسند ابن حجر والزرخشى والسهيلي والقسطلاني وغيرهم من شراح الحديث الفعل «أبي» إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ...

والحاصل: إنّ القضية واحدة، والحديث واحد، فكما لا يكون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو الفاعل للفظ «أبي» في حديث كتاب الذبائح، كذلك لا يكون هو الفاعل له في لفظ كتاب المناقب ... وإلا لزم تكذيب حديث كتاب الذبائح بحديث كتاب المناقب، فيكون الإشكال أقوى والإفحام آكد.

توجيه البعض معنى الحديث ... ص: ٤٢٨

وكيف كان، فلا دلالة في حديث البخاري على إباء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٤٢٩

عليه وآله عن الأكل من ذبيحة الأصنام، ولذا اعترض ابن حجر على ابن بطال لما ادّعى ذلك، وردّ عليه بعدم الوقوف على ذلك في رواية من روايات القصة ... وهذا نصّ كلام ابن حجر بشرح الحديث في كتاب المناقب:

«قوله: فقدّمتم. بضم القاف. قوله: إلى النبي، كذا الأكثر، وفي رواية الجرجاني: فقدّمتم إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سفره. قال عياض: الصواب الأول. قلت: رواية الإسماعيلي توافق رواية الجرجاني، ولذا أخرجه الزبير بن بكار والفاكهي وغيرهما.

وقال ابن بطال: كانت السفارة لقريش، قدّموها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأبى أن يأكل منها، فقدّمها النبي لزيد بن عمرو بن نفيل، فأبى أن يأكل منها، وقال مخاطباً لقريش الذين قدّموها أولاً: إننا لا نأكل ما ذبح على أنصابكم. إنتهى. وما قاله يحتمل، ولكن لا أدري من أين له الجزم بذلك؟

فإني لم أقف عليه في روايته، وقد تبعه ابن المنير في ذلك» (١).

أقول:

لقد أجاد ابن حجر في الردّ على ابن بطّال، لكنّ قوله «وما قاله يحتمل» باطل جدّاً، فقد نقل ابن حجر - كما سيأتي - عن أكابر الأئمة تصريحهم بأنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم - والعياذ بالله - قد أكل من ذبيحة الأصنام، ودعا زيدا إلى الأكل منها، فأبى زيد عن ذلك... فلا أساس لقول ابن بطّال من الصحّة أصلاً.

على أنّ عبارة ابن بطّال صريحه في أنّ النبي - بعد أنّ أبى عن الأكل من تلك الذبيحة، دعا زيدا إلى الأكل منها. وهذا من القبح والشناعة بمكان، إذ

(١) فتح الباري - شرح صحيح البخارى ٧: ١١٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٣٠

كيف يحتمل أنّ النبي - مع ما عليه من الصيانة والأمانة والأخلاق الكريمة والأوصاف الحميدة - أبى عن أمرٍ ثمّ يدعوه غيره إليه بلا ضرورة، فيواجه بالإباء ويوجب بما يقتضى الطعن والملامة؟ كلّاً وحاشا، لا يجوز ذلك ذو دين وعقل...

إلتزام بعضهم بمفاده الباطل ... ص: ٤٣٠

إلّا أنّ أكثر المحقّقين منهم لم يسلكوا سبيل الخيانة والتحريف، كما صنع ابن روزبهان وصاحب سبل الهدى، بل استحوذ عليهم حبّ البخارى، فصدّقوا بأكاذيبه وافتراءاته، وسلّموا لغرائب مجعولاته وهفواته، فترى الداودى يذهب إلى أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يأكل من ذبائح المشركين، لكونه جاهلاً بحرمة الأكل منها، أمّا زيد فقد علم بذلك فلم يأكل!!، قال ابن حجر: «قال الداودى: كان النبي صلّى الله عليه وسلّم قبل البعث يجانب المشركين فى عباداتهم، ولكن لم يكن يعلم ما يتعلّق بأمر الذبائح، وكان زيد قد علم ذلك من أهل الكتاب الذين لقيهم» (١).

فكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم - والعياذ بالله - يأكل من ذبائح أهل الكتاب عن جهلٍ بحكمها، وقد علم بذلك أهل الكتاب، وتعلّمه منهم زيد بن عمرو، ولم يأكل... فانظر كيف يطعن فى رسول الله ويحطّ عليه؟ وكيف يجوز المؤمن الدّين فى حقّ الرسول الأمين، المؤيّد بالتأييد الإلهي والمسدّد بالمدد الرّيباني، أن يجهل حكماً من الأحكام الشرعيّة، ويرتكب شيئاً

(١) فتح الباري - شرح صحيح البخارى ٧: ١١٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٣١

من المحرّمات الإلهيّة، ويدعوه غيره لارتكابه؟

تكلّفات الآخرين فى حلّ العقده ... ص: ٤٣١

ومن القوم من أبى تكذيب حديث البخارى، ويستحى من الإلتزام بمدلوله ومعناه الظاهر بل الصريح فيه، فاشكل عليه الأمر، وجعل يتكلّف للخروج من المأزق!

قال السهيلي - بعد نقل حديث البخارى فى كتاب الذبائح -:

«وفيه سؤال: يقال: كيف وفق الله زيدا إلى ترك أكل ما ذبح على النصب وما لم يذكر اسم الله عليه، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان أولى بهذه الفضيلة فى الجاهليّة، لما ثبت من عصمه الله له؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: إنه ليس في الحديث حين لقيه ببلدح، فقدّمت إليه السفرة، إنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكل منها، وإنّما في الحديث إنّ زيدا قال حين قدّمت إليه السفرة: لا آكل ممّا لم يذكر اسم الله عليه.

الجواب الثاني: إنّ زيدا إنّما فعل ذلك برأى رآه لا بشرع متقدّم، وإنّما تقدّم شرع إبراهيم بتحريم الميتة لا بتحريم ما ذبح لغير الله، وإنّما نزل تحريم ذلك في الإسلام، وبعض الاصوليين يقولون: الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة. فإن قلنا: إنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأكل ممّا ذبح على النصب، فإنّما فعل أمراً مباحاً وإن كان لا يأكل منها، فلا إشكال، وإن قلنا أيضاً: إنّها ليست على الإباحة ولا على التحريم، وهو الصحيح، فالذبايح خاصّة لها أصل في تحليل الشرع المتقدّم، فالشاة والبعير ونحو ذلك ممّا أحله استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٣٢

الله تعالى في دين من كان قبلنا، ولم يقدح في ذلك التحليل المتقدّم ما ابتدعه، حتّى جاء الإسلام وأنزل الله سبحانه «ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه»، ألا ترى كيف بقيت ذبايح أهل الكتاب على أصل التحليل بالشرع المتقدّم، ولم يقدح في التحليل ما أحدثوه من الكفر وعبادة الصلبان، فكذلك كان ما ذبحه أهل الأوثان محللاً بالشرع المتقدّم حتّى خصّه القرآن بالتحريم» (١).

أقول:

وهذا الكلام في غاية السخافة والركّة، فإنّ مناط الإشكال ليس على مجرد أكل ذبيحة الأصنام، بل إنّ تجويز أكلها ودعوة الغير إلى ذلك قبيح جداً، فحصر الإشكال في الأكل دليل على عدم التدبّر وقلة التأمل، وكيف يصدّق العاقل الدّين أنّ لا ينتزّه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْما تنزّه منه زيد، وهو المعصوم بالعصمة الإلهية - بالإجماع القطعي - وأعقل الناس طراً بلا خلاف:

قال القاضي عياض: «وأما وفور عقله، وذكاء لبه، وقوة حواسه، وفصاحة لسانه، واعتدال حركاته، وحسن شمائله، فلا مريّة أنّه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامّة والخاصّة، مع عجب شمائله وبديع سيره - فضلاً عمّا أفاضه من العلم وقدره الشرع، دون تعلّم سبّاق ولا ممارسة تقدّمت ولا مطالعة للكتب منه - لم يمتّر في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا ما لا يحتاج إلى تقرير لتحقّقه.

وقد قال وهب بن مئبّه: قرأت في أحد وسبعين كتاباً، فوجدت في

(١) الروض الأنف ٢: ٣٦٠ - ٣٦٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٣٣

جميعها أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً. وفي رواية أخرى: فوجدت في جميعها أنّ الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، إلّا كحبه رمل من رمال الدنيا» (١).

فأى عاقل يقبل كلام السهيلي في حقّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مع هذا المقام في العصمة والعقل والسادات؟ على أنّ أكابر القوم وأنتمهم يصّرّحون بأكل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من ذبيحة الأصنام بالفعل.

يقول ابن حجر: «وقد وقع في حديث سعيد بن زيد الذي قدّمته، وهو عند أحمد: فكان زيد يقول: عدت بما عاذ إبراهيم، ثمّ يخز ساجداً للكعبة، قال: فمرّ بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزيد بن حارثة وهما يأكلان من سفرة لهما، فدعاها، قال: يا ابن أخي لا آكل ممّا ذبح على النصب، قال: فما رؤى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل ممّا ذبح على النصب من يومه ذلك.

وفي حديث زيد بن حارثة عند أبي يعلى والبخاري وغيرهما قال: خرجت مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً من مكة وهو مردفي، فذبحنا شاءً على بعض الأنصاب، فأنصجناها، فلقينا زيد بن عمرو، فذكر الحديث مطوّلاً وفيه:

فقال زيد: إني لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه» (٢).

فهذا حديث أحمد وغيره من الأئمة الأعلام... فأى فائدة في كلام السهيلي؟

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ١٦١-١٦٢.

(٢) فتح الباري- شرح صحيح البخارى ٧: ١١٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٣٤

على أن ما ادّعه، من عدم حرمة أكل ما ذبح لغير الله في شريعة سيدنا إبراهيم عليه السلام، فكذب صرف، لكنّ القوم يرتكبونه، حمايةً لأسلافهم وخرافاتهم!!

وقد كان من فضل الله أن ردّ الزركشى دعوى السهيلي هذه، ونصّ على حرمة ما ذبح لغير الله في الشريعة الإبراهيمية، إذ قال في (التنقيح) بشرح الحديث من كتاب المناقب:

«فقدمت له سفرة، فأبى أن يأكل.

إن قيل: كان نبينا صلى الله عليه وسلم أولى بهذه الفضيلة.

قلنا: ليس في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من السفرة.

وأجاب السهيلي: بأنّ زيدا إنما قال ذلك برأى منه، لا بشرع متقدّم، وفي شرع إبراهيم تحريم الميتة لا تحريم ما ذبح لغير الله، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام.

وهذا الذى قاله ضعيف، بل كان في شريعة الخليل تحريم ما ذبح لغير الله، وقد كان عدوّ الأصنام، والله تعالى يقول: «ثم أوحينا إليك أن اتبع ملّة إبراهيم حنيفاً» (١) «٢».

فالحمد لله على أن جرت كلمة الحقّ هذه على لسان الزركشى، وظهر أنّ دعوى السهيلي كذب وبهتان مبين، قصد به الحماية على أسلافه الضالّين.

وجاء الخطّابى فسلك مسلكاً آخر... ذكره ابن حجر حيث قال:

«قوله: على أنصابكم، بالمهملة، جمع نصب بضمّتين، وهى أحجار

(١) سورة النحل ١٩: ١٢٣.

(٢) التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح ٢: ٧٩٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٣٥

كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأصنام.

قال الخطّابى: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأكل ممّا يذبحون عليها للأصنام، ويأكل ما عدا ذلك، وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه، لأنّ الشرع لم يكن نزل بعد، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل ما لم يذكر اسم الله عليه إلّا بعد البعث بمدة طويلة» (١).

أقول:

لكنّ هذا الكلام شعري خطّابى، ولا يرفع الإشكال عن حديث البخارى، لأنّه صريح فى أنّ اللحم الذى أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم زيدا بالأكل منه كان مذبوحاً على النصب، حتّى أن زيدا قال للنبي: إني لست آكل ممّا تذبحون على أنصابكم. ومن هنا أورد البخارى، هذا الحديث فى كتاب الذبائح، باب ما ذبح على النصب والأصنام.

وأيضاً، فما أخرجه أحمد والبخارى وأبو يعلى، ونقله ابن حجر العسقلانى، صريح فى أنّ ذلك اللحم كان مذبوحاً على النصب.

على أن القول بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يأكل ممّا لم يذكر اسم الله عليه، باطل كذلك، لما تقدّم في كلام الزركشى من تحريم ما ذبح لغير الله في شريعة سيدنا الخليل عليه السلام، فكيف ينسب ذلك إلى رسول الله؟
 فظهر أن كلام الخطابي أيضاً ضرب في بارد الحديد، لا ينفع أصلاً في الخلاص عن الإشكال الشديد، وكيف يجوز ذوعقل وفهم سديد أن البشير النذير أكل ممّا ذبح على غير اسم الملك الحميد؟ فالله يعصمنا بفضلته من اتباع الشيطان المرید.

(١) فتح الباری ٧: ١١٢-١١٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٣٦

حديث نفی توريث الأنبياء ... ص: ٤٣٦

(ومنها) ما أخرجه البخارى، وهذه ألفاظه في كتاب الفرائض:

«حدّثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة: إنّ أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين توفى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهنّ، فقالت عائشة: ليس قد قال رسول الله: لا نورث ما تركناه صدقة» (١).

وقد بين علماءنا الأعلام في كتبهم المبسوطة أن هذا موضوع «٢»، وقد وضعوه لأن يحرموا بضعه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ترك، فراجع كتاب (تشييد المطاعن) وغيره. ويكفي في تكذيبه أن علياً عليه السلام ردّ عليه في كلام له مع أبي بكر، وأثبت مخالفته لكتاب الله:

قال ابن سعد: «أخبرنا محمد بن عمر، حدّثني هشام بن سعد، عن عباس بن عبد الله بن معبد، عن أبي جعفر قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها، وجاء العباس بن عبد المطلب يطلب ميراثه، وجاء معهما على، فقال أبو بكر: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا نورث ما تركنا صدقة،

(١) صحيح البخارى ٨: ٢٦٦.

(٢) بل لقد أجرى الله هذه الحقيقة على لسان أحد الأئمة الحفاظ منهم، وهو الحافظ ابن خراش، المتوفى سنة ٢٨٣، وقد ذكر ذلك عنه الحافظ الذهبي بترجمته من كتاب تذكرة الحفاظ ٢: ٦٨٤/٧٠٥.

«قال ابن عدى: سمعت عبدان يقول: قلت لابن خراش: حديث ما تركنا صدقة؟ قال: باطل، اتهم مالك بن أوس بالكذب» وكذا الحافظ ابن حجر بترجمته من لسان الميزان ٣: ٥٠٩: «وقال عبدان: قلت لابن خراش: حديث: لا نورث ما تركنا صدقة؟ قال: باطل. قلت: من تتهم به؟ قال: مالك بن أوس».

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٣٧

وما كان النبي يعول فعلى. فقال على «وورث سليمان داود» (١)

وقال زكريا:

«يرثني ويرث من آل يعقوب» (٢)

قال أبو بكر: هو هكذا، وأنت تعلم مثل ما أعلم. فقال على: هذا كتاب الله ينطق. فسكتوا وانصرفوا» (٣).

حديث مجادلة الإمام مع النبي في صلاة الليل ... ص: ٤٣٧

(ومنها) ما أخرجه البخارى، على ما فى كتاب (التحفة) للدهلوى، حيث جاء فيه:

«روى البخارى- الذى هو أصح الكتب عند أهل السنة بعد القرآن- بطرق متعددة أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بيت الأمير والبتول ليلة وأيقظهما من مضجعهما، وأمرهما بصلاة التهجد مؤكداً، فقال الأمير: والله ما نصلى إلّما كتب الله علينا. أى الصلاة المفروضة، وإنما أنفسنا بيد الله.

يعنى: لو وفقنا الله لصلاة التهجد لصلينا. فرجع النبى وهو يضرب على فخذه ويقول: «وكان الإنسان أكثر شىء جدلاً» «٤».

وإن هذا لمن أقبح الإفتراءات وأشنع الأكاذيب، أياً كان واضعه وراويه، لكنّ القوم لا يستحيون، وبه وبمثله يحتجون؟ فهل يصدق أحد إباء أمير المؤمنين عليه السلام عن قيام الليل والصلاة لله نافله، مع ما هو عليه من العبادة والعبودية لله عز وجل؟ وهل يصدق مجادلته مع رسول الله فى دعوته إياه إلى القيام والصلاة،

(١) سورة النمل ٢٧: ١٦.

(٢) سورة مريم ١٩: ٦.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٣١٥.

(٤) مختصر التحفة الإثنى عشرية: ٢٨١، وانظر التحفة الاثنى عشرية: ٢٨٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٣٨

مع ما كان عليه من كثرة إطاعته له فى كل شىء؟

وهل يصدق أن يستدلّ أمام النبى كاستدلال أهل الجبر؟

إن هذا إلّامن وضع النواصب المبغضين للنبى والوصى، ولا يصدق به إلّا من كان على شاكلتهم!!

إنك لن تجد أحداً من آحاد المؤمنين يؤمر بالصلاة فى أى بهذة الشدة ويقول: «والله لا نصلى إلّما كتب الله لنا» لاسيما والأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّ مثل هذا الكلام معه- وفى قبال دعوته إلى الصلاة والعبادة- استخفاف به وبأمره، وهذا ما لا يصدر من أحدٍ من سائر المؤمنين، فكيف بمولانا على عليه السلام، الممثل لأوامر رسول الله، والتابع له فى كل شىء، والذى كان أعبد الناس بعده؟ يقول ابن أبى الحديد المعتزلى الحنفى عن عبادته عليه السلام:

«وأما العبادة، فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاةً وصوماً، ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يُسقط له نطح بين الصّفين ليلة الهرير، فيصلّى عليه ورده والسهام تقع بين يديه، وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته، وما ظنك برجلٍ كانت جبهته كثفنه البعير لطول سجوده!

وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمّنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزّته والإستحذاء له، عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص، وفهمت من أى قلبٍ خرجت، وعلى أى لسانٍ جرت.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٣٩

وقيل لعلّى بن الحسين عليه السلام- وكان الغاية فى العبادة:- أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: عبادتى عند عبادة جدّى كعبادة جدّى عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله «١».

ويقول الشيخ محمّد بن طلحة الشافعى:

«الفصل السابع: فى عبادته وزهده وورعه: أمّا عبادته عليه السلام، فاعلم سلك الله بنا وبك سبيل السعادة: أن حقيقة العبادة هى الطاعة؛ فكلّ من أطاع الله تعالى، وقام بامثال الأوامر واجتناب المناهى فهو عباد، ولما كانت متعلقات الأوامر الصادرة من الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم كانت العبادة بحسب ذلك متنوّعة، فمنها الصلاة ومنها الصدقة ومنها الصيام إلى غيرها من الأنواع،

وكل ذلك كان عليه السلام قائماً فيه، مقبلاً عليه مسارعاً إليه متحلياً به، حتى أدرك بمسارعتة إلى طاعة الله ورسوله ما فات غيره، فإنه جمع بين الصلاة والصدقة، فتصدق وهو راعٍ في صلاته، فجمع بينهما في وقت واحد، حتى أنزل الله تعالى فيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة».

وقال بعد ذكر قصيدة الصدقة ونزول الآية «إنما وليكم الله» في شأنه عليه السلام، وذكر تفرده عليه السلام بالعمل بآية النجوى، ونزول «ويطعمون الطعام على حبه» في حقه:

«إعلم أن أنواع العبادة كثيرة، وكان علي عليه السلام جامعاً لجميعها، فإن من تيقن حقيقة الآخرة بأحوالها وتحقق شدائد أهوالها، وأن كل نفس عند مردّها ومآلها تلزم بجواب سؤالها، وتجشو بين يدي خالقها لجدالها، وتجازي على ما أسلفته من أعمالها، إما بنعيمها وإما بنكالها، خليق أن يكون عن ساق

(١) شرح نهج البلاغة ٢٧/١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٤٠

جده في عبادته مشمراً، وأن يجعل وقته على اكتساب طاعات ربه متوفراً، فإنه لا يقصر في العبادة إلا من فقد اليقين ولم يكن من المتقين، وقد كان علي منطوياً على يقين لا غاية لمداه ولا نهاية لمتناه، وقد صرح بذلك تصريحاً مبيناً فقال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، فكانت عبادته إلى الغاية القصوى تبعاً ليقينه، وطاعته في الذروة العليا لمتانته دينه».

وقال أيضاً بعد ذكر طائفة من الروايات والأخبار:

«فهذه الوقائع والقضايا المفصلة - التي أسفر له فجر نهارها وأبدر لديه قمر شعارها، وظهر عليه سر آثارها وانتشر عنه خبر أسرارها - شاهدة له أنه في العبادة ابن جلاها وفارح ذروة علاها، وضارب في أعشارها بمعلاها، وراكب من مطيتها غارب مطاها، قد صدعت منطوقها ومفهومها، بأنه قد حوى مقامات العابدين حتى حلّ مقام الإمامة، وأتصف بسمات الزاهدين، فييده زمام الزعامة، فتحلّى بالأمانة والعبادة والمحبة والزهد والورع والمعرفة والتوكل والخوف والرجاء والصبر والشكر والرضا والخشية، فهو ذو إخبات وتفكر، ونسك وتدبر وتهجد وتذكر وتأوه وتحسير، وأذكار وأوراد وإصدار وإيراد، فكابد من أنواع العبادات ووظائف الطاعات ما لا يكاد الأقوياء ينهضون بحمل أعبائه، إلى أن نزل القرآن الكريم بمدحته، وأسفر بالثناء عليه من التنزيل وجه صحته، حتى نقل الواحدى رضى الله عنه في تفسيره، يرفعه بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنه قال: إن علي ابن أبي طالب تملك أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، فنزلت فيه قوله تعالى: «الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» ومن تأمل ما قصصناه من

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٤١

الوقائع والقضايا، وتدبر ألفاظها ومعانيها، وجدها صادعة بالشهادة له بهذه المقدمات، جامعة فيه ما فضّله القلم من الصفات، وكفاه شرفاً إنزال الله عز وجل مدحه في السور والآيات، وإنها تتلى بألسنة الأمة إلى يوم القيامة في وظائف الصلاة.

هذى المزايا بعض ما حُلّي بها وحُبي من الخيرات والبركات

وله وظائف طاعة أورادها معمورة الآناء والأوقات

بعبادة وزهاده وتورّع وتخشع وتدبر الإخبات

وتقلل وتوكل وتفكر وتدبر وتذكر المثالات

وإذا الظلام سجي يناجى ربه متضرعاً بالذكر والدعوات

يعنو له بخضوع قلب خاشع وهموع طرف مسبل العبرات

علمت درجاته وفضائل شرفت معارجها على الشرفات

ومناقب نطقت بها آي الكتاب وحسبها إن جاء شاهدا من الآيات» (١)

قال: «ونقل أن معاوية قال بعد موت علي لضرار بن صرد: صف لي علياً. فقال: أوتعفني؟ قال: بل صفه. قال: أوتعفني؟ قال: لا أعفيك. قال: أما إذا لا بد فأقول ما أعلمه منه:

كان- والله- بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان- والله- غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقب كفيه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جش، كان- والله- كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويتدينا إذا أتينا، ويأتينا إذا

(١) مطالب السؤل: ١٣٧.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٤٤٢

دعوانه، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا، لا نكلمه هيبه ولا نبتديه عظمه، إن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يُعظم أهل الدين، ويحبّ المساكين، لا يطمع القوى في باطله، ولا يياس الضعيف من عدله، فاشهد بالله لقد رأيت في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سجوفه وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تمللم السليم ويكي بكاء الحزين، وكأني أسمع ويقول: يا دنيا يا دنيا، أبي تعرضت أم إلي تشوقت! هيهات هيهات، غزي غيري، قد بتتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كثير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. قال:

فذرفت دموع معاوية على لحيته، فلم يملكها وهو ينشفها بكمه، وقد أخفق القوم بالبكاء.

فقال معاوية: رحم الله أبا الحسن، كان- والله- كذلك. فكيف حزنك عليه يا ضرار؟

قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها، فلا ترق عبرتها ولا يسكن حزنها» (١).

وعلى الجملة، فلا يمكن وصف زهد الإمام في دار الدنيا، وعبادته لله تبارك وتعالى، ولا يمكن لأحد إنكار ذلك، بل حتى أعداؤه يعترفون، ولت أتباع معاوية اعترفوا كما اعترف، ولم يوافقوا على الحديث الموضوع المختلف! وأما ما في الحديث، من نسبة التمسك بشبه الجبرية إلى الإمام عليه السلام، فإنها أقبح وأشنع من نسبة الإباء عن الصلاة عليه، لأن التمسك بالقدر

(١) مطالب السؤل: ١٣١-١٣٢.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٤٤٣

عند مثبته في غاية الشناعة، ونسبة ذلك إلى أمير المؤمنين كفر وضلال...

وإليك جملة من عبارات ابن تيمية في بطلان الاحتجاج بالقدر:

«الاحتجاج بالقدر حجة باطلة داحضة باتفاق كل ذي عقل ودين من جميع العالمين، والمحتج به لا يقبل من غيره مثل هذه الحجة إذا احتج بها في ظلم أتاه وترك ما يجب عليه من حقوقه، بل يطلب منه ماله عليه ويعاقبه على عداوته، وإتما هي من جنس شبه السوفسطائية التي تعرض في العلوم، فكما أنك تعلم فسادها بالضرورة وإن كانت تعرض لكثير من الناس، حتى قد يشك في وجود نفسه وغير ذلك من المعارف الضرورية، فكذلك هذا يعرض في الأعمال حتى يظن أنها شبهة في إسقاط الصدق والعدل الواجب وغير ذلك، وإباحة الكذب والظلم وغير ذلك، ولكن يعلم القلوب بالضرورة أن هذه شبهة باطلة، وهذه لا يقبلها أحد عند التحقيق، ولا يحتج بها أحد إلا مع عدم علمه بالحجة بما فعله، فإذا كان مع علمه بأن فعله هو المصلحة وهو المأمور، وهو الذي ينبغي فعله، لم

يحتج بالقدر، وكذلك إذا كان معه علم بأن الذي لم يفعله ليس عليه أن يفعله، أو ليس بمصلحة، أو ليس هو مأموراً به، لم يحتج بالقدر، بل إذا كان متبعا لهواه بغير علم احتج بالقدر، ولهذا لما قال المشركون «لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء» قال الله تعالى: «هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون* قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين».

فإن هؤلاء المشركين يعلمون- بفطرتهم وعقولهم- أن هذه الحجة داحضة وباطلة، فإن أحدهم لو ظلم الآخر في ماله أو فرج امرأته أو قتل ولده أو كان مصرّاً على الظلم، فنهاه الناس عن ذلك فقال: لو شاء الله لم أفعل هذا،

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٤٤

لم يقبلوا هذه الحجة، وهو لا يقبلها من غيره، وإنما يحتج بها المحتج دفعاً للوم بلا وجه، فقال الله لهم: «هل عندكم علم فتخرجوه لنا» بأن هذا السؤال من أمر الله وأنه مصلحة ينبغي أن يفعل «إن تتبعون إلا ظناً وإن أنتم إلا تخرصون» تحرزون وتفترتون.

فعمدتكم في نفس الأمر طلبكم وحرصكم، ليس عمدتكم في نفس الأمر كون الله شاء ذلك وقدره، فإن مجرد المشيئة والقدرة لا تكون عمدة لأحد في الفعل، ولا حجة لأحد على أحد، ولا عذراً لأحد، والناس كلهم مشتركون في القدر، فلو كان هذا حجة وعمدة، لم يحصل فرق بين العادل والظالم والصادق والكاذب والعالم والجاهل والبر والفاجر، فلم يكن فرق بين ما يصلح الناس من الأعمال وما يفسدهم، وما ينفعهم وما يضرهم.

وهؤلاء المشركون المحتجون بالقدر على ترك ما أرسل الله به رسله من توحيده والإيمان به، لو احتج بعضهم على بعض في سقوط حقوقه ومخالفة أمره لم يقبله منه، بل كان هؤلاء المشركون يذم بعضهم بعضاً على فعل ما يرونه تركاً لحقهم أو ظمناً، فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى حق الله على عباده وطاعة أمره احتجوا بالقدر، فصاروا يحتجون بالقدر على ترك حق ربهم ومخالفة أمره بما لا يقبلونه ممن ترك حقهم وخالف أمرهم» (١).

وله كلام آخر طويل في تقييح الإحتجاج بالقدر وإبطاله، ثم إنه في آخر الكلام،- لنصبه وعداوته لأmir المؤمنين عليه السلام- ينسب القدر إليه، ويتعرض للخبر الموضوع عليه، وهذه عبارته:

(١) منهاج السنة ٢: ٣-٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٤٥

«ثم نعلم إن هذه الحجة باطلة بصريح العقل عند كل أحد مع الإيمان بالقدر وبطلان هذه الحجة لا يقتضى التكذيب بالقدر، وذلك أن بنى آدم مفطرون على احتياجهم إلى جلب المنفعة ودفع المضرة، ولا يعيشون ولا يصلح لهم دنيا ولا دين إلا بذلك، فلا بد أن يأتروا بما فيه تحصيل منافعهم ودفع مضارهم، سواء بعث إليهم رسول أو لم يبعث، لكن علمهم بالمنافع والمضار بحسب عقولهم وقصودهم، والرسول صلوات الله عليهم بعثوا بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فأتباع الرسل أكمل الناس في ذلك، والمكذبون للرسل انعكس الأمر في حقهم، فصاروا يتبعون المفاسد ويعطلون المصالح، فهم شر الناس، ولا بد لهم مع ذلك من أمور يجتلبونها وأمور يجتنونها، وأن يدافعوا جميعاً ما يضرهم من الظلم والفواحش ونحو ذلك.

فلو ظلم بعضهم بعضاً في دمه وماله وحرمة، فطلب المظلوم الإقتصاص والعقوبة، لم يقبل أحد من ذوى العقول احتجاج بالقدر، ولو قال:

اعذروني فإن هذا كان مقدراً عليّ، لقالوا: وأنت لو فعل بك ذلك فاحتج عليك ظالمك بالقدر لم تقبل منه، وقبول هذه الحجة توجب الفساد الذي لا صلاح معه، وإن كان الإحتجاج بالقدر مردوداً في فطر جميع الناس وعقولهم، مع أن جماهير الناس مقرّون بالقدر، فعلم أن الإقرار بالقدر لا ينافي دفع الإحتجاج به، بل لا بد من الإيمان به ولا بد من ردّ الإحتجاج به.

ولمّا كان الجدل ينقسم إلى حقّ وباطل، وكان من لغة العرب أنّ الجنس إذا انقسم إلى نوعين أحدهما أشرف من الآخر، خصّوا الأشرف باسم الخاص وعبروا عن الآخر باسم العام، كما في لفظ الجائر العام والخاص والمباح العام استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٤٦

والخاص، وذوى الأرحام العام والخاص، ولفظ الجواز العام والخاص، ويطلقون لفظ الحيوان على غير الناطق، لاختصاص الناطق باسم الإنسان، غلوا في لفظ الكلام والجدل، فلذلك يقولون فلان صاحب كلام ومتكلّم إذا كان يتكلّم بلا علم، ولهذا ذمّ السلف أهل الكلام والكلام، وكذلك الجدل إذا لم يكن الكلام بحجّة صحيحة لم يكن إلّاجدلاً محضاً.

والإحتجاج بالقدر من هذا الباب، كما في الصحيح: عن عليّ رضی الله عنه قال: طرفني رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة فقال: ألا تقومان تصليان؟ فقلت: يا رسول الله، إنّما أنفسنا بيد الله، إن شاء أن يعثنا بعثنا. قال:

فولّي وهو يقول: «وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً»، فإنّه لمّا أمرهم بقيام الليل فاعتلّ على بالقدر وأنّه لو شاء الله لأيقظنا، علم النبي صلى الله عليه وسلم أنّ هذا ليس فيه إلّامجرّد الجدل الذي ليس بحق فقال: «وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً» (١).

وإذا كان التمسك والإحتجاج بالقدر بهذه المثابة من القبح، فإنّ نسبة ذلك إلى الإمام عليه الصّلاة والسلام لا يكون إلّا عن النصب والعناد له، ولا يصدّق به أحد من ذوى الفهم والعقل، فضلاً عن أهل الإيمان والإيقان.

بل لقد ذكر ابن تيميّة في موضع آخر من كتابه، أنّ من يحتجّ بالقدر فهو شرّ من اليهود والنصارى... إلى غير ذلك، وهذا نصّ كلامه:

«وهذا السؤال - أعني لزوم إفحام الأنبياء في جواب الكفّار - إنّما يتوجّه على من يسوّغ الإحتجاج بالقدر، ويقيم عذر نفسه أو غيره إذا عصى بأنّ هذا مقدّر، على أنّ شهود الحقيقة الكونيّة - وهؤلاء كثيرون في الناس، وفيهم من

(١) منهاج السنّة ٢: ١٣ - ١٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٤٧

يدّعي أنّه من الخاصيّة العارفين أهل التوحيد، الذين فنوا في توحيد الربوبيّة - يقولون: إنّ العارف إذا فنى في شهود توحيد الربوبيّة لم يستحسن حسنه ولم يستقبح قبحه، وهذا الضرب كثير في متأخري الشيوخ السناك والصوفيّة والفقراء بل في الفقهاء والامراء والعامّة، ولا ريب أنّ هؤلاء شرّ من الشيعة والمعتزلة الذين يقرون بالأمر والنهي وينكرون القدر.

وبمثل هؤلاء طال لسان المعتزلة والشيعة في المنتسبين إلى السنّة، فإنّ من أقرّ بالأمر والنهي والوعد والوعيد وفعل الواجبات وترك المحرّمات، ولم يقل أنّ الله خلق أفعال العباد، ولا يقدر على ذلك ولا شاء المعاصي، هو قد قصد تعظيم الأمر وتنزيه الله تعالى عن الظلم وإقامة حجّة الله على نفسه، لكن ضاق عطنه فلم يخيل الجمع بين قدرة الله التامّة، وبين المشيئة العامّة وخلقته الشامل، بين عدله وحكمته وأمره ونهيه ووعدته ووعدته، فجعل لله الحمد ولم يجعل له تمام الملك، والذين أثبتوا قدرته ومشيتته وخلقته، وعارضوا بذلك أمره ونهيه ووعدته ووعدته شرّ من اليهود والنصارى، كما قال هذا المصنّف، فإنّ قولهم يقتضى إفحام الرسل، ونحن إنّما نرد من أقوال هذا وغيره ما كان باطلاً، وأما الحقّ فعلياً أن نقبله من كلّ قائل، وليس لأحد أن يرد بدعةً بدعةً ولا يقابل باطلاً باطلاً، والمنكرون للقدر وإن كانوا في بدعة، فالمحتجون به على الأمر أعظم بدعة، وإن كان أولئك يشبهون المجوس، فهؤلاء يشبهون المشركين المكذّبين للرسل الذين قالوا «لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرّمانا من شيء» وقد كان في أواخر عصر الصحابة رضی الله تعالى عنهم جماعة من هؤلاء القدريّة، وأما المحتجون بالقدر على الأمر، فلا يعرف لهم

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٤٨

طائفة من طوائف المسلمين معروفة، وإنّما كثروا في المتأخّرين» (١).

حديث خطبة بنت أبي جهل ... ص: ٢٤٨

(ومنها) ما أخرجه البخارى: من أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب بنت أبي جهل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي حياة الصديقة الطاهرة ... في قضية موضوعه مكذوبة ... قال:

«حدثنا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري، ثنى على بن حسين: أن المسور بن مخرمة قال: إن علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا على ناكح بنت أبي جهل. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فسمعتة حين تشهد يقول: أما بعد، فإني أنكحت أبا العاص ابن الربيع فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها، والله لا يجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل. فترك على الخطبة» (٢).

فإن هذا الحديث فيه ذم ومنقصه، ولا يصدق به مؤمن أبداً، وكيف يمكن صدوره من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كان يعلن منذ بدء الإسلام إلى ساعة وفاته عن فضائل أمير المؤمنين ومناقبه ويشيعها بين الناس؟ وقد اعترف بعض أئمة القوم بدلالته على الذم، فهذا ابن حجر يقول بشرحه:

(١) منهاج السنة ٢: ١١-١٢.

(٢) صحيح البخارى ٥: ٩٥ و ٤: ١٨٥.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٢٤٩

«ولا أزال أتعجب من المسور كيف بالغ في [تغضيبه لعلى بن الحسين، حتى قال إنه أودع عنده السيف لا يمكن أحداً منه حتى تزهق روحه، رعايةً لكونه ابن فاطمة، ولم يراع خاطره في أن ظاهر سياق الحديث غضاضة على علي بن الحسين، لما فيه من إيهاً غض من جدّه علي بن أبي طالب، حيث أقدم على خطبة بنت أبي جهل على فاطمة، حتى اقتضى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك من الإنكار ما وقع» (١).

وقد ذكر الدهلوى صاحب (التحفة) خبر الكلام الذى دار بين أبي حنيفة والأعمش حول هذا الحديث، وقول أبي حنيفة للأعمش بأن نقل هذا الحديث من سوء الأدب (٢).

فكيف يصدق بأن الإمام السجّاد عليه السلام قد روى هذا الحديث وسكت عليه؟ (٣)

حديث شأن نزول «وإن طائفتان من المؤمنين ...» ص: ٢٤٩

(ومنها) ما أخرجه البخارى: من قضية أصحاب النبي مع أصحاب عبد الله ابن ابي، الذى كان رئيس المنافقين بعد تظاهرة بالإسلام، ونزول الآية «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما» فى القصّة، وهذه ألفاظه فى كتاب الصلح:

«حدثنا مسدد، ثنا معتمر قال: سمعت ابي أن أنساً قال: قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: لو أتيت عبد الله بن ابي، فانطلق إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه، وهى أرض سبخة، فلما أتاه

(١) فتح البارى ٧: ٦٩، ٦: ١٦٢، ٩: ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) التحفة الإثنى عشرية: ٣٥٥.

(٣) وفى هذا الموضوع رسالة مطبوعة ضمن (الرسائل العشر فى الأحاديث الموضوعية) تأليف السيد على الحسينى الميلانى، فليرجع إليها من شاء التفصيل.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٥٠

النبي قال: إليك عنى، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله أطيّب ريحاً منك، فغضب لعبدالله رجل من قومه، فشتما، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدى والنعال، فبلغنا أنها نزلت «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما» (١).

فإن القول بنزول الآية المباركة في هذه القضية كذب قطعاً، لأن هذه القضية قد وقعت قبل الإسلام الظاهري للرجل، ولو كانت بعده فلا ريب في كفره وضلاله وكذا أصحابه، لقوله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إليك عنى، والله لقد آذاني نتن حمارك» فكيف يسميه الله وأصحابه ب «المؤمنين»؟

ومن هنا قال ابن بطال: «يستحيل نزولها في قصة» ... كما قال الزركشى في (التنقيح) في شرحه:

«فبلغنا أنها نزلت «وإن طائفتان» قال ابن بطال: يستحيل نزولها في قصة عبدالله بن ابي وأصحابه، لأن أصحاب عبدالله ليسوا بمؤمنين، وقد تعصّبوا له بعد الإسلام في قصة الإفك، وقد رواه البخارى في كتاب الاستيذان عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما: إن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ في مجلس فيه أخلاط من المشركين والمسلمين وعبد الأوثان واليهود، وفيهم عبدالله بن ابي، فذكر الحديث. فدلّ على أن الآية لم تنزل فيه، وإنما نزلت في قوم من الأوس والخزرج، اختلفوا في حق، فاقتتلوا بالعصى والنعال» (٢).

ومن الطرائف محاولة ابن حجر الردّ على كلام ابن بطال بقوله:

(١) صحيح البخارى ٤: ١٩.

(٢) التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح ٢: ٥٩٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٥١

«وقد استشكل ابن بطال نزول الآية المذكورة وهي قوله تعالى «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا» (١)

في هذه القضية، لأنّ المخاصمة وقعت بين من كان مع النبي من الصحابة وبين عبدالله بن ابي، وكانوا إذ ذاك كفّاراً، فكيف ينزل فيهم «طائفتان من المؤمنين» ولاسيما إن كانت قصة أنس واسامة متّحدة، فإنّ في رواية اسامة: فاستبّ المسلمون والمشركون. قلت: يمكن أن يحمل على التغليب، مع أنّ فيها إشكالاً من جهة اخرى، وهي: إنّ حديث اسامة صريح في أنّ ذلك كان قبل وقعة بدر وقبل أن يسلم عبدالله بن ابي وأصحابه، والآية المذكورة في الحجرات ونزولها متأخراً جداً وقت مجيء الوفود، لكنّه يحتمل أن يكون آية الإصلاح نزلت قديماً، فيندفع الإشكال» (٢).

أقول:

إنّ الحمل على التغليب بلا دليل من الكتاب أو السنّة غير مقبول، ولعلّه ملتفت إلى ضعفه فقال: «يمكن»....

خبر عدم تفضيل الإمام على الصحابة بعد الخلفاء ... ص: ٤٥١

(ومنها) ما أخرجه البخارى في مناقب عثمان:

«عن ابن عمر قال: كنّا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدّل بأبي بكر أحداً ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ ترك أصحاب النبي لا نفاضل بينهم» (٣).

(١)

سورة الحجرات ٤٩: ٩.

(٢) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ٥: ٢٢٨.

(٣) صحيح البخارى ٥: ٨٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٥٢

لكن الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على أفضليته أمير المؤمنين عليه السلام من الشيخين - فضلاً عن الثالث - كثيرة جداً، غير أن واضع هذه الفرية لم تسمح له نفسه الدتية لأن يقول بأفضليته عمّن سوى الثلاثة، فزعم المساواة بينه وبين معاوية وعمرو بن العاص وأمثالهما... والعياذ بالله.

وما أكثر الأحاديث والأخبار فى بطلان هذه الفرية وسقوطها، حتى من طرق أهل السنة وأسانيدهم... ومن هنا، فقد بالغ ابن عبد البر فى رد الخبر، ونقل كلام ابن معين فى إبطاله، فقال ما نصّه:

«أخبرنا محمد بن زكريا ويحيى بن عبدالرحمن وعبدالرحمن بن يحيى قالوا: حدّثنا أحمد بن سعيد بن حزم، ثنا أحمد بن خالد، ثنا مروان بن عبدالملك قال: سمعت هارون بن إسحاق يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: من قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وعرف لعلى سابقته وفضله، فهو صاحب سنة. فذكر له هؤلاء الذين يقولون: أبو بكر وعمر وعثمان ثم يسكتون، فتكلّم فيهم بكلام غليظ. وكان يحيى بن معين يقول: أبو بكر وعمر وعلي وعثمان.

قال أبو عمرو: من قال بحديث ابن عمر: كنّا نقول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت، يعنى لا- نفاضل، وهو الذى أنكر ابن معين وتكلّم فيه بكلام غليظ، لأنّ القائل بذلك قد قال بخلاف ما اجتمع عليه أهل السنة من السلف والخلف من أهل الفقه والأثر: إنّ عليّاً أفضل الناس بعد عثمان، هذا ممّا لم يختلفوا فيه، وإنّما اختلفوا أيهما أفضل على أو عثمان، واختلف السلف أيضاً فى تفضيل على وأبي بكر.

وفى إجماع الجميع الذى وصفنا دليل على أنّ حديث ابن عمر وهم

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٥٣

غليظ، وأنّه لا يصحّ معناه وإنّ كان إسناده صحيحاً، ويلزم من قال به أن يقول بحديث جابر وأبي سعيد: كنّا نبيع امهات الأولاد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم لا يقولون بذلك. فقد ناقضوا، وبالله التوفيق» (١).

حديث أخذ الأجر على كتاب الله ... ص: ٤٥٣

(ومنها) ما أخرجه البخارى فى كتاب الطب:

«حدّثنا سيدان بن مضارب أبو محمد الباهلى قال: حدّثنا أبو معشر يوسف ابن يزيد البراء قال: حدّثنى عبيد الله بن الأحنس أبو مالك، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس: إنّ نفرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّوا بماءٍ فيهم لذيغ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل السماء فقال: هل فيكم من راق؟ إنّ فى الماء رجلاً لذيغاً أو سليماً. فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء، فبرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكهوا ذلك قالوا:

أخذت على كتاب الله أجرأ، حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ أحقّ ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله» (٢).

وهذا الحديث أورده أبو الفرج ابن الجوزى برواية عائشة فى كتاب (الموضوعات) (٣).

(١) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٣: ١١١٦.

(٢) صحيح البخارى ٧: ٢٤١.

(٣) كتاب الموضوعات ١: ٢٢٩.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٤٥٤

حديث أسباط في الاستقصاء ... ص: ٤٥٤

(ومنها) ما أخرجه - بعد روايته ابن مسعود - في استقصاء الكفار: عن مسروق قال: «أتيت ابن مسعود فقال: إن قريشاً أبطؤا عن الإسلام، فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذتهم سنه حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، فجاء أبو سفيان فقال: يا محمد، جئت تأمر بصله الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله، فقراً: «فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين» الآية. ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله تعالى: «يوم نبطش البطشة الكبرى» يوم بدر:-
وزاد أسباط عن منصور: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسقوا الغيث، فأطبقت عليهم سبعاً، وشكا الناس كثرة المطر فقال: اللهم حوالينا ولا علينا، فأنحدرت السحابة عن رأسه، فسقوا الناس حولهم» (١).
وقد تكلم الأئمة في هذه الزيادة:

قال العيني: «واعترض على البخاري بزيادة أسباط هذا.

فقال الداودي: أدخل قصة المدينة في قصة قريش وهو غلط.

وقال أبو عبد الملك: الذي زاده أسباط وهم واختلاط، لأنه ركب سند عبدالله بن مسعود على متن حديث أنس بن مالك، وهو قوله: فدعا رسول الله فسقوا الغيث. إلى آخره.

وكذا قال الحافظ شرف الدين الدمياطي وقال: حديث عبدالله بن مسعود كان بمكة، وليس فيه هذا.

(١) صحيح البخاري ٢: ٧٤-٧٥.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٤٥٥

والعجب من البخاري كيف أورد هذا وكان مخالفاً لما رواه الثقات؟

وقد ساعد بعضهم البخاري بقوله: لا مانع أن يقع ذلك مرتين.

وفيه نظر لا يخفى.

وقال الكرمانى: فإن قلت: قصة قريش والتماس أبي سفيان كانت في مكة لا في المدينة. قلت: القصة مكئية، إلاً القدر الذي زاد أسباط، فإنه وقع في المدينة» (١).

حديث تكثر لكم الأحاديث من بعدى ... ص: ٤٥٥

(ومنها) حديث نصّ التفتازاني على إيراد البخاري إياه في صحيحه، وقد طعن فيه المحذثون، وقال يحيى بن معين بأنه حديث وضعته الزنادقة، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «تكثر لكم الأحاديث من بعدى، فإذا روى لكم حديث فأعرضوه على كتاب الله» ذكر ذلك كله التفتازاني في (التلويح - شرح التوضيح) في كلام له حيث قال:

«قوله: وإنما يرد خبر الواحد في معارضة الكتاب، لأنه مقدم لكونه قطعياً متواتراً النظم لا شبهة في متنه ولا في سنده، لكن الخلاف إنما هو في عمومات الكتاب وظواهرها، فمن يجعلها ظنيّة يعتبر بخبر الواحد إذا كان على شرائطه عملاً بالدليلين، ومن يجعل العام قطعياً، فلا يعمل بخبر الواحد في معارضته، ضرورة أن الظني يضمحل بالقطعي، فلا ينسخ الكتاب به ولا يزداد عليه أيضاً، لأنه بمنزلة النسخ.

واستدل على ذلك بقوله عليه السلام: تكثر لكم الأحاديث من بعدى،

(١) عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى ٧: ٢٧-٢٩.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٤٥٦

فإذا روى لكم حديث فأعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالفه فردّوه.

واجيب: بأنه خبر واحد قد خصّ منه البعض، أعنى المتواتر والمشهور، فلا يكون قطعياً، فكيف يثبت به مسألة الاصول؟ على أنه ممّا

يخالف عموم قوله تعالى: «وما آتاكم الرسول فخذوه».

وقد طعن فيه المحدّثون بأنّ فى رواته يزيد بن ربيعة، وهو مجهول، وترك فى إسناده واسطه بين الأشعب وثوبان فيكون منقطعاً.

وذكر يحيى بن معين: إنّه حديث وضعته الزنادقة.

وإيراد البخارى إياه فى صحيحه لا ينافى الإنقطاع أو كون أحد رواته غير معروفٍ بالرواية «١».

حديث تحريم المعازف ... ص: ٤٥٦

(ومنها) حديث رواه ابن حزم عن البخارى وحكم بوضعه، قال:

«ومن طريق البخارى: قال هشام بن عمّار، نا صدقه بن خالد، نا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، نا عطية بن قيس الكلابى، نا عبدالرحمن

بن غنم الأشعري، حدّثنى أبو عامر أو أبو مالك الأشعري- ووالله ما كذبنى- إنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ليكوننّ

من أمّتى قوم يستحلّون الحرير والخمر والمعازف.

وهذا منقطع، لم يتصل ما بين البخارى وصدقه بن خالد، ولا يصحّ فى

(١) التلويح فى شرح التوضيح ٢: ٢١.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ٢، ص: ٤٥٧

هذا الباب شىء أبداً، وكلّ ما فيه فموضوع «١».

حديث المؤمن لا يزنى حين يزنى ... ص: ٤٥٧

(ومنها) ما أخرجه البخارى فى كتاب الأشربة قال:

«حدّثنا أحمد بن صالح قال: ثنا ابن وهب قال: أخبرنى يونس، عن ابن شهاب قال: سمعت أبا سلمة عن عبدالرحمن وابن المسيب

يقولان: قال أبو هريرة: إنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال: المؤمن لا يزنى حين يزنى وهو مؤمن «٢».

وهذا الحديث كذبه أبو حنيفة، كما فى كتاب (العالم والمتعلّم) «٣»، فقد جاء فيه:

«قال المتعلّم: ما قولك فى اناس رووا أنّ المؤمن إذا زنى خلع الإيمان من رأسه كما يخلع القميص، ثمّ إذا تاب أعاد الله إيمانه،

أتشكّ فى قولهم أو تصدّقهم؟ فإن صدّقت قولهم دخلت فى قول الخوارج، وإن شككت فى قولهم شككت فى قول الخوارج

ورجعت عن العدل الذى وصفت، وإن كذّبت قولهم الذى قالوا: كذّبت بقول النبى عليه السلام، فإنّهم رووا عن رجال شتى حتّى

انتهى به إلى رسول الله عليه السلام.

قال العالم: كذب هؤلاء، ولا يكون تكذيبى هؤلاء وردّى عليهم تكديباً

(١) صحيح البخارى ٧: ١٩٣.

(٢) صحيح البخارى ٧: ١٩٠.

(٣) هذا الكتاب لأبى حنيفة، والمقصود من «العالم» أبو حنيفة، ومن «المتعلم» تلميذه: أبو مطيع البلخى وهو راوى الكتاب.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٥٨

للنبي عليه السلام، إنما يكون التكذيب لقول النبي عليه السلام أن يقول الرجل أنا مكذب للنبي عليه السلام، وأما إذا قال أنا مؤمن بكل شيء تكلم به النبي عليه السلام، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بالجور ولم يخالف القرآن، فهذا من التصديق بالنبي وبالقرآن وتنزيه له من الخلاف على القرآن، ولو خالف النبي عليه السلام القرآن وتقول على الله، لم يدعه تبارك وتعالى حتى يأخذه باليمين ويقطع منه الوتين، كما قال تعالى فى القرآن، ونبي الله لا يخالف كتاب الله، ومخالف كتاب الله لا يكون نبي الله.

وهذا الذى روه خلاف القرآن، ألا ترى إلى قوله تعالى: «الزانية والزانى» (١)

ثم قال: «الذنان يأتيناها منكم» (٢)

ولم يعن به من اليهود ولا من النصارى، ولكن عنى به من المسلمين.

فردى على كل رجل يحدث عن النبي عليه السلام بخلاف القرآن، ليس رداً على النبي ولا تكديماً له، ولكن رداً على من يحدث عن النبي عليه السلام بالباطل، والتهمة دخلت عليه لا- على نبي الله، وكل شيء تكلم به النبي عليه السلام سمعنا به أو لم نسمعه، فعلى الرأس والعين، قد آمننا به ونشهد أنه كما قال النبي عليه السلام، ونشهد أيضاً على النبي عليه السلام أنه لم يأمر بشيء نهى الله عنه يخالف أمر الله تعالى، ولم يقطع شيئاً وصله الله تعالى ولا- وصف أمراً وصف الله تعالى ذلك الأمر بخلاف ما وصفه النبي عليه السلام، ونشهد أنه كان موافقاً لله عز وجل فى جميع الامور، لم يبتدع ولم يتقول غير ما قال الله تعالى، ولا- كان من المتكلمين، ولذلك قال الله تعالى: «من يطع الرسول

(١) سورة النور ٢٤: ٢.

(٢) سورة النساء ٤: ١٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٥٩

فقد أطاع الله» (١).

حديث شريك فى الإسراء ... ص: ٤٥٩

(ومنها) حديث البخارى عن شريك فى إسراء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا لفظه:

«حدثنا عبدالعزيز بن عبد الله قال: حدثنى سليمان، عن شريك بن عبد الله، أنه قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ليلة اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة، إنه جاءه ثلاثة نفر، قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم. فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبرئيل، فشق جبرئيل ما بين نحره إلى لبتته حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه، ثم اتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشواً إيماناً وحكمة، فحشا به صدره ولغاديدته- يعنى عروق حلقة- ثم أطبقه، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب باباً من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال جبرئيل: قالوا: ومن معك؟ قال: معى محمد، قالوا:

وقد بعث؟ قال: نعم، قالوا: فمرحباً به «...» (٢).

(١) سورة النساء ٤: ٨٠.

(٢) صحيح البخارى ٩: ٢٦٥ كتاب التوحيد.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٦٠

وأخرجه مسلم قال: «حدّثنا هارون بن سعيد الأيلي، ثنا ابن وهب، قال:

أخبرني سليمان- وهو ابن بلال- قال: حدّثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر قال: سمعت أنس بن مالك، يحدّثنا عن ليلة اسرى برسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم من مسجد الكعبة: أنّه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام. وساق الحديث بقصّته نحو حديث ثابت البناني، وقدم فيه شيئاً وأخر وزاد ونقص» (١).

قال النووى بشرحه:

«قوله: وذلك قبل أن يوحى إليه. وهو غلط لم يوافق عليه، فإنّ الإسراء أقل ما قيل فيه أنّه كان بعد مبعثه بخمسة عشر شهراً. وقال الحربى: كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة. وقال الزهرى: كان ذلك بعد مبعثه بخمس سنين. وقال ابن إسحاق: اسرى به وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل.

وأشبه هذه الأقوال قول الزهرى وابن إسحاق، إذ لم يختلفوا أنّ خديجه صلّت معه بعد فرض الصلاة عليه، ولا خلاف في أنّها توفيت قبل الهجرة بمدّة قيل بثلاث سنين وقيل بخمس.

ومنها: إنّ العلماء مجمعون على أنّ فرض الصلاة كان ليلة الإسراء، فكيف يكون هذا قبل أن يوحى إليه؟

وأما قوله- في رواية شريك-: وهو نائم، وفي رواية الاخرى: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم، ولا حجّة فيه، إذ قد يكون ذلك حالة أوّل وصول الملك إليه، وليس في الحديث ما يدلّ على كونه نائماً في القصّة كلّها.

(١) صحيح مسلم ١: ١٤٨/٢٦٢ باب بدء الوحي من كتاب الإيمان.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٦١

هذا كلام القاضى. وهذا الذى قاله فى رواية شريك وأنّ أهل العلم أنكروها قد قاله غيره.

وقد ذكر البخارى رواية شريك هذه عن أنس فى كتاب التوحيد من صحيحه، وأتى بالحديث مطوّلاً.

قال الحافظ عبدالحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين- بعد ذكر هذه الرواية- هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبى نمر عن أنس. وقد زاد فيه زيادةً مجهولةً، وأتى فيه بألفاظٍ غير معروفة. وقد روى حديث الإسراء جماعةً من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين، كابن شهاب و ثابت البناني وقتادة- يعنى عن أنس- فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث. قال: والأحاديث التى تقدّمت قبل هذا هى المعوّل عليها. هذا كلام الحافظ عبدالحق» (١).

وقال الكرمانى بشرحه:

«قال النووى: جاء فى رواية شريك أوهام أنكراها العلماء، من جملتها:

أنّه قال: ذلك قبل أن يوحى إليه، وهو غلط لم يوافق عليه. وأيضاً: العلماء أجمعوا على أنّ فرض الصلاة كان ليلة الإسراء، فكيف يكون قبل الوحي؟

أقول: وقول جيرئيل فى جواب بؤاب السماء إذ قال: أبعث؟ نعم، صريح فى أنّه كان بعده» (٢).

وقال ابن قيم الجوزية:

«فصل- قال الزهرى: عرج بروح رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، باب بدء الوحي، المجلد ١ ج ٢: ٢٠٩-٢١٠.

(٢) الكواكب الدراري في شرح البخارى ٢٥: ٢٠٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٦٢

بيت المقدس وإلى السماء قبل خروجه إلى المدينة بسنة، وقال ابن عبد البر وغيره: كان بين الإسراء والهجرة سنة وشهران. إنتهى. وكان الإسراء مرة واحدة وقيل: مرة يقظة ومرة مناماً، وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك وقوله ثم استيقظت، وبين سائر الروايات، ومنهم من قال: بل كان هذا مرتين، مرة قبل الوحي، لقوله في حديث شريك: وذلك قبل أن يوحى إليه. ومرة بعد الوحي، كما دلت عليه سائر الأحاديث، ومنهم من قال:

بل ثلاث مرات، مرة قبل الوحي ومرتين بعده.

وكل هذا خبط، وهذه طريقة ضعفاء الظاهريّة من أرباب النقل الذين إذا رأوا في القصة لفظاً تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرى، فكلما اختلفت عليهم الروايات عدّوا الوقائع.

والصواب الذى عليه أئمة النقل: أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة.

ويا عجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه مراراً كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمساً ثم يقول: أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها عشراً عشراً.

وقد غلط الحفاظ شريكاً في ألفاظ من حديث الإسراء، ومسلم أورد المسند منه ثم قال: فقدّم وأخر وزاد ونقص، ولم يورد الحديث فأجاد رحمه الله «١».

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد ٣: ٤١-٤٢ فصل فى المعراج النبوى.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٦٥

صحيح مسلم ... ص: ٤٦٥

إشارة

وأما مسلم بن الحجاج ... فإنه - كما قالوا - كان يرتكب الغمز بالرجال الصادقين الثقات عندهم بلا حجّة، ومن ذلك ما كان منه فى «إبراهيم بن عبد الله السعدى» قال الذهبي: «إبراهيم بن عبد الله السعدى النيسابورى، صدوق، له عن يزيد بن هارون ونحوه. قال أبو عبد الله الحاكم: كان يستخف بمسلم، فغمزه مسلم بلا حجّة» «١».

ولا ريب أن هذا يضرّ بعدالة مسلم ويمنع من الإعتماد عليه وعلى رواياته فى كتابه، ولذا قال ابن الجوزى: «ومن تلبس إبليس على أصحاب الحديث: قدح بعضهم فى بعض، طلباً للتشقى، ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذى استعملت قدماء هذه الامة للذب عن الشرع» «٢».

أبو زرعة الرازى وصحيح مسلم ... ص: ٤٦٥

هذا، وقد اشتهر بين الأعلام طعن الإمام أبى زرعة الرازى وتكلمه فى كتاب مسلم بن الحجاج، ففى ترجمه أحمد بن عيسى المصرى من (التهذيب) و (الميزان): «قد قال سعيد البردعى: شهدت أبازرعة ذكر عنده صحيح مسلم فقال: هؤلاء قوم أرادوا التقدم قبل أوانه،

فعملوا شيئاً

(١) ميزان الاعتدال ١: ٤٤.

(٢) تلبیس إبليس: ١٣٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٦٦

يتسوقون به» «١».

وقال أبو الفضل الأذفوی فی (الإمتاع): «وكان أبو زرعة يذمّ وضع كتاب مسلم ويقول: كيف تسميه الصحيح وفيه فلان وفلان؟ فذكر جماعة».

(١) ميزان الاعتدال ١: ١٢٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٦٧

الموضوعات في صحيح مسلم ... ص: ٤٦٧

إشارة

وبعد الوقوف على طرفٍ من أسباب القدح في مسلم بن الحجاج، وعلى طعن من مثل أبي زرعة في كتابه عموماً، فلا بد من إيراد بعض أحاديثه الموضوعه والباطله:

حديث الضحاح ... ص: ٤٦٧

فمن أحاديثه الموضوعه والمكذوبه: حديثه في أن أبا طالب في ضحاح من النار، قال: «حدّثنا عبيد الله بن عمر القواريري ومحمد بن أبي بكر المقدمي ومحمد بن عبد الملك الأموي قالوا: حدّثنا أبو عوانه، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيءٍ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نعم، هو في ضحاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» «١».

وهذه الأحاديث التي أخرجها البخاري ومسلم كلّها موضوعه مفتراه، قد وضعت للطعن في أمير المؤمنين عليه السلام والتنقيص في شأنه، ولأجل رفع شأن أبي بكر بن أبي قحافة...

إنه ليكفي لتكذيب ما رووه في موت سيدنا أبي طالب على الكفر: ما

(١) صحيح مسلم ١: ١٣٤ كتاب الإيمان - باب شفاعه النبي لأبي طالب.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٦٨

رواه ابن سعد في الطبقات قال: «حدّثني الواقدي قال: قال علي: لما توفّي أبو طالب أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكى بكاءً شديداً، ثم قال:

«إذهب فاغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه.

فقال له العباس: يا رسول الله، إنك ترجو له؟

فقال: إي والله إنني لأرجو له.

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر له أياماً لا يخرج من بيته.

وقال الواقدي: قال ابن عباس: عارض رسول الله جنازة عمه أبي طالب وقال:

وصلتكم رحم وجزاك الله خيراً» (١).

هذا، وقد أجمع أهل البيت عليهم السلام على إيمان سيدنا أبي طالب، وإجماعهم حجة قطعية كما تقرّر في محله، وقد ذكر علماء

السنة إجماعهم على ذلك، ففي (روضه الأحياب) عن ابن الأثير في (جامع الاصول) قوله:

«زعم أهل البيت أن أباطال مات مسلماً، والله أعلم بصحته».

على أن أهل السنة يدعون المتابعة لأهل البيت والإنقياد لهم، كما جاء في كتبهم، بشرح «حديث الثقلين» وبديل حديث «مثل أهل

بيتي كسفينه نوح»، فإن كانوا صادقين في دعواهم تلك، فلا محالة لا يخالفون أهل البيت في إجماعهم على إيمان أبي طالب عليه

السلام.

على أن أحاديث مسلم في هذا الباب متناقضة متهافته، إذ الحديث المذكور يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد شفع له

قبل القيامة وأخرجه بالفعل من غمرات العذاب إلى ضحضاح من نار، وحديث أبي سعيد

(١) الطبقات الكبرى ١: ١٢٣-١٢٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٦٩

صريح في عدم وقوع الشفاعة في حقه وأن عذابه لم يخفف، بل إن النبي يرجو أن تناله شفاعته في يوم القيامة وتنفعه في خروجه من

الدركات السافلة إلى الضحضاح... فكان بعض تلك الأحاديث صريحاً في وقوع تخفيف العذاب عن أبي طالب بالفعل وبعض

صريحاً في عدم حصول التخفيف، فتهافتا وتناقضا بكل وضوح.

الحديث الدال على تعيين أبي بكر للخلافة...!! ص: ٤٦٩

ومن ذلك: حديثه المتضمن تعيين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبابكر للخلافة من بعده، وهو حديث موضوع مفترى قطعاً. قال في

كتاب المناقب:

«حدثني عبيد الله بن سعيد، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا إبراهيم بن سعد، حدثنا صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة عن عائشة-

رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله في مرضه: ادعى لي أبابكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنّ متمنّ

ويقول القائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر» (١).

وهذا الحديث أخرجه البخاري أيضاً، ولفظه في كتاب المرضى:

«لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد أن يقول القائلون أو يتمنّى المتمنّون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو

يدفع الله ويأبى المؤمنون» (٢).

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٥٧ / ٢٣٨٧.

(٢) صحيح البخاري ٧: ٢١٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٧٠

وهذا الحديث الذي قال النووي بشرحه: «في هذا الحديث دلالة ظاهرة لفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وإخبار منه صلى الله

عليه وسلّم بما سيقع في المستقبل بعد وفاته، وأنّ المسلمين يأبون عقد الخلافة لغيره» (١) ظاهر الكذب والبطلان، لاتّفاق القوم أنفسهم على أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم ينصّ على أبي بكر بالخلافة، ولو كان مثل هذا الكلام صادراً منه حقاً لما احتجّوا بالأباطيل الواهيات، ولما وقعت الإختلافات والنزاعات ...

ولقد نصّ النووى - بشرح حديث: من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلفه؟ -: على أن «فيه دلالة لأهل السنّة أنّ خلافة أبي بكر ليست بنصّ من النبي على خلافته صريحاً، بل أجمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه بفضله، ولو كان هناك نصّ عليه أو على غيره لم يقع المنازعة من الأنصار وغيرهم أوّلاً، ولذكر حافظ النص ما معه، ولرجعوا، ولكنّ تنازعوا أوّلاً ولم يكن هناك نص، ثم اتفقوا على أبي بكر واستقرّ الأمر.

وأما ما تدّعيه الشيعة من النص على علي والوصية إليه، فباطل لا أصل له باتّفاق المسلمين، والاتّفاق على بطلان دعواهم في زمن علي، وأوّل من كذبهم على بقوله: ما عندنا إلّأما في هذه الصحيفة» (٢).

فتراه يستدلّ بما كان في السقيفة، ولو كان ما أورده مسلم صحيحاً لما احتاج إلى ذلك!!
وعلى الجملة، فإنّ هذا الحديث لو صحّ لاستدلّ به القوم على إمامة

(١) شرح مسلم للنووى ١٥: ١٥٥.

(٢) شرح مسلم للنووى ١٥: ١٥٤-١٥٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٧١

أبي بكر ولم يقولوا بعدم النصّ على خلافته، ولم يتشبّثوا بالخرافات والأباطيل الاخرى، فإنّه حتّى لو كان وارداً مورد الإخبار عن الغيب، لكان الإستدلال به دون غيره أولى وأحرى ...

وقد نصّ أبوالسعادات ابن الأثير أيضاً على عدم النصّ على أبي بكر حيث قال: «ولا يصدّق الشيعة بنقل النص على إمامة علي كرم الله وجهه والبكرية على إمامة أبي بكر رضى الله عنه، لأنّ هذا وضعه الآحاد أوّلاً وأفسوه، ثمّ كثر الناقلون في عصره وبعده من الأعصار، فلذلك لم يحصل التصديق» (١).

فوا أسفاه على البخارى ومسلم، إذ اشرب في قلوبهما حبّ الشيخين، فنقلوا مثل هذه الأكاذيب والخرافات، التي نصّ أنّمتهم على كونها من افتراءات البكرية وأخبارهم الموضوعات.

حديث أنّ عمر أوّل من أمر بالأذان ... ص: ٤٧١

ومن ذلك: ما أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب بدء الأذان:

«حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال: حدّثنا محمّد بن بكر، ح وحدّثنا محمّد بن رافع قال: حدّثنا عبدالرزاق قال: أخبرنا ابن جريج، ح وحدّثني هارون ابن عبد الله - واللفظ له - قال: حدّثنا حجاج بن محمّد قال:

قال ابن جريج: أخبرني نافع مولى ابن عمر، عن عبد الله بن عمر أنّه قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلوات، وليس ينادى بها أحد، فتكلّموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتّخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: قرناً مثل قرن اليهود، فقال عمر: أوّلاً تبعثون منادياً

(١) جامع الاصول ١: ١٢١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٧٢

ينادى بالصلاة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بلال قم فناد بالصلاة» (١).

وهذا حديث موضوع، وضعه من يسعى وراء جعل المناقب لعمر بن الخطاب، وهو ينافى ما وضعوه في الأذان من أن تشريعه كان برؤيا رآها رجل من الأنصار، كما في سنن أبي داود وغيره.
على أن الحق ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام من أن تشريع الأذان كان في ليلة الإسراء، وقد أذن جبرئيل في بيت المقدس، وما سواه فمن وضع الملحدون.

حديثان متناقضان في موضع صلاة النبي الظهر في حجة الوداع ... ص: ٤٧٢

ومن ذلك: حديثان متناقضان أخرجهما مسلم، وأخرج البخاري أحدهما، في موضع صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الظهر يوم النحر في حجة الوداع، فأخرج عن عائشة وجابر أنه صلاها بمكة، وأخرج هو والبخاري عن ابن عمر أنه صلاها بمنى، قال القاري في كتابه في (الرجال): «قال ابن حزم في هاتين الروايتين: إحداهما كذب بلا شك».
وقد اختلف القوم في تعيين الصدق من الكذب منهما، وقد شرح ابن القيم اختلافهم في المقام حيث قال: «فصل: ثم رجع إلى منى، واختلف أين صلى الظهر يومئذ، ففي الصحيحين عن ابن عمر أنه أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى، وفي صحيح مسلم عن جابر أنه صلى الظهر بمكة، وكذلك قالت عائشة، واختلف في ترجيح أحد هذين القولين على الآخر، فقال أبو

(١) صحيح مسلم ١: ٢٨٥.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٧٣

محمد ابن حزم: قول عائشة وجابر أولى، وتبعه على هذا جماعة ورجحوا هذا القول بوجوه:
أحدها: إن راويه اثنان، وهما أولى من الواحد.

الثاني: أن عائشة أخص الناس به، ولها من القرب والإختصاص والمزية ما ليس لغيرها.

الثالث: أن سياق جابر لحجة النبي صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها أتم سياق، وقد حفظ القصة وضبطها حتى ضبط جزئياتها، حتى ضبط منها أمراً لا يتعلق بالمناسك، وهو نزول النبي صلى الله عليه وسلم ليلة جمع الطريق، فقضى حاجته عند الشعب ثم توضأ وضوءاً خفيفاً، فمن ضبط هذا القدر فهو يضبط مكان صلاته يوم النحر بطريق أولى.

الرابع: أن حجة الوداع كانت في آذار، وهي تساوى الليل والنهار، وقد خرج من مزدلفة قبل طلوع الشمس إلى منى وخطب بها الناس، ونحر بُدناً عظيمة وقسمها، وطبخ له من لحمها وأكل منه، ورمى الجمره وحلق رأسه وتطيب وخطب ثم أفاض، فطاف وشرب من ماء زمزم ومن نبيذ السقاية ووقف عليهم وهم يسقون، وهذه أعمال يبدو في الأظهر أنها لا تنقضى في مقدار يمكن معه الرجوع إلى منى بحيث يدرك وقت الظهر في فصل آذار.

الخامس: إن هذين الحديثين جاريان مجرى الناقل والمبقي، فإن عادته صلى الله عليه وسلم كانت في حجته صلاته في منزله الذي هو نازل فيه بالمسلمين، فجرى ابن عمر على العادة، وضبط جابر وعائشة الأمر الذي هو خارج عن عادته، فهو أولى بأن يكون هو المحفوظ.

ورجحت طائفة أخرى قول ابن عمر لوجوه:

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٧٤

أحدها: أنه لو صلى الظهر بمكة لم يصل أصحابه بمنى وحداناً ولا زرافات، بل لم يكن لهم بد من الصلاة خلف إمام يكون نائباً عنه، ولم ينقل هذا أحد قط، ولم يقل أحد أنه استتاب من يصلى بهم، ولولا علمه أنه يرجع إليهم فيصلى بهم لقال: إن حضرت الصلاة

ولست عندكم فليصل بكم فلان، وحيث لم يقع هذا ولا هذا، ولا صلى الصحابة هناك وحداناً قطعاً، ولا كان من عاداتهم إذا اجتمعوا أن يصلوا عزين، علم أنهم صلوا معه على عاداتهم.

الثاني: إنه لو صلى بمكة، لكان خلفه بعض أهل البلد وهو مقيم، وكان يأمرهم أن يتموا صلاتهم، ولنقل أنهم قاموا فأتوا بعد سلامه صلاتهم، وحيث لم ينقل هذا ولا هذا بل هو معلوم الإنتفاء قطعاً، علم أنه لم يصل قطعاً حينئذ بمكة.

وما نقله بعض من لا علم له أنه قال: يا أهل مكة أتتموا صلاتكم فإنما قوم سفر، فإنما قاله عام الفتح لا في حجته.

الثالث: إنه من المعلوم أنه لما طاف ركن ركعتي الطواف، ومعلوم أن كثيراً من المسلمين كانوا خلفه يقتدون به في أفعاله ومناسكه، فلعله لئلا ركن ركعتي الطواف والناس خلفه يقتدون به، ظن الظان أنها صلاة الظهر، ولا سيما إذا كان ذلك في وقت الظهر، وهذا الوهم لا يمكن دفع احتمال، بخلاف صلاته بمنى فإنها لا تحتل غير الفرض.

الرابع: إنه لا يحفظ عنه في حجه أنه صلى الفرض بجوف مكة، بل إنما كان يصلي بمنزله بالمسلمين مدة مقامه، كان يصلي بهم أين نزلوا، لا يصلي في مكان آخر غير المنزل العام.

الخامس: إن حديث ابن عمر متفق عليه، وإن حديث جابر من أفراد

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٧٥

مسلم، فحديث ابن عمر أصح منه، وكذلك هو في إسناده، فإن راويه أحفظ وأشهر وأنفق، فأين يقع حاتم بن إسماعيل من عبيد الله؟ وأين يقع جعفر من حفظ نافع؟

السادس: إن حديث عائشة قد اضطربت في وقت طوافه، فروى عنها على ثلاثة أوجه: أحدها أنه طاف نهاراً، الثاني: أنه أجز الطواف إلى الليل، الثالث: أنه أفاض من آخر يومه، فلم يضبط فيه وقت الإفاض، ولا مكان الصلاة، بخلاف حديث ابن عمر.

السابع: إن حديث ابن عمر أصح منه بلا نزاع، فإن حديث عائشة من رواية محمد بن إسحاق، عن عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه عنها، وابن إسحاق مختلف في الإحتجاج به، ولم يصرح بالسماع بل عنعه، فكيف يقدم على قول عبيد الله حدثني نافع عن ابن عمر؟

الثامن: إن حديث عائشة ليس بالبين إنه صلى الظهر بمكة، فإن لفظه هكذا: أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم صلى الظهر ثم رجع إلى منى، فمكث فيها ليالي أيام التشريق يرمى الجمره إذا زالت الشمس، كل جمره بسبع حصيات، فأين دلالة هذا الحديث الصريحه على أنه صلى الظهر يومئذ بمكة؟ وأين هذا في صريح الدلالة إلى قول ابن عمر أفاض يوم النحر ثم صلى الظهر بمنى راجعاً؟ وأين حديث اتفق أصحاب الصحيح على إخرجه إلى حديث اختلف في الإحتجاج به؟ والله أعلم» (١).

(١) زاد المعاد ٢: ٢٨٠ كيفية حجة الوداع.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٧٦

حديث في أول ما نزل من القرآن ... ص: ٤٧٦

ومن ذلك: ما أخرجه في أن أول ما نزل من القرآن «يا أيها المدثر» وقد صرح النووي بأنه ضعيف بل باطل ... قال ولي الدين أبو زرعة أحمد بن زين الدين عبدالرحيم العراقي في شرح حديث بدء الوحي من (شرح الأحكام الصغرى): «فيه دلالة واضحة على أن أول ما نزل من القرآن «اقرأ». وقد صح ذلك عن عائشة، وروى عن أبي موسى الأشعري وعبيد بن عمير، قال النووي: وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف. وفيه قولان آخران: أحدهما إن أول ما نزل «يا أيها المدثر» رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله وأبي سلمة بن عبدالرحمن، قال النووي: وهو ضعيف بل باطل» ...

حديث في فضائل أبي سفيان ... ص: ٤٧٦

ومن ذلك: ما أخرجه في فضائل أبي سفيان وهذه عبارته:

«حدّثنا عباس بن عبد العظيم العنبري وأحمد بن جعفر المعقري قالا:

حدّثنا النضر- وهو ابن محمّد اليمامي- قال: حدّثنا أبو زميل، حدّثني ابن عباس قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال لنبى الله صلى الله عليه وسلم: يا نبى الله، ثلاث أعطينهنّ، قال: نعم، قال: عندى أحسن العرب وأجمله ام

حبيبة بنت أبي سفيان ازوّجكها. قال: نعم، قال: معاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: نعم، قال:

وتؤمّرنى حتّى اقاتل الكفّار كما كنت اقاتل المسلمين. قال: نعم. قال أبو زميل:

ولولا أنّه طلب ذلك من النبى ما أعطاه ذلك، لأنّه لم يكن يُسئل شيئاً إلّا

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٧٧

قال: نعم» (١).

قال في (زاد المعاد):

«وأما حديث عكرمة بن عمّار: عن أبي زميل، عن ابن عباس: إنّ أباسفيان قال للنبي ...

فهذا الحديث غلط ظاهر لا خفاء به.

قال أبو محمّد ابن حزم: وهو موضوع بلا شك، كذبه عكرمة بن عمّار.

قال ابن الجوزى- فى هذا الحديث:- هو وهم من بعض الرواة، لا شكّ فيه ولا تردّد.

وقد اتّهموا به عكرمة بن عمّار، لأنّ أهل التواريخ أجمعوا على أنّ أمّ حبيبة كانت تحت عبيدالله بن جحش، ولدت له، وهاجر بها وهما مسلمان إلى أرض الحبشة، ثمّ تنصّر و ثبتت أمّ حبيبة على إسلامها، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى يخطبها عليه،

فزوّجه إياها وأصدقها عن رسول الله صدقاً، وذلك فى سنة سبع من الهجرة، وجاء أبو سفيان فى زمن الهدنة ودخل عليها فثنت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتّى لا يجلس عليه.

ولا خلاف أنّ أباسفيان ومعاوية أسلما فى فتح مكّة سنة ثمان.

وأيضاً: فى هذا الحديث: أنّه قال له: وتؤمّرنى حتّى اقاتل الكفّار كما كنت اقاتل المسلمين فقال: نعم.

ولا يعرف أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أباسفيان البتّة» (٢).

(١) صحيح مسلم ٤: ١٩٤٥ / ٢٥٠١.

(٢) زاد المعاد فى هدى خير العباد ١: ١١٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٧٨

من كلمات الأئمّة فى الكتابين ... ص: ٤٧٨

إشارة

وعلى الجملة، فإنّ الأحاديث الموضوعّة والباطلة فى كتاب مسلم كثيرة مثل كتاب البخارى، وقد أوردنا طرفاً منها ونكتفى بها.

ومن هنا، فقد قال المملّا على القارى فى كتاب (الرجال) ما نصّه:

«وقد وقع منه- أى من مسلم- أشياء لا تقوى عند المعارضة.

فقد وضع الحافظ الرشيد العطار كتاباً على الأحاديث المقطوعة، وبينها الشيخ محى الدين النووى فى أوّل شرح مسلم.

وما يقوله الناس: أن من روى له الشيخان فقد جاز القنطرة، هذا أيضاً من التجاهل والتساهل.

فقد روى مسلم في كتابه عن الليث عن أبي مسلم وغيره من الضعفاء.

فيقولون إنما روى عنهم في كتابه للإعتبار والشواهد والمتابعات.

وهذا لا يقوى، لأن الحفاظ قالوا: الإعتبار أمور يتعرّفون بها حال الحديث وكتاب مسلم التزم فيه الصحة، فكيف يتعرّف حال الحديث الذي فيه بطريق ضعيف.

وقال الحافظ: أبو الزبير محمد بن مسلم المكي يدلس في حديث جابر، فما يصفه بالنعنة لا يقبل، وقد ذكر ابن حزم وعبدالحق عن الليث بن سعد أنه قال لأبي الزبير: علم لي على أحاديث سمعتها من جابر حتى أسمعها منك، فعلم لي على أحاديث أظن أنها سبعة عشر حديثاً فسمعتها منه. قال

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٧٩

الحافظ: فما كان من طريق الليث عن أبي الزبير عن جابر فصحيح.

وفي مسلم عن طريق الليث من أبي الزبير عن جابر بالنعنة أحاديث.

وقد روى أيضاً في كتابه عن جابر وابن عمر في حجة الوداع أن النبي صلى الله عليه وسلم توجه إلى مكة يوم النحر فطاف طواف الإفاضة ثم رجع فصلى الظهر بمنى، فيوجهون ويقولون: أعادها لبيان الجواز، وغير ذلك من التأويلات، ولهذا قال ابن حزم في هاتين الروايتين أحدهما كذب بلا شك.

وروى مسلم أيضاً حديث الإسراء فيه: وذلك قبل أن يوحى إليه، وقد تكلم الحفاظ في هذه اللفظة وبيّنوا ضعفها.

وقد روى مسلم أيضاً: خلق الله التربة يوم السبت. واتفق الناس على أن السبت لم يقع فيه خلق، وأن ابتداء الخلق يوم الأحد.

وقد روى مسلم عن أبي سفيان أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما أسلم: يا رسول الله أعطني ثلاثاً: تزوج ابنتي أم حبيبة، وابني معاوية أجعله كاتباً، وأمرني أن اقاتل الكفار كما قاتلت المسلمين، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم ما سأله. والحديث معروف مشهور، وفي هذا من الوهم ما لا يحصى، فأم حبيبة تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي بالحيشة، وأصدقها النجاشي أربعمئة دينار وحضر وخطب وأطعم، والقضية مشهورة، وأبوسفيان وابنه معاوية إنما أسلما عام الفتح، وبين الهجرة إلى الحيشة والفتح عدة سنين، والجمهور على أنها تزوجها سنة ست وقيل سبع، وأسلم أبوسفيان عام الفتح سنة ثمان من الهجرة، وأما إماره أبي سفيان فقد قال الحفاظ أنهم لا يعرفونها.

فيجيون بأجوبة غير طائله، فيقولون في إنكاح ابنته: إعتقد أن نكاحها بغير إذنه لا يجوز وهو حديث عهد بالكفر، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٨٠

تجديد النكاح، ويذكرون عن الزبير بن بكار بأسانيد ضعيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره في بعض الغزوات، وهذا لا يعرفه الأثبات.

وقد قال الحافظ: أن مسلماً لما وضع كتابه الصحيح عرضه على أبي زرعه، فأنكر عليه وتغيظ وقال: سميتك الصحيح وجعلته سلماً لأهل البدع وغيرهم.

وقال ابن تيمية...: ص: ٤٨٠

«والمواضع المنتقدة غالبها في مسلم، وقد انتصر طائفة لهما - يعنى للبخارى ومسلم - فيها، وطائفة قوت قول المنتقد، والصحيح التفصيل، فإن فيهما مواضع منتقدة بلا ريب مثل حديث: خلق الله التربة يوم السبت، وحديث: صلاة الكسوف بثلاث ركوعات وأكثر»

«١».

وقال كمال الدين أبو الفضل الأذفوى في (الإمتاع في أحكام السماع...): ص: ٢٨٠

«ثم أقول: إن الأمة تلقت كل حديث صحيح وحسن بالقبول وعملت به عند عدم العارض، وحينئذ لا يختص بالصحيحين، وقد تلقت الأمة الكتب الخمسة أو الستة بالقبول وأطلق عليها جماعة إسم الصحيح، ورجح بعضهم بعضها على كتاب مسلم وغيره. قال أبو سليمان أحمد الخطابي: كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في الدين كتاب مثله، وقد رزق من الناس القبول كافة، فصار حكماً بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، وكتاب السنن أحسن وضعاً وأكثر فقهاً من كتب البخاري ومسلم.»

وقال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي: سمعت الإمام

(١) منهاج السنّة ٧: ٢١٥ وانظر ٥: ١٠١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٨١

أبوالفضل عبدالله بن محمد الأنصاري بهراء يقول- وقد جرى بين يديه ذكر أبي عيسى الترمذي وكتابه فقال:- كتابه عندي أنفع من كتاب البخاري ومسلم.

وقال الإمام أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني: إن لأبي عبدالرحمن النسائي شرطاً في الرجال أشد من شرط البخاري ومسلم. وقال أبو زرعة الرازي لَمَّا عرض عليه ابن ماجه السنن كتابه: أظن إن وقع هذا في أيدي الناس تعطلت هذه الجوامع كلها، أو قال أكثرها.

وراء هذا بحث آخر وهو: إن قول الشيخ أبي عمرو ابن الصلاح: إن الأمة تلقت الكتابين بالقبول.

إن أراد كل الأئمة، فلا يخفى فساد ذلك، إذ الكتابان إنما صُنِفَا في المائة الثالثة بعد عصر الصحابة والتابعين وتابعتي التابعين وأئمة المذاهب المتبعة ورؤوس حفاظ الأخبار ونقاد الآثار المتكلمين في الطرق والرجال المميزين بين الصحيح والسقيم. وإن أراد بالأئمة الذين وجدوا بعد الكتابين، فهم بعض الأئمة، فلا يستقيم له دليله الذي قرره من تلقى الأئمة وثبوت العصمة لهم، والظاهرية إنما يعتنون بإجماع الصحابة خاصة، والشيعه لا تعتد بالكتابين وطعن فيهما، وقد اختلف في اعتبار قولهم في الإجماع وانعقاده.

ثم، إن أراد كل حديث فيهما تلقى بالقبول من الناس كافة، فغير مستقيم، فقد تكلم جماعة من الحفاظ في أحاديث فيهما. فتكلم الدارقطني في أحاديث وعللها.

وتكلم ابن حزم في أحاديث، كحديث شريك في الإسراء قال: إنه

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٨٢

خلط.

ووقع في الصحيحين أحاديث متعارضة لا يمكن الجمع بينهما، والقطع لا يقع التعارض فيه.

وقد اتفق البخاري ومسلم على إخراج حديث محمد بن بشار بنديار، وأكثر من الإحتجاج بحديثه، وتكلم فيه غير واحد من الحفاظ وأئمة الجرح والتعديل ونسب إلى الكذب، وحلف عمرو بن علي الفلاس شيخ البخاري أن بنداراً يكذب في حديثه عن يحيى، وتكلم فيه أبو موسى، وقال علي بن المديني في الحديث الذي رواه في السجود: هذا كذب، وكان يحيى لا يعبأ به ويستضعفه. وكان القواريري لا يرضاه.

وأكثر من حديث عبدالرزاق والإحتجاج به، وتكلم فيه ونسب إلى الكذب.

وأخرج مسلم لأسباط بن نصر، وتكلم فيه أبو زرعة وغيره.

وأخرج أيضاً عن سماك بن حرب وأكثر عنه، وتكلم فيه غير واحد، وقال الإمام أحمد بن حنبل: هو مضطرب الحديث، وضعفه

أمير المؤمنين في الحديث شعبه وسفيان الثوري، وقال يعقوب بن شيبة: لم يكن من المتبتين.

وقال النسائي: في حديثه ضعف. قال شعبه: كان سماك يقول في التفسير:

عكرمه ولو شئت لقلت له ابن عباس لقاله. وقال ابن المبارك: سماك ضعيف في الحديث، وضعفه ابن حزم وقال: كان يُلقن فيتلقن.

وكان أبو زرعة يذم وضع كتاب مسلم ويقول: كيف تسميه الصحيح وفيه فلان وفلان؟ فذكر جماعة.

وأمثال ذلك تستغرق أوراقاً.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٨٣

فتلك الأحاديث عندهما ولم يتلقوها بالقبول.

وإن أراد غالب ما فيهما، سلم من ذلك ولم يبق له حجة».

وقال الشيخ عبدالقادر القرشي ...: ص: ٤٨٣

«فائدة- حديث أبي حميد الساعدي في صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في مسلم وغيره، يشتمل على أنواع منها: التورك

في الجلسة الثانية، ضعفه الطحاوي، لمجيئه في بعض الطرق عن رجل، عن أبي حميد، قال الطحاوي: فهذا منقطع على أصل مخالفتنا،

وهم يردون الحديث بأقل من هذا.

قلت: ولا- يحق علينا لمجيئه في مسلم، وقد وقع في مسلم أشياء لا- تقوى عند الإصطلاح، فقد وضع الحافظ الرشيد العطار على

الأحاديث المقطوعة المخترجة في مسلم كتاباً سماه ب «غرر الفوائد المجموعه في بيان ما وقع في مسلم من الأحاديث المقطوعة»،

سمعته على شيخنا أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله الطاهري سنة اثنتي عشر وسبعمائه، بسماعه من مصنفه الحافظ رشيد

الدين، بقراءة الشيخ فخرالدين أبي عمرو عثمان المقابلي، وبينها الشيخ محي الدين في أول شرح مسلم.

وما يقوله الناس: إن من روى له الشيخان فقد جاز القنطرة، هذا أيضاً من التحق ولا يقوى، فقد روى مسلم في كتابه عن ليث عن أبي

مسلم وغيره من الضعفاء، فيقولون: إنما روى في كتابه للإعتبار والشواهد والمتابعات، وهذا لا يقوى، لأن الحفاظ قالوا: الإعتبار

والشواهد والمتابعات والاعتبارات، أمور يتعرفون بها حال الحديث، وكتاب مسلم التزم فيه الصحة، فكيف يتعرف حال الحديث الذي

فيه بطريق ضعيفه.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٨٤

واعلم أن «عن» مقتضية للانقطاع عند أهل الحديث، ووقع في مسلم والبخاري من هذا النوع شيء كثير، فيقولون على سبيل التحق: ما

كان من هذا النوع في غير الصحيحين فمنقطع، وما كان في الصحيحين فمحمول على الإتصال.

وروى مسلم في كتابه، عن أبي الزبير، عن جابر، أحاديث كثيرة بالعننه. وقال الحافظ: أبو الزبير محمد بن مسلم بن مسلم بن تدرس

المكي يدلس في حديث جابر، فما كان يصفه بالعننه لا يقبل، وقد ذكر ابن حزم وعبدالحق عن الليث بن سعد أنه قال لأبي الزبير:

علم لي أحاديث سمعتها من جابر حتى أسمعها منك، فعلم لي أحاديث أظن أنها سبعة عشر حديثاً فسمعتها منه، قال الحافظ: فما كان

من طريق الليث عن أبي الزبير عن جابر، صحيح.

وقد روى مسلم في كتابه أيضاً، عن جابر وابن عمر، في حجة الوداع، أن النبي صلى الله عليه وسلم توجه إلى مكة يوم النحر، وطاف

طواف الإفاضة ثم رجع فصلى الظهر بمنى، فيتحنقون ويقولون: أعادها لبيان الجواز، وغير ذلك من التأويلات، ولهذا قال ابن حزم في

هاتين الروايتين: إحداهما كذب بلا شك.

وروى مسلم أيضاً حديث الإسراء وفيه: «وذلك قبل أن يوحى إليه» وقد تكلم الحفاظ في هذه اللفظة وبينوا ضعفها.

وروى مسلم أيضاً: «خلق الله التربة يوم السبت»، واتفق الناس على أن يوم السبت لم يقع فيه خلق.

وروى مسلم عن أبي سفيان أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما

استخرج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٨٥

أسلم: «يا رسول الله! أعطني ثلاثاً، تزوج ابنتي ام حبيبة، وابني معاوية اجعله كاتباً، وأمرني أن اقاتل الكفار كما قاتلت المسلمين، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم» والحديث معروف مشهور، وفي هذا من الوهم ما لا يخفى، فأم حبيبة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بالحبيشة وأصدقها النجاشي عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعمئة دينار، وحضر وخطب وأطعم، والقصة مشهورة، وأبو سفيان إنما أسلم عام الفتح، وبين الهجرة والحبيشة والفتح عدة سنين، ومعاوية كان كاتباً للنبي صلى الله عليه وسلم من قبل، وأما إمارة أبي سفيان فقد قال الحافظ: إنهم لا يعرفونها.

فيجيون على سبيل التحق بأجوبة غير طائفة، فيقولون في نكاح ابنته:

اعتقد أن نكاحها بغير إذنه لا يجوز وهو حديث عهد بكفر، فأراد من النبي صلى الله عليه وسلم تجديد النكاح، ويذكرون عن الزبير بن بكار بأسانيد ضعيفة، أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره في بعض الغزوات، وهذا لا يعرف.

وما حملهم على هذا كله إلا بعض التعصب، وقد قال الحافظ: إن مسلماً لما وضع كتابه الصحيح عرضه على أبي زرعة الرازي فأنكر عليه وقال: سميت الصحيح، فجعلت مسلماً لأهل البدع وغيرهم، فإذا روى لهم المخالف حديثاً يقولون هذا ليس في صحيح مسلم. فرحم الله تعالى أبا زرعة فقد نطق بالصواب فقد وقع هذا.

وما ذكرت ذلك كله إلا لأنه وقع بيني وبين بعض المخالفين بحث في مسألة التورك، فذكر لي حديث أبي حميد المذكور أولاً، فأجبت بتضعيف الطحاوي، فما تلفظ وقال: مسلم يصحح والطحاوي يضعف، والله تعالى يغفر

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٨٦

لنا وله، آمين» (١).

ترجمة عبدالقادر القرشي

ترجم له الحافظ السيوطي بقوله: «عبدالقادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم، محيي الدين أبو محمد بن أبي الوفا القرشي، درّس [وأفتى وصنّف، شرح معاني الآثار، وطبقات الحنفية، وشرح الخلاصة، وتخريج أحاديث الهداية، وغير ذلك. ولد سنة ست وسبعين وستمئة، ومات في ربيع الأول سنة خمس وسبعين وسبعمئة» (٢).

وقال محمود بن سليمان الكفوي بترجمته: «المولى الفاضل والنحرير الكامل عبدالقادر، كان عالماً فاضلاً، جامعاً للعلوم، له مجموعات وتصانيف وتواريخ ومحاضرات وتوايف» (٣ ...).

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢: ٤٢٨ - ٤٣٠.

(٢) حسن المحاضرة في محاسن مصر والقاهرة ١: ٤٧١.

(٣) كتابت أعلام الأختيار من فقهاء مذهب النعمان المختار للكفوي - مخطوط - وله ترجمة في الدرر الكامنة ٢: ٣٩٢ وشذرات الذهب ٦: ٢٣٨، وتاج التراجم: ٢٨، وغيرها أيضاً.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٨٩

أما صحيح الترمذى الذى مدحوه وأثنوا عليه، وجعلوه قريباً من الصحيحين فى الصححة والإعتبار، ووصفوه بأنه أحسن الكتب وأكثرها فائدة... فائدة...

كما قال ابن الأثير بترجمه الترمذى: «وله تصانيف كثيرة فى علم الحديث، وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب وأكثرها فائدة، وأحسنها ترتيباً وأقلها تكراراً، وفيه ما ليس فى غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال، وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب، وفيه جرح وتعديل، وفى آخره كتاب العلل، قد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها.

قال الترمذى رحمه الله: صنفت هذا الكتاب، فعرضته على علماء الحجاز فرضوا به، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به، ومن كان فى بيته هذا الكتاب فكأنما فى بيته نبي يتكلم» (١).

وقال القارى فى (مجمع الوسائل - شرح الشرائع): «هو أحد أئمة عصره وأجله حفاظ دهره، قيل: ولد أكمه، سمع خلقاً كثيراً من العلماء الأعلام وحفاظ مشايخ الإسلام، مثل قتيبة بن سعيد والبخارى والدارمى ونظرانهم، وجامعه دال على اتساع حفظه ووفور علمه، كأنه كاف للمجتهد وشاف للمقلد.

ونقل عن الشيخ عبد الله الأنصارى أنه قال: جامع الترمذى عندي أنفع

(١) جامع الاصول ١: ١٩٤.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٤٩٠

من كتابى البخارى ومسلم.

ومن مناقبه أن الإمام البخارى روى عنه حديثاً واحداً خارج الصحيح.

وأعلى ما وقع له فى الجامع حديث ثلاثى الإسناد، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: يأتى على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر».

الموضوعات فى صحيح الترمذى ... ص: ٤٩٠

إشارة

ولكن هذا الكتاب الذى وصفوه بهذه الأوصاف وشبهوه بنبي يتكلم...

قالوا: فيه موضوعات كثيرة...

قال الحافظ ابن دحية- فى كلام له على الحديث فى أن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم: أكرم ولد آدم على ربه- قال: «أخرجه الترمذى فى جامعه الكبير، فى باب أبواب المناقب، عن رسول الله، وقد تقدم بعض أسانيدى إليه. قال: ثنا الحسين بن يزيد الكوفى... هذا حديث حسن غريب.

قال ذوالنسين- رحمه الله:- الحسن ما دون الصحيح، مما لا تنتهى رواته إلى درجة العدالة ولا تنحط إلى درجة الفسق. وقال الترمذى فى آخر كتابه: وما ذكرنا فى هذا الكتاب حديث حسن فإنما أردنا حسن إسناده عندنا، كل حديث يروى، لا يكون فى إسناده ممن يتهم بالكذب ولا يكون الحديث شاذاً ويروى من غير وجه نحو ذلك، فهو عندنا حديث حسن، وما ذكر فى هذا الكتاب حديث غريب، فإن أهل الحديث يستغربون الحديث لمعان، رب حديث يكون غريباً لا يروى إلا من وجه واحد. ثم تمادى فى شرح ذلك ووجهه.

وقد ذكرت فى كتابى المسمى بالعلم المشهور أحاديث كثيرة، أوردتها

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٩١

أبو عيسى في كتابه هذا، عن قوم كذابين وحسنها، وهي موضوعه ولا يصح أن تكون مرفوعة، فليرجع الناظر إليه فيما انتقدته عليه «١». وقال ابن تيمية بعد حديث في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: «والترمذي قد ذكر أحاديث متعددة في فضائله، وفيها ما هو ضعيف بل موضوع» «٢». هذا، ونحن ذاكرون هنا بعض الأحاديث الموضوعه:

حديث فيه بعث أبي بكر بلالاً مع النبي إلى الشام ... ص: ٤٩١

فمن أحاديثه المكذوبة والباطلة: ما رواه في قضيه سفر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشام مع رجال من قريش، وأن أبا بكر بعث معه بلالاً، وهذه عبارته: «حدثنا الفضل بن سهل أبو العباس البغدادي، نا عبدالرحمن بن غزوان، أنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه قال: خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبط فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب - وكانوا قبل ذلك يمرّون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت - قال: فهم يحلون رحالهم - فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟

(١) شرح أسماء النبي / المستكفي - مخطوط.

(٢) منهاج السنه ٥: ٥١١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٩٢

فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا - شجر إلّا خرّ ساجداً، ولا - يسجدان إلّا للنبى، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة. ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به فكان هو في رعية الإبل فقال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال: بينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلّا بعث إليه باناس وإنا قد اخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا. فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: إنما اخترنا خيراً لك لطريقك. قال: أفرايتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس ردّه؟ قالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه. قال: انشدم بالله أيكم وليه؟ قالوا:

أبو طالب. فلم يزل يناشده حتى ردّه أبو طالب، وبعث معه أبو بكر بلالاً، وزوّده الراهب من الكعك والزيت.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه «١».

فقد نصّ كبار الأئمة على أنه حديث موضوع:

قال الذهبي - بترجمه عبدالرحمن بن غزوان - «قلت: أنكر ماله حديثه عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي بكر بن أبي موسى، في سفر النبي صلى الله عليه وسلم - وهو مراهق - مع أبي طالب إلى الشام وقصه بحيرا، ومما يدلّ

(١) صحيح الترمذى ٥: ٥٩٠ / ٣٦٢٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٩٣

على أنه باطل قوله: وردّه أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالاً، وبلال لم يكن بعد خلق، وأبو بكر كان صبيّاً» (١).

وقال ابن القيم: «فلما بلغ اثني عشر سنة خرج به عمّه إلى الشام، وقيل:

كان تسع سنين، وفي هذه الخرجة رآه بحيرا الراهب وأمر عمّه أن لا يقدم به إلى الشام خوفاً عليه من اليهود، فبعثه عمّه مع بعض غلمانه إلى المدينة، ووقع في كتاب الترمذى وغيره: إنه بعث معه أبو بكر بلالاً. وهو من الغلط الواضح، فإنّ بلالاً إذ ذاك لعله لم يكن موجوداً، وإن كان فلم يكن معه عمّه ولا مع أبي بكر» (٢).

وقال محمّد بن يوسف الشامي: «تنبيهات: الأول: وقع في حديث أبي موسى عند الترمذى: فلم يزل بحيرا يناشد جدّه حتّى ردّه وبعث معه أبو بكر بلالاً.

قال الحافظ شرف الدين الدمياطي - وتبعه في المورد والعيون - في قوله: وأرسل معه أبو بكر بلالاً نكارة، وأبو بكر حينئذ لم يبلغ العشر سنين، فإنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم أسنّ من أبي بكر بأزيد من عامين، وقد قدّمنا ما كان سنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم حين سافر هذه السفرة.

وأيضاً: فإنّ بلالاً لم ينتقل لأبي بكر إلّا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاماً، فإنّه كان لبني خلف الجمحيين، وعندما عدّب في الإسلام اشتراه أبو بكر رحمه له واستقذاً له من أيديهم، وسيأتى بيان ذلك. وذكر نحو ذلك الحافظ في الإصاغة وزاد: أنّ هذا اللفظ مقتطع من

(١) ميزان الاعتدال ٤: ٣٠٦ / ٤٩٣٩.

(٢) زاد المعاد ١: ٧٦-٧٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٩٤

حديث آخر ادرج في هذا الحديث.

وفي الجملة هو وهم من أحد رواته.

وروى ابن مندة بسند ضعيف عن ابن عباس قال: إنّ أبا بكر صحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن ثمانى عشرة سنة، والنبي صلّى الله عليه وسلّم ابن عشرين سنة، وهم يريدون الشام في تجارة، حتّى إذا نزل منزلاً فيه سدره فقعد في ظلّها، ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شىء، فقال له: من الرجل الذى فى ظلّ السّدره؟ فقال له: محمّد بن عبد الله بن عبدالمطلب. فقال له: هذا والله نبيّ هذه الامّة، ما استظلّ تحتها بعد عيسى بن مريم إلّا محمّد، وذكر الحديث.

قال الحافظ: فهذا - إن صحّ - يحتمل أن يكون فى سفرة اخرى بعد سفرة أبى طالب.

وذكر نحوه فى الزهر وزاد: وقول ابن دحية يمكن أن يكون أبو بكر استأجر بلالاً حينئذ، أو يكون اميّه بن خلف بعثه، غير جيّد لأمرين: أحدهما:

إنّ أبا بكر لم يكن معهم ولا كان فى سنّ من يملك، وذكر نحو ما سبق فى سنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم إذ ذاك، ثانيهما: إنّ بلالاً كان أصغر من أبى بكر، فلا يتّجه ما قاله بحال» (١).

وقال الديار بكرى بعد ذكر هذا الحديث: «وفى حياة الحيوان: قال الحافظ الدمياطي: وفى الحديث وهم فى قوله: وبعث معه أبو بكر بلالاً، إذ لم يكونا معه ولم يكن بلال أسلم، ولا ملكه أبو بكر، بل كان أبو بكر حينئذ لم يبلغ عشر سنين، ولم يملك أبو بكر بلالاً إلّا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين، وكذا ضعّفه

(١) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ٢: ١٤٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٩٥
الذهبي.

قال ابن حجر: رجال هذا الحديث ثقات، وليس فيه منكر سوى قوله:

ويعث معه أبو بكر «...» (١).

وقال ابن سيد الناس: «قلت: ليس فى إسناد هذا الحديث إلّا من خرّج له فى الصحيح، وعبدالرحمن بن غزوان - أبو نوح لقبه قراد - انفراد به البخارى، ويونس بن أبى إسحاق انفراد به مسلم. ومع ذلك فيه نكارة، وهى إرسال أبى بكر مع النبى صلى الله عليه وسلم بلائاً، وكيف؟ وأبو بكر حينئذ لم يبلغ العشر سنين، فإنّ النبى أسنّ من أبى بكر بأزيد من عامين، وكانت للنبى يومئذ تسعة أعوام على ما قاله أبو جعفر محمّد بن جرير الطبرى وغيره، أو اثنا عشر عاماً على ما قاله آخرون. وأيضاً: فإنّ بلائاً لم ينتقل لأبى بكر إلّا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاماً، فإنّه كان لبني خلف الجمحين، وعندما عذب فى الله على الإسلام اشتراه أبو بكر استنفاذاً له من أيديهم، وخبره بذلك مشهور» (٢).

حديث الإتيان بأبى بكر ...!! ص: ٤٩٥

ومن ذلك: الحديث فى فضل أبى بكر، وهذه ألفاظ الترمذى: «حدّثنا نصر بن عبدالرحمن الكوفى، نا أحمد بن بشير، عن عيسى بن ميمون الأنصارى، عن القاسم بن محمّد، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمّهم غيره. هذا حديث

(١) تاريخ الخميس ١: ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) عيون الأثر فى المغازى والسير ١: ١٠٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٩٦
غريب» (١).

وقد أدرج ابن الجوزى هذا الحديث فى الموضوعات إذ قال: «الحديث الثالث عشر - أخبرنا محمّد بن عبدالباقي ... حدّثنا أحمد بن بشير قال: حدّثنا عيسى بن ميمون، عن القاسم بن محمّد، عن عائشة ... قال المصنّف: هذا حديث موضوع على رسول الله. أمّا عيسى فقال البخارى: منكر الحديث.

وقال ابن حبان: لا يحتج بروايته. وأمّا أحمد بن بشير، فقال يحيى: هو متروك» (٢).

حديث إعزاز الله الإسلام بعمر بن الخطّاب ...! ص: ٤٩٦

ومن ذلك: روايته: «حدّثنا محمّد بن بشار ومحمّد بن رافع قالوا: نا أبو عامر العقدى، نا خارجة بن عبداللّه الأنصارى، عن نافع، عن ابن عمر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم أعز الإسلام بأحبّ هذين الرجلين إليك: بأبى جهل أو بعمر بن الخطّاب. قال: وكان أحبّهما إليه عمر. هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر» (٣).

وهذا الحديث كذبته عائشة.

قال الحلبي: «ثم قالوا: يا ابن الخطّاب، إنّ النبى صلى الله عليه وسلم دعا فقال: اللهم أعز الإسلام بأحبّ هذين الرجلين بأبى جهل وعمر

بن الخطاب، وفي رواية: بعمر من غير ذكر أبي جهل. وعن عائشة إنها قالت: إنما

(١) صحيح الترمذى ٥: ٦١٤ / ٣٦٧٣.

(٢) كتاب الموضوعات ١: ٣١٨.

(٣) صحيح الترمذى ٥: ٦١٧ / ٣٦٨١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٩٧

قال رسول الله: اللهم أعز عمر بالإسلام، لأن الإسلام يُعز ولا يُعز» (١).

وقال السيوطي: «ذكر أبو بكر التاريخي عن عكرمة أنه سئل عن حديث:

اللهم أيد الإسلام. فقال: معاذ الله، دين الإسلام أعز من ذلك، ولكنه قال: أعز عمر بالدين أو أباجهل» (٢).

حديث عدم صلاة النبي على من مات مبغضاً لعثمان ...!! ص: ٤٩٧

ومن ذلك: حديثه كما في (التحفة الإثنى عشرية) حيث قال: «روى الترمذى أنه أتى بجزائه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يصل عليه وقال: إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله» (٣).

وقد أورده ابن الجوزي في كتاب الموضوعات، حيث قال: «الحديث الثاني: أخبرنا محمد بن عبد الملك بن خيرون قال: أخبرنا إسماعيل بن مسعدة قال: أخبرنا حمزة بن يوسف قال: أنا أبو أحمد ابن عدى قال: حدثنا عبد الكريم بن إبراهيم بن حيان قال: ثنا الليث بن الحارث البخارى قال: حدثنا عثمان بن زفر قال: حدثنا محمد بن زياد عن محمد بن عجلان عن أبي الزبير عن جابر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بجزائه رجل، فلم يصل عليها، فقيل له: يا رسول الله، ما رأيناك تركت الصلاة على أحد إلا هذا. قال: إنه كان يبغض عثمان أبغضه الله عز وجل.

طريق آخر: أخبرنا علي بن عبيد الله الزاغوني قال: أنا علي بن أحمد بن

(١) السيرة الحلبية ١: ٣٣٠.

(٢) كتاب الموضوعات ١: ٣٣٢.

(٣) التحفة الإثنى عشرية عن سنن الترمذى ٥: ٥٨٨ كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٤٩٨

البندار قال: أنبأنا عبيد الله بن محمد الفقيه قال: ثنا أبو بكر أحمد بن هشام الأنماطي قال: ثنا يحيى بن أبي طالب قال: ثنا أحمد بن عمران الأخنسي قال:

ثنا محمد بن زياد قال: حدثنا محمد بن عجلان عن أبي الزبير عن جابر قال:

توفى رجل من الأنصار، فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بجزائه، فلم يصل عليه فدنا، ثم رجعنا فقلنا قد دفناه، فبغضه الله، فلم يترحم عليه.

فقلنا: يا رسول الله ما أخبرناك بميت إلا صلّيت عليه وترحمت عليه فما بال هذا؟ قال: إنه كان يبغض عثمان، أبغضه الله.

قال المصنّف: الطريقان على محمد بن زياد، قال أحمد بن حنبل: هو كذاب خبيث يضع الحديث. وقال يحيى: كذاب خبيث. وقال السعدى والدارقطنى: كذاب. وقال البخارى والنسائى والفلاس وأبو حاتم الرازى:

متروك الحديث. وقال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات، لا يحلّ ذكره فى الكتب إلا على وجه القدر فيه» (١).

حديث نزول «لا تقربوا الصلاة» ... الآية ... ص: ٢٩٨

ومن ذلك: الحديث الموضوع المفترى على أمير المؤمنين وسيد الوصيين وإمام المتقين ... وهذه عبارة الترمذى: «حدثنا عبد بن حميد، نا عبدالرحمن بن مسعد، عن أبي جعفر الرازى، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبدالرحمن السلمى عن علي بن أبي طالب قال: صنع لنا عبدالرحمن بن عوف طعاماً، فدعانا وسقانا الخمر، فأخذت الخمر منّا، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون» ونحن نعبد ما

(١) كتاب الموضوعات ١: ٣٣٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٢٩٩

تعبدون. فأنزل الله «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» هذا حديث حسن غريب صحيح» (١). وإن بطلان هذا البهتان واضح من جهات:

١- إنه يلزم بناءً على هذا الحديث المكذوب أن يكون أمير المؤمنين - والعياذ بالله - مرتكباً لشرب الخمر بعد نزول تحريمه فى الكتاب، لأنّ تحريمه نازل قبل نزول الآية «يا أيها الذين آمنوا» ... التى زعم المفترى نزولها فى هذه القضية، ولو أنّ المتعصبيين لا يقولون بعصمة مولانا أمير المؤمنين، فإنهم يقولون بعدالته ولو لساناً، فكيف يمكنهم تصديق هذا البهتان؟ أما أن تحريم الخمر كان قبل نزول الآية المذكورة، فلا يخفى على المتتبعين، لأنّ العلماء ينصّون على نزول الآية «يسألونك عن الخمر» قبل «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا» ... الآية ... فقد جاء بتفسير النفسى ما نصّه:

«نزل فى الخمر أربع آيات، نزل بمكة: «ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا» وكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال، ثم إنَّ عمر ونفراً من الصحابة قالوا: يا رسول الله، أفتنا فى الخمر فإنها مذمومة للعقل مسلبة للمال فنزل «يسألونك عن الخمر والميسر» فشربها قوم وتركها آخرون، ثم دعا عبدالرحمن بن عوف جماعةً فشربوا وسكروا، فأمر بعضهم فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، فنزل: «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» فقلّ من يشربها، ثم دعا عتبان بن مالك جماعةً، فلما سكروا منها تخاصموا وتضاربوا، فقال عمر: اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافياً فنزل «إنما الخمر

(١) صحيح الترمذى ٥: ٢٣٨ / ٣٠٢٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٥٠٠

والميسر - إلى قوله - فهل أنتم منتهون» فقال عمر: انتهينا يا رب» (١).

وقال الجصاص فى بيان دلالة: «يسألونك عن الخمر» ... الآية على حرمة الخمر: «باب تحريم الخمر، قال الله تعالى «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما» وهذه الآية قد اقتضت تحريم الخمر، لو لم يرد غيرها فى تحريمها لكانت كافيةً مغنيةً، وذلك لقوله: «قل فيهما إثم كبير» والإثم كلّ محرّم بقوله تعالى: «قل حرّم ربّى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم» فأخبر أنّ الإثم محرّم، ولم يقتصر على إخباره بأنّ فيهما إثمًا حتى وصفه بأنّه كبير، تأكيداً لحظرهما.

وقوله «منافع للناس» لا دلالة فيه على إباحتها، لأنّ المراد منافع الدنيا، وإنّ فى سائر المحرّمات منافع لمركبها فى دنياهم، إلّا أنّ تلك المنافع لا تفى بضررها من العقاب المستحق بارتكابها، فذكره لمنافعها غير دالّ لإباحتها، لاسيّما وقد أكّد حظرها بقوله فى سياق الآية «وإثمهما أكبر من نفعهما» يعنى: إنّ ما يستحقّ بهما من العقاب أعظم من النفع العاجل الذى يتغنى منهما» (٢).

٢- لقد روى الحاكم هذا الخبر بإسنادٍ له من طريق أحمد عن أبي عبدالرحمن السلمى عن علي عليه السلام، وفيه أنّ الذى أمهم وقرأ

كذلك هو عبدالرحمن بن عوف فنزلت الآية، قال في المستدرک:
«حدّثنا أبو عبدالله محمّد بن يعقوب الحافظ، ثنا علي بن الحسن، ثنا

(١) تفسير النسفي ١: ١٢٠-١٢١.

(٢) أحكام القرآن ١: ٣٢٢.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٥٠١

عبدالله بن الوليد، ثنا سفيان، حدّثنا أبو زكريا يحيى بن محمّد العنبري، ثنا أبو عبدالله البوشنجي، ثنا أحمد بن حنبل، ثنا وكيع، ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب عن أبي عبدالرحمن السلمى عن علي رضى الله عنه قال: دعانا رجل من الأنصار قبل أن تحرم الخمر، فتقدّم عبدالرحمن بن عوف فصلّى بهم المغرب فقرأ «قل يا أيها الكافرون» فالتبس عليه فيها فنزلت «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» (١).

فانظر كيف حرّف النواصب هذا الحديث، ووضعوا اسم أمير المؤمنين في مكان عبدالرحمان؟

٣- إنه حتّى لو كانت القصّة قبل تحريم الخمر، فلا ريب في كونها مفترأة، لأنّ شرب الخمر كان قبيحاً عند أهل العقل والدّين، كما أنّ جعفر بن أبي طالب لم يشربه قط، لا في الجاهليّة ولا في الإسلام، قال: «لأنّني رأيتها تذهب العقول، وكنت إلى زيادة العقل أحوج من نقصانه».

فهل يعقل أن يدرك جعفر هذه الحقيقة ولا يدركها أمير المؤمنين، وهو أفضل وأعقل وأفهم من جعفر بالقطع واليقين؟

وقد ذكر مثل ذلك عن قصي، كما في (السيرة الحلبية) قال:

«ولمّا احتضر قال لأولاده: اجتنبوا الخمر، فإنّها تصلح الأبدان وتفسد الأذهان» (٢).

وقال صاحب (المستطرف) في الخمر:

«وممّن تركها في الجاهليّة: عبدالله بن جدعان، وكان جواداً من سادات قريش، وذلك أنّه شرب مع اميّة بن الصّلت الثقفي، فضربه على عينه،

(١) المستدرک على الصحيحين ٤: ١٤٢.

(٢) السيرة الحلبية ١: ١٣.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٥٠٢

فأصبحت عين اميّة مخضرة يخاف عليها الذهاب، فقال له عبدالله: ما بال عينك؟ فسكت، فألح عليه، فقال: ألسنت ضاربها بالأمس؟ فقال: أو بلغ منّي الشراب ما أبلغ معه إلى هذا؟ لا أشربها بعد اليوم، ثمّ دفع له عشرة درهم وقال: الخمر عليّ حرام لا أذوقها بعد اليوم أبداً.

وممّن حرّمها في الجاهليّة أيضاً: قيس بن عاصم، وذلك أنّه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو لاخته، فهربت منه، فلمّا أصبح سأل عنها فقيل له: أو ما علمت ما صنعت البارحة، فأخبر القصّة، فحرّم الخمر على نفسه.

وممّن حرّمها في الجاهليّة أيضاً: العباس بن مرداس وقيس بن عاصم، وذلك أنّ قيساً شرب ذات ليلة، فجعل يتناول القمر ويقول: واللّه لا أبرح حتّى أنزله، ثمّ يشب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه، فلمّا أصبح وأفاق قال: مالي هكذا، فأخبروه بالقصّة، فقال: واللّه لا أشربها أبداً. وقيل للعباس بن مرداس:

لم تركت الشراب وهو يزيد في سماحتك؟ فقال: أكره أن أصبح سيّد قومي وامسى سفيهم» (١).

٤- إنه قد صرح الإمام عليه السلام باجتنابه الخمر مطلقاً، فيما رواه الحافظ ابن شهر آشوب السروي «٢» عن تفسير القطن، عن عمر بن حمران،

(١) المستظرف من كل فن مستظرف ٢: ٢٦١.

(٢) هو: محمد بن علي بن شهر آشوب، أبو جعفر السروي المتوفى سنة ٥٨٨، ترجم له الصفدي (الوافي بالوفيات ٤: ١٦٤). قال: «أحد شيوخ الشيعة، حفظ أكثر القرآن وله ثمان سنين، وبلغ النهاية في اصول الشيعة، كان يرحل إليه من البلاد، ثم تقدم في علم القرآن والغريب والنحو، ووعظ على المنبر أيام المقتدى ببغداد فأعجبه وخلع عليه، وكان بهي المنظر حسن الوجه والشيبة، صدوق اللهجة، مليح المحاوره، واسع العلم، كثير الخشوع والعبادة والتهجد، لا يكون إلا على وضوء».

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ٢، ص: ٥٠٣

عن سعيد، عن قتادة عن الحسن البصري قال:

اجتمع عثمان بن مظعون وأبو طلحة وأبو عبيدة ومعاذ بن جبل وسهيل ابن بيضاء وأبو دجانة في منزل سعد بن أبي وقاص، فأكلوا شيئاً، ثم قدم إليهم شيئاً من الفضيخ، فقام علي وخرج من بينهم، فقال عثمان في ذلك، فقال علي: لعن الله الخمر، والله لا أشرب شيئاً يذهب بعقلي، ويضحك بي من رأني، وأزوج كريمتي من لا أريد، وخرج من بينهم فأتى المسجد، وهبط جبرئيل بهذه الآية «يا أيها الذين آمنوا» يعني هؤلاء الذين اجتمعوا في منزل سعد «إنما الخمر والميسر ... الآية». فقال علي: تبا لهما، والله يا رسول الله، لقد كان بصري فيها نافذاً منذ كنت صغيراً. قال الحسن: والله الذي لا إله إلا هو، ما شربها قبل تحريمها ولا ساعة قط» (١).

٥- لقد سعى القوم سعياً حثيثاً وراء تبرئة أبي بكر وتنزيهه من شرب الخمر، ولو قبل التحريم، حتى قال الحكيم الترمذي في كتاب (نوادير الاصول): «من الحديث الذي تنكره القلوب: حديث روه عن عوف، عن أبي القموص قال: شرب أبو بكر الخمر - يعني من قبل نزول تحريمها - فقعد ينوح على قتلى بدر وهو يقول:

تحیی بالسلامة ام بكر وهل لك بعد رهطك من سلام
ذرينی أصطبح یا ام بكر رأيت الموت نقب عن هشام
فنقب عن أبيك وكان قرماً من الأشراف شراب المدام
وودّ بنو المغيرة لو فدوه بألف من رجال أو سوام
كأني بالطوى طوى بدر من الفتیان والخيل الكرام

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج يجرّ ثوبه من الفزع حتى أتاه، فدفع عليه شيئاً في يده، فقال أبو بكر: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله، فانزلت «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ... الآية».

وزاد غيره في الأبيات:

يخبرنا رسول الله بأن سنحبي فكيف حياة أصلاء وهام

فهذا منكر من القول والفعل، وقد أعاذ الله الصديقين من فعل الخنا وأقوال أهله، وإن كان قبل التحريم «...» (١).

أقول:

فكيف ينسب الترمذي هذا الفعل الشنيع إلى أفضل الصديقين وإمام المتقين؟

وفي (الرياض النضرة) «عن أبي العالية الرياحي قال: قيل لأبي بكر في مجمع من أصحاب رسول الله: هل شربت الخمر في الجاهلية؟ قال: أعوذ بالله. فقيل: ولم؟ قال: كنت أصون عرضي وأحفظ مالي، فمن شرب الخمر كان مضيعاً في عرضه ومروته، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

صدق أبو بكر - مزّين. أخرجه الدارمي «٢».

ومن هذا أيضاً يظهر شناعة الفرية التي افتراها الترمذى ...
أقول:

لكنّ الحقيقة هي أنّ هؤلاء كانوا يشربون الخمر، فلمّا رأى المتعصّيون لهم ذلك، عمدوا إلى نسبة الشرب إلى أمير المؤمنين حمايةً لهم وتغطيةً على

(١) نوادر الاصول، وقد حذفته الأيدي الأثيمة لكونه ممّا تنكره القلوب!!

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة ١: ٢٠١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٥٥٥

مساويهم، وهذا هو السبب الأصلي لوضع حديث الترمذى ...

لقد خرج البزار وابن مردويه والفاكهي وغيرهم خبر شرب أبي بكر، واضطرّ ابن حجر للإعتراف بثبوت الخبر ... قال البخاري: «حدّثنا إسماعيل بن عبدالله قال: حدّثني مالك بن أنس، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: كنت أسقى أبا عبيدة وأبا طلحة وأبي بن كعب من فضيخ زهو وتمر، فجاءهم آت فقال: إنّ الخمر قد حرمت، فقال أبو طلحة: قم يا أنس فأهرقها فأهرقتها. حدّثنا مسدد قال: حدّثنا معتمر عن أبيه قال: سمعت أنساً قال: كنت قائماً على الحى أسقيهم عمومى وأنا أصغرهم الفضیخ، فقيل: حرمت الخمر.

فقالوا: أكفأها فكفأناها. قلت لأنس: ما شربهم؟ قال: رطب وبسر. فقال أبو بكر بن أنس: وكانت خمرهم، فلم ينكر أنس».

فقال ابن حجر بشرح الحديث الأول ما نصّه:

«قوله: كنت أسقى أبا عبيدة هو ابن الجراح، وأمّا أبو طلحة هو زيد بن سهل زوج ام سليم ام أنس. وأبي بن كعب. كذا اقتصر في هذه الرواية على هؤلاء الثلاثة، وأمّا أبو طلحة، فلكون القصّة كانت في منزله كما مضى في التفسير من طريق ثابت عن أنس: كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة. وأمّا أبو عبيدة فلأنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم آخى بينه وبين أبي طلحة، كما أخرجه مسلم من وجه آخر عن أنس، وأمّا ابى بن كعب، فكان كبير الأنصار وعالمهم.

ووقع في رواية عبدالعزيز بن صهيب عن أنس في تفسير المائدة: إنّى لقايت أسقى أبا طلحة وفلاناً وفلاناً، كذا وقع بالإبهام.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٥٠٦

وسمى في رواية مسلم منهم: أبا أيوب.

وسمى - بعد أبواب - من رواية هشام عن قتادة عن أنس: إنّى لأسقى أبا طلحة وأبادجائه وسهيل بن بيضاء. وأبو دجاجة بضمّ المهملة وتخفيف الجيم وبعد الألف نون اسمه سماك بن خرشع بمعجمتين بينهما راء مفتوحات.

ولمسلم من طريق سعيد عن قتادة نحوه، وسمى فيهم معاذ بن جبل.

ولأحمد عن يحيى القطان عن حميد عن أنس: كنت أسقى أبا عبيدة وأبي بن كعب وسهيل بن بيضاء ونفراً من الصحابة عند أبي طلحة.

ووقع عند عبدالرزاق عن معمر عن ثابت وقتادة وغيرهما عن أنس: أنّ القوم كانوا أحد عشر رجلاً.

وقد حصل من الطرق التي أوردتها تسمية سبعة منهم، وأنهم هم في رواية سليمان التيمي عن أنس وهي في هذا الباب ولفظه: كنت قائماً على الحى أسقيهم عمومى، موضع خفض على البدل من قوله الحى، وأطلق عليهم عمومته، لأنهم كانوا أسنّ منه، ولأنّ أكثرهم من الأنصار.

ومن المستغربات ما أورده ابن مردويه في تفسيره، من طريق عيسى بن طهمان عن أنس: أن أبابكر وعمر كانا فيهم، وهو منكر مع نظافة سنده، وما أظنه إلا غلطاً.

وقد أخرج أبو نعيم في الحلية، في ترجمته شعبة، من حديث عائشة قالت: حرّم أبوبكر الخمر على نفسه، فلم يشربها في جاهليته ولا إسلام.

ويحتمل - إن كان محفوظاً - أن يكون أبوبكر وعمر زارا أباطلحة في ذلك اليوم ولم يشربا معهم.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٥٠٧

ثم وجدت عند البزار من وجه آخر عن أنس قال: كنت ساقى القوم، وكان في القوم رجل يقال له أبوبكر، فلما شرب قال: تحيي بالسلامة أم بكر...

الآيات.

فدخل علينا رجل من المسلمين فقال: قد نزل تحريم الخمر، الحديث.

وأبوبكر هذا يقال له ابن شعوب فظنّ بعضهم أنه أبوبكر الصديق وليس كذلك، لكن قرينه ذكر عمر تدلّ على عدم الغلط في وصف الصديق، وفي كتاب مكة للفاكهي من طريق مرسل ما يشدّد ذلك.

فحصلنا على تسمية عشر، وقد قدمت في غزوة بدر من المغازي ترجمته أبي بكر بن شعوب المذكور «١».

وقد علم ممّا رواه ابن حجر شرب عمر أيضاً.

وفي (المستطرف) في الباب الرابع والسبعين، في ذم الخمر وتحريمه:

«أنزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات. الأولى قوله تعالى: «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما» فكان في المسلمين من شاربٍ ومن تارك، إلى أن شربها رجل ودخل في الصلاة فهجر، فنزل قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» فشرّبها من شربها من المسلمين وتركها من تركها، حتى شربها عمر، فأخذ بلحي بعير فشجّ به رأس عبدالرحمن بن عوف، ثمّ قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر، وهو:

وكاين بالقلب قلب بدر من الفتيان والشرب الكرام

أيوعدني ابن كبشة أن سنحبي وكيف حياة أصداء وهام

(١) فتح الباري - شرح صحيح البخارى ١٠: ٣٠ - ٣١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٥٠٨

أيعجز أن يرّد الموت عنّي وينشرنى إذا بليت عظامى

ألا من مبلغ الرحمن عنّي بأنّى تارك شهر الصيام

فقل لله يمنعى شرابى وقل لله يمنعى طعامى

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج مغضباً يجزّ رداءه، فرفع شيئاً كان في يده، فضربه به، فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فأنزل الله تعالى: «إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهم أنتم منتهون».

فقال عمر: انتهينا انتهينا «١».

هذا، وقد نصّ الجصاص على دلالة الآية «يسألونك عن الخمر»...

على التحريم، وعلى أن عمر كان يعلم بدلالاتها على الحرمة، حيث قال في (أحكام القرآن):

«قوله: «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير» قال: الميسر هو القمار، كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله. قال: وقوله «ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» قال: كانوا لا يشربونها عند الصلاة فإذا صلوا العشاء شربوها فقابلوا بعضهم بعضاً وتكلموا بما لا يرضى الله، فأنزل الله عز وجل «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه». قال: فالميسر القمار، والأنصاب الأوثان، والأزلام القداح كانوا يستقسمون بها.

قال: وحدّثنا أبو عبيد قال: حدّثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة قال: قال عمر: اللهم بين لنا في الخمر،

(١) المستطرف من كل فنّ مستطرف ٢: ٢٦٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٥٠٩

فنزلت: «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» فقال: اللهم بين لنا في الخمر، فنزلت: «قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما» فقال: اللهم بين لنا في الخمر، فنزلت: «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» إلى قوله - فهل أنتم منتهون » فقال عمر: انتهينا، إنها تذهب المال وتذهب العقل.

قال: وحدّثنا أبو عبيد قال: حدّثنا هشيم قال: أخبرنا المغيرة عن أبي رزين قال: شربت الخمر بعد الآية التي في البقرة وبعد الآية التي في النساء، فكانوا يشربونها حتى يحضر الصلاة فإذا حضرت تركوها، ثم حرمت في المائدة في قوله: «فهل أنتم منتهون» فانتهى القوم عنها فلم يعودوا فيها.

فمن الناس من يظن أن قوله: «قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس» لم يدل على التحريم لأنه لو كان دالاً لما شربوه، ولما أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم، ولما سأل عمر البيان بعده، وليس هذا كذلك عندنا، لأنه جائز أن يكونوا تأولوا في قوله «ومنافع للناس» جواز استباحة منافعها بأن الإثم مقصور على بعض الأحوال دون بعض، فإنما ذهبوا عن حكم الآية بالتأويل.

وأما قوله إنها لو كانت حراماً لما أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على شربها، فإنه ليس في شيء من الأخبار علم النبي صلى الله عليه وسلم بشربها ولا إقرارهم بعد علمه، وأما سؤال عمر بياناً بعد نزول هذه الآية، فإنه كان للتأويل فيه مساع، وقد علم هو وجه دلالتها على التحريم، ولكنه سأل بياناً يزول معه احتمال التأويل، فأنزل الله تعالى: «إنما الخمر والميسر الآية» (١).

وقال الزمخشري في (ربيع الأبرار):

(١) أحكام القرآن للجصاص ١: ٣٢٢-٣٢٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٥١٠

«أنزل الله سبحانه وتعالى في الخمر ثلاث آيات، أولها: «يسألونك عن الخمر والميسر» فكان المسلمون بين شاربٍ وتارك، إلى أن شربها رجل ودخل في صلاته فهجر، فنزلت «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» فشربها من شربها من المسلمين، حتى شربها عمر بن الخطاب، فأخذ بلحى بعير فشج رأس عبدالرحمن بن عوف، ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر:

وكاين بالقلب قلب بدر ...

فذكر الزمخشري الشعر كله، وأنه بلغ ذلك رسول الله ... فأنزل الله «إنما يريد الشيطان» ...

فقال عمر: انتهينا انتهينا» (١).

فعلم أن الآية «يسألونك» ... دالّة على التحريم، وأن عمر شرب بعد نزولها وهو عالم بدلالاتها على ذلك ... والخمر كانت محرمة في سائر الشرائع أيضاً، كما روى الفقيه أبو الليث السمرقندي في كتابه (تنبيه الغافلين):

«عن عطاء بن يسار: إن رجلاً سأل كعب الأحبار: هل حرمت الخمر في التوراة؟ قال: نعم، هذه الآية: «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام»...»

مكتوبة في التوراة: إنما انزل بالحق ليذهب الباطل ويبطل اللعب والدف والمزامير وهو الرقص، والخمر وهي مرّة، أي فتنة لشاربها، أقسم الله بعزته وجلاله لمن انتهكها أي ذاقها واستعملها في الدنيا لأعطشته يوم القيامة، ومن تركها بعد ما حرمتها إلأسقيته إياها في حظيرة القدس. قيل: وما حظيرة

(١) ربيع الأبرار ٤: ٥١ وما بعدها.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٥١١
القدس؟ قال الله تعالى: القدس وحظيرته الجنة».

وأيضاً: روى عن أويس بن سمعان أنه قال للنبي: «والذي بعثك بالحق نبياً إني لأجد في التوراة أن الخمر محرمة خمساً وعشرين مرّة، وويل لشارب الخمر، وحق على الله أن لا يشربها عبد من عبيده في الدنيا إلأسقاه الله تعالى من طينه الخبال». وأيضاً: روى عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من أطعم شارب الخمر لقمته سلط الله على جسده حيّة وعقرباً، ومن قضى له حاجة فقد أعان على هدم الإسلام، ومن أقرضه قرصاً فقد أعان على قتل مؤمن، ومن جالسه حشره الله يوم القيامة أعمى لا حجة له، ومن شرب الخمر فلا تزوجه فإن مرض فلا تعودوه، فوالذي بعثني بالحق نبياً إنه ما يشرب الخمر إلّا ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن شرب الخمر فقد كفر بجميع ما أنزل الله تعالى على أنبيائه، ولا يستحل الخمر إلّا كافر، ومن استحل الخمر فأنا بريء منه في الدنيا والآخرة» (١).

وقال الحاكم: «حدّثنا على بن جمشاد العدل، ثنا عبيد بن شريك، ثنا سعيد بن مريم، أنبا الدراوردي، حدّثني داود بن صالح، عن سالم بن عبد الله ابن عمر، عن أبيه: أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضيا الله عنهما أو ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكروا أعظم الكبائر، فلم يكن عندهم فيها علم ينتهون إليه، فأرسلوني إلى عبد الله بن عمر وأسأله عن ذلك، فأخبرني أن أعظم الكبائر شرب الخمر فأخبرتهم فأنكروا ذلك ووثبوا إليه جميعاً في داره،

(١) تنبيه الغافلين: ١٤٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٥١٢

فأخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن ملكاً من ملك بني إسرائيل أخذ رجلاً فخيّره: بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفساً أو يزنى أو يأكل لحم الخنزير أو يقتلوه إن أبي، فاختر أن يشرب الخمر، وإنه لما شرب لم يمتنع من شيء أراد منه «...» (١). هذا، وما اكتفى القوم بنسبة شرب الخمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام، بل نسبوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً - والعياذ بالله - جاء ذلك في كتاب (مدارج النبوة) للشيخ عبدالحق الدهلوي، في كلام له حول «مسجد الفضيخ» بالمدينة المنورة، وهو مسجد ردّ الشمس، فقال في بيان سبب تسميته بالاسم المذكور:

«وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: أنه قد اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع بكوز فيه فضيخ فشربه، فسّمى بمسجد الفضيخ لذلك» (٢).

ونعوذ بالله من هذا الكذب الصريح والبهتان القبيح والإفراء الفضيخ...

فانظر إلى هؤلاء القوم، كيف يحاولون صيانه أئمتهم وحمائيتهم من المعائب والمثالب، حتى لا يمنعهم ذلك من نسبة شنائعهم وفظائعهم إلى النبي والوصي... ؟ ...

ثم ألجأهم ذلك إلى الفتيا بجواز شرب الخمر للتقوى ... قال سعد بن عيسى بن أميرخان المفتى في (حاشية العناية): «ومن أصحابنا من قال: إذا كان الرجل صالحاً في اموره، تغلب حسناته سيئاته، ولا يعرف بالكذب ولا

(١) المستدرك على الصحيحين ٤: ١٤٧.

(٢) مدارج النبوة: ٨٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ٢، ص: ٥١٣

شئ من الكبائر غير أنه يشرب الخمر أحياناً، لصحة البدن والتقوى لا للتلهي، يكون عدلاً، وعامة مشايخنا على أنه لا يكون عدلاً، لأن شرب الخمر يكون كبيرة محضه وإن كانت للتداوى».

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفُسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رجم الله عبداً أحمياً أمرنا... يتعلم علومنا ويعلمها الناس؛ فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لتبعونا... (بناذر البحار - في تليخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رحمه الله - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولا سيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم. مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقكين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المبتدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيته واسعة جامعته ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعه، و... - منها العدالة الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى. - من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جَمكران و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين فى الجلسه

ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفتق" و فائى/ "بنايه" القائمية

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنيتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينية و العلميه الحالية و مشاريع التوسعه الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حد التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

